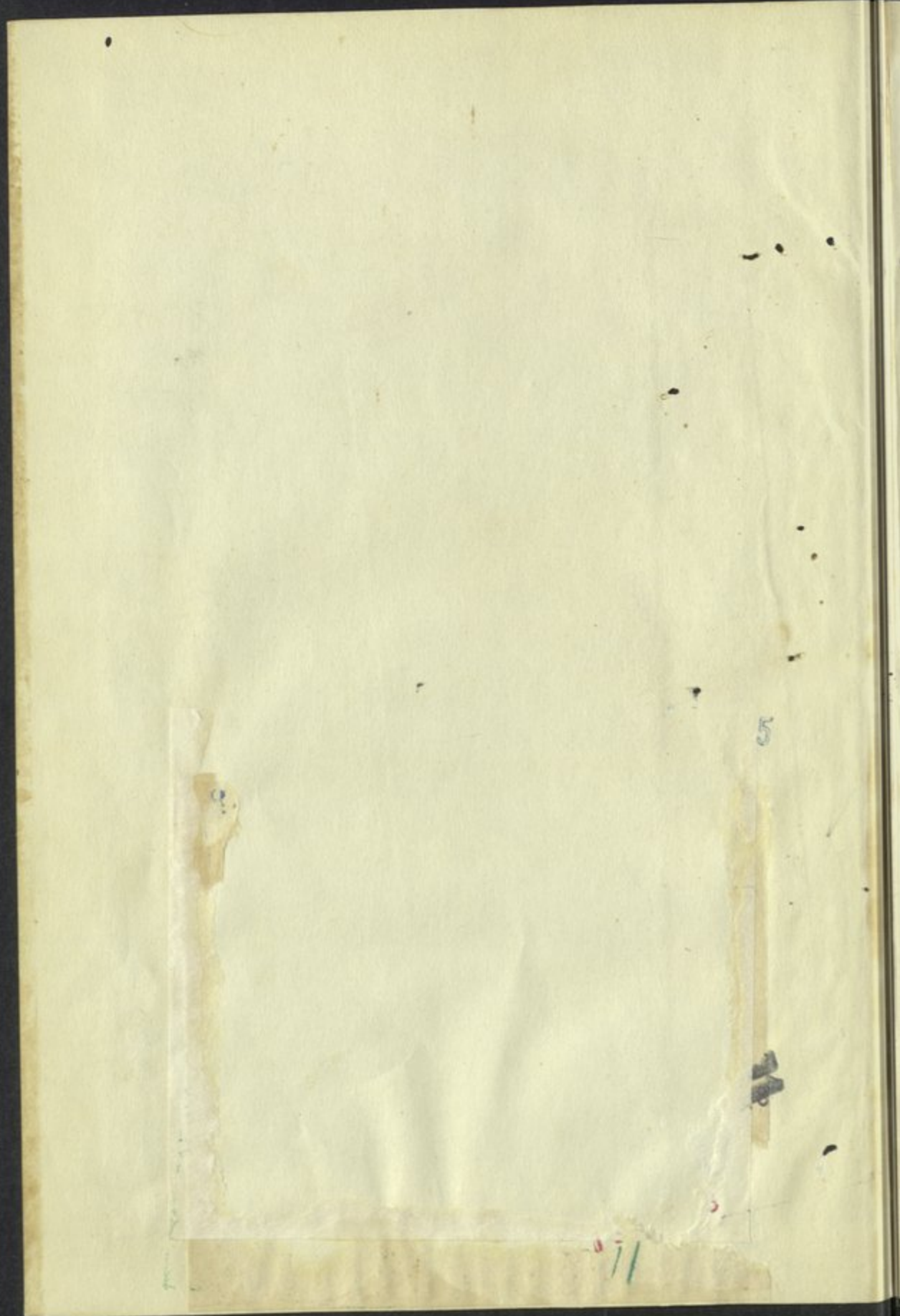


AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



تجليد مكتب
صالح الدقر



9

2A

201. 1530

297.09
R56a2A
v.2

٢١٤
ردى في لونها

عصر المأمون



بقلم

الدكتور

أحمد فرید زفای

المفتش بوزارة الداخلية

المجلد الثاني

(حقوق الطبع محفوظة للؤلف)

38643

[الطبعة الثانية]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٢٧ - ١٣٤٦ م

مكتبة دار الكتب المصرية



فهرست

المجلد الثاني من عصر المأمون

ملحق الكتاب الأول - عصر بني أمية

صفحة	باب المنشور :
١	رسالة أبي بكر على
١٢	كلام عائشة رضي الله عنها في الانتصار لأبيها
١٤	كلمة أم الخير بنت الحريش
١٧	كلمة الزرقاء بنت عدى
١٨	كلمة عكرشة بنت الأطرش
٢٠	رسالة لعبد الحميد الكاتب كتبها عن مروان بن محمد لبعض من ولاة
٥٣	رسالة ثانية لعبد الحميد الكاتب أوصى فيها الكتاب
٥٧	رسالة ثالثة لعبد الحميد الكاتب في الشطرنج
٦٠	رسالة رابعة لعبد الحميد الكاتب وصف بها الصيد

باب المنظوم :

٦٣	أنواع الغزل وزعيم كل نوع
٦٤	الغزل الإباضي - عمر بن أبي ربيعة
١٠٣	الغزل العذري - جميل
١٢٤	الغزل الصناعي - كثير
١٣٨	الغزل القصصي - قيس بن الملقح (المجنون)
١٥٢	قيس بن ذريح
١٦٤	الشعر السياسي - النبهان بن بشير

ملحق الكتاب الثاني - عصر بني العباس

باب المنشور :

١٦٩	مشاورة المهدي لأهل بيته في حرب خراسان
١٨٨	رسالة أبي الربيع محمد بن الليث التي كتبها للرشيد إلى قسطنطين ملك الروم

صفحة	
٢٣٧	رسالة يحيى بن زياد في تقرير الرشد
٢٤٤	كتب الرشد
٢٤٤	كتاب عهد البيعة
٢٤٧	نسخة الشرط الذي كتب عبد الله بن أمير المؤمنين بخط يده في الكعبة
٢٤٩	نسخة كتاب الرشد الى العمال

باب المنظوم :

٢٥٢	بشار بن برد
٢٧٧	حماد بن محمد
٢٨٧	مروان بن أبي حفصة
٣٠٠	أبو دلالة
٣١٧	أبان بن عبد الحميد اللاحق
٣٢٦	أخبار حمدان بن أبان
٣٣٣	منصور التمرى
٣٣٩	السيد الحميرى
٣٤٩	سلم بن عمرو الخامر
٣٥٤	ربيعة الرقى
٣٥٩	الرقاشى
٣٦١	أبو العنابية
٣٧٤	مسلم بن الوليد
٣٩٣	العباس بن الأحنف
٤٠٠	ابن مناذر
٤٠٣	صالح بن عبد القدوس
٤٠٧	سعيد بن وهب
٤١١	الحسن بن وهب
٤١٩	أشجع السلى
٤٢٣	على بن الجهم
٤٣١	على بن جبلة

مُلْحَقٌ مَرَحٌ الكتاب الأول

باب المنشور

ذكرنا في مقدمة المجلد الأول من "عصر المأمون" أننا قسمنا المجلد الثاني الى ملحقات للكتب الثلاثة عن العصور الثلاثة، وعُيننا عناية خاصة الى جانب ذلك بذكر جملةصالحة من آثار كتاب خاص وشاعر خاص لتمثيل عصرهما . وآخذنا من عبد الحميد الكاتب وعمر بن أبي ربيعة أنموذجا أمويًا ، ومن أبي الربيع محمد بن الليث وبشار بن بُردٍ مثالا عباسيا ، ومن عمرو بن مسعدة وأبي نُوَاسٍ نموذجا لتصوير الحياة الكتابية والشعرية في عصر الأمين والمأمون، الى غير ذلك من النماذج والاثار مما يستدعيه المقام، وقد أوردناها من غير أن نعرض لها بتفصيل أو بيان - اللهم إلا تفسير بعض ألفاظها الغريبة وشرح كلماتها الغامضة - فهي في وضوحها ودلالاتها على ما أردنا من إيرادها غير محتاجة الى شيء .
وها نحن أولاء نذكر ما وعدناك به .

١ - رسالتنا أبي بكر وعليّ

قال أبو حيان علي بن محمد التّوحيدي البغدادي : سَمَرْنَا لَيْلَةً عند القاضي أبي حامد أحمد بن يَشْر المروزي ببغداد، فتصرف في الحديث كلّ متصرفٍ، وكان غزير الرواية،

(١) انظر كتاب صبح الأعشى ص ٢٣٧ ج ١

لطيف الدراية، بجرى حديث السقيفة، فركب كلُّ مركباً، وقال قولاً، وعرض بشيء،
 ونزع الى فنّ . فقال : هل فيكم من يحفظ رسالة لأبي بكر الصديق^(١)، رضى الله عنه، الى
 على بن أبي طالب كرم الله وجهه، وجواب علىّ عنها، ومبايعته إياه عقيب تلك المناظرة ؟
 فقال الجماعة : لا والله ؛ فقال : هي والله من بنات الحقائق، ومحبّات الصنادق، ومنذ
 حفظتها ما رويتها إلا لأبي محمد المهلبّي في وزارته، فكتبها عني بيده . وقال : لا أعرف
 رسالة أعقل منها ولا أئين؛ وإنما لتدلّ على علم وحلم، وفصاحة ونباهة، وبُعد جور، وشدة
 غوص . فقال له العبادانيّ : أيها القاضي، فلواتممت المنة علينا بروايتها ! أسمعناها،
 فنحن أوعى لك من المهلبّي، وأوجب ذمّاً عليك؛ فاندفع وقال :

حدثنا الخُزاعيّ بمكة عن أبي ميسرة، قال حدّثنا محمد بن أبي فُلّح عن عيسى بن
 دؤاب بن المتّاح، قال سمعت مولاي أبا عبيدة يقول : لما استقامت الخلافة لأبي بكر
 رضى الله عنه بين المهاجرين والأنصار، بعد فتنة كاد الشيطان بها، فدفع الله شرّها ويسر

(١) هو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة صاحب رسول
 الله وأول خليفة له في الإسلام وخطيب يوم السقيفة .

ويجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب . ولد بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بستين وبضعة أشهر . ونشأ من أكرم قريش خلقاً، وأرحمهم حلماً، وأسمهم بداً، وأشدّهم عفة . وكان أعلمهم بالأنساب
 وأيام العرب ومفانها . صحب رسول الله قبل النبوة . وكان أول من آمن به من الرجال وصدّقه في كل ما جاء به ،
 ولذلك سمى الصديق، وأتفق أمواله في تأييد دعوته، وهاجر معه الى المدينة مؤثراً صحبته على كل أهله وولده، وشهد معه
 أكثر الغزوات . وما زال ينفق ماله وقوّته في معاضدة رسول الله حتى انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى .
 واختلفت العرب، وارتدت عن الإسلام، ومنعت الزكاة إلا أهل المدينة ومكة ونفبف بالطائف، بجزد عليهم
 الجيوش حتى قمعهم، وجمع العرب على الإسلام، وساقهم تورا الى فتح بمالك كسرى وقبصر . وما مات إلا وجيوشه
 تهزم جيوش الفرس والروم وتسنول على مدائنهم وحصونهم . وكان رحمه الله فصيحا بليغا، خطيبا مفوّهًا، حاضر
 البديهة، قوى الحجّة، شديد التأثير، يشهد بذلك خطبته يوم السقيفة، وذلك أنه لما مات رسول الله اختلفت الصحابة
 فيمن يبايعونه خليفة له عليهم؛ فأبّت الأنصار إلا أن يكون الخليفة منهم، وأبى المهاجرون من قريش إلا أن يكون
 منهم . واشتدّ النزاع حتى كادت تقع الفتنة، فخطبهم خطبة لم يلبث الجميع بعدها أن بايعوه خليفة . وكانت وفاته
 سنة ١٣ هـ ومدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال .

خيرها ، بلغ أبا بكر عن عليّ تلْكُؤُ وِشْمَاسٍ ، وَتَهْمٌ وَنِفَاسٌ ، فكره أن يتمادى الحال فتبدؤ العورة ، وتشتعل الجمره ، وتفرق ذات اليبين ؛ فدعاني بحضرتي في خلوة ، وكان عنده عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وحده ، فقال : يا أبا عبيدة ، ما أيمن ناصيتك ، وأيمن الخير بين عينيك ، وطالم أعز الله بك الإسلام وأصلح شأنه على يدك ، ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحووط ، والمحل المغبوط ؛ ولقد قال فيك في يوم مشهود : "لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة" ، ولم تزل للدين ملتجياً ، وللمؤمنين مُرتجى ؛ ولأهلك ركناً ، وإخوانك رداءً . قد أردتُك لأمرٍ خَظَرَهُ مَخُوفٌ ، وإصلاحه من أعظم المعروف ، ولئن لم يندمل جرحه يسارك ورفقك ، ولم تجب حيتته برقيتك ، وقع اليأس ، وأعضل اليأس ؛ واحتيج بعد ذلك الى ما هو أمر منه وأعلق ، وأعسر منه وأغلق ؛ والله أسأل تمامه بك ، ونظامه على يدك . فَتَاتَ لَهُ أَبُو عَبِيدَةَ وَتَلَطَّفَ فِيهِ ، وَأَنْصَحَ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولهذا العصابة غير آل جهدا ، ولا قال حمدا ، والله كالثك وناصرك ، وهاديك ومبصرُك ، ان شاء الله . امض الى عليّ واخفِضْ له جناحك ، وأغضضْ عنده صوتك ، واعلم أنه سلاله أبي طالب ، ومكانه ممن فقدناه بالأمس — صلى الله عليه وسلم — مكانه ، وقل له : البحر مفرقة ، والبر مفرقة ، والجو أكلف ، والليل أغدق ، والسما جلواء ، والأرض صلعاء ، والصعود متعذر ، والهبوط متعسر ، والحق عطوف رءوف ، والباطل عنوف عسوف ، والعجب قداحة الشر ، والضغن رائد البوار ، والتعريض شجار الفتنة ، والقحة تقوب العداوة ، وهذا الشيطان متكئ على شماله ، متحيل يمينه ، نافخ حِضْنِيهِ^(١٠) لأهله ، ينتظر الشتات والفرقة ، ويدب بين الأمة بالشحناء والعداوة ، عناداً لله عز وجل

- (١) الشماس : المعادة والمعاودة . (٢) تهم الشيء : طلبه وتحسسه . (٣) نافس في الشيء : منافسة : رغب فيه على وجه المباراة والمفاخرة . (٤) تجب : تقطع . (٥) تأتي فلان للأمر : تهيأ له وأتاه من وجهه .
 (٦) الجؤ أكلف : أسود تعلوه حمرة . (٧) الليل أغدق : مريخ سدوله مظلم . (٨) السما جلواء : مصحبة . (٩) خالية لا شجر فيها . (١٠) أى مستعد لأن يعمل عمله من الشر .

أولاً، ولآدمَ ثانياً، ولنبيه — صلى الله عليه وسلم — ودينه ثالثاً، يوسوس بالفُجور، ويُدلي بالغرور، ويمتني أهل الشرور . يُوحى الى أوليائه زُخرف القول غروراً بالباطل، دأباً له منذ كان على عهد أبينا آدمَ صلى الله عليه وسلم، وعادة له منذ أهانته الله تعالى في سالف الدهر، لا منجى منه إلا بعضُ الناجذ على الحق، وعَضُّ الطُرف عن الباطل، ووطء هامةِ عدو الله بالأشدَّ فالأشدَّ، والآكِدِ فالآكِدِ، وإسلامِ النفس لله عز وجل في آبتغاء رضاه . ولا بد الآن من قول ينفع إذا ضرَّ السكوت وخيف غيبه ؛ ولقد أرشدك من أفاه ضالتك^(١)، وصافك من أحيا مودته بتأيك، وأراد لك الخير من أثر البقاء معك ؛ ما هذا الذي تُسَوَّل لك نفسك، ويدوى به قلبك، و يلتوى عليه رأيك، ويتخاوصُ دونه طُرفك، ويسرى فيه ظعنك، ويترأدُ معه نفسك، وتكثر عنده صعداؤك، ولا يفيضُ به لسانك . أعجمةٌ بعد إفصاح ! أتليس بعد إفصاح ! أدين غير دين الله ! أخلق غير خلق القرآن ! أهدى غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم ! أمثلي "تمشى له الضراء وتدب له الخمر" ! أم مثلك ينقبض عليه الفضاء، ويكسف في عينه القمر ! ما هذه القعقة بالشنان ! وما هذه الرعوعة باللسان ! إنك والله جدُّ عاريف بأستجابتنا لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وبخروجنا عن أوطاننا وأموالنا وأولادنا وأحبنا، هجرةً الى الله عز وجل، ونصرةً لدينه في زمان أنت فيه في كِنِّ الصبا، وخدرِ الغرارة، وعنفوانِ الشيبية، غافلٌ عما يُسبب ويريب، لا تعي ما يراد ويُسَاد، ولا تحصل ما يُساق ويُقاد، سوى ما أنت جارٍ عليه الى غايتك التي اليها عدل بك، وعندها حط رحلك، غير مجهول القدر ولا بموجود الفضل ؛ ونحن في أثناء ذلك نُعاني أحوالاً تُزِيل الرَواصي ؛ ونُقاسي أهوالاً تُسبب التواصي ، خائضين غمارها، راكبين تيارها، تتجزع صابها، وتُشرح عيائها، ونُحَكِّم آسامها، ونبرم

(١) أفاه : أربع . (٢) يتخاوص : يفض من بصره . (٣) الضراء : الاستخفاف . والخمر : ما وارك من شجر، وهو مثل يضرب لمن يخدع صاحبه . (٤) الشنان جمع شن وهو القربة الخلق الصغيرة . والقعقة : الصوت، يريد أنه لا يخوف مثل هذا . (٥) تشرح عيائها : تنضدها وتضم بعضها الى بعض . والعياب : جمع عيبة ، وهي زنبيل من آدم تجعل فيه الثياب .

أمر أسنمها، والعيون تُحْدِجُ بالحسد، والأنوفُ تَعِطُسُ بالكِبَرِ، والصدورُ تَسْتَعِرُ بِالغَيْظِ، والأعناقُ تُتَطاوَلُ بالفخر، والشَّفَارُ تُشْحَذُ بالمَكْرِ، والأرضُ تَمْسُدُ بالخوفِ؛ لا نَنْظُرُ عند المساءِ صباحاً، ولا عند الصباحِ مساءً، ولا نَدْفَعُ في نَحْرِ أَمْرٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ نَحْسُوَ المَوْتَ دُونَهُ، ولا نَبْلِغُ مُرَادًا إِلَّا بَعْدَ الإِيَّاسِ مِنَ الحَيَاةِ عِنْدَهُ؛ فَادِينِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَيْبِ وَالْأَمِّ، وَالْحَالِ وَالْعَمِّ، وَالْمَالِ وَالنَّشَبِ، وَالسَّبْدِ وَاللَبْدِ، وَالهِلَّةِ وَالرَّيَّةِ، بِطِيبِ أَنْفُسِ، وَقِرَّةِ أَعْيُنِ، وَرَحْبِ أَعْطَانِ، وَثَبَاتِ عِزَّتِهِ، وَصِحَّةِ عَقولِ، وَطَلَّاقَةِ أَوْجِهِ، وَذَلَّاقَةِ أَلْسُنِ؛ هَذَا مَعَ خَفِيَّاتِ أَسْرَارِهِ، وَمَكْنُونَاتِ أَخْبَارِهِ، كُنْتَ عَنْهَا غَافِلًا، وَلَوْلَا سِنُّكَ لَمْ تَكُنْ عَنِ شَيْءٍ مِنْهَا نَاقِلًا، كَيْفَ وَفَوَؤُادُكَ مَشْهُومٌ، وَعُودُكَ مَعْجُومٌ! .

وَالآنَ قَدْ بَلَغَ اللَّهُ بِكَ وَأَنْهَضَ الْخَيْرَ لَكَ، وَجَعَلَ مَرَادَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَعَنْ عِلْمِ أَقْوَالِ مَا تَسْمَعُ؛ فَارْتَقِبْ زَمَانَكَ، وَقَلِّصْ أَرْدَانَكَ، وَدَعِ التَّقَعُّسَ وَالتَّجَسُّسَ لِمَنْ لَا يَطَّلِعُ لَكَ إِذَا خَطَا، وَلَا يَتَرَحَّضُ عِنْدَكَ إِذَا عَطَا؛ فَالْأَمْرُ غَضٌّ، وَالنَّفوسُ فِيهَا مَضٌّ، وَإِنَّكَ أَدِيمٌ هَذِهِ الأُمَّةَ فَلَا تَحْمَلْ لِحَاجَا، وَسِيقُهَا الْعَضْبَ، فَلَا تَنْبُ أَعْوَجَا جَا، وَمَاؤُهَا الْعَدْبُ فَلَا تَحْمَلْ أُجَا جَا .

وَاللَّهُ لَقَدْ سَأَلْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ هَذَا الأَمْرِ، فَقَالَ لِي: « يَا أَبَا بَكْرٍ هُوَ لِمَنْ يَرْغَبُ عَنْهُ لَا لِمَنْ يُجَاحِشُ عَلَيْهِ، وَلِمَنْ يَتَضَاعَلُ عَنْهُ لَا لِمَنْ يَتَفَجَّحُ إِلَيْهِ، هُوَ لِمَنْ يَقَالُ هُوَ لَكَ لَا لِمَنْ يَقُولُ هُوَ لِي» .

ولقد شاورني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصَّهْرِ، فذَكَرَ فِتْيَانًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَقُلْتُ: أَيْنَ أَنْتَ مِنْ عَلِيٍّ! فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي أَكْرَهُ لِفَاطِمَةَ مِيعَةَ شَبَابِهِ، وَحَدَاثَةِ سِنِّهِ. فَقُلْتُ لَهُ: مَتَى كَنَفْتَهُ يَدُكَ، وَرَعَّتَهُ عَيْنُكَ، حَقَّتْ بِهِمَا الْبَرَكَةُ، وَأُسِّغَتْ عَلَيْهِمَا النِّعْمَةُ؛ مَعَ كَلَامٍ كَثِيرٍ خَاطَبْتُهُ بِهِ رَغْبَةً فِيكَ، وَمَا كُنْتُ عَرَفْتُ مِنْكَ فِي ذَلِكَ لَا حَوَاجَا (٩)

(١) جمع مرس ككفف وهو الخيل . (٢) السبد: الشعر . واللبد: الصوف . (٣) يقال: جاءنا فلان فلم يأتنا بهلة ولا بهلة أي لم يأتنا بشيء . فالهلة من الفرح والاستهلال، والبهلة من الليل والخير . (٤) مشهوم (بالشين المعجمة): ذكي متوقد . (٥) عطا: مَدَّ اليك عنقه وأقبل نحوك . (٦) حلم الجلد (من باب فرح): فسد وتنفب . (٧) أي يغال به ويدافع عنه . (٨) يتطلع إليه ويفتنخر به . (٩) أي ما كنت عرفت منك شيئاً .

ولا لوجاء، فقلت ما قلت وأنا أرى مكان غيرك، وأجد رائحة سواك؛ وكنت إذ ذاك خيراً لك منك الآن لى . ولئن كان عرض بك رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر، فلم يكن معرضاً عن غيرك: وإن كان قال فيك فما سكت عن سواك؛ وإن تلجأ في نفسك شيء فهلم، فالحكم مرضى، والصواب مسموع، والحق مطاع . ولقد نُقل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل، وهو عن هذه العصابة راض، وعليها حذر، يسره ما سرها ويسوءه ما ساءها، ويكيده ما كادها، ويرضيه ما أرضاها، ويُسيخِطه ما أسيخِطها. أما تعلم أنه لم يدع أحداً من أصحابه وأقاربه وسُجرائه، إلا أبانه بفضيلة، وخصه بمزية، وأفرده بحالة! أتظن أنه صلى الله عليه وسلم ترك الأمة سُدىً بَدداً، عَباَهِلَ مَبَاهِلَ، طَلَّاحَى مفتونةً بالباطل، مغبونةً عن الحق، لا رائد ولا ذائد، ولا ضابط ولا حائط، ولا ساقى ولا واقى، ولا هادى ولا حادى! كلا! والله ما أشتاقت إلى ربه تعالى ولا ساله المصير إلى رضوانه وقربه، إلا بعد أن ضرب المدي، وأوضح الهدى، وأبان الصوى، وأمن المسالك والمطارح، وسهل المبارك والمهايج، وإلا بعد أن شدخ يافوخ الشرك بإذن الله، وشرم وجه النفاق لوجه الله سبحانه، وجدع أنف الفتنة في ذات الله، وتفل في عين الشيطان بعون الله، وصدع بملء فيه ويده بأمر الله عز وجل .

وبعد، فهؤلاء المهاجرون والأنصار عندك ومعك في بقعة واحدة ودار جامعة، إن استقالوني لك وأشاروا عندى بك، فأنا واضع يدي في يدك، وصائر إلى رأيهم فيك . وإن تكن الأخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون، وكن العون على مصالحتهم، والفتاح لمغالقتهم، والمرشد لضالتهم، والرادع لغوايتهم . فقد أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى، والتناصر على الحق . ودعنا نقضى هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغل، ونلقى الله تعالى بقلوب سليمة من الضغن .

(١) سجنائه: أصدقائه . (٢) عباهل مباحل (بالياء الموحدة في الكلمتين): مهملة . (٣) الصوى :

الأعلام . (٤) المهايج: الطرق . (٥) اليافوخ (يهمز ولا يهمز) جزء الرأس الذي يحرك في الطفل .

(٦) في صبح الأعشى : « فهذه » .

وبعد، فالناس ثَمَامَةٌ فارقُ بهم وأحنُّ عليهم ولينٌ لهم، ولا تُشقى نفسك بنا خاصة فيهم،
وآترك ناجم الحقد حصيدا، وطائر الشر واقعا، وباب الفتنة مغلقا، فلا قال ولا قيل ولا لوم
ولا تبيع، والله على ما تقول شهيد، وبما نحن عليه بصير .

قال أبو عبيدة : فلما تأهبت للنهوض، قال عمر رضى الله عنه : كُنْ لَدَى الْبَابِ
هَنِيئَةً فَلَیْ مَعَكَ دَوْرٌ مِنَ الْقَوْلِ ؛ فَوَقَفْتُ وَمَا أُدْرِى مَا كَانَ بَعْدِي ، إِلَّا أَنَّهُ لِحِقْنِي بِوَجْهِ
يَسْدَى تَهْلًا ، وَقَالَ لِي : قُلْ لَعَلَى : الرَّقَادُ مَحْمَمَةٌ ، وَالهُوَى مَقْحَمَةٌ ، وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ
مَعْلُومٌ ، وَحَقٌّ مَشَاعٌ أَوْ مَقْسُومٌ ، وَبِنَا ظَاهِرٌ أَوْ مَكْتُومٌ ؛ وَإِنْ أَكَيْسَ الْكَيْسُ مِنْ مَنَحِ
الشَّارِدِ تَأْلَفًا ، وَقَارِبَ الْبَعِيدِ تَلَطُّفًا ، وَوَزَنَ كُلَّ شَيْءٍ بِمِيزَانِهِ ، وَلَمْ يَخْلُطْ خَبْرَهُ بِعِيَانِهِ ،
وَلَمْ يَجْعَلْ فِتْرَهُ مَكَانَ شِبْرِهِ ، دِينًا كَانَ أَوْ دُنْيَا ، ضَلَالًا كَانَ أَوْ هُدًى . وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمِ
مُسْتَعْمِلٍ فِي جَهْلِ ، وَلَا خَيْرَ فِي مَعْرِفَةِ مَشُوبَةٍ بِنُكْرٍ . وَلَسْنَا بِكَلْدَةِ رَفْعِ الْبَعِيرِ بَيْنَ الْعِجَانِ
وَالذَّنْبِ . وَكُلُّ صَالٍ فَبِنَارِهِ ، وَكُلُّ سَائِلٍ فِإِلَى قَرَارِهِ . وَمَا كَانَ سَكُوتُ هَذِهِ الْعَصَابَةِ إِلَى
هَذِهِ الْعَايَةِ لِعَمَى وَشَيْءٍ ، وَلَا كَلَامُهَا الْيَوْمَ لِقَرِّقٍ أَوْ رَفْقٍ . وَقَدْ جَدَعَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْفَ كُلِّ ذِي كِبَرٍ ، وَقَصَمَ ظَهْرَ كُلِّ جَبَّارٍ ، وَقَطَعَ لِسَانَ كُلِّ
كُدُوبٍ ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ . مَا هَذِهِ الْخُزُونَةُ الَّتِي فِي فَرَّاسِ رَأْسِكَ ! مَا هَذَا
الشَّجَا الْمَعْتَرِضَ فِي مَدَارِجِ أَنْفَاسِكَ ! مَا هَذِهِ الْقَدَاةُ الَّتِي تَغَشَّتْ نَاطِرَكَ ! وَمَا هَذِهِ
الْوَحْرَةُ الَّتِي أَكَلَتْ شَرَّاسِيفَكَ ! وَمَا هَذَا الَّذِي لَيْسَتْ بِسَبَبِهِ جِلْدَ النَّمْرِ ، وَأَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
بِالشَّحْنَاءِ وَالنُّكْرِ ! وَلَسْنَا فِي كِسْرِيَّةٍ كِسْرِيٍّ ، وَلَا فِي قَيْصَرِيَّةٍ قَيْصَرٍ ! تَأْمَلُ لِإِخْوَانِ فَارِسٍ
وَأَبْنَاءِ الْأَصْفَرِ ! قَدْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ جَزْرًا لِسَيْفُونَا ، وَدَرِيئَةً لِرِمَاحِنَا ، وَمَرْمَى لِبَطْنَانِنَا ، وَتَبَعًا
لِسُلْطَانِنَا ؛ بَلْ نَحْنُ فِي نُورِ نُبُوءَةٍ ، وَضِيَاءِ رِسَالَةٍ ، وَثَمَرَةِ حِكْمَةٍ ، وَأَثَرَةِ رَحْمَةٍ ، وَعُضْوَانِ نِعْمَةٍ ،

(١) الرفغ : أصل الفخذ من باطن . والعجان : الاست . يريد أن منزلهم بين الأحياء والعشائر ليست
حقيرة مهينة . (٢) الشئ بالكسر اتباع للشيء . (٣) الخزوانة : الكبر . (٤) الوحرة
(بالتحريك) : والحقد العداوة والشراسيف : جمع شرسوف ، والشرسوف مقطع الضلع .

وظلَّ عَصْمَةَ، بين أمة مهديَّة بالحق والصدق، مأمونةً على الرِّقِّ والفتق، لها من الله قلبٌ
أبيّ، وساعدٌ قوى، ويدٌ ناصرة، وعينٌ باصرة . أتظنُّ ظنا ياعلى أن أبا بكر وثبَّ على هذا
الأمر مُفْتَاتًا على الأمة خادعًا لها أو متسلطًا عليها ! أترآه حلَّ عقودها وأحال عقولها ! أترآه
جعل نهارها ليلا، ووزنها كيلا، ويَقَطَّتها رقادا، وصلاحها فسادا ! لا والله ! سَلَا عنها فولَّهتْ
له، وتَطَامَن لها فَلَصَقَتْ به، ومال عنها فمالت إليه، وأشمازَ دونها فأشملت عليه، حَبْوَةً
حَبَّاه الله بها، وعاقِبَةً بَلَّغَهُ الله إليها، ونعمةً سَرَّ بِلَهْ جَمَالُهَا، ويدٌ أوجب الله عليه شكرها،
وأمةً نَظَرَ الله به إليها . والله أعلم بخلقه، وأرأف بعباده، يختار ما كان لهم الخيرة . وإنك
بجيت لا يُجْهَل موضعك من بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ولا يُجْحَدُ حَقُّك فيما آتاك الله،
ولكن لك مَنْ يزاحمك بِمَنِيكَ أَضْحَمَّ من منجك، وقُربُ أمْسٍ من قرابتك، وسنُّ أعلى من
سنِّك، وشيئة أروع من شيبتك، وسيادة لها أصلٌ في الجاهلية وفرعٌ في الإسلام،
وموافق ليس لك فيها جملٌ ولا ناقة، ولا تُدْكَرُ منها في مقدمة ولا ساقية، ولا تَضْرِبُ فيها
بذراع ولا إصبع، ولا تخرُجُ منها بيازٍ ولا هبع . ولم يزل أبو بكر حَبَّة قلب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلاقة نفسه، وعيَّة سِرِّه، ومفزع رأيه ومشورته، وراحة كفِّه،
ومرْمَقَ طَرْفِهِ . وذلك كله بِمَحْضَرِ الصَّادِرِ والواردِ من المهاجرين والأنصار، شهرته مغنيةٌ
عن الدليل عليه . ولعمري إنك أقربُ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابةً، ولكنه
أقربُ منك قرَبَةً، والقربَةُ لِحْمٍ ودم، والقربَةُ لِنَفْسٍ وروح . وهذا فرق عَرَفَهُ المؤمنون،
ولذلك صاروا إليه أجمعون . ومهما شَكَّكَتَ في ذلك، فلا تشكَّ أن يدَّ الله مع الجماعة،
ورضوانه لأهل الطاعة . فادخُلْ فيما هو خيرُك اليوم وأنقُذْ لك غدا، وألفِظْ من فيك
ما يعلَقُ بِلَهَاتِكَ، وَأَنْفِثْ سَخِيمَةَ صَدْرِكَ عَنْ تَقَاتِكَ، فإن يكُ في الأمد طولٌ، وفي الأجل
فُسْحَةٌ، فستا كلهُ مريثًا أو غير مريء، وستشربه هنيئًا أو غير هنيء، حين لا رَادَّ لقولك إلا
من كان آيسًا منك، ولا تابعٌ لك إلا من كان طامعًا فيك، يَمْضُ إهابَكَ، وَيَعْرُكُ أَدِيمَكَ،

(١) البازل: الجمل القوى الذى دخل في سنته التاسعة . والجمع : الفصيل الذى ينتج في الصيف فيكون ضعيفا .

(٢) يمض إهابك : يحرق جلدك . (٣) يعرك : يدلك .

ويزري على هديك . هنالك تفرع السن من ندم ، وتجرع الماء ممزوجا بدم ، وحينئذ تأتي على ما مضى من عمرك ودارج قوتك ، فتود أن لو سقيت بالكأس التي أبيتها ، ورُددت إلى حالتك التي استغويتها . والله تعالى فينا وفيك أمر هو بالغه ، وغيب هو شاهده ، وعاقبة هو المرجو لسرّاتها وضرّاتها ، وهو الولي الحميد ، الغفور الودود .

قال أبو عبيدة : فتمشيت مترملا أنوء كأنما أخطو على رأسي ، فرقا من الفرقة ، وشققا على الأمة ، حتى وصلت إلى علي رضي الله عنه في خلّاء ، فابتمتته بئى كله ، وبرئت إليه منه ، ورفقت به . فلما سمعها ووعاها ، وسرت في مفاصله حمياها ، قال : "حلت معلوظة ، وولت مخروطة" ، وأنشأ يقول :

(٤) إحدى لياليك فيهيسي هيسي * لا تتعمى الليلة بالتعريس

نعم يا أبا عبيدة ، أكل هذا في أنفاس القوم ، ويحسون به ، ويضطغنون على ! قال أبو عبيدة : فقلت : لا جواب لك عندي ، إنما أنا قاض حقّ الدين ، ورائق فقّ المسلمين ، وسادّ ثلثة الأمة ، يعلم الله ذلك من جُلجلان قلبي ، وقرارة نفسي .

(١) هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب . وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وزوج ابنة . ورابع الخلفاء الراشدين . وإمام الخطباء من المسلمين .

ولد رحمه الله بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باثنتين وثلاثين سنة . وهو أول من آمن من الصبيان . وكان شجاعا لا يشق له غبار . أيدا جليدا . شهد الغزوات كلها مع النبي إلا غزوة تبوك . وأبلى في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يبله أحد . ولما قتل عثمان بايعه الناس بالحجاز وامتنع عن بيعته معاوية وأهل الشام شيعة بنى أمية غضبا منهم لمقتل عثمان وقلة عنايته بالبحث عن القتل على حسب اعتقادهم ، فحدث من جراء ذلك الفتنة العظمى بين المسلمين وافتراقهم إلى طائفتين فتعاربوا مدة من غير أن يستتب الأمر لى أو معاوية حتى قتل أحد الخوارج عليا غيلة بمسجد الكوفة . وكان كرم الله وجهه أفصح الناس بعد رسول الله . وأكثرهم علما وزهدا وشدة في الحق : وهو إمام الخطباء من العرب على الإطلاق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكانت وفاته سنة ٤٠ هـ ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر .

(٢) معلوظة : مقتحمة من غير روية . (٣) مخروطة : مسرعة . (٤) هيسي : سيرى أى سير كان . (٥) أى ينطون على الضغن وهو الحقد . (٦) جُلجلان قلبي ، أى حبه .

فقال عليّ رضي الله عنه : والله ما كان قُعودي في كِنِّ هذا البيتِ قصداً للخلاف ، ولا إنكاراً للعرف ، ولا زِريّةً على مسلم ، بل لما قد وقَدَّني به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فراقه ، وأودعني من الحزن لفقده . وذلك أني لم أشهد بعده مَشهداً إلا جدد عليّ حزناً ، وذكّرني شجناً . وإن الشوق إلى المُلاق به كَافٍ عن الطمع في غيره . وقد عكفتُ على عهد الله أنظر فيه ، وأجمع ما تفرّق ، رجاء ثواب مُعدٍّ لمن أخلص لله عمله ، وأسلم لعلمه ومَشيبته ، وأمره ونهيه . على أني ما علمت أن التظاهر عليّ واقع ، ولا عن الحق الذي سبق إلى دافع . وإذ قد أُفيم الوادي بي ، وحشد النادى من أجلي ، فلا مرحباً بما ساء أحداً من المسلمين وسرتني . وفي النفس كلامٌ لولا سابق عقد وسالف عهد ، لَشَبَّتُ غيظي بِخِصْرِي وَبِنَصْرِي ، وَخُصْتُ بِلِحْتِهِ بِأَحْمِصِي وَمَفْرِقِي ، وَلَكِنِّي مُلْجِمٌ إِلَى أَنْ أَلْقَى اللَّهَ رَبِّي ، وَعِنْدَهُ أَحْتَسِبُ مَا نَزَلَ بِي . وَإِنِّي غَادٍ إِلَى جَمَاعَتِكُمْ ، فَبَايَعُ صَاحِبِكُمْ ، صَابِرٌ عَلَى مَا سَاءَ فِي وَسْرَتِكُمْ ، لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا .

قال أبو عبيدة : فعدتُ إلى أبي بكر رضي الله عنه فقَصَصْتُ عليه القولَ عليّ غره ، ولم أحتل شيئاً من حُلوه ومُره ، وبَكَرْتُ غُدُوَّةً إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا كَانَ صَبَاحُ يَوْمِئِذٍ وَإِذَا عَلِيٌّ مَخْتَرِقُ الْجَمَاعَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَبَايَعَهُ ، وَقَالَ خَيْرًا ، وَوَصَفَ جَمِيلًا ، وَجَلَسَ زَمِينًا ، وَأَسْتَأْذِنُ لِلْقِيَامِ فَضِي وَتَبِعَهُ عَمْرٌ مُكْرِمًا لَهُ ، مُسْتَأْثِرًا لِمَا عِنْدَهُ .

فقال عليّ رضي الله عنه : ما قعدتُ عن صاحبكم كارهاً ، ولا أيتتُهُ فِرَاقًا ، ولا أقول ما أقول تَعَلَّةً . وَإِنِّي لِأَعْرِفُ مِنْتَهَى طَرْفِي ، وَمَحَطَّ قَدَمِي ، وَمَتَرَعَ قَوْسِي ، وَمَوْقِعَ سَهْمِي ؛ وَلَكِنْ قَدْ أَزَمْتُ عَلَى فَايِسِي ثِقَةً^(٣) بَرِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

فقال له عمر رضي الله عنه : كَفُفِكُمْ غَرْبَكُمْ ، وَأَسْتَوْقِفُ سِرْبَكُمْ ، وَدَعِ الْعِصْيَ بِلِحَائِهَا ، وَالِدَّلَاءَ عَلَى رِشَائِهَا . فَإِنَّا مِنْ خَلْفِهَا وَوَرَائِهَا ، إِنْ قَدَحْنَا أَوْرِيئَنَا ، وَإِنْ مَتَحْنَا أَرْوِيئَنَا ،

(١) على غره ، أي كما هو وكما قص عليّ . (٢) زمينا : حلياً وقوراً . (٣) يقال :

أزم الفرس على فأس الحمام إذا عضها وقبض عليها . وفأس الحمام : الحديدية المعرضة منه في الحنك . يريد أنه ألجم نفسه ثِقَةً الخ .

وإن قَرَحْنَا أَدْمِينَا . ولقد سمعتُ أمائِكَ التي لَغَزَتَ بها عن صدرِ أُكَلِ بالحوَى ، ولو شئتُ لقلتُ على مقاتِلِكَ ما إن سمعته نَدِمْتَ على ما قلتَ . وزعمتَ أنك قعدتَ في كِنِّ بيتِكَ لما وَقَدَكَ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من فقيده ، فهو وَقَدَكَ ولم يَقِدْ غيرَكَ ! بل مصابهُ أعظم وأعم من ذلك ، وإن من حقِّ مُصابه ألا تَصُدِّعَ شَمْلَ الجماعةِ بِفُرْقَةٍ لا عصامَ لها ، ولا يؤمن كيدُ الشيطانِ في بقائها . هذه العرب حولنا ، والله لو تَدَاعَتْ علينا في صبحِ نهارٍ لم نلتقِ في مسائه . وزعمتَ أن الشوقَ إلى المُحَاقِ به كَافٍ عن الطمعِ في غيره ! فمن علامةِ الشوقِ إليه نصرَةٌ دينيه ، ومؤازرةُ أوليائه ومعاوتهم . وزعمتَ أنك عكفتَ على عهدِ الله تَجْمَعُ ما تَفْرُقُ منه ؛ فمن العكوفِ على عهدِ الله النصيحةُ لِعِبَادِ الله ، والرأفةُ على خلقِ الله ، وبذلِ ما يَصْلُحون به ، ويرشُدون عليه . وزعمتَ أنك لم تعلم أن النظائرِ واقعٌ عليك ، وأى حَقٍّ لَطُّ دونك ! . قد سمعتَ وعلمتَ ما قال الأَنْصارُ بالأمسِ سِرًّا وجهرا ، وتقلبتَ عليه بطنا وظهرا ، فهل ذكرتَ أو أشارتَ بك ، أو وجدتَ رضاهم عنك ؟ هل قال أحدُ منهم بلسانه إنك تَصْلُحُ لهذا الأمرِ ؟ أو أوما بعينه أو هم في نفسه ؟ أنظن أن الناسَ ضلُّوا من أجلك ، وعادوا كُفَّارًا زهدًا فيك ، وباعوا الله تحاملاً عليك ؟ . لا والله ! لقد جاني عَقِيلُ ابنِ زيَادِ الخَزْرَجِيِّ في نَفَرٍ من أصحابه ومعهم شُرْحَيْبِلُ بنُ يَعْقُوبِ الخَزْرَجِيِّ وقالوا : إن عليًّا ينتظرُ الإمامةَ ، ويزعمُ أنه أولى بها من غيره ، ويُنكرُ على من يَعتدُ بالخِلافَةَ ؛ فأنكرتُ عليهم ، ورددتُ القولَ في نَحْرِهِم حيث قالوا : إنه ينتظرُ الوَحْيَ ويتوكَّفُ^(٢) مناجاةَ الملكِ ؛ فقلتُ : ذلك أمرُ طواه الله بعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أكان الأمرُ معقودًا بأنشوطه^(٣) ، أو مشدودًا بأطرافِ لِيظَةٍ^(٤) ؟ كَلَّا ! والله لا عجماءَ بجمدِ الله إلا أفصحَتْ ، ولا شوْكَاءَ إلا وقد تفتحتُ . ومن أعجب شأنك قولك : « ولولا سالفُ عهدٍ وسابقُ عقدٍ ، لشقيتُ غِيظِي » وهل تركَ الدينُ لأهله أن يَسْتَفُوا غِيظَهُم بيدٍ أو بلسانٍ ؟ تلك جاهليةٌ وقد استأصلَ الله شأقتها وأقتلعَ جُرمَها ، وهو رليلها ، وغور سيلها ، وأبدلَ منها الرُّوحَ والريحانَ ، والهُدَى والبرهانَ .

(١) لَطُّ : جمد . (٢) يتوكَّفُ : ينتظر . (٣) الأنشوطه : عقدة يسهل انحلالها ،

إذا أخذ بأحد طرفيها افتحت . (٤) الليظة قشرة القصبه التي تليط بها أى تلتق .

وزعمت أنك مُلجَمٌ، ولعمري إن من أتقى الله، وآثر رضاه، وطلب ما عنده، أمسك لسانه وأطبق فاه، وجعل سعيه لما وراه .

فقال على رضى الله عنه : مهلاً يا أبا حفص، والله ما بذلتُ ما بذلتُ وأنا أريد نكته، ولا أقررتُ ما أقررتُ وأنا أبتغي حِوَلًا عنه . وإن أخسر الناس صفقةً عند الله من آثر التفاق، وأحتضن الشقاق، وفي الله سلوةٌ عن كل حادث، وعليه التوكل في جميع الحوادث .
ارجع يا أبا حفص الى مجلسك ناقيع القلب، مبرود الغايل، فسيح اللبان^(١)، فضيح اللسان، فليس وراء ما سمعت وقلت إلا ما يشد الأزر، ويحطّ الوزر، ويضع الإصر، ويجمع الألفة بمشيئة الله وحسن توفيقه .

قال أبو عبيدة رضى الله عنه : فانصرف على وعمر رضى الله عنهما . وهذا أصعب ما مرّ على بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .



٢ - ومن كلام عائشة^(٢) رضى الله عنها فى الانتصار لأبيها

يروى أنه بلغ عائشة رضى الله عنها أن أقواما يتناولون أبا بكر رضى الله عنه، فأرسلت الى أزفلة^(٣) من الناس، فلما حضروا، أسدلت أستارها، وعالت وسادها، ثم قالت : أبى، وما أيسه ! أبى والله لا تعطوه الأيدي، ذلك طود منيف، وفرع مديد، هيهات، كذبت الظنون ! أئجج إذ أكديتم، وسبق إذ وئيمت، سبق الجواد إذا استولى على الأمس . فتي

(١) اللبان : الصدر . (٢) هى عائشة بنت أبى بكر الصديق بن أبى ثافة، عقد عليها رسول الله صلى الله

عليه وسلم بمكة وهى بنت ست سنين، ودخل بها فى المدينة وهى بنت تسع، وكان مولدها سنة أربع من النبوة، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر، وكان صداقها أربعمئة درهم، وكانت أحب نساءه إليه، وكنيتها أم عبد الله، كنيته بابن أختها أسماء، ولها خطب ووقائع . وكانت من أكبر العاملات فى وقعة الجمل المشهورة فى الاسلام صحبة الزبير وطلحة . وكانت أفصح أهل زمانها وأبينهم منطقاً وأحفظهم للحديث وأفقههم . توفيت سنة سبع وخمسين ودفنت ليلاً بالقيع وصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنه . راجع ترجمتها فى طبقات ابن سعد (ج ٨ ص ٢٩) .

(٣) الأزفلة : الجماعة . (٤) لا تعطوه : لا تتاله .

قريش ناشئا، وكهفها كهلا، يَفكَّ عانيها، ويريش مُملقها، ويراب شعبيها، ويلم شعبيها، حتى
 حَلَبَتْ قلوبها، ثم استشرى في دين الله فما برحت شكيمته في ذات الله عز وجل حتى اتخذ
 بفنائها مسجداً يُحْيِي فيه ما أمات المَبْطُون . وكان رحمه الله غزير الدمعة، وقيد الجوانح،
 شجبي النسيج، فانقضت اليه نسوان مكة وولدائها يسخرون منه ويستهنون به (الله يستهزئ
 بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) فأكبرت ذلك رجالات من قريش فحنت قسيها، وفوقت
 سهامها، وانتلوه غرضا، فما قلوا له صفاة، ولا قصفوا له قناة، ومر على سبسانه (١) حتى
 اذا ضرب الدين بجرانه، ورست أوتاده، ودخل الناس فيه أفواجا، ومن كل فرقة أرسلوا
 وأشتاتا، اختار الله لبيبه ما عنده، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ضرب الشيطان
 رواقه، ومد طنبه، ونصب جباله، وأجلب بجبله ورجله، وأضطرب جبل الإسلام،
 ومرج عهدُه وماج أهله، وُغِي الغوائل، وظنت رجال أن قد أكثبت أطاعهم نهبها،
 ولات حين الذي يرجون، وأنى والصديق بين أظهرهم ! فقام حاسرا مشمرا، بجمع
 حاشيته وزفع قطريه، فرد رسن الإسلام على غربه، ولم شعته يبطبه، وأنتاش الدين
 فنعشه، فلما أراح الحق على أهله، وقطر الرؤس على كواهلها، وحقن الدماء في أهبها،
 أنه منيته، فسدت نأتمه بنظيره في الرحمة، وشقيقه في السيرة والمعدلة، ذاك ابن الخطاب،
 لله ذر أم حمت به ودرت عليه ! لقد أوجدت به، ففنعج الكفرة ودبجها، وشرد الشرك
 شذر مدر، وبجع الأرض وجمعها، فقاعت أكلها، ولتفظت خباها (٢) ترأمة ويصدف عنها،
 وتصدى له وبأباها . ثم وزع فيها فيتها وودعها كما صحبها . فاروى ماذا ترتئون، وأى
 يومى أتي تتقمون : أيوم إقامته اذ عدل فيكم، أم يوم ظعنه إذ نظر لكم؟ أقول قولى هذا
 وأستغفر الله لى ولكم . ثم أقبلت على الناس بوجهها فقالت : أنشدكم الله هل أنكرتم مما
 قلت شيئا؟ قالوا : اللهم لا .

(١) على سبسانه، أى على دأبه وعادته .

(٢) فنعج : غلب وقهر .

(٣) خباها :

ما غاب عنها .



٣ - كلمة أم الخير بنت الحريش^(١)

ومن كلام أم الخير بنت الحريش البارقية يوم صَفَّين في الانتصار لعلّى رضى الله عنه :
يُروى أن معاوية كتب الى واليه بالكوفة أن يحمل اليه أم الخير بنت الحريش البارقية
برحلها ، وأعلمه أنه مجازيه بقولها فيه بالخير خيرا وبالشر شرا . فلما ورد عليه كتابه ، ركب
اليها فأقرأها الكتاب ، فقالت : أنا أنا فغير زائغة عن طاعة ولا معتلة بكذب ! ولقد كنتُ
أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج في صدرى . فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها :
يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب الى أنه يجازيني بقولك في بالخير خيرا وبالشر شرا ،
فما عندك ؟ قالت : يا هذا لا يُطمعنك بركي بي أن أسرك بباطل ، ولا تؤيسك معرفتي بك
أن أقول فيك غير الحق . فسارت خيرا مسير حتى قدمت على معاوية ، فأنزها مع حريمه ثلاثا ،
م أدخلها عليه في اليوم الرابع ، وعنده جلساؤه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين
ورحمة الله وبركاته ؛ قال لها : وعليك السلام يا أم الخير ، وبالرغم منك دعوتنى بهذا الاسم ؛
قالت : مه يا أمير المؤمنين ! فإن يديه السلطان مدحضة لما يجب علمه ولكل أجل كتاب ؛
قال : صدقت ، فكيف حالك يا خالة ؟ وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت : لم أزل في عافية
وسلام حتى صرتُ اليك فأنا في مجلس أنيق ، عند ملك رقيق ؛ قال معاوية : بحسن نيتي
ظفرتُ بكم ؛ قالت : يا أمير المؤمنين أعيذك بالله من دحض المقال وما تُردى عاقبته ،
قال : ليس هذا أردنا ، أخبريني كيف كان كلامك يوم قُتل عمار بن ياسر ؟ قالت :
لم أكن والله زورته قبل ولا رويته بعد ، وإنما كانت كلمات ففهنّ لساني حين الصدمة ،
فان شئت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت ؛ قال : لا أشاء ذلك . ثم التفت الى
أصحابه فقال : أيكم يحفظ كلام أم الخير ؟ فقال رجل من القوم : أنا أحفظه يا أمير المؤمنين
كحفظي سورة الحمد ؛ قال : هاية ؛ قال : نعم كأني بها يا أمير المؤمنين في ذلك اليوم عليها

(١) مقولة عن صح الأعمى ج ١ ص ٢٤٨ (٢) زور الكلام في نفسه : هياه .

برد زبدي كثيف الحاشية، وهي على جمل أرمك وقد أحيط حولها، وبيدها سوط منتشر الضفر، وهي كالنحل يهدر في شقشقته تقول :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) ! ان الله قد أوضح الحق ، وأبان الدليل ، وتور السبيل ، ورفع العلم ، فلم يدعكم في عمياء مبهمة ! ولا سوداء مذلّمة ، فإلى أين تريدون رحمكم الله ! أفراراً عن أمير المؤمنين ، أم فراراً من الزحف ، أم رغبة عن الاسلام ، أم ارتداداً عن الحق ! أما سمعتم الله عز وجل يقول : ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) .

ثم رفعت رأسها الى السماء وهي تقول :

قد عيل الصبر، وضعف اليقين ، وانتشر الرعب ، وبيدك يا ربّ أزمة القلوب ، فاجمع الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى . هلموا رحمكم الله الى الإمام العادل ، والوصي الوفي ، والصدّيق الأكبر ! إنها إحن بدرية ، وأحقاد جاهلية ، وضغائن أحديّة ، وثب بها معاوية حين الغفلة ليُدرك بها ناراب بن عبد شمس .

ثم قالت : قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ . صبراً معشر المهاجرين والأنصار ، قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، وكأني بكم غداً قد لقيتم أهل الشام حكماً مستنيرة ، فزت من قسورة ، لا تدري أين يسلك بها من فخاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وباعوا البصيرة بالعمى ، وعم قليل ليصبحن نادمين ، حين تحل بهم الندامة ، فيطلبون الإقالة ! إنه والله من ضل عن الحق وقع في الباطل ، ومن لم يسكن الجنة نزل في النار . أيها الناس ، إن الأيكاس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها واستبطئوا مدة الآخرة فسعوا لها . والله أيها الناس لولا أن تبطل الحقوق ، وتُعطل الحدود ، ويظهر الظالمون ، وتقوى كلمة الشيطان ، لما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه ، فإلى أين تريدون — رحمكم الله — عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وزوج ابنته وأبي آبنيه؟ خُلق من طِينته، وتَفَرَّعَ عن نَبْعته، وخصَّه بِسِرِّه، وجعله باب مدينته، وأَعْلَمَ بحبه المسلمين، وأَبَانَ ببغضه المنافقين. فلم يزل كذلك يؤيده الله بمعونته، ويمضى على سنن استقامته، لا يعزج لراحة اللذات. وهو مُفَلِّقُ الهام، ومكسِّرُ الأصنام، إذ صَلَّى والناس مُشْرِكُونَ، وأطاع والناس مرتابون. فلم يزل كذلك حتى قَتَلَ مُبارِزِي بَدْر، وأَفْنَى أَهْلَ أَحُد، وَفَرَّقَ جَمَعَ هَوَازِنَ، فَيَالِهَا وَقَائِعَ زَرَعْتَ فِي قُلُوبِ قَوْمِ نِفَاقًا، وَرِدَّةً وَشِقَاقًا. وقد آجَهَدْتُ فِي الْقَوْلِ، وَبَالَغْتُ فِي النَّصِيحَةِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقال معاوية: والله يا أم الخير ما أردت بهذا إلا قتلي! والله لو قتلتك ما حرجت في ذلك.

قالت: والله ما يسوءني يا بن هند أن يُجْرِيَّ الله ذلك على يدي من يُسعدني الله بشقائه؛ قال: هيات يا كثيرة الفضول، ما تقولين في عثمان بن عفان؟ قالت: وما عَسَيْتُ أَنْ أَقُولَ فِيهِ، إِسْتَخْلَفَهُ النَّاسَ وَهَمَّ كَارِهُونَ، وَقَتَلُوهُ وَهَمَّ رَاضُونَ؛ فَقَالَ: أَيُّهَا يَا أُمَّ الْخَيْرِ، هَذَا وَاللَّهِ أَصْلَكَ الَّذِي تَبْنِي عَلَيْهِ؛ قَالَتْ: لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، مَا أَرَدْتُ بَعْمَانَ نَقْصًا، وَلَقَدْ كَانَ سَبَّاقًا إِلَى الْخَيْرَاتِ، وَإِنَّهُ لَرَفِيعُ الدَّرَجَةِ. قال: فما تقولين في طلحة بن عبيد الله؟ قالت: وما عسى أن أقول في طلحة، إغْتِيلَ مِنْ مَأْمَنِهِ، وَأُتِيَ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَدَّرْ، وَقَدْ وَعَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ. قال: فما تقولين في الزبير؟ قالت: يا هذا لا تدعني كَرَجِيعِ الصَّبِيغِ يُعْرَكُ فِي الْمِرْكَنِ^(١)؛ قال: حَقًّا لَتَقُولَنَّ ذَلِكَ وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَيْكَ؛ قَالَتْ: وَمَا عَسَيْتُ أَنْ أَقُولَ فِي الزَّبِيرِ ابْنِ عَمَةٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَوَارِيَّهٖ، وَقَدْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ، وَلَقَدْ كَانَ سَبَّاقًا إِلَى كُلِّ مَكْرُمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ. وإني

(١) المِرْكَنُ: الإِجَانَةُ وَهِيَ إِذَا تَفَسَّلَ فِيهِ التِّيَابُ. وَبِعْرَكَ: يَحْكُ. وَالرَّجِيعُ الْمُرْدُودُ. أَيْ لَا تَجْعَلُنِي كَالثُّوبِ الْمَصْبُوغِ يَحْكُ فِي الْإِنَاءِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى لِإِتْرَاجِ صَبْغِهِ مِنْهُ: تَشْبَهُ بِمَحَاوِرَةِ مَعَاوِيَةَ إِيَّاهَا وَسْؤَالُهُ لَهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ لِاسْتِخْرَاجِ مَا فِي نَفْسِهَا بِمَا يَفْسَلُ مِنَ التِّيَابِ الْمَصْبُوغَةِ لِاسْتِخْرَاجِ صَبْغِهَا مِنْهَا.

أسألك بحق الله يا معاوية ، فإن قريشاً تحدث أنك من أحلمها ، أن تَسَعِنِي بفضل حلمك ، وأن تُعْفِنِي من هذه المسائل ، وأمض لما شئت من غيرها ، قال : نعم وكرامةً ، قد أعفيتك ، وردّها مكرمة إلى بلدها .



٣ — كلمة الزرقاء^(١) بنت عدى

ومن كلام الزرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية ما قالته يوم صَفَّين أيضا :

يروى أنها ذُكرت عند معاوية يوما ، فقال لجلسائه : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كلامها ؟ قال بعضهم : نحن نحفظه يا أمير المؤمنين ، قال : فأشيروا علىّ في أمرها ، فأشار بعضهم بقتلها ، فقال : بئس الرأي ! أَيَحْسُنُ بمثل أن يقتل امرأة ! ثم كتب إلى عامله بالكوفة أن يُوفدها إليه مع ثقة من ذوى محرّمها وعدة من فرسان قومها ، وأن يمهد لها وطاءً لنا ، ويستترها بستر خَصِيف^(٢) ، ويوسع لها في النفقة . فلما دخلت على معاوية ، قال : مرحباً بك وأهلاً ! قَدِمْتِ خيرَ مَقْدَمٍ قَدِمه وافد ، كيف حالك ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ، أدام الله لك النعمة ! قال : كيف كنتِ في مسيرك ؟ قالت : ربيبة بيت أو طفلا ممهّدا ، قال : بذلك أمرناهم . أتدريين فيم بعثتُ إليك ؟ قالت : وأنى لي يعلم ما لم أعلم ؟ وما يعلم الغيب إلا الله عز وجل ، قال : ألسيتِ الراكبة الجمل الأحمر ، والواقفة بين الصّفينِ بصّفينِ تحضين الناس على القتال ، وتوقدين الحرب ؟ فما حملك على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، مات الرأس ، وبُترَ الذّنب ، ولن يعود ما ذهب ، والدهر ذو غير ، ومن تفكّر أبصر ، والأمرُ يحدث بعده الأمر ، قال

(١) هي الزرقاء بنت عدى بن غالب بن قيس الهمدانية ، كانت من أهل الكوفة ، وكانت ذات شجاعة فائقة ، وبلاعة نادرة ، شهدت مع قومها واقعة صفين . ولها عدة خطب تحرض الناس على القتال ضد معاوية . وبعد أن تم لمعاوية ما أراد كتب الى عامله بالكوفة باستدعائها ، فأحضرت اليه ، وبعد محاوره بينه وبينها سألها حاجتها ، فقالت : « يا أمير المؤمنين ، آليت على نفسي ألا أسأل أميرا أعنت عليه أبدا » ثم انصرفت ، وبعد ذلك أرسل لها معاوية جائزة .

(٢) خصيف : غليظ .

لها معاوية: أتخفظين كلامي يومئذ؟ قالت: لا والله، ولقد أسيته؛ قال: لكني أحفظه،
 لله أبوك حين تقولين:

أيها الناس، إرعووا وأرجعوا! إنكم أصبحتم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم، وجارت
 بكم عن قصد المحجة. فيالها فتنة عمياء، صماء بكاء، لا تسمع لناعقها، ولا تسلس لقاتدها.
 إن المصباح لا يضيء في الشمس، والكواكب لا تثير مع القمر، ولا يقطع الحديد
 إلا الحديد. ألا من أسترشد أرشدناه، ومن سألنا أخبرناه.

أيها الناس، إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها! فصبراً يامعاشر المهاجرين والأنصار
 على الغصص؛ فكان قد آندمل شعب الشتات، وآلتامت كلمة التقوى، ودمغ الحق باطله!
 فلا يجهلن أحد فيقول: كيف العدل وأنى! ليقضى الله أمراً كان مفعولاً. ألا وإن خضاب
 النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء! ولهذا اليوم ما بعده، والصبر خير في عواقب
 الأمور. إيها إلى الحرب قُدماً غيرنا كصين ولا مُتسأكسين.

ثم قال لها: يازرقاء، لقد شركت علياً في كل دم سفكه؛ قالت: أحسن الله بشارتك،
 وأدام سلامتك؛ فمثلك من بشر بخير وسرّ جليسه؛ قال: ويسرك ذلك؟ قالت: نعم سررتُ
 بالخبر فأنى لي بتصديق الفعل! فضحك معاوية وقال: لَوْ فَاؤُكُمْ له بعد موته أعجب عندي
 من حُبكم له في حياته! أذ كرى حاجتك؛ قالت: يا أمير المؤمنين، آليت على نفسي ألا
 أسأل أميراً أعتت عليه أبداً، ومثلك من أعطى من غير مسألة، وجاد من غير طلبة؛ قال:
 صدقت، وأمر لها وللذين جاءوا معها بجوائز وكسا.

٤ — عكرشة بنت الأطرش

ومن كلام عكرشة بنت الأطرش ما قالته يوم صفيين أيضاً:
 يروى أنها دخلت على معاوية متوكئة على عكاز لها، فسأمت عليه بالخلافة ثم جلست؛
 فقال لها معاوية: الآن صرتُ عندك أمير المؤمنين؟ قالت: نعم إذ لا على حتى! قال:

ألسيت المتقلدة حائل السيف بصفين وأنت واقفة بين الصفين تقولين : أيها الناس ، عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا آهتديتم . إن الجنة لا يحزن من قطنها ، ولا يهرم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم همومها . وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم ، مستظهرين على حقهم ، إن معاوية دأف إليكم بعجم العرب ، لا يفقهون الإيمان ، ولا يدرون ما الحكمة . دعاهم الى الباطل فأجابوه ، واستدعاهم الى الدنيا فلبوه . فإله الله عباد الله في دين الله ! وإياكم والتواكل فإن ذلك ينقض عرى الإسلام ، ويطفى نور الحق . هذه بذر الصغرى ، والعقبة الأخرى . يامعشر المهاجرين والأنصار ، أمضوا على بصيرتكم ، وأصبروا على عزيمتكم ، فكأنى بكم غداً وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تقصع قصع البعير^(١) .

ثم قال : فكأنى أراك على عصاك هذه قد انكفا عليك العسكران يقولون هذه عكرشة بنت الأطرش ، فإن كدت لتفليين أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فما حملك على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، يقول الله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ الآية ، وإن اللبيب إذا كره أمراً لا يحب إعادته ، قال : صدقت ، فاذكري حاجتك ، قالت : كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا ، وقد فقدنا ذلك ، فما يجبر لنا كبير ، ولا ينعش لنا فقير ، فإن كان عن رأيك فمثلك من آنتبه من الغفلة وراجع التوبة ، وإن كان عن غير رأيك فما مثلك من آستعان بالحونة ، ولا آستعمل الظلمة ، قال معاوية : يا هذه ، إنه ينوبنا من أمور رعيئنا ثغور نتفق ، وبحور نتدقق ، قالت : سبحان الله ! والله ما فرض الله لنا حقاً بجعل فيه ضرراً لغيرنا وهو علام الغيوب ، قال معاوية : هيات يا أهل العراق ، نهبكم على فلن تطاقوا . ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإنصافهم .

(١) يقال : قصع البعير بجزته يقصع قصعا : مضغها .

٦ - رسالة لعبد الحميد الكاتب^(١)

كتب عبد الحميد بن يحيى الكاتب عن مروان بن محمد لبعض من ولّاه^(٢) :

أما بعدُ ، فإن أمير المؤمنين - عند ما اعترَمَ عليه من توجيهك الى عدوّ الله الحلف الجاني الأعرابي ، المتسكِّع في حيرة الجهالة ، وظلم الفتنه ، ومهاوي الهلكة ، ورعايه الذين عاثوا في أرض الله فساداً ، وآتھكوا حرمة الإسلام استخفافاً ، وبدلوا نعمة الله كفراً ، وأستحلوا دماء أهل سائمه جهلاً - أحب أن يعهد اليك في لطائف أمورك ، وعوامّ شؤونك ، ودخائل أحوالك ، ومُصطرف عهدا يملك فيه أدبه ، ويشرع لك به

(١) هذه الرسالة منقولة عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٩٥ (٢) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامريّ ولّاه ، الشامي داراً ، شيخ الكُتاب الأوائل ، وأول من أطال الرسائل .

كان عبد الحميد من أهل الشام من موالى بنى عامر ، وتخرج في البلاغة والكتابة على خنته أبي العلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك . وكتب دولته وأحد بلغاء العالم والفتنة من اليونانية . وكان عبد الحميد في أول أمره معلم صبيان ينتقل في البلدان حتى فطن له مروان بن محمد أيام توليه أرمينية وانتدابه لتسكين فتنها ، فكتب له مدّه ولايته ، حتى إذا بلغه مبايعة أهل الشام له بانحلافة سجد مروان لله شكراً وسجد أصحابه إلا عبد الحميد ، فقال له مروان لم لا تسجد؟ فقال : ولم أسجد؟ أعلی أن كنت معنا فظرت عنا ! قال : إذا تطير معي ؛ قال : الآن طاب لي السجود وسجد ، فاتخذ مروان كاتب دولته ، فصدر عنه من الرسائل ما صار نموذجاً يحاكيه من بعده من البلغاء .

ولما دهمت مروان جيوش خراسان أنصار الدعوة العباسية وتوالت عليه الهزائم كان عبد الحميد يلازمه في كل هذه الشدة ؛ فقال له مروان : قد احتجت أن تصير مع عدوّي وتظاهر الغدر بي ، فإن إعجابهم بأدبك ، وحاجتهم إلى كتابتك ، تحوَّجهم إلى حسن الظن بك ؛ فإن استلعت أن تمنعني في حياتي وإلا لم تعجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي ؛ فقال له : إن الذي أشرت به على أضع الأمرين لك وأقبحهما بي ، وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك . وأنشد :

أمرٌ وفاء ثم أظهر غسيرة * فنزل بعذر يوسع الناس ظاهره

وربى معه حتى قتل مروان سنة ١٣٢ هـ فقرأ خائباً عند صديقه ابن المقفع ففاجأه الطلب وهو في بيته ، فقال الذين دخلوا عليهم : أيبكا عبد الحميد؟ فقال كل منهما : أنا ، خوفاً على صاحبه ، وخاف عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع فقال : ترفقوا بنا فإن كلامنا له علامات ، فوكوا بنا بعضكم وبعضى بعض آخر ويذكر تلك العلامات لمن وجهكم ففعلوا وأخذ عبد الحميد إلى السفاح فقتله سنة ١٣٢ هـ . انظر ترجمته في ابن خلكان (ج ١ ص ٤٣٦) . (٣) هو عبد الله بن مروان أرسله لقتال الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي .

عِظَتَهُ ، وإن كنت بحمد الله من دين الله وخِلافَتِهِ بحيث أصطنعتك الله لولاية العهد مَخْتَصِماً
لك بذلك دون لِحْمَتِكَ وبنِي أَيْبِكَ . ولولا ما أمر الله تعالى به دالاً عليه ، وتقدّمت فيه
الحِكْمَةُ آمِرِينَ به : من تقديم العِظَةِ ، والتذكير لأهل المعرفة ، وإن كانوا أولى سابقية
في الفضل وخصيصاء في العلم ، لأعتمد أمير المؤمنين على أصطناع الله إياك وتفضيليه لك
بما رآك أهله في محلك من أمير المؤمنين ، وسبقتك الى رغائب أخلاقه ، وآتراك محمود شيمه ،
وأستيلائك على مشايه تديبره . ولو كان المؤدّبون أخذوا العلم من عند أنفسهم ، أو لقنوه
إلهاماً من تلقائهم ولم نصبهم تعلموا شيئاً من غيرهم ، انحللتهم علم الغيب ، ووضعناهم بمنزلة
قصر بها عنهم خالقهم المستأثر بعلم الغيب عنهم بوحدانيته في فردانيته وسابق لأهوتيته ،
احتجاباً منهم لتعقيب في حكمه ، وثبّت في سلطانه وتنفيذ إرادته ، على سابق مشيئته .
ولكن العالم الموفق للخير ، المخصوص بالفضل ، المحبّب بمزية العلم وصفوته ، أدركه معاناً عليه
بلطف بحثه ، وإذلال كنفه ، وصحة فهمه ، وهجر سآئته .

وقد تقدم أمير المؤمنين إليك ، آخذاً بالحمية عليك ، مؤدياً حق الله الواجب عليه
في إرشادك وقضاء حَقِّكَ ، وما ينظر به الوالد المَعْنِيُّ الشفيع لولده . وأمير المؤمنين يرجو أن
يتزكك الله عن كل قبيح يهش له طمع ، وأن يعصمك من كل مكروه حاق بأحد ، وأن
يحصنك من كل آفة استولت على امرئ في دين أو خلق ، وأن يبلغه فيك أحسن ما لم يزل
يعوده ويريه من آثار نعمة الله عليك ، سامية بك الى ذروة الشرف ، متبججة بك بسطة
الكرم ، لائحة بك في أزهر معالي الأدب ، مورثة لك أنفس ذخائر العز ، والله يستخاف
عليك أمير المؤمنين ويسأل حياطتك ، وأن يعصمك من زنج الهوى ، ويحضرك داعي
التوفيق ، معاناً على الإرشاد فيه ، فإنه لا يُعين على الخير ولا يوفق له إلا هو .

اعلم أن الحكمة مسالك تُفِيضُ مضائق أوائلها بمن أمها سالكا ، وركب أخطارها
قاصداً ، الى سعة عاقبتها ، وأمن سرحها ، وشرف عزها . وأنها لا تُعار بسخف الخفة ،
ولا تُنشأ بتفريط الغفلة ، ولا يُتعدى فيها بامرئ حده . وربما أظهرت بسطة النى

مستور العيب . وقد تَلَقَّتْكَ أخلاقُ الحِكمة من كل جهةٍ بفضلها ، من غير تعب البحث في طلبها ، ولا مُتَطَوِّلٍ لمنالِ ذِروتِها ؛ بل تأتلت منها أكرم نَبَعَاتِها ، وأستخلصت منها أعتق جواهرها ؛ ثم سموت الى لباب مُصَاصِها ، وأحرزت مُنْفَسَ ذخايرها ، فأقتعد ما أحرزت ، ونافس فيما أصبت .

وَأَعْلَمُ أن أحتواءك على ذلك وسَبَقَكَ إليه بإخلاص تقوى الله في جميع أمورك مؤثراً لها ، وإضمار طاعته منطوياً عليها ، وإعظام ما أنعم الله به عليك شاكراً له ، مرتبطاً فيه للزيد بحسن الحياطة له والذَّب عنه من أن تَدْخُلَكَ منه سامةٌ ملال ، أو غفلة ضياع ، أو سِنَّة تهاون ، أو جهالة معرفة ، فإن ذلك أحق ما يُدِيءُ به ونظر فيه ، معتمداً عليه بالقوة والآلة والعُدَّة والأفراد به من الأصحاب والحامة . فتمسك به لاجئاً إليه ، وأعتد عليه مؤثراً له ، وآلتجئ إلى كنفه متحيزاً إليه : فإنه أبلغ ما طُلب به رضا الله وأنجح مسأله ، وأجزله ثواباً ، وأعوده نفعاً ، وأعمه صلاحاً ؛ أرشدك اللهُ لحظك ، وفهمك سداده ، وأخذ بقلبك إلى محموده . ثم أجعل الله في كل صباح يُنعم عليك ببلوغه ، ويُظهِر منك السلامة في إشراقه ، من نفسك نصيباً يجعله له شكراً على إبلاغه إياك يومك ذلك بصحة جوارح وعافية بدن ، وسبوغ نِعَم ، وظهور كرامة ، وأن تقرأ فيه من كتاب الله — تبارك وتعالى — جزءاً تُرَدِّدُ رأيك في آيه ، وترتل لفظك بقراءته ، وتُحَضِّره عقلك ناظراً في مُحكمه ، وتُستفهمه مفكراً في مُشابهه : فإن في القرءان شفاء الصدور من أمراضها ، وجلاء وساوس الشيطان وصعاصيعه ، وضيء معالم النور ، تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون . ثم تعهد نفسك بمجاهدة هواك ، فإنه مغلاق الحسنة ، ومفتاح السيئات ، وخَصَمُ العقل .

وَأَعْلَمُ أن كل أهوائك لك عدوٌّ يحاول هلكتك ، ويعترض غفلتك ، لأنها خُدع إبليس ، وخواتيل مكره ، ومصائد ميكيدته ؛ فاحذرْها مجانِباً لها ، وتوقَّها محترساً منها ؛ وأستعد

(١) المصاص : خالص كل شيء .

(٢) كذا في صبح الأعشى وفي مفتاح الأفكار (ص ٢٨٢) وغيره « وترين » . (٣) الصعاصع :

جمع صعصع وهو طائر أشهب يصيد الجنادب ، شبهه وسوسة الشيطان به . وفي بعض المؤلفات « وسفاسفه » .

بالله عز وجل من شرها، وجاهدها إذا تناصرت عليك بعزم صادق لا ونية^(١) فيه، وحزم نافذ لا مثنوية^(٢) لرأيك بعد إصداره، وصدق غالب لا مطمع في تكذيبه؛ ومضاعة صارمة لا أناة معها، ونية صحيحة لا خلجة شك فيها: فإن ذلك ظهري صدق لك على ردعها عنك، وقمعها دون ما تتطلع إليه منك؛ فهي واقية لك من خطئة ربك، داعية إليك رضا العاقبة عنك، ساترة عليك عيب من دونك؛ فازدق بها متحلياً، وأصب بأخلاقك مواضعها الحميدة منها، وتوق عليها الآفة التي تقتطعك عن بلوغها، وتقتصر بك دون شأوها: فإن المؤونة إنما آشتت مستصعبة، وقدحت باهظة أهل الطالب لأخلاق أهل الكرم المتحليين سمو القدر، ببهالة مواضع ذم الأخلق ومجودها، حتى فترط أهل التصير في بعض أمورهم، فدخلت عليهم الآفات من جهات أمنوها، فنبسبوا إلى التفريط، ورضوا بذلك المنزل، فأقاموا به جاهلين بموضع الفضل، عمهين عن درج الشرف، ساقطين دون منزلة أهل الجحا. فحاول بلوغ غاياتها محمراً لها بسبق الطلب إلى إصابة الموضع، محصنا أعمالك من العجب: فإنه رأس الهوى، وأول الغواية، ومقاد الهلكة؛ حارساً أخلاقك من الآفات المتصلة بمساوي الألقاب وذم تنازرها، من حيث أتت الغفلة، وانتشر الضياع، ودخل الوهن. فتوق غلوب الآفات على عقلك، فإن شواهد الحق ستظهر بأماراتها تصديق آرائك عند ذوى الجحا حال الرأي وخص النظر. فاجتلب لنفسك محمود الذكر وباقي لسان الصدق بالحذر لما تقدم إليك فيه أمير المؤمنين، متحرراً من دخول الآفات عليك من حيث أمنك وقلة ثقتك بجحكها: من ذلك أن تملك أمورك بالقصد، وتدارى جندك بالإحسان، وتصون سرك بالكتان، وتداوى حقدك بالإنصاف، وتذل نفسك بالعدل، وتحصن عيوبك بتقويم أودك، وتمنع عقلك من دخول الآفات عليه بالعجب المردى. وأنانك فوقها الملال وفوت العمل، ومضاعتك فدرعها روية النظر وأكثفها بأناة الحلم. وخلوتك فأحرسها من الغفلة وأعماد الراحة، وصمتك

(١) لا ونية: لا توانى . (٢) أى لا استثناء .

فأنف عنه عيِّ اللفظ ، وحَافٍ سوء القالة ، وآستماعك فأرعه حُسن التفهيم ، وقوه بإشهاد
الفكر ، وعطاءك فأمهده ببيوتات الشرف وذوى الحسب ، وتحرز فيه من السرف وآستطالة
البذخ وآمتنان الصنعية ، وحياءك فأمنعه من النجمل وبلاد الحصر ، وحلمك فزعه عن
التهاون وأحضره قوة الشكيمة ، وعقوبتك فقصر بها عن الإفراط ، وتعمد بها أهل
الاستحقاق ، وعفوك فلا تُدخله تعطيل الحقوق ، وخذ به واجب المفترض ، وأقيم به أود
الدين ، وآستئناسك فأمنع منه البذاء وسوء المناقثة ^(١) . وتعهدك أمورك فحده أوقاتا ، وقدره
ساعات لا تستفرغ قوتك ، ولا تستدعي سآمتك ، وعزمايك فأنيف عنها عجملة الرأي ،
ولحاجة الإقدام ، وفرحاتك فأشكها عن البطر ، وقيدها عن الزهو ، وروعائك فخطها من
دهش الرأي وآستسلام الخضوع ، وحدراتك فأمنعها من الجبن ، وآعتمد بها الحزم ،
ورجاءك فقيده بخوف الفآئت ، وآمنعه من أمن الطلب .

هذه جوامع خلال ، دخال التقص منها واصل إلى العقل بلطائف أبنه ، وتصاريف
حويله ، فأحكها عارفا بها ، وتقدم في الحفظ لها ، معتبرا على الأخذ بمراشدها والآنتهاء منها
إلى حيث بلغت بك عظة أمير المؤمنين وأدبه إن شاء الله .

ثم آتكن بطانتك وجلسائك في خلواتك ودخلائك في سرك ، أهل الفقه والورع من
خاصة أهل بيتك ، وعامة قوادك ممن قد حنكته السن بتصاريف الأمور ، وخبطه فصالحها
بين فراسن البزل منها ، وقلبته الأمور في فنونها ، وركب أطوارها ، عارفا بمحاسن الأمور
ومواضع الرأي وعين المشورة ، مأمون النصيحة ، منطوي الضمير على الطاعة . ثم أضرهم
من نفسك وقارآ يستدعي لك منهم الهيبة ، وآستئناسا يعطف إليك منهم المودة ، وإنصاتا
يقفل إفاضتهم له عندك بما تكره أن يُنشر عنك من سخافة الرأي وضياع الحزم . ولا يغلبن
عليك هواك فيصرفك عن الرأي ويقتطعك دون الفكر . وتعلم أنك وإن خلوت بيسر

(٢) الحويل : الحذق والقدرة على التصرف .

(١) يقال : ناقث فلان فلانا بالكلام : آذاه .

(٣) الفراسن : واحدها فرسن وهو طرف خفيف البعير .

فألقيتَ دونه سُتورك، وأغلقتَ عليه أبوابك، فذلك لا محالة مكشوفٌ للعامة، ظاهرٌ عنك وإن آسترت برتبا ولعلّ وما أرى إذاعة ذلك وأعلم، بما يرون من حالاتٍ من ينقطع به في تلك المواطن. فتقدّم في إحكام ذلك من نفسك، وأسدد خالله عنك: فإنه ليس أحدٌ أسرعُ إليه سوء القالة ولغظ العاقبة بخيرٍ أو شرٍّ من كان في مثل حالك ومكانك الذي أصبحتَ به من دينِ الله والأملِ المرجوِّ المتظنِّرِ فيك. وإياك أن يعجز فيك أحدٌ من حامتك وإبطانة خدمتك بضعةٍ يجد بها مَساغا إلى النطق عندك بما لا يعترلك عيبه، ولا تخلو من لائمتيه، ولا تأمنُ سوء الأحدثوة فيه، ولا يرخصُ سوء القالة به إن نجمَ ظاهرا أو علنَ باديها، ولن يجتروا على تلك عندك إلا أن يروا منك إصغاء إليها وقبولها لها وترخيصا لهم في الإفاضة بها. ثم إياك وأن يُفاض عندك بشيءٍ من الفكاهات والحكايات والمزاح والمضاحك التي يستخفُّ بها أهلُ البطالة، ويتسرع نحوها ذوو الجهالة؛ ويجيد فيها أهلُ الحسد مقالا لعب يدبونه، وطعنا في حق يحددونه؛ مع ما في ذلك من نقص الرأي، ودرن العِرض، وهذم الشرف، وتأثيل الغفلة، وقوة طبع السوء الكامنة في بني آدم ككؤون النار في الحجر الصلد، فاذا قُدح لاح شرهه، وتلهب وميضه، ووقد تضمره. وليست في أحد أقوى سطوة، وأظهر توقدا، وأعلى كؤونا، وأسرع إليه بالعب وتطرق الشين منها لمن كان في مثل سنك: من أغفال الرجال وذوى العُتوان في الحداثة الذين لم يقع عليهم سِمات الأمور، ناطقا عليهم لائحتها، ظاهرا فيهم وسمها، ولم تمحضهم شهامتها، مظهرة للعامة فضلهم، مديعة حسن الذكر عنهم؛ ولم يبلغ بهم الصيت في الحنكة مستمعا يدفعون به عن أنفسهم نواطق ألسن أهل البغي، ومواد أبصار أهل الحسد.

ثم تعهد من نفسك لطيف عيب لازم لكثير من أهل السلطان والقدرة: من
 (٢) إبطار الذرع ونخوة الشرف والتيه وعيب الصلّف؛ فإنها تُسرّع بهم إلى فسادٍ وتهجين

(١) الأغفال جمع غفل وهو الذي لم يجرب الأمور.

(٢) يقال: أبطره ذرعه إذا حمله فوق ما يطبق. وفي صبح الأعشى (ج ١٠ ص ٢٠١) «إبطال الذرع». وقد توقف فيها مصححه.

عقولهم في مواطنَ بجمّة، وأنحاءَ مُصْطَرِفَةٍ، منها قِلَّةٌ أَقْتَدَارُهُمْ على ضَبْطِ أَنْفُسِهِمْ في مَوَاقِفِهِمْ
ومساريتهم العاقمة: فمن مُقَلِّلٍ شَخْصُهُ بِكَثْرَةِ الِاتِّفَاتِ عن يمينه وشماله، تَرْدِيهِهِ انْحِقَّةً،
ويُطِرُهُ إِجْلَابُ الرِّجَالِ حَوْلَهُ؛ ومن مُقْبِلٍ في مَوَاقِفِهِ على مَدَاعِبَةِ مَسَايِرِهِ بِالْمَفَاكِهِهِ لَهُ
والتضاحك إليه، والإيجاف في السير مَرَّحاً، وتحرّيك الجوارح متسرّعا يخال أن ذلك
أسرع له وأحثُّ لمطيته. فلتُحَسِّنْ في ذلك هَيْئَتَكَ، وتُجَمِّلْ فِيهِ دَعَتَكَ؛ وليَقِلَّ على
مُسايرِكَ إقبالُك إلا وأت مطرق النظر، غير ملتفت إلى محدث، ولا مقبل عليه بوجهك
في موكبك لمحدثه، ولا مُوجِفٍ في السير مقلِّلٍ لجوارحك بالتحريك والاستهناض؛ فإن
حسن مسأرة الوالي وأتداعه في تلك الحالة دليلٌ على كثير من غيوب أمره ومستتر أحواله.

وأعلم أن أقواما يتسرعون إليك بالسعاية، ويأتونك على وجه النصيحة، ويستميلونك
بإظهار الشفقة، ويستدعونك بالإغراء والشبهة، ويوظفونك عشوة الخيرة: ليجعلوك لهم
ذريعة إلى استئصال العاقمة بموضعهم منك في القبول منهم والتصديق لهم على من قرّفوه
بتهمة، أو أسرعوا بك في أمره إلى الظنّة؛ فلا يصلن إلى مشافهتك ساخٍ بشبهة،
ولا معروفٍ بتهمة، ولا منسوبٍ إلى بدعة فيعرضك لإيتاغ دينك^(١)، ويمجلك على رعيتك^(٢)
بما لاحقيقة له عندك، ويُلجِّمك أعراض قوم لا علم لك بدخلهم، إلا بما أقدم به عليهم
ساعيا وأظهر لك منهم مُتَّصِحاً. وليكن صاحب شُرطتك المتولّى لإنهاء ذلك هو المنصوب
لأولئك، والمستمع لأقاويلهم، والفاحص عن نصائحهم؛ ثم ليُنه ذلك إليك على ما يُرفع إليه
منه لتأمره بأمرك فيه، وتقفه على رأيك من غير أن يظهر ذلك للعاقمة: فإن كان صوابا نالتك
خيرته، وإن كان خطأ أقدم به عليك جاهل، أو قرطه سعى بها كاذب، فنالت الساعي
منها أو المظلوم عقوبة^(٣)، أو بدر من واليك إليه عقوبة ونكال، لم يعصب ذلك الخطأ بك^(٤)
ولم تُنسب إلى تفريط، وخلوت من موضع الذم فيه مُحضرا إليه ذهناك وصواب رأيك.

(١) أوتغ دينه بالإثم: أفسده. (٢) أله عرض فلان: أمكنه منه يشتمه. (٣) دخل

الرجل (بالفتح والكسر): نيته ومذهبه. (٤) لم يعصب أي لم يلحق.

وتقدّم الى من تُوِّى ذلك الأمر وتعتد عليه فيه ألا يُقدّم على شيء ناظرًا فيه ، ولا يحاول أخذ أحد طارقًا له ، ولا يُعاقب أحداً مُنكلاً به ، ولا يُخلى سبيل أحد صالحاً عنه لإصحاح^(١) براءته وصحة طريقته ، حتى يرفع إليك أمره ، ويُهيى إليك قضيته على جهة الصّدق ، ومنحى الحق ، ويقين الخبر ؛ فإن رأيت عليه سبيلاً لمحبس أو مجازاً لعقوبة ، أمرته بتوئى ذلك من غير إدخاله عليك ، ولا مشافهة لك منه ؛ فكان المتوئى لذلك ولم يجر على يديك مكروه رأى ولا غلظة عقوبة . وإن وجدت إلى العفو عنه سبيلاً ، أو كان مما قُرف به خلياً ، كنت أنت المتوئى للإنعام عليه بتخليّة سبيله ، والصفح عنه بإطلاق أمره ؛ فتولّيت أجزء ذلك واستحقت دُخره ، وأنظقت لسانه بشركك ، وطوّقت قومه حمدك ، وأوجبت عليهم حقك ؛ فقررت بين خصمتين ، وأحرزت حظوتين : ثواب الله فى الآخرة ، ومحمود الذكر فى الدنيا .

ثم إياك أن يصل إليك أحد من جندك وجلسائك وخاصتك ويطانك بمسألة يكشفها لك ، أو حاجة يبيدهك بطلبها ، حتى يرفعها قبل ذلك إلى كاتبك الذى أهدفته لذلك ونصبت له ، فيعرضها عليك مُنهيًا لها على جهة الصّدق عنها ، وتكون على معرفة من قدرها : فإن أردت إسعافه بها ونجاح ما سأل منها ، أذنت له فى طلبها ، باسماً له كفتك ، مُقبلاً عليه بوجهك ؛ مع ظهور سرورك بما سالك ، وفُسحة رأى وبسطة ذرع ، وطيب نفس . وإن كرهت قضاء حاجته ، وأحببت رده عن طلبته ؛ وثقل عليك إجابته إليها وإسعافه بها ، أمرت كاتبك فصفح عنها ، ومنعه من مواجهتك بها ؛ نخفت عليك فى ذلك المؤونة ، وحسن لك الذكر ، ولم يُنشر عنك تجهّم الرد ، وينلك سوء القالة فى المنع ، ومحمل على كاتبك فى ذلك لائمة أنت منها برىء الساحة .

وكذلك فليكن رأيك وأمرك فيمن طرأ عليك من الوفود وأتاك من الرُّسل ، فلا يصلن إليك أحد منهم إلا بعد وصول علمه إليك ، وعلم ما قدم له عليك ، وجهة ما هو مكلمك

(١) أى لوضوح براءته ، فى حديث على : فأصحّر لعدوك ، أى كن من أمره على أمر واضح .

(٢) صفحه عنها ، رده عنها .

به ، وقدّر ما هو سائلك إياه إذا هو وصل إليك ، فأصدرت رأيك في حوائجه ، وأجلت فكرك في أمره ، وأخترت معتزماً على إرادتك في جوابه ، وأتخذت مصدور رويّتك في مرجوع مسألته قبل دخوله عليك ، وعلمه بوصول حاله إليك ؛ فرفعت عنك مؤونة البديهة ، وأرخت عن نفسك خناق الروية ، وأقدمت على ردّ جوابه بعد النظر وإجالة الفكر فيه . فإن دخل إليك أحد منهم فكلمك بخلاف ما أنهى إلى كاتيك وطوى عنه حاجته قبلك ، دفعته عنك دفعا جميلا ، ومنعته جوابك منعا وديعا ؛ ثم أمرت حاجبك بإظهار الجفوة له والغلظة عليه ، ومنعه من الوصول إليك ؛ فإن ضبّطك لذلك مما يحكم لك تلك الأسباب ، صارفاً عنك مؤوتتها ، ومسهلاً عليك مُستصعبها .

احذر تضييع رأيك وإهمالك أدبك في مسالك الرضا والغضب وأعتوارهما إليك ، فلا يزدهينك إفراطٌ عجّب تستخفك روائعه ، ويستهبوك منظره ، ولا يسدرك منك ذلك خطأً ونزق خفة لمكروه إن حلّ بك ، أو حادثٍ إن طرأ عليك . وليكن لك من نفسك ظهريّ ملجأً تحجز به من آفات الردى ، وتستعضده في مهمّ نازل^(١) ، وتتعقب به أمورك في التدبير . فإن احتجت إلى مادة من عقلك ، وروية من فكرك ، أو أنيساط من منطقتك ؛ كان أنحيازك إلى ظهريّك مُزدادا مما أوجب الأمتياح منه والامتيار ؛ وإن استدبرت من أمورك بوادٍ جهل أو مضى زلل أو معاندة حق أو خطئ تدبير ، كان ما احتجنت إليه من رأيك عذرا لك عند نفسك ، وظهرياً قويا على ردّ ما كرهت ، وتخفيفاً لمؤونة الباغين عليك في القالة وانتشار الذكر ؛ وحصنا من غلوب الآفات عليك ، وأستعلاها على أخلاقك .

وأمع أهل بطانتك وخاصة خدمك من استلحام أعراض الناس عندك بالغبية ، والتقريب اليك بالسعاية ، والإغراء من بعض ببعض ؛ أو النيمة اليك بشيء من أحوالهم

(١) في صبح الأعشى : « وتستعضد في موهم النازل » . وفي رسائل البغاء : « وتستعهده في مهم نازل » .

وأخترنا من العبارتين ما يناسب المقام . (٢) كذا في صبح الأعشى والمفتاح ورسائل البغاء ، ولعله

وإن ابتدرت ... الخ .

المستتر عنك ، أو التحميل لك على أحد منهم بوجه النصيحة ومذهب الشفقة : فإن ذلك أبلغ بك سموا الى منالة الشرف ، وأعونك لك على محمود الذكر ، وأطلق لعنان الفضل في جزالة الرأي وشرف الهمة وقوة التدبير .

وأملك نفسك عن الإنبساط في الضحك والأنفهاق ، وعن القطوب بإظهار الغضب وتثقله : فإن ذلك ضعف عن ملك سورة الجهل ، ونحروج من آتجال آسيم الفضل . وليكن ضحكك تبسما أو كثيرا في أحيان ذلك وأوقاته ، وعند كل رائع مستخف مطرب ، وقطوبك إطرافا في مواضع ذلك وأحواله ، بلا عجلة الى السطوة ، ولا إسراع الى الطيرة ، دون أن تكتنفها روية الحلم ، وتملك عليها بادرة الجهل .

إذا كنت في مجالس ملكك ، وحيث حضور العامة مجلسك ، فإياك والرعي بنظرك الى خاص من قوادك ، أو ذى أثره عندك من حشمك . وليكن نظرك مقسوما في الجميع ، وإراعتك سمعك ذا الحديث بدعة هادئة ، ووقار حسن ، وحضور فهم مجتمع ، وقلة تضجر بالمحدث . ثم لا يبرح وجهك الى بعض حرسك وقوادك متوجها بنظر ركين ، وتفقد محض . وإن وجه اليك أحد منهم نظره محذفا ، أو رماك ببصره ملحا ، فاخفض عنه إطرافا جميلا بآداع وسكون . وإياك والتسرع في الإطراق ، والخفة في تصريف النظر ، والإلحاح على من قصد اليك في مخاطبته إياك رامقا بنظره .

واعلم أن تصفحك وجوه جلسائك وتفقدك مجالس قوادك من قوة التدبير ، وشهامة القلب ، وذكاء الفطنة ، وآتياه السنة . فتفقد ذلك عارفا بمن حضرك وغاب عنك ، عاليا بمواضعهم من مجلسك ، ثم أعدبهم عن ذلك سائلا لهم عن أشغالهم التي منعتهم من حضور مجلسك ، وعاقبتهم بالتخلف عنك .

إن كان أحد من حشمك وأعوانك يثق منه بغييب ضمير ، وتعريف منه لين طاعة ، وتشرير منه بلى صحة رأى ، وتأمينه على مشورتك ، فإياك والإقبال عليه في كل حادث يرد عليك ، والتوجه نحوه بنظرك عند طوارق ذلك ، وأن تزيه أو أحدا من أهل مجلسك أن

بك حاجةً إليه موحشة ، أو أن ليس بك عنه غنى في التدبير، أو أنك لا تقضى دونه رأيا،
إشراكاً منك له في رويتك، وإدخالاً منك له في مشورتك، وأضطراباً منك إلى رأيه
في الأمر يعرّوك: فإن ذلك من دخائل العيوب التي ينتشر بها سوءُ القالة عن نظرائك، فانفها
عن نفسك خائفاً لاعتلاقها ذكرك، وأحجبها عن رويتك قاطعاً لأطباع أوليائك عن مثلها
عندك ، أو غلوبهم عليها منك .

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْمَشُورَةِ مَوْضِعَ الْخُلُوعِ وَأَنْفِرَادِ النَّظَرِ ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ غَايَةٌ تُحِيطُ بِمُخْدَمِهِ ، وَتَجْمَعُ
مَعَالِمَهُ . فَابْنِهَا مُحَرِّزًا لَهَا ، وَرُمُهَا طَالِبًا لِنَيْلِهَا ؛ وَإِيَّاكَ وَالْقُصُورَ عَنْ غَايَتِهَا أَوْ الْعِجْزَ عَنْ
دَرْكِهَا ، أَوْ التَّفْرِيطَ فِي طَلِبِهَا . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

إِيَّاكَ وَالْإِغْرَامَ عَنْ حَدِيثٍ مَا أَعْجَبَكَ ، أَوْ أَمْرٍ مَا أَزْدَهَاكَ بِكَثْرَةِ السُّؤَالِ ، أَوْ الْقَطْعَ
لِحَدِيثٍ مَنْ أَرَادَكَ بِحَدِيثِهِ حَتَّى تَنْقُضَهُ عَلَيْهِ بِالْخَوْضِ فِي غَيْرِهِ أَوْ الْمَسْأَلَةَ عَمَّا لَيْسَ مِنْهُ : فَان
ذَلِكَ عِنْدَ الْعَامَّةِ مَنْسُوبٌ إِلَى سُوءِ الْفَهْمِ وَقِصْرِ الْأَدَبِ عَنْ تَنَاوُلِ مَحَاسِنِ الْأُمُورِ وَالْمَعْرِفَةِ
بِمَسَاوِيهَا ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ لِحَدِيثِكَ وَأَرِعْهُ سَمْعَكَ حَتَّى يَعْلَمَ أَنْ قَدْ فَهِمْتَ حَدِيثَهُ ، وَأَحْطَتِ
مَعْرِفَةٌ بِقَوْلِهِ ؛ فَان أَرَدْتَ إِجَابَتَهُ فَعَنْ مَعْرِفَةٍ بِحَاجَتِهِ وَبَعْدَ عِلْمِ بَطْلِيَّتِهِ ؛ وَإِلَّا كُنْتَ عِنْدَ
انْقِضَاءِ كَلَامِهِ كَالْمَتَعَجِّبِ مِنْ حَدِيثِهِ بِالتَّبَسُّمِ وَالْإِغْضَاءِ ، فَأَجْزَى عِنْدَكَ الْجَوَابُ ، وَقَطَعَ عِنْدَكَ
السُّنَّ الْعَتَبَ .

إِيَّاكَ وَأَنْ يَظْهَرَ مِنْكَ تَبَرُّمٌ بِطُولِ مَجْلِسِكَ ، أَوْ تَضَجُّرٌ مِمَّنْ حَضَرَكَ ؛ وَعَلَيْكَ بِالتَّثَبُّتِ
عِنْدَ سُورَةِ الْغَضَبِ ، وَحِمِيَةِ الْأَنْفِ ، وَمَلَالِ الصَّبْرِ : فِي الْأَمْرِ تَسْتَعِجِلُ بِهِ وَالْعَمَلِ تَأْمُرُ
بِإِنْفَاذِهِ ؛ فَان ذَلِكَ سُخْفٌ شَائِنٌ ، وَخِفَّةٌ مُرْدِيَةٌ ، وَجَهَالَةٌ بَادِيَةٌ . وَعَلَيْكَ بِثَبُوتِ الْمَنْطِقِ ،
وَوَقَارِ الْمَجْلِسِ ، وَسُكُونِ الرَّيْحِ ، وَالرَّفِضِ لِحَشْوِ الْكَلَامِ ، وَالتَّرْكِ لِفَضُولِهِ وَالْإِغْرَامِ
بِالزِّيَادَاتِ فِي مَنْطِقِكَ ، وَالتَّرِيدِ لِلْفُظُكِ : مَنْ نَحْوَ أَسْمَعَ ، وَأَفْهَمَ عَنِّي ، وَبَاهَنَاهُ ، وَأَلَا تَرَى ،
أَوْ مَا يُلْهَجُّ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْفَضُولِ الْمُقْصَرَّةِ بِأَهْلِ الْعَقْلِ ، الشَّائِنَةِ لِذَوِي الْمَجْحَا فِي الْمَنْطِقِ ،
الْمَنْسُوبَةِ إِلَيْهِمْ بِالْعِيِّ ، الْمُرْدِيَةِ لَهُمْ بِالذِّكْرِ . وَخِصَالٌ مِنْ مَعَايِبِ الْمُلُوكِ ، وَالسُّوقَةِ عَنْهَا غِيْبَةٌ

النظر إلا من عرفها من أهل الأدب ، وقلما حامل لها ، مضطلع بها ، صابراً على نقلها ، أخذ لنفسه بجوامعها ، فأفنيها عن نفسه بالتحفظ منها ، وأملك عليها آعتيادك إياها معتنيا بها ، منها كثرة التنخم ، والتبصق ، والتنخع ، والتؤباء ، والتمطى ، والجشأء ، وتحريك القدم ، وتقيض الأصابع ، والعبث بالوجه واللحية أو الشارب أو المحصرة أو ذؤابة السيف ، أو الإيماض بالنظر ، أو الإشارة بالطرف إلى بعض خدمك بأمر إن أردته ، أو السرار في مجلسك ، أو الاستعجال في طعمك أو شربك . وليكن طعمك متدعاً ، وشربك أنفاساً ، وجرعك مصاً . وإياك والتسرع إلى الأيمان فيما صغر أو كبر من الأمور ، والشتيمة بقول : يأبن الهنأه ، أو الغميرة لأحد من خاصتك بتسويغهم مقارفة الفسوق بحيث محضرك أو دارك وفناؤك : فان ذلك كله مما يقبح ذكره ، ويسوء موقع القول فيه ، وتحمّل عليك معاييسه ، وينالك شينته ، وينتشر عليك سوء النبا به . فأعرف ذلك متوقياً له ، وأحذرده مجانبا لسوء عاقبته .

أستكثر من فوائد الخير : فانها تنشر المحمدة ، وتقبل العثرة ، وأصبر على كظم الغيظ : فانه يورث الراحة ، ويؤمن الساحة ، وتعهد العاقمة بمعرفة دخلهم ، وتبطن أحوالهم ، وأستتارة دفاتنهم ؛ حتى تكون منها على رأي عين ، ويقين خبرة ، فتغنّس عديمتهم ، وتجبر كسيرهم ؛ وتقيم أودهم ، وتعلم جاهلهم ، وتستصلح فاسدّهم : فان ذلك من فِعلك بهم يورثك العزة ، ويقدمك في الفضل ؛ ويبقى لك لسان الصدق في العاقبة ، ويحزرك ثواب الآخرة ، ويرد عليك عواطفهم المستنفرة منك ، وقلوبهم المنتحجة عنك .

قس بين منازل أهل الفضل في الدين والحج والرى والعقل والتدبير والصّيت في العاقمة ، وبين منازل أهل النقص في طبقات الفضل وأحواله ، والجمول عند مباحاة النسب ؛ وأنظر بصحبة أيهم تنال من مودته الجميل ، وتستجمع لك أقاويل العاقمة على التفضيل ؛ وتبلغ درجة الشرف في أحوالك المتصرفّة بك . فاعتمد عليهم مدخلا لهم في أمرك ، وآثرهم بجالسك لهم مستمعاً منهم ؛ وإياك وتضييعهم مفترطاً ، وإهمالهم مضيقاً .

(١) يقال : أقتض أصابه : صوت بها وليس في كتب اللغة نقض بالتضيف . (٢) الغميرة : الملعن .

هذه جوامع خصال قد لخصها لك أمير المؤمنين مفسراً، وجمع لك شواذها مؤلفاً،
وأهداها إليك مُرَشِّداً، فقف عند أواميرها، وتناه عن زواجرها، وثبتت في مجامعها،
وخذ بوثائق عرَافها، تسلم من معاطب الردى، وتسل أنفُسَ الحظوظ ورغيب الشرف،
وأعلى درج الذكر، وتأمل سطر العز. والله يسأل لك أمير المؤمنين حُسن الإرشاد،
وتابع المزيد، وبلوغ الأمل، وأن يجعل عاقبة ذلك بك الى غبطة يسوِّغك إياها، وعافية
يُحِلُّك أكتافها، ونعمة يُلهمك شكرها: فإنه الموفق للخير، والمعين على الإرشاد، منه تمام
الصالحات، وهو مؤتي الحسنات، عنده مفاتيحُ الخير، ويبيده الملك وهو على كل شيء
قدير.

فاذا أفضيت نحو عدوك. وآعرت على لقاءهم، وأخذت أهبة قتالهم، فاجعل دعاءك
التي تلجأ إليها، وثقتك التي تأمل النجاة بها، وركتك الذي ترمي منالة الظفر به وتكتف به
لمعالي الحذر، تقوى الله مستشعراً لها بمراقبته، والاعتصام بطاعته متبعاً لأمره، محتنباً
لسخطه، محتدياً سنته، والتوقى لمعاصيه في تعطيل حدوده، أو تعدى شرائعه، متوكلاً عليه
فيا صمدت له، وانقأ بنصره فيما توجهت نحوه، متبرئاً من الحول والقوة فيما نالك من ظفر
وتلقاك من عز، راغباً فيما أهاب بك أمير المؤمنين إليه من فضل الجهاد، ورمى بك اليه
محمود الصبر فيه عند الله من قتال عدو المسلمين، أكلبهم عليه وأظهره عداوة لهم، وأفدحه
ثقالا لعاقبتهم، وأخذ به بريقهم، وأعلاه عليهم بغيا، وأظهره عليهم فسقا وبخورا، وأشدّه
على فيئهم الذي أصاره الله لهم وفتح عليهم مؤونته^(٥) وكلاً. والله المستعان عليهم، والمستنصر
على جماعتهم، عليه يتوكل أمير المؤمنين، وإياه يستصرخ عليهم، وإليه يفوض أمره، وكفى
بالله ولياً وناصرًا ومعيناً، وهو القوى العزيز.

ثم خذ من معك من تباعك وجندك بكف معرفتهم، ورد مشتعل جهلهم، وإحكام
ضياع عملهم، وضم منتشر قواصيمهم، ولم شعث أطرافهم، وتقييدهم عن مروا به من

(١) تأمل: ثبت. (٢) اكتف الكهف: دخله. (٣) أهاب بك: دلك.

(٤) من قولهم كلب الدر على أهله إذا اشتد وألح. (٥) الكل: النقل.

أهل ذِمَّتِكَ ومَلَّتِكَ بحُسْنِ السَّيرَةِ، وَعِفَافِ الطُّعْمَةِ، وَدَعَةِ الْوَقَارِ، وَهَدْيِ الدَّعَةِ، وَحِمَامِ
 الْمُسْتَجِمِّ، مُحْكَمَا ذَلِكَ مِنْهُمْ، مُتَّفَقِدًا لَهُمْ تَفْقُدُكَ إِيَّاهُ مِنْ نَفْسِكَ . ثُمَّ أَحْمَدُ لِعَدْوِكَ الْمُسَمَّى
 بِالْإِسْلَامِ، الْخَارِجِ مِنْ جَمَاعَةِ أَهْلِهِ، الْمُنْتَحِلِ لِوَالِيَةِ الدِّينِ مُسْتَحِلًّا لِدِمَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، طَاعِنًا
 عَلَيْهِمْ، رَاغِبًا عَنْ سُنَّتِهِمْ، مُفَارِقًا لِشَرَائِعِهِمْ، يَبْغِيهِمُ الْغَوَائِلَ، وَيَنْصِبُ لَهُمُ الْمَكَائِدَ؛ أَضْرَمَ
 حَقْدًا عَلَيْهِمْ، وَأَرْصَدَ عِدَاوَةً لَهُمْ، وَأَطْلَبَ لِفِرَاقِهِمْ مِنْ التُّرْكِ وَأُمَمِ الشَّرْكِ وَطَوَاغِي
 الْمَلْلِ؛ يَدْعُو إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَالْفِرْقَةِ، وَالْمُرُوقِ مِنْ دِينِ اللَّهِ إِلَى الْفِتْنَةِ، مُخْتَرًا بَهْوَاهُ لِلْأَدْيَانِ
 الْمُنْتَحَلَةِ وَالْبِدْعِ الْمُنْتَفِرَةِ خَسَارًا وَتَخْسِيرًا، وَضَلَالًا وَتَضْلِيلًا، بِغَيْرِ هَدْيٍ مِنْ اللَّهِ وَلَا بَيَانٍ .
 سَاءَ مَا كَسَبَتْ لَهُ يَدَاہُ وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ، وَسَاءَ مَا سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ الْأُمَارَةَ بِالسُّوءِ،
 وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِ بِالْمِرْصَادِ: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

حَصَّنَ جَنْدَكَ، وَأَشَكَّمَ نَفْسَكَ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي مَجَاهَدَةِ أَعْدَائِهِ، وَأَرْجَى نَصْرَهُ، وَتَجَبَّرَ
 مَوْعُودَهُ، مُتَقَدِّمًا فِي طَلْبِ نَوَائِهِ عَلَى جِهَادِهِمْ، مُعْتَرِمًا فِي ابْتِغَاءِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ عَلَى لِقَائِهِمْ :
 فَإِنْ طَاعَتِكَ إِيَّاهُ فِيهِمْ، وَمَرَّاقَبَتِكَ لَهُ وَرَجَاءَكَ نَصْرَهُ مُسَهِّلًا لَكَ وَعُورَهُ، وَعَاصِمًا مِنْ كُلِّ
 سُبَّةٍ، وَمُنْجِيًا مِنْ كُلِّ هُوَّةٍ، وَنَاعِشًا مِنْ كُلِّ صَرَعَةٍ، وَمُقْبِلًا مِنْ كُلِّ كِبْوَةٍ، وَدَارِيًا
 عَنْكَ كُلَّ شِبْهَةٍ، وَمُذْهِبًا عَنْكَ لَطْخَةَ كُلِّ شَكٍّ، وَمُقَوِّيًا بِكُلِّ أَيْدٍ وَمَكِيدَةٍ، وَمُعَزِّيًا
 فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ قِتَالًا، وَمُوَيْدًا فِي كُلِّ تَجْمَعٍ لِقَاءً، وَكَالِثًا عِنْدَ كُلِّ فِتْنَةٍ مُغْشِيَةً، وَحَائِطًا
 مِنْ كُلِّ شِبْهَةٍ مُرِيدِيَةٍ؛ وَاللَّهُ وَلِيُّكَ وَوَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيكَ، وَالْمُسْتَخْلَفَ عَلَى جَنْدِكَ
 وَمَنْ مَعَكَ .

اعْلَمْ أَنَّ الظَّفَرَ ظَفَرَانِ: أَحَدُهُمَا — وَهُوَ أَعَمُّ مَنْفَعَةٌ، وَأَبْلَغُ فِي حَسَنِ الذِّكْرِ قَالَةً، وَأَحْوِطُهُ
 سَلَامَةٌ، وَأَتَمُّهُ عَافِيَةٌ، وَأَحْسَنُهُ فِي الْأُمُورِ وَأَعْلَاهُ فِي الْفَضْلِ شَرَفًا، وَأَصَحُّهُ فِي الرَّوِيَّةِ حَزْمًا،
 وَأَسْلَمُهُ عِنْدَ الْعَاقَةِ مَصْدَرًا — مَا نَبِيلٌ بِسَلَامَةِ الْجُنُودِ، وَحُسْنِ الْحِيلَةِ، وَلُطْفِ الْمَكِيدَةِ
 وَيُمْنِ النَّقِيْبَةِ، وَأَسْتِنْرَالِ طَاعَةِ ذِي الصُّدُوفِ بِغَيْرِ إِخْطَارِ الْجِيُوشِ فِي وَقْدَةِ بَحْرَةِ الْحَرْبِ،

(١) الأيد: القوة . (٢) أي مدلهمة سوداء، من قرطم: أغشى الليل إذا أظلم .

ومبارزة الفرسان في معترك الموت ؛ وإن ساعدتك طلوق الظفر ، وذلك مزيد السعادة في الشرف ، فني مخاطرة التلّف مكروه المصائب ، وعضاض السيوف وألم الجراح ، وقصاص الحروب وسبجها بمغاورة^(١) أبطالها . على أنك لا تدري لأيّ يكون الظفر في البديهة ، ومن المغلوب بالدولة ، ولعلك أن تكون المطلوب بالتحجيص . فحاول إصابة أبلغهما في سلامة جندك ورعيّتك ، وأشهرهما صيتاً في بدو تدبيرك ورأيك ، وأجمعهما لألفة وليك وعدوك ، وأعونهما على صلاح رعيّتك وأهل ملّتك ، وأقواهما شكيمةً في حزمك ، وأبعدهما من وضمّ عزمك ، وأعلقهما بزمام النجاة في آخرتك ، وأجزلها ثوابا عند ربك .

وأبدأ بالإعذار إلى عدوك ، والدعاء لهم إلى مراجعة الطاعة وأمر الجماعة وعزّ الألفة ، أخذاً بالجمحة عليهم ، متقدماً بالإندار لهم ، باسطاً أمانك لمن لجأ إليك منهم ، داعياً لهم إليه بالآين لفظك وألطف حيلك ، متعطفاً برأفتك عليهم ، مترقفاً بهم في دعائك ، مشفقاً عليهم من غلبة الغواية لهم وإحاطة الهلكة بهم ، منفذاً رسلك إليهم بعد الإندار : تعدهم إعطاء كلّ رغبة يهش إليها طمّعهم في موافقة الحق ، وبسط كل أمان سألوه لأنفسهم ومن معهم ومن تبعهم ؛ موطناً نفسك فيما تبسط لهم من ذلك على الوفاء بعهدك ، والصبر على ما أعطيتهم من وثائق عقدك ؛ قابلاً توبة نازعهم عن الضلالة ، ومراجعة مسيئتهم إلى الطاعة ؛ مرصداً للئحاز إلى فئسة المسلمين وجماعتهم إجابةً إلى مادعوته إليه وبصرته إياه من حَقِّ وطاعتك ، بفضل المنزلة ، وإكرام المثوى ، وتشريف الجاه . وليظهر من أترك عليه وإحسانك إليه ما يرغب في مثله الصادقُ عنك ، المُصرُّ على خلافك ومعصيتك ؛^(٢) ويدعو إلى آتلاق جبل النجاة وما هو أملك به في الاعتصام عاجلاً ، وأنجي له من العقاب آجلاً ، وأحوطه على دينه ومهجته بدءاً وعاقبةً ؛ فإن ذلك مما يستدعى به من الله نصره عليهم ، ويعتضدُّ به في تقديمه الجمحة إليهم ، مُعذراً أو مُنذراً ، إن شاء الله .

(١) المغاورة : المقاتلة . (٢) كذا في صبح الأعشى ويظهر أن السياق يقتضى معمولاً لهذا الفعل

أما ضميراً أو اسماً ظاهراً .

ثم أذكَ عيونك على عدوك متطلعاً لعلم أحوالهم التي يتقلبون فيها، ومنازلهم التي هم بها، ومطامعهم التي قد مدّوا أعناقهم نحوها، وأى الأمور أدرعى لهم إلى الصلح، وأقوِّدها لرضاهم إلى العافية، وأسملها لاسْتِئْزَالِ طاعتهم، ومن أى الوجوه مأتاهم : أمن قبل الشدة والمنافرة والمكيدة والمباعدة والإرهاب والإيعاد، أم الترغيب والإطعام، مثبتاً في أمرك، متخيلاً في رويتك، مستمكياً من رأيك، مستشيراً لذوى النصيحة الذين قد حنكهم السنُّ، وخبطتهم التجربة، ونجذتهم الحروب، مُتَشَرِّطاً في حربك، آخذاً بالحزم في سوء الظن، مُعَدّاً للحذر، محترساً من الغرة، كأنك في مسيرك كله ونزولك أجمع مواقف لعدوك رأى عين تنتظر حملاتهم، وتتحوِّف كراتهم، مُعَدّاً أقوى مكابيدك، وأرهب عتادك، وأنكأ جندك، وأجد تسميرك، معظماً أمر عدوك لأعظم مما بلغك، حذراً يكاد يفريط : لتُعدَّ له من الاحتراس عظيماً، ومن المكيدة قوياً، من غير أن يفشاك ذلك عن إحكام أمورك، وتديير رأيك، وإصدار رويتك، والتأهب لما يحزبك، مصغراً له بعد استشعار الحذر، وأضطهار الحزم، وإعمال الزوية، وإعداد الأهبة . فإن ألفت عدوك كليل الحد، وقم الحزم، نضيض الوفر^(٤)، لم يضرك ما اعتدته له من قوة وأخذت له من حزم، ولم يزدك ذلك إلا جرأة عليه، وتسرعاً إلى لقائه . وإن ألفتته متوقِّد الحرب، مُستكئف الجمع، قوى التبع، مُستعلي سورة الجهل، معه من أعوان الفتنه وتبع إبليس من يؤقده لب الفتنه مسعراً، ويتقدم إلى لقاء أبطالها متسرعاً، كنت لأخذك بالحزم، وأستعدادك بالقوة، غير مهين الجند، ولا مفرط في الرأى، ولا متلهف على إضاعة تديير، ولا محتاج إلى الإعداد وعجلة التأهب مبادرة تدهشك، وخوفاً يُقلِّقك . ومتى تغترَّ بترقيق المرققين، وتأخذ بالهويناً في أمر عدوك لتصغير المصغرين، ينتشر عليك رأيك، ويكون فيه انتقاض أمرك ووهن تدييرك، وإهمال الحزم في جندك،

(١) تشزن للامر : استعد له .

(٢) يفنأك (بالفاء والثاء المثلثة) أى يكسرك ويؤنرك .

(٣) كذا في صحح الأعشى . ولعلها موقوم الحزم أى مقهورة أو لعلها محرفة عن كلمة أخرى بمعنى الضعف أو القلة .

(٤) نضيض : قليل . والوفر : المال .

وتضيق له وهو مُمكن الإصحار، رَحْبُ الْمَطْلَبِ، قَوِي الْعِصْمَةِ، فَنَسِجُ الْمُضْطَرَبِ؛ مع ما يَدْخُلُ رِعْيَتِكَ مِنَ الْإِعْتِرَارِ وَالْغَفْلَةِ عَنْ إِحْكَامِ أَحْرَائِهِمْ، وَضَبْطِ مَرَاكِرِهِمْ، لِمَا يَرُونَ فِيهِ مِنْ أَسْتِنَامَتِكَ إِلَى الْغِزَةِ، وَرُكُونِكَ إِلَى الْأَمْنِ، وَتَهَاوُنِكَ بِالتَّدْبِيرِ؛ فَيَعُودُ ذَلِكَ عَلَيْكَ فِي أَنْتِشَارِ الْأَطْرَافِ، وَضِيَاعِ الْأَحْكَامِ، وَدُخُولِ الْوَهْنِ بِمَا لَا يُسْتَقَالُ مَحْذُورِهِ، وَلَا يُدْفَعُ مَخُوفُهُ.

احْفَظْ مِنْ عِيُونِكَ وَجَوَائِسِيكَ مَا يَأْتُونُكَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ عَدُوِّكَ . وَإِيَّاكَ وَمَعَاقِبَةَ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى خَبَرٍ إِنْ أَنَاكَ بِهِ أَتَمَّهُتَهُ فِيهِ أَوْ سُوتَ بِهِ ظَنًّا وَأَنَاكَ غَيْرُهُ بِخِلَافِهِ، أَوْ أَنْ تَكْذِبَهُ فِيهِ فَتَرِدَهُ عَلَيْهِ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَحَضَكَ النَّصِيحَةَ وَصَدَقَكَ الْخَبَرَ وَكَذَّبَكَ الْأَوَّلَ، أَوْ نَجَرَ جَاسُوسُكَ الْأَوَّلَ مَتَقَدِّمًا قَبْلَ وَصُولِ هَذَا مِنْ عِنْدِ عَدُوِّكَ، وَقَدْ أَبْرَمُوا لَكَ أَمْرًا، وَحَاوَلُوا لَكَ مَكِيدَةً وَأَرَادُوا مِنْكَ غِزْرَةً فَازْدَلَفُوا إِلَيْكَ فِي الْأَهْبَةِ، ثُمَّ أَنْتَقَضَ بِهِمْ رَأْيُهُمْ وَأَخْتَلَفَ عَنْهُ جَمَاعَتُهُمْ، فَارَادُوا رَأْيًا، وَأَحْدَثُوا مَكِيدَةً، وَأَظْهَرُوا قُوَّةً، وَضَرَبُوا مَوْعِدًا، وَأَمَّا وَسَلْكَ لَمَدِّ أُنَاهُمْ، أَوْ قُوَّةَ حَدَثَتْ لَهُمْ، أَوْ بَصِيرَةَ فِي ضَلَالَةٍ شَغَلَتْهُمْ؛ فَالْأَحْوَالُ بِهِمْ مُتَنَقِّلَةٌ فِي السَّاعَاتِ، وَطَوَارِقُ الْحَادِثَاتِ . وَلَكِنْ أَلْبَسَهُمْ جَمِيعًا عَلَى الْإِنْتِصَاحِ، وَأَرَضَّ لَهُمْ بِالْمَطَامِعِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَسْتَعِيدَهُمْ بِمِثْلِهَا . وَعِدَّهُمْ جَزَالَةَ الْمُنَاوِبِ، فِي غَيْرِ مَا أَسْتِنَامَةٍ مِنْكَ إِلَى تَرْفِيقِهِمْ أَمْرَ عَدُوِّكَ، وَالْإِعْتِرَارِ إِلَى مَا يَأْتُونُكَ بِهِ دُونَ أَنْ تُعْمَلَ رِيئَتِكَ فِي الْأَخْذِ بِالْحَزْمِ، وَالِاسْتِكْثَارِ مِنَ الْعُدَّةِ . وَأَجْعَلْهُمْ أَوْثَقَ مِنْ تَقْدِيرِ عَلَيْهِ، وَأَمِّنْ مِنْ تَسْكُنِ إِلَى نَاحِيَتِهِ، لِيَكُونَ مَا يُبْرِمُ عَدُوِّكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عِنْدَكَ إِنْ أَسْتَطَعْتَ ذَلِكَ، فَتَنْقُضَ عَلَيْهِمْ بِرَأْيِكَ وَتَدْبِيرِكَ مَا أَبْرَمُوا، وَتَأْتِيَهُمْ مِنْ حَيْثُ أَمِنُوا، وَتَأْخُذَ لَهُمْ أَهْبَةٌ مَا عَلَيْهِ أَقْدَمُوا، وَتَسْتَعِدَّ لَهُمْ بِمِثْلِ مَا حَذَرُوا .

وَأَعْلَمْ أَنَّ جَوَائِسِيكَ وَعِيُونِكَ رَبَّمَا صَدَقُوكَ وَرَبَّمَا غَشَوُوكَ، وَرَبَّمَا كَانُوا لَكَ وَعَلَيْكَ : فَنَصَحُوا لَكَ وَغَشَوُا عَدُوِّكَ، وَغَشَوُوكَ وَنَصَحُوا عَدُوِّكَ؛ وَكَثِيرًا مَا يَصْدُقُونَكَ وَيَصْدُقُونَهُ . فَلَا تَبْدُرَنَّ مِنْكَ فَرَطَةٌ عَقُوبِيَّةٌ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا تَعْجَلْ بِسُوءِ الظَّنِّ إِلَى مَنْ أَتَمَّهُتَهُ عَلَى

ذلك ، وأستنزِل نصابهم بالمِياحة والمَنالَة ^(١) ، وأبسَط من آمالم فيك من غير أن يرى أحدٌ منهم أنك أخذت من قوله أخذَ العامل به والمتبوع له ، أو عمِلت على رأيه عمَل الصادر عنه ، أو ردَدته عليه ردَّ المكذَّب به ، المتهم له ، المستخفِّ بما أتاك منه ، ففُسدَ بذلك نصيحته ، وتُستدعى غِشَّه ، وتجتَرَّ عداوته . وأحذر أن يُعرفوا في عسكريك أو يُشار إليهم بالأصابع . وليكن منزِلهم على كاتب رسائلك وأمين سرك ، ويكون هو الموجه لهم ، والمُدخل عليك من أردت مشافهته منهم .

وَأعلم أن لعدوك في عسكريك عيوناً راصدة ، وجواسيس متجسِّسة ، وأنه لن يقع رأيه ^(٢) عن ميكيدتك بمثل ما تُكايده به ، وسيحتال لك كاحتيالك له ، ويُعد لك كعادتك فيما تُزاوله منه ، ويُحاوَلُك كما حاولت إياه فيما تقارعه عنه ؛ فاحذر أن يُشهر رجلٌ من جواسيسك في عسكريك فيبلغ ذلك عدوك ويعرف موضعه ، فيُعد له المرصد ، ويحتال له بالمكيد . فإن ظفر به فأظهر عقوبته ، كسر ذلك ثقات عيونك ، وخذلهم عن تطلب الأخبار من معادنها ، وأستقصائها من عيونها ، وأستعذاب أجتنائها من يبايعها ، حتى يصيروا إلى أخذها مما عرَّض من غير الثقة ولا المعانيَة ، لقطاً لها بالأخبار الكاذبة ، والأحاديث المُرَجفة . وأحذر أن يعرف بعض عيونك بعضاً : فإنك لا تأمن تواطؤهم عليك ، ومُمالئتهم عدوك ، وأجتاعهم على غشك ، وتطابقتهم على كذبك ، وإصفاقتهم على خيانتك ، وأن يورط بعضهم بعضاً عند عدوك . فأحكم أمرهم فإنهم رأس ميكيدتك ، وقوام تديرك ، وعينهم مدار حربك ، وهو أول ظفرك . فاعمل على حسَب ذلك وحيث رجاؤك به ، تنل أملك من عدوك ، وقوتك على قتاله ، وأحتيالك لإصابة غرَّانه وأتهاز فرَّصه ، إن شاء الله .

فإذا أحكمت ذلك وتقدمت في إتقانه ، وأستظهرت بالله وعونه ، فولَّ شُرطتك وأمر عسكريك أوثق قوادك عندك ، وأظهرهم نصيحة لك ، وأنفذهم بصيرة في طاعتك ، وأقواهم

(١) المياحة : الإعطاء .

(٢) في مفتاح الأفكار ورسائل البلاغ : « كامنة » . (٣) في رسائل البلاغ : « وأن رأيه

في ميكيدتك مثل ما تُكايده به » . (٤) إصفاقتهم : اجتماعهم .

(١) شكيمته في أمرك، وأمضاهم صريمة، وأصدقهم عفافا، وأجزأهم غناء، وأكفاهم أمانة، وأصحهم ضميرا، وأرضاهم في العاقبة ديناً، وأحمدهم عند الجماعة خلقاً، وأعطفهم على كافتهم رافة، وأحسنهم لهم نظراً، وأشدهم في دين الله وحقه صلابة. ثم فوض إليهم مقويأ له، وأبسط من أمله مظهرها عنه الرضا، حامداً منه الأبتلاء. وليكن عالماً بمراكز الجنود، بصيرا بتقدم المنازل، مجرباً، ذا رأى وحزم في المكيده؛ له نباهة في الذكر، وصيت في الولاية؛ معروف البيت، مشهور الحسب. وتقدم إليه في ضبط معسكره، وإذكاء أحراره في آناء ليله ونهاره؛ ثم حذرته أن يكون منه إذن لجنوده في الانتشار والاضطراب، والتقدم لطلائعك، فتصاب لهم غزوة يجترئ بها عدوك عليك، ويسرع إقداما إليك، ويكسر من إيراد جنديك ويوهن من قوتهم: فإن الصوت في إصابة عدوك الرجل الواحد من جنديك أو عبيدهم مطمع لهم فيك، مقو لهم على تتخذ أتباعهم عليك وتصغيرهم أمرك، وتوهينهم تدبيرك. فحذرته ذلك وتقدم إليه فيه؛ ولا يكون منه إفراط في التضيق عليهم، والخصر لهم، فيعمهم أزله، ويشملهم صنكته؛ وتسوء عليهم حاله، وتشد به المؤونة عليهم، وتخبث له ظنونهم. وليكن موضع إنزاله إياهم ضاماً لجماعتهم، مستديراً بهم جامعاً لهم؛ ولا يكون منبسطة منتشرا متبداً، فيشقق ذلك على أصحاب الأحراس، وتكون فيه التهزة للعدو، والبعد من المادة إن طرقت طارقاً في بخاء الليل وبغباته. وأوعز إليه في أحراره، وتقدم إليه فيهم كأشد التقدم وأبلغ الإيعاز. ومره فليول عليهم رجلا ركيناً مجرباً جرى الإقدام، ذا كى الصرامة، جلد الجوارح، بصيراً بمواضع أحراره، غير مصانع ولا مشفع للناس في التنحى إلى الرفاهية والسعة، وتقدم العسكر والتأخر عنه، فإن ذلك مما يضعف الوالى ويؤهنه لاستنمامته إني من وآلاه ذلك وأمنه به على جيشه.

وأعلم أن مواضع الأحراس من معسكرك، ومكانها من جنديك، بحيث الغناء عنهم والرد عليهم، والحفظ لهم، والكلاءة لمن بغتهم طارقاً، أو أرادهم خاتلاً؛ ومراصدنا المنسل

(١) الصريمة: العزيمة. (٢) في مفتاح الأفكار وغيره: «أفدة». وإياد كل شئ. ما يقوى به من جانبه ومه إيراد العسكر وهما ميمته وميسرته. (٣) الصوت: كالصيت والصات: الذكر والشهرة. (٤) الأزل: الضيق والشدة. (٥) المادة: كل مدد تستعين به في حرب أو غيره.

منها والآتي من أرفائهم وأعبدهم؛ وحفظها من العيون والحواسيس من عدوهم. وأحذر أن تضرب على يديه أو تشككه عن الصرامة بمؤامرتك في كل أمر حادثٍ وطارئٍ إلا في المهم النازل والحادث العام: فإنك إذا فعلت ذلك به، دعوته إلى نصحك، وأستوليت على محصول ضميره في طاعتك؛ وأجهدت نفسه في ترتيبك، وأعمل رأيه في بلوغ موافقتك وإعانتك؛ وكان ثقتك ورداك وقوتك ودعامتك، وتفزعت أنت لمكيدة عدوك، مريحا لنفسك من هم ذلك والعناية به، ملقيا عنك مؤونة باهظة وكلفة فادحة.

وأعلم أن القضاء من الله بمكان ليس به شيء من الأحكام، ولا بمثل محله أحد من الولاة: لما يجرى على يديه من مغاليط الأحكام ومجاري الحدود. فليكن من تولى القضاء في عسكريك [من ذوى] الخبير والقناعة والعفاف والتزاهة والنهم والوقار والعصمة والورع، والبصر بوجوه القضايا ومواقعها، قد حنكته السن وأيدته التجربة وأحكمت الأمور، ممن لا يتصنع للولاية ويستعد للثورة، ويحترى على المحاباة في الحكم، والمداهنة في القضاء، عدل الأمانة، عفيف الطعمة، حسن الإنصاف، فهم القلب، ورع الضمير، متخشع السميت، بادى الوقار، محتسبا للخير. ثم أجز عليه ما يكفيه ويسعه ويصلحه؛ وفرغه لما حملته، وأعينه على ما وليته: فإنك قد عرضته لهلكة الدنيا وبوار الآخرة، أو شرف الدنيا وحظوة الآجلة، إن حسنت نيته، وصدقت رويته، وصححت سيرته، وسلط حكم الله على رعيته؛ مطلقا عنانه، منفذا قضاء الله في خلقه، عاملا بسنته في شرائعه، آخذاً بحدوده وفرائضه.

وأعلم أنه من جندك بحيث ولايتك، الجارية أحكامه عليهم، النافذة أفضيته فيهم؛ فأعيرف من تولى ذلك وتسنده إليه. ثم تقدم في طلائعك فإنها أول ميكيدتك، ورأس حرك، ودعامة أمرك، فأنتخب لها من كل قادة وصحابة رجالا ذوى تجدة وبأس، وصرامة وخبرة، حمأة كفاة، قد صلوا بالحرب وذاقوا سجالها، وشربوا مرار كؤوسها، وتجزعوا

(١) الزيادة عن مفتاح الأفكار (ص ٢٥٠) وغيره . (٢) الطعمة بالضم والكسر وجه الكسب

الطيب أو الخبيث . (٣) في مفتاح الأفكار وغيره : «بحيث ولايتك وفي الموضع الجارية» الخ .

غُصَّصَ دِرَّتِيهَا ؛ وَزَبَّتَهُمْ بِتَكَرُّرِ عَوَاطِفِهَا ، وَحَمَلْتَهُمْ عَلَى أَصْعَبِ مَرَاجِبِهَا ، وَذَلَّتَهُمْ بِثِقَافِ
 أَوْدِهَا . ثُمَّ أَنْتَقِيَهُمْ عَلَى عَيْنِكَ ، وَأَعْرِضْ كُرَاعَهُمْ بِنَفْسِكَ ؛ وَتَوَخَّ فِي أَنْتِقَائِكَ ظُهُورَ الْجَلَدِ ،
 وَشِهَامَةَ الْخُلُقِ ، وَكَيْالَ الْآلَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَقْبَلَ مِنْ دَوَابِّهِمْ إِلَّا الْإِنَاثَ مِنَ الْخَيْلِ الْمَهْلُوبَةِ ^(١) ،
 فَإِنَّهُنَّ أَسْرَعُ طَلِبَا ، وَأَنْجَى مَهْرَبَا ، وَأَلَيْنَ مَعْطَفَا ، وَأَبْعَدُ فِي الْمُحَوَّقِ غَايَةَ ، وَأَصْبَرُ فِي مَعْتَرِكِ
 الْأَبْطَالِ إِقْدَامَا . وَخُذْهُمْ مِنَ السَّلَاحِ بِأَبْدَانِ الدَّرُوعِ ، مَازِيَةَ الْحَدِيدِ ، شَاكَّةَ النَّسِجِ ، مِتْقَارِبَةَ
 الْحَلِاقِ ، مِتْلَاحِمَةَ الْمَسَامِيرِ وَأَسْوُقِ الْحَدِيدِ ، مُمَوَّهَةَ الرِّكْبِ ، مُحْكَمَةَ الطَّيْعِ خَفِيفَةَ الصَّوْغِ ؛
 وَسَوَاعِدَ طَبْعُهَا هِنْدِيَّ ، وَصَوْغُهَا فَارِسِيَّ ؛ رِقَاقِ الْمَعَاطِفِ بِأَكْفِّ وَاقِيَةِ وَعَمَلِ مُحْكَمِ .
 وَيَلْمِقِ الْبَيْضَ مُذْخَبَةً وَمَجْرَدَةً ، فَارِسِيَّةَ الصَّوْغِ ، خَالِصَةَ الْجَوْهَرِ ، سَابِغَةَ الْمَلْبَسِ ، وَاقِيَةَ ^(٢)
 الْجُنِّ ، مَسْتَدِيرَةَ الطَّيْعِ ، مُبْهَمَةَ السَّرْدِ ، وَاقِيَةَ الْوِزْنِ كَثْرِيكَ النِّعَامِ فِي الصَّنْعَةِ وَأَسْتِدَارَةَ ^(٣)
 التَّقْيِيبِ ، وَأَسْتَوَاءِ الصَّوْغِ ، مُعَلِّمَةَ بِأَصْنَافِ الْحَرِيرِ وَأَلْوَانِ الصَّبِغِ ؛ فَإِنَّمَا أَهْيَبُ لِعَدُوِّهِمْ ،
 وَأَفْتُ لِأَعْضَادِ مَنْ لَقِيَهُمْ ، وَالْمُعَلِّمُ مَحْشِيٌّ مَحْذُورٌ ، لَهُ بَيْدِيَّةٌ رَادِعَةٌ ، وَهِيَّةٌ هَائِلَةٌ ؛ مَعَهُمْ
 السِّيُوفُ الْهِنْدِيَّةُ ، وَذُكُورُ الْبَيْضِ الْإِيْمَانِيَّةُ ؛ رِقَاقِ الشَّقَرَاتِ ، مَسْنُونَةُ الشَّحْدِ ، مَشْطَبَةٌ ^(٤)
 الضَّرَائِبِ . مَعْتَدِلَةُ الْجَوْاهِرِ ، صَافِيَّةُ الصَّفَاحِ ؛ لَمْ يَدْخُلْهَا وَهْنُ الطَّيْعِ ، وَلَا عَابَهَا أَمْتُ ^(٥)
 الصَّوْغِ ، وَلَا شَانَهَا خِفَّةُ الْوِزْنِ ، وَلَا فَدَحَ حَامِلِهَا بِهِورُ الثَّقَلِ ؛ قَدْ أَشْرَعُوا لُدُنَ الْقَنَا ،
 طَوَالَ الْهُوَادِي ، مَقُومَاتِ الْأَوْدِ ، زُرُقِ الْأَسِنَّةِ ، مَسْتَوِيَةَ الثَّعَالِبِ ؛ وَمِيضُهَا مَتَوَقَّدٌ ،
 وَسِنْخُهَا مَتَلَهَّبٌ ، مَعَاقِصُ عَقْدِهَا مِتْجَوْتَةٌ ، وَوُصُومُ أَوْدِهَا مَقُومَةٌ ، وَأَجْنَامُهَا مِتْخَلِفَةٌ ،
 وَكُعُوبُهَا جَعْمَةٌ ، وَعُقْدُهَا حَبِكَةٌ ؛ شَطْبَةُ الْأَسْنَانِ ، مُمَوَّهَةُ الْأَطْرَافِ ، مَسْتَحِدَّةُ الْجَنَابَاتِ ،
 دِقَاقِ الْأَطْرَافِ ، لَيْسَ فِيهَا آتِيَاءُ أَوْدٍ ، وَلَا أَمْتُ وَصَمٍ ، وَلَا بَهَا مَسْقَطُ عَيْبٍ ، وَلَا عِنَّا

(١) المهلوبة : المتوفة الخلب ، وهو شعر الذنب أو الشعر كله . (٢) أى خالصة وحيدة .

(٣) اليلق : القبا المحشو . (٤) التريك : بيضة النعام خاصة ، ومنه قوله :

* وتلق بها بيض النعام ترانكا *

(٥) سيف شطب : ذو شطب وهي طرائقه التي في منته . (٦) الأمت : العوج والاختلاف .

(٧) الثعلب : طرف الرمح الداخل في جبة السنان . (٨) في مفتاح الأفكار وغيره : « وشحذها متلهب »

وسنخ النصل : الحديدية التي تدخل في رأس السهم . (٩) المعاقص : السهام المعوجة .

وقوع أُمّية؛ مُسْتَحْقِي كَثَائِرِ النَّبْلِ وَوَيْسَى الشُّوْحَطِ^(١) وَالنَّبَعِ؛ أَعْرَابِيَّةَ التَّعْقِيبِ ، رُومِيَّةَ النَّصُولِ ، مَسْمُومَةَ الصَّوْغِ؛ وَلِتَكُنَّ سِهَامَهَا عَلَى نَحْمِيسِ قَبَضَاتِ سِوَى النَّصُولِ ، فَإِنَّهَا أَبْلَغُ فِي الْغَايَةِ ، وَأَنْفَذُ فِي الدَّرُوعِ ، وَأَشَكَّ فِي الْحَدِيدِ؛ سَامِطِينَ^(٢) حَقَائِمَهُمْ عَلَى مُتُونِ خِيُولِهِمْ ، مُسْتَحْفِينَ مِنَ الْآلَةِ وَالْأَمْتَةِ وَالزَّادِ ، [إِلَّا مَا لَا غَنَاءَ بِهِمْ عَنْهُ] .

وَأَحْذَرُ أَنْ تَكِلَ مَبَاشِرَةَ عَرَضِهِمْ وَأَتَخَّاهِمُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ أَعْوَانِكَ وَتَكَابِكَ : فَإِنَّكَ إِنْ وَكَلْتَهُ إِلَيْهِمْ أَضَعْتَ مَوَاضِعَ الْحَزْمِ ، وَفَرَطْتَ حَيْثُ الرَّأْيِ ، وَوَقَفْتَ دُونَ عِزْمِ الرُّومِيَّةِ ، وَدَخَلَ عَمَلُكَ ضِيَاعُ الْوَهْنِ ، وَخَلَصَ إِلَيْكَ عَيْبُ الْمَحَابَةِ ، وَنَالَهُ فَسَادُ الْمُدَاهَنَةِ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ مِنْ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ طَلِيعَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا عُدَّةً وَلَا حِصْنَ يَدْرِيُونَ بِهِ ، وَيَكْتَهِفُونَ بِمَوْضِعِهِ . وَالطَّلَائِعُ حِصُونُ الْمُسْلِمِينَ وَعِيُونُهُمْ ، وَهَمُّ أَوَّلِ مَكِيدَتِكَ ، وَعُرْوَةُ أَمْرِكَ ، وَزِمَامُ حَرْبِكَ . فَلَئِنْ آتَعْنَاؤُكَ بِهِمْ ، وَأَتَقَاؤُكَ إِيَّاهُمْ بِحَيْثُ هُمْ مِنْ مُهَمِّ عَمَلِكَ ، وَمَكِيدَةِ حَرْبِكَ ؛ ثُمَّ أَتَجَبَّ لِلْوِلَايَةِ عَلَيْهِمْ رَجُلًا بَعِيدَ الصَّوْتِ ، مَشْهُورَ الْأَسْمِ ، طَاهِرَ الْفَضْلِ ، نَبِيهَ الذِّكْرِ ؛ لَهُ فِي الْعَدُوِّ وَقَعَاتٌ مَعْرُوفَاتٌ ، وَأَيَّامٌ طَوَالٌ وَصَوْلَاتٌ مُتَقَدِّمَاتٌ ؛ قَدْ عُرِفَتْ نَكَائِشُهُ ، وَحُذِرَتْ شَوْكَتُهُ ، وَهَيْبَ صَوْتِهِ ، وَتَشَكَّبَ لِقَاؤُهُ ؛ أَمِينَ السَّرِيرَةِ ، نَاصِحَ الْجَيْبِ ؛ قَدْ بَلَوْتَ مِنْهُ مَا يُسَيِّئُكَ إِلَى نَاحِيَّتِهِ : مِنْ لِينِ الطَّاعَةِ ، وَخَالِصِ الْمَوَدَّةِ ، وَرَكَانَةِ الصَّرَامَةِ ، وَغُلُوبِ الشَّمَاهَةِ ، وَأَسْتِجَاعِ الْقُوَّةِ ، وَحَصَافَةِ التَّدْيِيرِ . ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِي حَسَنِ سِيَاسَتِهِمْ ، وَأَسْتِزَالَ طَاعَتِهِمْ ، وَاجْتِلَابِ مَوَدَّاتِهِمْ وَأَسْتِعْذَابِ ضَمَائِرِهِمْ ؛ وَأَجْرٍ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ أَرْزَاقًا تَسْعُهُمْ ، وَتُمَدُّ مِنْ أَطْعَامِهِمْ سِوَى أَرْزَاقِهِمْ فِي الْعَامَّةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْقُوَّةِ لَكَ عَلَيْهِمْ ، وَالْأَسْتِنَامَةِ إِلَى مَا قَبْلَهُمْ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُمْ فِي أَهَمِّ الْأَمَاكِنِ لَكَ ، وَأَعْظَمِهَا غَنَاءً عَنْكَ وَعَمَّنْ مَعَكَ ، وَأَقْعَمِهَا كَبْتَنَا مُحَادِّدَكَ ، وَأَشْجَاهَا غِيظًا لِعَدُوِّكَ : وَمَنْ يَكُنْ فِي الثَّقَةِ ، وَالْجَلْدِ ، وَالْبَأْسِ ، وَالطَّاعَةِ ، وَالْقُوَّةِ ، وَالنَّصِيحَةِ وَالْعُدَّةِ ، وَالنَّجْدَةِ حَيْثُ وَصَفَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمْرَكَ بِهِ ، يَضَعُ عَنْكَ مَوْنَةَ الْهَمِّ ، وَيُرِيحُ

(١) الشوحط : شجر تتخذ منه القسي . (٢) الزيادة عن مفتاح الأفكار (ص ٢٥١) .

(٣) يقال : فلان ناصح الجيب يراد بذلك قلبه وصدوره أي أمين .

من خناقك روع الخوف ، وتلتجئ إلى أمرٍ منيع ، وظهر قوي ، ورأي حازم ، تأمن به
بجآت عدوك ، وغرابت بغتاتهم ، وطوارق أحداثهم ؛ ويصير إليك علم أحوالهم ، ومتقدّمات
خيولهم ؛ فاتتخيم رأي عين ، وقوهم بما يصلحهم من المنالط والأطاع والأرزاق ، وأجعلهم
منك بالمنزل الذي هم به من محارز علاقتك ، وحصانة كهوفتك ، وقوة سياره عسكريك .
وإياك أن تدخل فيهم أحدا بشفاعه ، أو تحتمله على هواده ، أو تقدمه لأثرة ؛ أو أن يكون
مع أحد منهم بغل نغل^(١) ، أو فضل من الظهر ، أو ثقل فادح ، فتشتد عليهم مؤونة أنفسهم ،
ويدخلهم كلال السامة فيما يعالجون من أقطامهم ، ويستغلون به عن عدوهم إن دهمهم منه
رائع ؛ أو يخافهم منه طليعة . فنفق ذلك محكاً له ، وتقدم فيه آخذا بالحزم في إرضائه ؛
أرشدك الله لإصابة الحظ ، ووفقت ثمن التدير ، وقصد بك لأسهل الرأي وأعوذ نفعاً
في العاجل والآجل ، وأكتبه لعدوك وأشجاء لهم ، وأردعه لعاديتهم .

ول دراجة عسكريك وإخراج أهله إلى مصافهم ومرأكرهم رجلاً من أهل بيوتات
الشرف ، محمود الخبرة ، معروفاً بالتجدة ، ذا سن وتجربة ، لين الطاعة ، قديم النصيحة ،
مأمون السريرة ، له بصيرة بالحق نافذة تقدمه ، ونية صادقة عن الإدهان تحجزه . وأصم
إليه عدة نفر من ثقات جنديك وذوي أسنانهم يكونون شرطة معه ؛ ثم تقدم إليه في إخراج
المصاف ، وإقامة الأحراس وإذكاء العيون ، وحفظ الأطراف ، وشدة الحدّر ؛ ومرة
فليضج القواد بأنفسهم مع أصحابهم في مصافهم ، كل قائد بإزاء مكانه ، وحيث منزله ،
قد سد ما بينه وبين صاحبه بالرماح شارعة ، والترسة موضونة^(٢) ، والرجال راصدة ، ذاكية
الأحراس ، وجلة الروع ، خائفة طوارق العدو وبياته . ثم مره فليخرج كل ليلة قائداً
في أصحابه أو عدة منهم إن كانوا كثيراً ، على غلوة أو آنتين من عسكريك ، متبداً عنك محيطاً
بمنزلك ، ذاكية أحراسه ، قلفة التردد ، مفرطة الحدّر ، معدة للزوع ، متأهبة للقتال ، آخذة
على أطراف المعسكر ونواحيه ، متفرقين في اختلافهم كدوسا كدوسا ؛ يستقبل بعضهم بعضاً

(١) النغل محرّكة: الغنيمه والهبة . (٢) الثقل: متاع المسافرين . (٣) الإدهان: المداهنة وهي أن يظهر

الانسان خلاف ما يبطن . (٤) الترسه موضونه: أي منسوجة حلقين حلقين . (٥) أي كنية كنية .

[في الاختلاف ^(١)] وَيَكْسَعُ تَالٍ مُتَقَدِّمًا فِي التَّرَدُّدِ ؛ وَاجْعَلْ ذَلِكَ بَيْنَ قُوَادِكِ وَأَهْلِ عَسْكَرِكَ نَوْبًا مَعْرُوفَةً ، وَحِصَصًا مَفْرُوضَةً ، لَا تُعْرِ مِنْهَا مُزْدَلِفًا مِنْكَ بِمَوَدَّةٍ ، وَلَا تَحْمَلْ فِيهِ عَلَى أَحَدٍ بِمَوْجِدَةٍ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَوَضَّ إِلَى أَمْرَاءِ أَجْنَادِكَ وَقُوَادِ خَيْلِكَ أُمُورَ أَصْحَابِهِمْ ، وَالْأَخَذَ عَلَى قَافِيَةِ أَيْدِيهِمْ ، رِيَاضَةً مِنْكَ لَهُمْ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَمْرَائِهِمْ ، وَالْإِتِّبَاعِ لِأَمْرِهِمْ ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ نَهْيِهِمْ ؛ وَتَقَدَّمَ إِلَى أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ فِي النُّوَابِثِ الَّتِي أَلْزَمْتَهُمْ إِيَّاهَا ، وَالْأَعْمَالِ الَّتِي آسْتَجَدَّتْهُمْ لَهَا ، وَالْأَسْلِحَةِ وَالْكِرَاعِ الَّتِي كَتَبْتَهَا عَلَيْهِمْ ؛ وَاحْدَرَّ اعْتِلَالَ أَحَدٍ مِنْ قُوَادِكَ عَلَيْكَ بِمَا يَحْوِلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ تَأْدِيبِ جُنْدِكَ ، وَتَقْوِيمِهِمْ لَطَاعَتِكَ ، وَقَمْعِهِمْ عَنِ الْإِخْلَالِ بِمَرَاكِمِهِمْ لَشَيْءٍ مِمَّا وَكَلُوا بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ؛ فَإِنْ ذَلِكَ مَفْسُدَةٌ لِلْجُنْدِ ، مَفْتَأَةٌ لِلْقُوَادِ ^(٢) عَنِ الْحَدِّ وَالْإِيثَارِ لِلْمُنَاصِحَةِ ، وَالتَّقَدُّمِ فِي الْأَحْكَامِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ فِي اسْتِخْفَافِهِمْ بِقُوَادِهِمْ وَتَضْيِيعِهِمْ أَمْرَ رُؤْسَائِهِمْ دُخُولًا لِلضِّيَاعِ عَلَى أَعْمَالِكَ ، وَاسْتِخْفَافًا بِأَمْرِكَ الَّذِي يَأْتَمِرُونَ بِهِ وَرَأْيِكَ الَّذِي تَرْتَبِي . وَأَوْعِزْ إِلَى الْقُوَادِ أَلَّا يُقَدِّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى عَقُوبَةِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، إِلَّا عَقُوبَةَ تَأْدِيبٍ فِي تَقْوِيمِ مَيْلٍ ، وَتَتَقِيفِ أَوْدَ ؛ فَأَمَّا عَقُوبَةُ تَبْلُغٍ تَلْفِ الْمُهْجَةِ ، وَإِقَامَةُ حَدٍّ فِي قَطْعٍ ، أَوْ إِفْرَاطٍ فِي ضَرْبٍ ، أَوْ أَخْذُ مَالٍ ، أَوْ عَقُوبَةُ فِي شَعَرٍ ، فَلَا يَلِيَنَّ ذَلِكَ مِنْ جُنْدِكَ أَحَدٌ غَيْرُكَ ، أَوْ صَاحِبُ شُرْطَتِكَ بِأَمْرِكَ وَعَنْ رَأْيِكَ وَإِذْنِكَ ؛ وَمَتَى لَمْ تُدَلِّلِ الْجُنْدَ لِقُوَادِهِمْ ، وَتَضْرِعَهُمْ لِأَمْرَائِهِمْ ؛ تُوَجِّبْ لَهُمْ عَلَيْكَ الْحِجَّةَ بِتَضْيِيعِ - إِنْ كَانَ مِنْهُمْ - لِأَمْرِكَ ، أَوْ خَلَلَ - إِنْ تَهَاوَنُوا بِهِ - مِنْ عَمَلِكَ ، أَوْ عَجَزِ - إِنْ فَرَطَ مِنْهُمْ - فِي شَيْءٍ مِمَّا وَكَلْتَهُمْ بِهِ أَوْ أَسْنَدْتَهُ إِلَيْهِمْ ؛ وَلَا تَجِدْ إِلَى الْإِقْدَامِ عَلَيْهِمْ بِاللُّومِ وَعَضِّ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِمْ حِجَازًا تَصِلُ بِهِ إِلَى تَعْنِيْفِهِمْ ، بِتَفْرِيطِكَ فِي تَذْلِيلِ أَصْحَابِهِمْ لَهُمْ ، وَإِسَادِكَ إِيَّاهُمْ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ . فَانظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا مُحْكَمًا ، وَتَقَدَّمَ

(١) الزيادة عن مفتاح الأفكار (ص ٢٥٢) . (٢) أى يقعد بهم عن الجدد الخ .

فيه برقتك تقدماً بليغاً؛ وإياك أن يدخل حزمك وهن، أو يشوب عزمك إثارة، أو يخالط رأيك ضياع؛ والله يستودع أمير المؤمنين نفسه ودينك .

إذا كنت من عدوك على مسافة دانية وسنن لقاء مختصر، وكان من عمرك مقترباً قد شامت طلائعك مقدمات ضلالتة وحماة فتته، فتأهب أهبة المناجز، وخذ أعتداد الحذر، وكتب^(١) خيولك، وعب جندك . وإياك والمسير إلا في مقدمة وميمنة وميسرة وساقية، قد شهبوا الأسلحة، ونشروا البنود والأعلام . وعرف جندك مراكزهم سائر تحت ألويتهم قد أخذوا أهبة القتال، وأستعدوا للقاء؛ ملتجئين إلى موافقهم، عارفين بمواضعهم في مسيرهم ومعسكرهم . وليكن تحلهم وتنزهم على راياتهم وأعلامهم وفي مراكزهم، قد عرف كل قائد منهم أصحابه موافقهم : من الميمنة والميسرة والقلب والساقية والطبيعة، لازمين لها، غير مخلين بما أستجدوا له، ولا متهاونين فيما أهب بهم إليه؛ حتى تكون عساكرك في منهل تصل إليه، ومسافة تختارها، كأنها عسكر واحد في اجتماعها على العدو، وأخذها بالحزم، ومسيرها على راياتها، ونزولها في مراكزها، ومعرفة مواضعها : إن ضلت دابة من مواضعها، عرف أهل العسكر من أي المراكز هي، ومن صاحبها، وفي أي المحل حلوله منها، فردت إليه، هداية معروفة ستمت صاحب قيادتها؛ فان تقدمك في ذلك وإحكامك له طارح عن جندك مؤونة الطلب، وعناية المعرفة، وأبتغاء الضالة .

ثم اجعل على ساقنتك أوثق أهل عسكرك في نفسك صرامة ونفاذا ورضا في العاقبة، وإنصافاً من نفسه للرعية، وأخذاً بالحق في المعدلة، مستشعراً تقوى الله وطاعته؛ أخذاً بهديك وأدبك، وابقاً عند أمرك ونهيك، معتزماً على مناصحتك وتزيتك، نظيراً لك في الحال، وشيهاً بك في الشرف، وعديلاً في الموضع، ومقاربا في النسب؛ ثم أكثف معه الجمع، وأيدّه بالقوة، وقوه بالظهور، وأعنه بالأموال، وأعمده بالسلح، وممره بالتعطف على ذوي الضعف من جندك ومن أزحفت به دابته وأصابته نكبة : من مريض أو رجلة أو آفة^(٢)،

(١) كتب الجيش أو الخيل : جعلها كتاب . (٢) في مفتاح الأفكار وغيره : « في الصيت » .

(٣) الرجلة بالضم : أن يسكو رجله وقد رجل كفرح أصابه في رجله ما يكره .

من غير أن يأذن لأحدٍ منهم في التنجى عن عسكره، أو التخلُّف بعد ترحله، إلا للمجهودِ سَقَبًا، أو لمطروقٍ بأفَةٍ جائحةٍ . ثم تقدّم إليه محذرا، ومُرّه زاجرا، وأَنه مُغِلِّظا في الشدّة على من مرّ به منصرفًا عن معسكرك من جنسك بغير جوازك، شادًا لهم أسرًا، وموقرهم حديدًا، ومُعاقِبهم مُوجِعًا، وموجّههم إليك فتنهكهم عقوبةً، وتجعلهم لغيرهم من جنسك عِظَةً .

وأعلم أنه إن لم يكن بذلك الموضع من تسكن إليه واثقًا بنصيحتته قد بلوت منه أمانةٌ تُسَكِّك إليه، وصرامةٌ تُؤمّنك مهانته، ونفاذًا في أمرك يُرَبِّحِي عنك خِناق الخوف في إضاعته — لم يَأمن أمير المؤمنين تسأل الجند عنك لوأذا^(١)، ورَقَضَهُم مراكرهم، وإخلاقهم بمواضعهم، وتخلّفهم عن أعمالهم، آمنين تغيير ذلك عليهم، والشدّة على من آجترمه منهم، فأوشك ذلك في وهنك، وخذل من قوتك، وقلل من كثرتك .

اجعل خلف ساقبتك رجالا من وجوه قوادك، جليدا، ماضيا، غفيا، صارما، شهما الرأي، شديد الحذر، شيكيم القوة، غير مُداهن في عقوبة، ولا مهين في قوّة، في خمسين فارسا يحشُر إليك جنسك، ويلحق بك من تخلّف عنك بعد الإبلاغ في عقوبتهم، والنهك لهم، والتنكيل بهم . وليكن بعقوتك في المنزل الذي ترحل عنه، والمنهل الذي تنقوض منه، مُفْرِطًا في النقيض له، والتثبّع لمن تخلف عنك به، مشتدا في أهل المنزل وساكبه بالتقدّم، موعزا اليهم في إزعاج الجند عن منازلهم، وإخراجهم عن مكائهم، وإبعاد العقوبة الموجهة والنكال المُبْسِل في الأشعار والأبشار، وأسْتِصْفَاءِ الأموال وهدم العقار لمن آوى منهم أحدا أو ستر موضعه، أو أخفى محله . وحدّره عقوبتك إياه في الترخيص لأحد، والمحابة لذي قرابة، والأختصاص بذلك لذي أثره وهوادة . ولتكن فرسانه متخّين في القسوة، معروفين بالنجدة، عليهم سوايغ الدروع دونها شعار الحشو وجبب الاستجنان، متقلّدين سيوفهم، سامطين كتابتهم، مستعدين لهيج إن بدّهم [أو كمين إن يظهر لهم]^(٤) . وإياك

(١) لوأذا : مراوغة أى مستحقين يستر بعضهم ببعض . (٢) العقوة : ما حول الدار أو ساحته .

(٣) سامطين : معاقين . (٤) الزيادة عن مفتاح الأفكار وغيره .

أن تقبل منهم في دوابهم إلا فرسا قويا أو بردونا^(١) وثيجا : فإن ذلك من أقوى القوى لهم ، وأعون الظهري على عدوهم ، إن شاء الله .

ليكن رحيلك إبانا واحدا ، ووقتا معلوما : لتخف المؤونة بذلك على جنديك ، ويعلموا أن رحيلهم ، فيقدموا فيما يريدون من معالجة أطعمتهم ، وأعلاف دوابهم ، وتسكن قلوبهم الى الوقت الذي وقفوا عليه ، ويطمئن ذوو الرأي الى إبان الرحيل . ومتى يكن رحيلك مختلفا ، تعظم المؤونة عليك وعلى جنديك ولا يزال ذوو السقه [والترق] يترحلون بالإرجاف ويتزلون بالتوهم ، حتى لا ينتفع ذو رأي بنوم ولا طمأينة .

إياك أن تظهر استقلالا ، أو تنادي برحيل من منزل تكون فيه ، حتى تأمر صاحب تعبثك بالوقوف بأصحابه على معسكرك أخذا بحبتي فوهته ، بأسلحتهم عدة لأمر إن حضر أو مفاجأة من طليعة للعدو إن رأت منكم نهزة ، أو تحت عندكم غرة . ثم أمر الناس بالرحيل وخيلك واقمة ، وأهبتك معدة ، وجنتك واقية ، حتى إذا استقلتم من معسكركم ، وتوجهتم من منزلكم ، سرتتم على تعبثكم بسكون ريح ، وهدو حمله ، وحسن دعة . فاذا انتهيت الى منزل أردت نزوله أو هممت بالمعسكر به ، فإياك ونزوله إلا بعد العلم بأهله ، والمعرفة بمرآفته ؛ وممر صاحب طليعتك أن يعرف لك أحواله ، ويستشيرك علم دينه ، ويستيطن علم أموره ثم ينهيها اليك على ما صارت اليه : لتعلم كيف احتماله لعسكرك ، وكيف مأوه وأعلافه وموضع معسكرك منه ، وهل لك — إن أردت مقاما به ، أو مطاولة عدوك أو مكايده فيه — قوة تحملك ومدد يأتيه ؛ فإنك إن لم تفعل ذلك ، لم تأمن أن تهجم على منزل يعجزك ويزعجك عنه ضيق مكانه ، وقلة مياهه ، وانقطاع مآذيه ، إن أردت بعدوك مكيدة ، أو أحتجت من أمورهم الى مطاولة ، فإن ارتحلت منه كنت غرضا لعدوك ، ولم تجد الى المحاربة والإخطار سبيلا ؛ وإن أقت به أقت على مشقة وحصر وفي أزل

(١) بردونا وثيجا : كثير اللحم .

(٢) كذا في صبح الأعشى (ج ١٠ ص ٢٢٦) ولعل فيه تحريفا صوابه : قوة تصلك ومدد يأتيك .

وضيق ، فاعترف ذلك وتقدم فيه . فإن أردت نزولاً أمرت صاحب الخيل التي وكتت بالناس فوقفت خيله متنجية من معسكرك ، عُدَّةً لأمرٍ إن غالك ، ومفزعاً لبيدته إن راعتك ، فقد أمنت بحمد الله وقوته بخاة عدوك ، وعرفت موقعها من حركك ، حتى يأخذ الناس منازلهم ، وتوضع الأثقال مواضعها ، ويأتيك خبر طلائعك ، وتخرج دبابتك من معسكرك دراجةً ودباباً يحيطين بمعسكرك ، وعُدَّةً إن احتجت إليها . ولتكن دبابات جندك أهل جلد وقوة ، فائداً أو اثنين أو ثلاثة بأصحابهم ، في كل ليلةٍ ويومٍ نوباً بينهم . فاذا غربت الشمس ووجب نورها ، أنحرجه اليهم صاحب تعينتك أبدالهم ، عَسَساً بالليل في أقرب من مواضع دبابي النهار ، يتعاون ذلك قوادك جميعاً بلا محاباةٍ لأحدٍ فيه ولا إدهان .

إياك وأن يكون متزكلاً إلا في خندقٍ وحصنٍ تأمن به بيأت عدوك وتستقيم فيه إلى الخزم من مكيدتك . إذا وضعت الأثقال وحطت أبنية أهل العسكر ، لم يمدد طنبٌ ، ولم يرفع خباء ، ولم ينصب بناء حتى تقطع لكل قائد ذرعاً معلوماً من الأرض بقدر أصحابه ، فيحفروه عليهم خندقاً يطيفون به بعد ذلك بخنادق الحسك^(٢) ، طارحين لها دون أشجار الرماح ، ونصب الترسمة ، لها بابان قد وكتت بحفظ كل باب منهما رجلاً من قوادك في مائة رجلٍ من أصحابه ، فإذا فرغ من الخندق كان ذانك الرجلان القائدان بمن معهما من أصحابهما أهل ذلك المركز ، وموضع تلك الخيل ، وكانوا هم البوابين والأحراس لذانك الموضوعين ، قد كفوهما وضبطوهما وأعفوا من أعمال العسكر ومكروهه غيرهما .

وأعلم أنك إذا كنت في خندق ، أمنت بإذن الله وقوته طوارق عدوك وبغنائهم ، فإن راموا تلك منك ، كنت قد أحكمت ذلك وأخذت بالخزم فيه ، وتقدمت في الإعداد له ، ورتقت مخوف الفتق منه ؛ وإن تكن العافية استحققت حمد الله عليها ، وأرتبطت شكره بها ، ولم يضررك أخذك بالخزم : لأن كل كلفة ونصب ومؤونة إنفاق ومشقة عمل مع

(١) أي ذهب وغاب . (٢) الحسك : أسلاك كالشوك تعمل من الحديد تلقى حول المعسكر لتشتب

في رجل من يدوسها من الخيل والناس الطارقين له ، وهي المعروفة الآن : « بالاسلاك الشائكة » .

السلامة غمٌ وغير خطرٍ بالعاقبة، إن شاء الله . فإن آبتليت بيات عدوك أو طرقت رايحا في ليك، فليلقك حذراً مشمراً عن سافك، حاسراً عن ذراعك، متشزناً^(١) لحربك؛ قد تقدمت دزاجتك إلى مواضعها على ما وصفه لك أمير المؤمنين، ودبابتك في أوقاتها التي قدر لك، وطلاعتك حيث أمرك، وجندك على ما عبأ لك، قد خطرت عليهم بنفسك؛ وتقدمت إلى جندك، إن طرقتهم طارق أو فاجأهم عدو، ألا يتكلم منهم أحد رافعاً صوته بالتكبير مغرقاً في الإجلاب، مُعلناً بالإرهاب لأهل الناحية التي يقع بها العدو طارقاً، وليشرعوا رماحهم ناشيين بها في وجوههم، ويرشقوهم بالنبل مكتنين بترسهم، لآزمين لمراكزهم، غير مُزيلي قدم عن موضعها، ولا متجاوزين إلى غير مراكزهم، وليكبروا ثلاث تكبيرات متواليات وسائر الجند هادون، لتعرف موضع عدوك من معسكرك، فتمد أهل تلك الناحية بالرجال من أعوانك وشرطتك، ومن آتختب قبل ذلك عدةً للشدائد بحضرتك، وتدس إليهم النشاب والرمح .

وإياك وأن يشهروا سيفاً يتجالدون به، وتقدم إليهم ألا يكون قتالهم في تلك المواضع لمن طرفهم إلا بالرمح مُسندين لها إلى صدورهم، والنشاب راشقين به وجوههم؛ قد ألدوا بالآترسة، وأستجنوا بالبيض، وألقوا عليهم سوايغ الدروع وجباب الحشو . فإن صد العدو عنهم حاملين على جهة أخرى، كبر أهل تلك الناحية التي يقع فيها كفعل الناحية الأولى، وبقية العسكر سكوتاً والناحية التي صد عنها العدو لازمةً مراكرهم من منطقة الهدو ساكنةً الريح، ثم عملت في تقويتهم وإمدادهم بمثل صنيعك في إخوانهم .

وإياك أن تُخذ نار رواقك؛ وإذا وقع العدو في معسكرك فأججها ساعراً لها وأوقدها حطباً جراً يعرف به أهل العسكر مكانك وموضع رواقك، فيسكن نافر قلوبهم، ويقوى واهي قوتهم، ويستند منخذل ظهورهم، ولا يربحون بك الظنون، ويعلمون لك آراء

(١) منشزناً : متجهزاً .

السوء، ويُجفون بك آتاء الخوف؛ وذلك من فعلك راد عدوك بغیظه لم يستفیل منك ظُفراً، ولم يسلغ من نكابتك سرورا. وإن أنصرف عنك عدوك ونكّل عن الإصابة من جندك وكانت بجيالك قوةً على طلبه أو كانت لك من فرسانك خيلٌ معدّةٌ وكتيبةٌ متخّبةٌ، [و] قدرت على أن تركبَ بهم أكساءهم^(١)، وتحملهم على سنّهم؛ فأتبعهم جريدة خيل عليها الثقات من فرسانك وأولو النجدة من حماك؛ فإنك ترهق عدوك^(٢) وقد أمن من بيأتك، وشغل بكلاله عن التحرز منك والأخذ بأبواب معسكره والضبط لمخارسه عليك، مؤهنةً حماهم لغيبة أبطالهم: لما ألقوكم عليه من التشمير والحد، قد عقر الله فيهم، وأصاب منهم، وجرح من مقاتلتهم، وكسر من أمانى ضلالهم، ورد من مستعلي حماهم.

وتقدّم إلى من تُوجّهه في طلبهم، وتُدبّه أكساءهم: في سكون الريح، وقلة الرقت، وكثرة التسيج والتهيل، وأستنصار الله عز وجل بالسنتهم وقلوبهم سراً وجهراً، بلا لحبّ صحبة، ولا ارتفاع ضوضاء، دون أن يردوا على مطلبهم، ويتبرّزوا فرصهم. ثم ليشهروا السلاح، ويتضّوا السيوف، فإن لها هيئةً رائعة، وبديهةً مخوفةً، لا يقوم لها في بهمة الليل وحندسه إلا البطل المحارب، وذو البصيرة المحامي، والمستميم المقاتل، وقليل ما هم عند تلك الحمية وفي ذلك الموضع.

ليكن أول ما نتقدّم به في التهيؤ لعدوك، والأستعداد للقاءه، آتخابك من فرسان عسكرك وحماة جندك ذوى البأس والحنكة والجلد والصرامة، ممن قد اعتاد طراد الكفاة، وكشّر عن ناجذه في الحرب، وقام على ساق في منازلة الأقران، تقف الفروسية، مجتمع القوة، مستحصّد الميرية، صبوراً على هول الليل، عارفاً بمناهزة الفرس؛ لم تمهته الحنكة ضعفاً، ولا بلغت به السن كلالاً، ولا أسكرته غمرة الحدائث جهلاً، ولا أبطرتة نجدة الأعمار صلفاً، جريئاً على مخاطرة التآف، مُقديماً على أذراع الموت، مكابراً لمهيب الهول، متفحماً مخشياً الخوف، خائضاً غمرات المهالك؛ برأى يؤيده الحزم، ونية لا يُخالجها الشك،

(١) الأكساء: الأبار، واحدها كس. (٢) ترهق عدوك: تمشاه.

وأهواء مجتمعة، وقلوب مؤتلفة؛ عارفين بفضل الطاعة وعزها وشرها، وحيث محل أهلها من التأيد والظفر والتسكين؛ ثم أعرضهم رأى عين على كراعتهم وأسلحتهم. ولتكن دوابهم إناث عناق الخيل، وأسلحتهم سوايغ الدروع وكال آلة المحارب، متقلدين سيوفهم المستخلصة من جيد الجوهر وصافي الحديد، المتخيرة من معادن الأجناس، هندية الحديد يمانية الطبع، رفاق المضارب، مسمومة الشحذ، مشطبة الضريبة؛ ملبدين بالترسة الفارسية، صينية التعقيب، معلمة المقايض بحلق الحديد، أنحاؤها مربعة، ومخارزها بالتجلد مضاعفة، مجملها مستخف؛ وكان النبل وجعاب القيسى قد استحقبوها، وقيسى الشريان والنبع أعرابية الصنعة، مختلفة الأجناس، محكمة العمل، مقومة التنقيف؛ ونصول النبل مسمومة، وعملها مضيضي، وتركيبها عراقي، وتريشها بدوي؛ مختلفة الصوغ في الطبع، شتى الأعمال في التشطيب والتجنيح والإستدارة. ولتكن الفارسية مقبولة المقايض، منبسطة السية، سهلة الإعطاف، مقربة الأئحاء، ممكنة المرعى، واسعة الأسمم؛ فرضها سهلة الورد، ومعاطفها غير مقتربة المواتاة. ثم ول على كل مائة رجل منهم رجلاً من أهل خاصتك وثقاتك ونصحاتك، له صيت في الرياسة، وقدم في السابقة، وأولية في المشايعة. وتقدم إليه في ضبطهم، وكف معرتهم، وأستتزال نصائحهم، وأستعداد طاعتهم، وأستخلاص ضمائرهم، وتعاهد كراعتهم وأسلحتهم: معنيا لهم من النوايب التي تلزم أهل عسرك وعامة جندك؛ وأجعلهم عدة لأمر إن حربك، أو طارق إن أتاك؛ ومرهم أن يكونوا على أهبة معدة، وحدد نافع لينة العفلة عنهم؛ فإنك لا تدري أى الساعات من ليلك ونهارك تكون إليهم حاجتك. فليكونوا كرجل واحد في التشمير والترادف وسرعة الإجابة؛ فإنك عسيت ألا تجد عند جماعة جندك في مثل تلك الروعة والمباغثة — إن أحتجت إلى ذلك منهم — معونة كافية، ولا أهبة معدة. بل ذلك كذلك فليكن هؤلاء القوم الذين تنتخب عدتك وقوتك، بعوناً قد وظفتها على القواد الذين وليتهم أمورهم، فسميت أولاً وثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً وسادساً؛ فإن آكتفيت فيما يطرقك ويسدحك

ببَعثٍ واحد، كان مُعدًّا لم تتحج إلى آتخابهم في ساعتك تلك، ففَطَّعَ البعثَ عليهم عند ما يَرَهُكَ . وإن آحتجت إلى اثنين أو ثلاثة، وجَّهتَ منهم إرادتك أو ما ترى قوتك، إن شاء الله .

وكُلُّ بخزائنك ودواوينك رجالاً ناصحاً أميناً، ذا ورَعٍ حارِجٍ، ودينٍ فاصِلٍ، وطاعة خالصة، وأمانة صادقة؛ وأجعل معه خيلاً يكون مَسِيرَها ومَترِلَها ومرَّحَلِها مع خزانَتِكَ وحوطِها . وتقدِّم إليه في حِفْظِها، والتسوقِ عليها، وآتِها مَ كُلِّ من تُسند إليه شيئاً منها على إضاعته والتهاونِ به، والشدة على من دنا منها في مَسِيرِ، أو ضامَّها في منزل، أو خالطها في مَنهل . وليكن عاقبة الجند والجنود والجيش — إلا من استخلصت لِسِيرِ معها — متَّحِجِينَ عنها، مجانبين لها في المَسِيرِ والمَترِلِ؛ فانه ربما كانت الجَوْلَةُ وحدتِ الفِرْعَةَ، فان لم يكن للخزائن ممن يُوكَلُّ بها أهلٌ حِفْظُ لها وذَبُّ عنها، وحياطةٌ دونها، وقوَّةٌ على من أراد آتِها، أسرع الجند إليها وتداعوا نحوها، حتى يكاد يترامى ذلك بهم إلى آتِها العسكِرِ وأضِطرابِ الفتنة؛ فإن أهلَ الفِتنِ وسوءِ السيرة كثير، وإنما همَّتْهم الشرِّ؛ فإياك أن يكون لأحد في خزائنك ودواوينك وبيوت أموالك مطمع، أو يجيد سبيلاً إلى آغتيالها ومرزأتها .

واعلم أن أحسن مكيديتك أثرًا في العامة، وأبعدها صينًا في حسن القالة؛ مانلت الظفر فيه بجزم الروية، وحسن السيرة، ولطف الحيلة . فلتكن رويُّتك في ذلك وحِرْصُك على إصابته بالحيل لا بالقتال وأخطارِ التاف؛ وأدسُّس إلى عدوك، وكاتب رؤساءهم وقادتهم وعِدْمُ المَنالِ، ومنهم الولايات، وسوغهم الترائث، وضع عنهم الإحن، وأقطع أعناقهم بالمطامع، وأستدعهم بالمناوب؛ وآملًا قلوبهم بالترهيب إن أمكنتك منهم الدوائر، وأصارتهم إليك الرواجع؛ وأدعهم إلى الوثوب بصاحبهم أو آعتراله إن لم يكن لهم بالوثوب عليه طاقة؛ ولا عليك أن تطرح إلى بعضهم كتبًا كأنها جوابُ كتبٍ لهم إليك، وتكتب على ألسنتهم كتبًا إليك تدفعها إليهم وتحمِّلُ بها صاحبهم عليهم، وتترطم عنده بمنزلة التهمة ومحلَّ

الظَّنة ، ففعل مَكِيدَتَكَ في ذلك أن يكون فيها أَفْرَاقُ كلمتهم ، وتَشَيَّبَتْ جماعتهم ، وإحْنُ قلوبهم ، وسوءُ الظنِّ مِنَ واليهم بهم ، فيوحشهم منه خوفهم إِيَّاهُ على أَنفُسِهِمْ إذا أيقنوا بآتِهامه إِيَّاهُمْ ؛ فان بَسَطَ يَدَهُ فقتلهم ، وأولغ سَيْفَهُ في دِمَائِهِمْ ، وأسرع الوثوبَ بِهِمْ ، أشعرهم جميعاً الخوف ، وشَمِلَهُم الرُّعبُ ، ودعاهم إِلَيْكَ الهَرَبُ ، فتهافتوا نَحْوَكَ بالنصيحة وأموك بالطلب . وإن كان متأنياً محتملاً رجوت أن يستميل إِلَيْكَ بعضهم ، ويستدعى الطمع ذوى الشرِّ منهم ، وتَنَالَ بِذَلِكَ ما تُحِبُّ من أخبارهم ، إن شاء الله .

إذا تَدَانَى الصَّفَّانُ ، وتواقَّفَ الجمعانُ ، وأحتضرت الحربُ ، وعبأت أصحابك لقتال عدوهم ؛ فأكثر من قول : لا حول ولا قُوَّةَ إلا بالله ، والتوكلِ على الله عز وجل والتفويضِ إليه ، ومسألته توفيقك وإرشادك ، وأن يعزِمَ لك على الرِّشْدِ المُتَجَيِّ ، والعِصْمَةِ الكائِنَةِ ، والحِياطَةِ الشاملة . ومُرْ جَنَدَكَ بالضمِّمِ وَقَلَّةِ التَّلَفِّتِ عند المِصَاوَلَةِ ، وكثرة التكبِيرِ في أَنفُسِهِمْ والتسبيحِ بضائِرِهِمْ ، ولا يُظهِرُوا تكبيراً إلا في الكَرَّاتِ والحَمَلَاتِ ، وعند كل رُفْعَةٍ يذِلُّونَهَا ؛ فأما وهم وقوفُ فإن ذلك من الفشل والجبن ؛ وليذكروا الله في أَنفُسِهِمْ ويسألوه نصرهم وإعزازهم ، وليكثرُوا من قول : "لا حول ولا قُوَّةَ إلا بالله العليِّ العظيم ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، اللهم أنصُرنا على عدوك وعدونا الباغِي ، وآكفنا شوكتَه المستحْدَةَ ، وأيدنا بملائكتِكَ الغالِيين ، وأعصمنا بعونك من الفشل والعجز إنك أرحم الراحمين" .

وليكن في معسكرك المكبرون في الليل والنهار قبل المواقعة ، وقومٌ موقوفون يحضونهم على القتال ويحرضونهم على عدوهم ، ويصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم ، ويذكرونهم الجنة ودرجاتها ، ونعيم أهلها وسكانها ، ويقولون : أذكروا الله يذكركم ، وأستنصروه ينصركم ، وألتجئوا إليه يمتنعكم . وإن استطعت أن تكون أنت المباشرة لتعبية جنك ووضعهم مواضعهم من رأيك ، ومعك رجالٌ من ثقات فرسانك ذوو سنٍّ وتجربة ونجدة على التعبية التي أمير المؤمنين واصفها لك في آخر كتابك فافعل ، إن شاء الله تعالى .

أيك الله بالنصر، وغلب لك على القسوة ، وأعانك على الرشد، وعصمك من الزيف،
وأوجب لمن آستشهد معك ثواب الشهداء ومنازل الأصفياء، والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته .

وكتب سنة تسع وعشرين ومائة .

٧ - رسالة ثانية لعبد الحميد الكاتب

ومن رسائل عبد الحميد الرسالة التي أوصى فيها الكتاب^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة ، وحاطكم ووقفكم وأرشدكم ؛ فإن الله عز
وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ومن بعد الملوك
المكرمين أصفاء ، وإن كانوا في الحقيقة سواء ؛ وصرفهم في صنوف الصناعات ، وضروب
المحاولات ، الى أسباب معاشهم ، وأبواب أرزاقهم ، فجعلكم معشر الكتاب في أشرف
الجهات ، أهل الأدب والمروءات والعلم والرزانة ؛ بكم تنظم لخلافة محاسنها ، وتستقيم
أمورها ؛ وبنصائحكم يصلح الله للخلاق سلطانهم ، وتعمر بلدانهم ؛ لا يستغنى الملك عنكم ،
ولا يوجد كاف إلا منكم ؛ فموقعكم من الملوك موقع أئمتهم التي بها يسمعون ، وأبصارهم
التي بها يبصرون ، وألستهم التي بها ينطقون ، وأيديهم التي بها يبتطشون ؛ فامتكم الله بما خصكم
من فضل صناعتكم ، ولا تزغ عنكم ما أضفاه^(٢) من النعمة عليكم ؛ وليس أحد من أهل
الصناعات كلها أحوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة ، وخصال الفضل المذكورة المعدودة
منكم . أيها الكتاب إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم ، فإن الكتاب يحتاج
في نفسه ، ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أموره ، أن يكون حليماً في موضع
الحلم ، فهيما في موضع الحكم ، مقدماً في موضع الإقدام ، محجماً في موضع الإحجام ، مؤثراً

(١) هذه الرسالة من مقدمة ابن خلدون (ص ٢٠٦ طبعة بلاق) . (٢) أضفاه : آتمه .

للعفاف والعدل والإنصاف ، كَتُومًا للأشرار ، وفيًا عند الشدائد ، عالمًا بما يأتي من النوازل ؛
يَضَعُ الأُمُورَ مَوَاضِعَهَا ، وَالطَّوَارِقَ فِي أَمَا كُنْهَا ؛ قَدْ نَظَرَ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ العِلْمِ فَأَحْكَمَهَا ،
وَإِنْ لَمْ يُحْكَمْ أَحَدٌ مِنْهُ بِمِقْدَارِ مَا يَكْتَفِي بِهِ ؛ يَعْرِفُ بِغَرِيزَةِ عَقْلِهِ ، وَحُسْنِ أَدَبِهِ ، وَقَضَّصَ
تَجْرِبَتَهُ ، مَا يَرِدُ عَلَيْهِ قَبْلَ وُرُودِهِ ، وَعَاقِبَةَ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ قَبْلَ صُدُورِهِ ؛ فَيُعِدُّ لِكُلِّ أَمْرٍ عُدَّتَهُ
وَعَتَادَهُ ، وَيُهَيِّئُ لِكُلِّ وَجْهِ هَيْئَتَهُ وَعَادَتَهُ . فَتَنَافَسُوا يَا مَعْشَرَ الكُتَّابِ فِي صُنُوفِ الآدَابِ ،
وَتَفَهَّمُوا فِي الدِّينِ ، وَأَبْدَوْا بِعِلْمِ كِتَابِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلِّ وَالْفَرَائِضِ ، ثُمَّ العَرَبِيَّةِ فَإِنَّهَا تَقَافُ
أَلْسِنَتِكُمْ ، ثُمَّ أَجِيدُوا الخَطَّ فَإِنَّهُ حَيَاةُ كُتُبِكُمْ ، وَأَرُوُوا الأَشْعَارَ وَأَعْرَفُوا غَرَبِيَّهَا وَمَعَانِيَهَا ،
وَأَيَّامَ العَرَبِ وَالعَجَمِ وَأَحَادِيثَهَا وَسِيرَهَا ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مُعِينٌ لَكُمْ عَلَى مَا تَسْمُو إِلَيْهِ هَمَمَكُمْ ،
وَلَا تُضَيِّعُوا النَّظَرَ فِي الحِسَابِ ، فَإِنَّهُ قَوَامُ كُتَابِ الخِرَاجِ ، وَأَرْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ المَطَامِعِ سَنِيهَا
وَدَنِيهَا ، وَسَفَسَافِ الأُمُورِ وَمَحَاقِرِهَا ؛ فَإِنَّهَا مَذَلَّةٌ لِلرَّقَابِ ، مَفْسَدَةٌ لِلكُتَّابِ ، وَزَهْوٌ صِنَاعَتِكُمْ
عَنِ الدَّنَاءَةِ ، وَأَرْبُؤًا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ السَّعَايَةِ وَالثَّمِيمَةِ وَمَا فِيهِ أَهْلُ الجَهَالَاتِ .

وَإِيَّاكُمْ وَالكِبَرَ وَالسُّخْفَ وَالعَظْمَةَ ، فَإِنَّهَا عِدَاوَةٌ مُجْتَلِبَةٌ مِنْ غَيْرِ إِحْنَةٍ ؛ وَتَحَابُّوهُ فِي اللَّهِ
عِزَّ وَجَلِّ فِي صِنَاعَتِكُمْ ، وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالذِّي هُوَ أَلْيَقٌ لِأَهْلِ الفَضْلِ وَالعَدْلِ وَالثَّبَلِ مِنْ
سَلْفِكُمْ ؛ وَإِنْ نَبَأَ الزَّمَانُ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ ، فَأَعْظَمُوا عَلَيْهِ وَوَأَسُوهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ حَالُهُ ، وَيَثُوبَ إِلَيْهِ
أَمْرُهُ ، وَإِنْ أَقْعَدَ أَحَدًا مِنْكُمْ الكِبَرَ عَنْ مَكْسَبِهِ وَلِقَاءِ إِخْوَانِهِ ، فَزُورُوهُ وَعَظَّمُوهُ وَشَاوَرُوهُ ؛
وَاسْتَظْهِرُوا بِفَضْلِ تَجْرِبَتِهِ ، وَقَدِيمِ مَعْرِفَتِهِ ؛ وَلْيَكُنِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى مَنْ أَصْطَنَعَهُ وَاسْتَظْهَرَ
بِهِ لَيَوْمٍ حَاجَتُهُ إِلَيْهِ أَحْوَجَ مِنْهُ عَلَى وَلَدِهِ وَأَخِيهِ ، فَإِنْ عَرَضَتْ فِي الشُّغْلِ مَحْمَدَةٌ فَلَا يَصْرِفُهَا
إِلَّا إِلَى صَاحِبِهَا ، وَإِنْ عَرَضَتْ مَذْمُومَةٌ فَلْيَحْمِلْهَا هُوَ مِنْ دُونِهِ ؛ وَلْيَحْذَرِ السَّقَطَةَ وَالزَّلَّةَ وَالمَلَّلَ
عِنْدَ تَغْيِيرِ الحَالِ ، فَإِنَّ العَيْبَ إِلَيْكُمْ مَعْشَرَ الكُتَّابِ أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَى الفِرَاءِ ، وَهُوَ لَكُمْ أَفْسَدُ مِنْهُ
لَهَا ؛ فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا صَحِبَهُ مَنْ يَبْدُلُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ ، مَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّهِ ؛
فَوَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَقِدَ لَهُ مِنْ وَفَائِهِ وَشُكْرِهِ ، وَأَحْتِمَالِهِ وَنُصِيحَتِهِ ، وَكِتَابَانِ سِرِّهِ وَتَدْيِيرِ أَمْرِهِ ،

ما هو جزءٌ لحقّه ، ويصدق ذلك فعله عند الحاجة إليه ، والأضرار التي ما لديه ، فاستشعروا ذلك — وفقكم الله — من أنفسكم في حالة الرّخاء ، والشدة والحزمان والمواساة والإحسان والسراء والضراء ، فنعمت الشيمة هذه لمن وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة ، وإذا ولى الرجلُ منكم أو صير إليه من أمرٍ خلق الله وعيا أمرٌ ، فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته ، وليكن على الضعيف رفيقا ، وللاظلم منصفًا ، فإن الخلق عيالٌ الله ، وأحبهم إليه أرفقهم بعيله ، ثم ليكن بالعدل حاكما ، وللأشراف مكرما ، وللمنى مؤفرا ، وللبلاد عامرا ، وللرعية متألّفا ، وعن أذاهم متخلّفا ، وليكن في مجلسه متواضعا حلما ، وفي سجلات حراجه وأستقضاء حقوقه دقيقا ، وإذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلّاقه ، فإذا عرّف حسنّها وقبيحها أعانها على ما يوافقها من الحسن ، وأحتال على صرفه عما يهواه من القبيح بالطف حيلة وأجمل وسيلة .

وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة أخلاقها ، فإن كانت رموحا لم يهجمها إذا ركبها ، وإن كانت شبوبا آتقها من بين يديها ، وإن خاف منها شُرودا تواقها من ناحية رأسها ، وإن كانت حرونا قمع برفق هواها في طرُقها ، فإن آسمرت عطفها يسيرا ، فيسلس له قيادها ، وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن سائس الناس وعاملهم وجرهم وداخلهم .

والكاتب لفضل أدبه وشريف صنعه ولطيف حيلته ، ومعاملته لمن يحاوله من الناس ويناظره ، ويفهم عنه أو يخاف سطوته ، أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده ، من سائس البهيمة التي لا تُحير جوابا ، ولا تُعرف صوابا ، ولا تُفهم خطابا ، إلا بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الراكب عليها ، ألا فارقوا رحمكم الله في النظر ، وأعملوا ما أمكنكم فيه من الروية والفكر ، تأمنوا بإذن الله من صحبتموه النبوة والأستئغال والحفوة ، و بصير منكم الى الموافقة ، وتصيروا منه الى المؤاخاة والشفقة ، إن شاء الله ، ولا يُجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه ، وملبسه ومركبه ، ومطعمه ومشربه وخدمه ، وغير ذلك من فنون أمره قدر حقّه ، فإنكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعكم ، خدمة لا تُجملون في خدمتكم على التقصير ، وحفظه

لَا تُحْتَمَلُ مِنْكُمْ أَفْعَالُ التَّضْيِيعِ وَالتَّبْذِيرِ، وَاسْتَعِينُوا عَلَى أَفْعَالِكُمْ بِالْقَصْدِ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْتُهُ لَكُمْ، وَقَصَصْتُهُ عَلَيْكُمْ، وَأَحْذَرُوا مَتَالِفَ السَّرْفِ، وَسُوءَ عَاقِبَةِ التَّرَفِّ؛ فَإِنَّهُمَا يُعْقِبَانِ الْفَقْرَ، وَيُذَلِّلَانِ الرَّقَابَ وَيَقْضِحَانِ أَهْلَهُمَا، وَلَا سِيَّمَا الْكُتَّابَ وَأَرْبَابَ الْآدَابِ. وَالْأُمُورُ أَشْبَاهُ وَبَعْضُهَا دَلِيلٌ عَلَى بَعْضٍ؛ فَاسْتَدَلُّوا عَلَى مُؤْتَفِّ أَعْمَالِكُمْ، بِمَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ تَجَرُّبَتُكُمْ؛ ثُمَّ أَسْأَلُكُمْ مِنْ مَسَالِكِ التَّدْبِيرِ أَوْصَحَّهَا مَحَبَّةً، وَأَصْدَقُهَا حُجَّةً، وَأَحْمَدُهَا عَاقِبَةً.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ لِلتَّدْبِيرِ آفَةً مُتَلَفَةً، وَهُوَ الْوَصْفُ الشَّاعِلُ لِصَاحِبِهِ، عَنْ إِنْغَازِ عِلْمِهِ وَرَوِيَّتِهِ؛ فَلْيَقْصِدِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي مَجْلِسِهِ، قَصْدَ الْكَافِي فِي مَنْطِقِهِ؛ وَلْيُوجِزْ فِي أَبْتِدَائِهِ وَجَوَابِهِ، وَلْيَأْخُذْ بِمَجَامِعِ حُجَّتِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَصْلِحَةٌ لِفَعْلِهِ، وَمَدْفَعَةٌ لِلشَّاعِلِ مِنْ إِتْكَارِهِ؛ وَلْيَضْرَعْ إِلَى اللَّهِ فِي صَلَاةِ تَوْفِيقِهِ، وَإِمْدَادِهِ بِتَسْهِيدِهِ؛ مَخَافَةَ وَقُوعِهِ فِي الْغَلَطِ الْمُضْرِّ بِيَدِهِ، وَعَقْلَهُ وَأَدْبَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَنَّ مِنْكُمْ ظَانًّا أَوْ قَالَ قَائِلًا: إِنَّ الَّذِي بَرَزَ مِنْ جَمِيلِ صَنْعَتِهِ وَقُوَّةِ حَرَكَتِهِ، إِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ حِيلَتِهِ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ؛ فَقَدْ تَعَرَّضَ بِحُسْنِ ظَنِّهِ أَوْ مَقَاتِلَتِهِ إِلَى أَنْ يَكَلِّهَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ إِلَى نَفْسِهِ، فَيَصِيرُ مِنْهَا إِلَى غَيْرِ كَافٍ، وَذَلِكَ عَلَى مَنْ تَأَمَّلَهُ غَيْرُ خَافٍ؛ وَلَا يَقِلُّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا أَبْصَرَ بِالْأُمُورِ، وَأَحْمَلَ لِأَعْيَابِ التَّدْبِيرِ؛ مِنْ مُرَاقِقِهِ فِي صِنَاعَتِهِ، وَمُصَاحِبِهِ فِي خِدْمَتِهِ؛ فَإِنَّ أَعْقَلَ الرَّجُلَيْنِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَنْ رَمَى بِالْعُجْبِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَرَأَى أَنَّ أَصْحَابَهُ أَعْقَلُ مِنْهُ وَأَجْمَلُ فِي طَرِيقَتِهِ؛ وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ نِعَمِ اللَّهِ جَلَّ شَأْؤُهُ مِنْ غَيْرِ اعْتِرَازٍ بِرَأْيِهِ، وَلَا تَزْكِيَةٍ لِنَفْسِهِ؛ وَلَا يُكَاثِرْ عَلَى أَخِيهِ أَوْ نَظِيرِهِ، وَصَاحِبِهِ وَعَشِيرَتِهِ؛ وَحَمْدُ اللَّهِ وَاجِبٌ عَلَى الْجَمِيعِ.

وَذَلِكَ بِالتَّوَاضُعِ لِعَظَمَتِهِ، وَالتَّذَلُّ لِعِزَّتِهِ، وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَتِهِ؛ وَأَنَا أَقُولُ فِي كِتَابِي هَذَا مَا سَبَقَ بِهِ الْمَثَلُ: "مَنْ تَلَزَمَهُ النَّصِيحَةُ يَلْزَمَهُ الْعَمَلُ" وَهُوَ جَوْهَرُ هَذَا الْكِتَابِ وَغُرَّةُ كَلَامِهِ، بَعْدَ الَّذِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ، فَلِذَلِكَ جَعَلْتُهُ آخِرَ وَتَمَّتْ بِهِ. تَوَلَّانا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ يَا مَعْشَرَ الطَّلَبَةِ وَالْكَتَبَةِ بِمَا يَتَوَلَّى بِهِ مَنْ سَبَقَ عِلْمُهُ بِإِسْعَادِهِ وَإِرْشَادِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَيَبِيدُهُ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

٨ - رسالة الثالثة لعبد الحميد الكاتب

ومن رسائل عبد الحميد رسالة في الشطرنج^(١) :

أما بعد ، فإن الله شرع دينه بإنهاج سُبُلِهِ ، وإيضاح معالمه بإظهار فرائضه ، وبعث رسالته إلى خلقه دلالة لهم على ربوبيته ، واحتجاجاً عليهم برسالاته ، ومقدمات اليهم بإنذاره ووعداه ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة ، ثم ختم بنبيه صلى الله عليه وسلم وحياً ، ووفى به رساله ، وأبتغته لإحياء دينه الدارس مرضياً له على حين انطمست الأعلام مخفية ، وتشتت السبل متفرقة ، وعفت آثار الدين دارة ، وسطع ربح الفتن ، وأعتلى قنأم الظلم ، وأستهد الشرك ، وأسدف الكفر^(٢) ، وظهر أولياء الشيطان لطموس الأعلام ، ونطق زعيم الباطل بسكنة الحق ، وأستطرق الجور وأستنكح الصدوف عن الحق ، وأقطنر سلهب الفتنة ، وأستضرم لقاؤها ، وطبقت الأرض ظلمة كفرة وغياية فساد ، فصدع بالحق مأمورا ، وأبلغ الرسالة معصوما ، ونصح الإسلام وأهله ، دالاً لهم على المرآشد ، وقائداً لهم إلى الهداية ، ومنيراً لهم أعلام الحق ضاحية ، مرشداً لهم إلى أستفتاح باب الرحمة وإعلاق عروة النجاة^(٣) ، مؤمخاً لهم سبل الغواية ، زاجراً لهم عن طريق الضلالة ، محذراً لهم الهلكة ، مؤعزاً اليهم في التقدمة ، ضارباً لهم الحدود على ما يتقون من الأمور ويخشون ، وما إليه يسارعون ويطلبون ، صابراً نفسه على الأذى والتكذيب ، داعياً لهم بالترغيب والترهيب ، حريصاً عليهم ، متحنناً على كآفتهم ،

(١) هذه الرسالة من كتاب « اختيار المنظوم والمنثور » لأبن طيفور المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٨١ أدب) ومراجعة على نسخة أخرى منه محفوظة برقم (١٨٦٠ أدب) .

(٢) وردت هذه الجملة في رسائل البلغاء هكذا : « على حين انطمست له الأعلام ... » بزيادة "له" ، وليس لها محل من السياق فلعلها من زيادات النساخ .

(٣) أسدف الكفر : أظلم وعم النواحي والأرجاء كالليل . (٤) اقطنر : اشتد .

(٥) الغياية : ما أظلم الانسان من فوق كالسحابة والغبرة ونحوهما .

(٦) في رسائل البلغاء ، وإعلان بالنون بدل القاف ، وهو محريف :

عزى إليه عَنَّهُمْ ، رءوفاً بهم رحياً ، تقدمه شفقتة عليهم وعنايته برشدتهم الى تجريد
الطلب الى ربه فيما فيه بقاء النعمة عليهم ، وسلامة أديانهم ، وتخفيف آصار الأوزار عنهم ،
حتى قبضه الله اليه - صلى الله عليه وسلم - ناصحاً متنصّحاً ، أميناً مأموناً ، قد بلغ الرسالة ، وأدى
النصيحة ، وقام بالحق ، وعدل عمود الدين ، حتى اعتدل ميله ، وأذل الشرك وأهله ، وأنجز
الله له وعده ، وأراه صدق أنبائه في إكمالهِ للمسلمين دينه ، وأستقامة سنته فيهم ، وظهور
شرائعه عليهم . قد أبان لهم موبقات الأعمال ، ومفطعات الذنوب ، ومهبطات الأوزار ،
وظلم الشبهات ، وما يدعو اليه نقصان الأديان ، وتستهويهم به الغوايات ، وأوضح لهم أعلام
الحق ، ومنازل المرشد ، وطرق الهدى ، وأبواب النجاة ، ومعالق العصمة ، غير مدخِر لهم
نصحا ولا مبنع في إرشادهم غمنا . فكان مما قدم اليهم فيه نبيه ، وأعلمهم سوء عاقبته ،
وحذرهم إصره ، وأوعز اليهم ناهياً وواعظاً وزاجراً ، الأعتكاف على هذه التماثيل من
الشطرنج والمواصله عليها ، لما في ذلك من عظيم الإثم ، ومويق الوزر ، مع مشغلتها
عن طلب المعاش ، وإضرارها بالعقول ، ومنعها من حضور الصلوات في موافقتها مع جميع
المسلمين .

وقد بلغ أمير المؤمنين أن ناساً ، ممن قبلك من أهل الإسلام ، قد ألهجهم الشيطان
بها ، وجمعهم عليها ، وألف بينهم فيها ، فهم معتكفون عليها من لدن صبحهم الى
مُسام ، مُلهية لهم عن الصلوات ، شاغلة لهم عما أمرُوا به من القيام بسُنن دينهم ،
وأفترَض عليهم من شرائع أعمالهم ، مع مداعتهم فيها ، وسوء لفظهم عليها . وإن ذلك من
نعلمهم ظاهرٌ في الأندية والمجالس ، غير منكّر ولا معيب ولا مُستفزع عند أهل الفقه ،
وذوى الورع والأديان والأسنان منهم ؛ فأكبر أمير المؤمنين ذلك وأعظمه ، وكرهه

(١) آصار : جمع إصر وهو النقل . وفي رسائل البلاء ، واختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور « أواصر » بدل
آصار ، وهو تحريف . (٢) في رسائل البلاء ، واختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور « أسبابه » وهو تحريف .

وأستكبره ، وعلم أن الشيطان عندما يئس منه من بلوغ إرادته في معاصي الله عز وجل ، بمصر المسلمين وجمّعهم صُراحاً وجهاراً ، أقدم بهم على شبهة مهلكة ، وزين لهم ورطة موبقة ، وغرهم بمكيدة حيلة ، إرادة لاستهوائهم بالخدع ، وأجتياهم بالشبه والمراسد الخفية المشككة . وكلّ مقيم على معصية الله ، صغرت أو كبرت ، مستحلاً لها مُشيداً بها ، مظهرًا لارتكابه إياها ، غير حذير من عقاب الله عز وجل عليها ، ولا خائف مكرهاً فيها ، ولا راعي من حلول سخطه عليها ، حتى تلتحقه المنية ، فتختلجه وهو مُصرّ عليها ، غير تائب الى الله منها ، ولا مستغفر من ارتكابه إياها ، فكم من أقام على موبقات الآثام وبكائر الذنوب ، حتى مدته ومُحرم أيامه .

وقد أحب أمير المؤمنين أن يتقدم اليهم ، فيما بلغه عنهم ، وأن يُنذرهم ويوعز اليهم ، ويُعلمهم ما في أعناقهم عليها ، وما لهم في قبول ذلك من الخط ، وعليهم في تركه من الوزر ، فأذن بذلك فيهم ، وأشدّه في أسواقهم وجميع أنديةهم ، وأوعز اليهم فيه . وتقدّم الى عامل شُرطتك في إنهاك العقوبة لمن رُفع اليه : من أهل الاعتكاف عليها والإظهار للعب بها ، وإطالة حبسه في ضيق وذنك ، وطرح اسمه من ديوان أمير المؤمنين . وأفظمهم عما لهُجوا به من ذلك . وأتمس بشدتك عليهم فيه وإنهاكك بالعقوبة عليه ، ثواب الله وجزاءه ، وآتباع أمير المؤمنين ورأيه . ولا يمدت أحد عندك هوادة في التقصير في حق الله عز وجل ، والتعدى لأحكامه ، فتحلّ بنفسك ما يسوءك عاقبة مغيبته ، وتعرض به لغير الله عز وجل ونكاله . وأكتب الى أمير المؤمنين ما يكون منك ، إن شاء الله والسلام .

(١) اجتياهم : حوّلهم عن طريق قصدهم ويحتمل أن يكون : واحتياهم ، والاحتبال : الاصطياد .

(٢) آذنه الأمر به : أعله .

رسالة رابعة لعبد الحميد الكاتب

٩ - ومن رسائل عبد الحميد هذه الرسالة التي وصف بها الصيد :^(١)
 أطال الله بقاء أمير المؤمنين مؤيداً بالعز، مخصوصاً بالكرامة، ممتعاً بالنعمة، إنه لم يلق^(٢)
 أحد من المقتنصين، ولا منح متطرف من المتصيدين، إلا دون ما لقانا الله به من^(٣)
 اليمن والبركة، ومنحنا من الظفر والسعادة في مسيرنا من كثرة الصيد، وحسن المقتنص،
 وتمكين الجاسة، وقرب الغاية، وسهولة المورد، وعموم القدورة،^(٤) إلا ما كان من محاولة^(٥)
 الطلب، وشدة النَّصَب، لنافر الصيد، وقائد الطريدة التي أمعنا في الطلب لها، وأعجزنا
 البهر عن الخالق بها، لتفاوت سبقها، ومنقطع هربها، ومتفرق سبلها، ثم آل بنا ذلك إلى
 حسن الظفر، وتناوب الأرب، ونهاية الطرب .

وإني أخبر أمير المؤمنين أنا خرجنا إلى الصيد بأعدى الجوارح، وأتمقِف الضواري؛
 أكرمها أجناساً، وأعظمها أجساماً، وأحسنها ألواناً، وأحدها أطرافاً، وأطولها أعضاء،
 قد تفتت بحسن الأدب، وعودت شدة الطلب، وسبرت أعلام المواقف، وخبرت المجاثم،
 مجبولة على ما عودت، ومقصورة على ما أدبت . ومعنا من نفائس الخيل المخبورة الفراهة،^(٦)
 من الشهيرية الموصوفة بالنجابة، والجرى والصلابة . فلم نزل بأخفض سير، وأتمقِف طلب،
 وقد أمطرتنا السماء مطراً متداركاً، فربت منه الأرض، وزهر البقل، وسكن القتام من مثار^(٧)
 السناكب، ومتشعبات الأعاصير، مهلة أن سرتنا غلوات، ثم برزت الشمس طالعة،^(٨)
 وأنكشفت [من] السحاب مسفرة، فتلاأت الأشجار، وضحك النوار، وأنجلت الأبصار،
 فلم نر منظراً أحسن حسناً، ولا مرموقاً أشبه شكلاً، من آبتسام نور الشمس عن أخضرار

(١) هذه الرسالة من كتاب « اختيار المنظوم والمنثور » لابن طيفور .

(٢) في الأصل : " يلف " . (٣) في الأصل : " القانا " . (٤) كذا في الأصل ولعلها

محرقة عن الحباله . (٥) القدورة : القدرة، وفي الأصل : " المقدورة " . (٦) الفراهة :

النشاط في السير . (٧) الشهيرية : البراذين . (٨) في الأصل : هكذا " ما " .

(٩) في الأصل " تسعات " .

زهرة الرياض . والحيلُ تمرُّحُ بنا نشاطا ، وتجنُّبنا أعنتها أنبساطا ؛ ثم لم نلبث أن علتنا ضبابه ^(١) تقصُر طرف الناظر ، وتُخفي ^(٢) سبيل السلام ، تغشانا تارةً وتتكشف أخرى ، ونحن بأرضٍ دميثة التراب ، أشية الأطراف ، مُغدقة الفجاج ، مملوءة صيدا من الطباء والثعالب والأرانب ؛ فأدانا المسير إلى غابةٍ دونها مألَّف الصيد ، ومجمَع الوحش ، ونهاية الطلب ، قد جاوزناها ونحن على سبيل الطلب معنون ، وبكلِّ حرة ^(٣) جونية متفرِّقون ، فرجع بنا العودُ على البدء ، وقد أنجملت الضبابة ، وأمتدَّ البصر ، وأمكن النظر ، فإذا نحن برحلةٍ ^(٤) من طباء ، وخلفَةٍ ^(٥) آرام يرتعن أنسات ، قد أحالتهنَّ الضبابة عن شخصنا ، وأذهلهنَّ أنيق الرياض عن استماع حسنا ، فلم نعج ^(٦) إلا والضواري لألحَّة لهنَّ من بُعد الغاية ، ومنتهى نظر الشاخص ؛ ثم مدَّت الجوارح أجنحتها ، وأجندبت الضواري مقاودها ، فأمرت بإرسالها على الثقة بمحضرها ، وسُرعة الجوارح في طلبها ، فترت تُحفِّف حفيف الريح عند هبوبها ، تُسِف الأرض سفا ، كاشفةً عن آثارها ، طالبةً لخيارها ، حارشةً بأظفارها ، قد مرَّفتها تمزيق الريح الجراد ؛ فمن صائح بها وناعر ، وهاتف بها وناعق ، يدعو الكلب باسمه ، ويفديه بأبيه وأمه ؛ وراكض تحت مفره ، وخافيق يطلبه الريح ، وطاح يمنعه ، وسائح قد عارضه بارح ، قد حيرتنا الكثرة ، وألهجتنا القدرة ، حتى آمتلات أيدينا من صنوف الصيد ، والله المنعم الوهاب .

ثم ملنا يا أمير المؤمنين بهداية دليلٍ قد أحكمه التجارب ، وخبر أعلام المذانب ، إلى غدير أفيح ، وروضة خضرة ، مستأجمة بتلاوين الشجر ، ملتفة ^(٧) بصنوف الخمر ، مملوءة من أنواع الطير ، لم يدعروهنَّ صائد ، ولا أقتنصهنَّ قانص ، نحقق لها بطبول ، وصفر بنفير الحنف ، فنار منها ماملأ الأفق كثرتها ، وراعت الجوارح خفقات أجنحتها ؛ ثم أنبرت البراة

(١) في الأصل : "تقتصر" . (٢) في الأصل : "ويجي" .

(٣) الأشية : الملتفة الشجر . وفي الأصل «آسه» . (٤) الحرة : أرض ذات حجارة نخرة سود ،

وفي الأصل «حر» . (٥) الجونة : السوداء ، وفي الأصل هكذا : «حويه» . (٦) رجلة : جماعة

متفرقة . (٧) في الأصل : «يفح» . (٨) الخمر : الشجر .

لها صائدة، والصقور كاسرة، والشواهب ضارية، يرفعن الطلب لها، ويخفصن الظفر بها،
حتى سمننا من الذبح، وأمتلأنا من النضيج؛ كأننا كنيبة ظفرت ببغيتها، وسرية نصرت على
عدوها، وألحقت ضعيفها بقويها، وغلبت محسنا بمسيئها، لا نملك أنفسنا مرحا،
ولا نستفيق من الجدال بها فرحا، بقية يومنا، والله المنعم الوهاب .

ثم غدونا يا أمير المؤمنين الى أرض وُصف لنا صيدها بالكثرة، ورياضها بالنزهة،
فزّل واصفها عن الطريقة، وأعمد بنا على غير الحقيقة؛ فأتيناها فلم نر صيدا ولا عُشبا،
ولا نزهة ولا حسنا، فجعلنا نسلك منها حزونا ووعورا، وجدوبا وقفرا، حتى قصر بنا اليأس
عن الطلب، وقطع بنا عن الطمع النَّصب . فبينا نحن كذلك، إذ بدا لنا جاب قد أوفى^(٣)
بنا على حائل دلّ على غابه من وراثها حمير وحش كثيرة، فأمناها، فلما تطرفنا مشيا وتقريبا^(٤)
الى عانته، توالى نهيقه، وكثر شهيقه، فالتفتن اليه، فرمقن بأعينن منا ما استكثرن شخصه،
وآسهبولن أمره، حتى اذا كنا بمرأى ومسمع آنجذبن مؤليات، وهربن مسيبات، فأجهدنا
الركض في طلبهن، تتبع آثارهن، ونستشف بلاء بين أحفار ودكادك^(٥) وخناذيد^(٦)، حتى أشفى^(٧)
بنا الطلب لها على وإد هائل سائل، يجنبني غابه أشبه قد سبقن اليها، وآسحقفين^(٨) فيها،
فنظمتاها بالخيال نظم الخرز، ثم أوغلت عدة فرسان في نفضها ومعرفة أحوالها، والطلب
خافقة، والأصوات شاهقة، فكان وكان؛ والحمد لله على كل حال .

(١) النضيج : العرق .

(٢) في الأصل : "قلب" . (٣) الجاب : الغليظ من حمر الوحش . (٤) في الأصل :

"مسيبا" . (٥) التقريب : ضرب من العدو . (٦) العانة : القطيع من حمر الوحش .

(٧) الأحفار جمع حفرة وهو التراب المنخرج من الحفيرة . (٨) الدكادك : جمع دكك ودكادك وهو أرض فيها

غلفظ . (٩) الخنازيد : جمع خنذيذ وهو رأس الجبيل المشرف ، والذي يتفق والسياق "أخاديد" ،

وهي جمع أخدود : الحفرة المستطيلة في الأرض .

أصح لك الم نص
جواله صوت
سرايا به الجوه بالماء

باب المنظوم

الغزل

ذكرنا في المجلد الأول حالة الغزل في العصر الأموي، وكثرة ما نجد فيه من لواعج الحب ولقحاته، وشكائيات الصب وأناته، وزفرات العاشق وعبراته. وبينما أنواعه المتباينة التي قسمناها الى أربعة أقسام:

(أ) غزل إباحي: ويصح لنا أن نتخذ من عمر بن أبي ربيعة زعيماً لهذا النوع الذي يجمع الى وصف المرأة والتشبيب بها، معاني العبث والاستمتاع باللذة المادية مما يغير منه الأدب الجاهلي، ومما حظره عليه الكثيرون من خلفاء الاسلام وأئمة. وقد كانت مكة والمدينة مسرحاً لهذا النوع في العصر الأموي. وقد شرحنا سبب ذلك في المجلد الأول فراجعهُ ثمة.

(ب) غزل عذري: وهو غزل الحب الصادق، والمواطف المتأججة، والنفس المتألّمة المعناة، تلك النفس التي تجد لذتها في الكلف بمن تحب والتعلق بها والشعور بالسعادة في الفناء في حبها، حباً يملك عليه لبه ويعذب روحه ويفنى جسمه، كغزل جميل زعيم هذا النوع. وليس أدل على صدق حبه مما أثبتناه عن كتاب الأغاني إذ حاول أبوه أن يصرفه عن حبه وحاجته في ذلك أجمل مُحاجة، فكان من جميل ما كان مما تجده مفصلاً في هذا الباب.

(ج) غزل صناعي: بين هذا وذاك، همّة الإجابة في الشعر من حيث هو شعر، لا في الحب من حيث هو حب، ولنا في كثيرٍ عزة زعيم لهذا النوع الثالث.

(د) غزل قصصي: خلقه الرواة لأنهم رأوا ميل الناس الى الغزل والى حياة القصف وما يتبع حياة القصف، فنظموا قصائد نحلوها لشعراء لا نستطيع أن نتخيل تبعه

القول بوجودهم في الحياة، أو القول بأنهم أشخاص خياليون خلقهم الرواة، أو زادوا من عندهم مقطعات نسبوها لهم وأضافوها إلى شعرهم . وزعياً هذا النوع : قيس بن الملوّح ولبلاه ، وقيس بن ذريح ولبناه .

وإيفاء بما وعدناك به نذكر زعيم كل نوع من هذه الأنواع مع ذكر ترجمته والمختار من شعره .

(١) الغزل الاباحي

عمر بن أبي ربيعة^(١)

« راق عمر بن أبي ربيعة الناس وفاق نظراءه وبرعههم بسمولة الشعر وشدّة الأمر، وحسن الوصف، ودقة المعنى، وصواب المصدر، والقصد للحاجة، وأستنطاق الرّبع، وإنطاق

(١) هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي المخزومي، أشعر فريش وأرق أصحاب الغزل، وأوصف الشعراء لأحوال النساء .

ولد بالمدينة ليلة مات عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، وكانت أمه نصرانية ، وكان أبوه تاجراً مومراً ، وعاملاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقها الثلاثة من بعده ، فشب في نعيم وترف ، وقال الشعر صغيراً ، وسلك فيه طريق الغزل ، ووصف أحوال النساء وتراورهن ومداعبهن بعضهن لبعض ، وما يعتدن قوله من الكلام ، مما يتوقر الشعراء الفحول عن الخوض فيه ، ولذلك لم يخفوا شعره وعقدوه من هذيان خلعا المدينة ، فما زال يعابج الشعر والشعر ينقاد له ، حتى ملك ناصيته ، وقبض على زمامه ، وبرز الشعراء ، وقال رأيته المشهورة على طريقته المبتكرة وهي التي أولها :

أمن آل نعم أنت غاد فيكر * غداة غد أم رايح فهجر

والتي قال فيها جرير حين سمعها : ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر .

ثم استطار شره في التشبيب بالنساء : من يعرفها ومن لا يعرفها ، وتعرض لأحصنات المنعفات من نساء قومه ومن غيرهن ، فوقعن منه في بلاء عظيم وصرن يخفن الخروج إلى الحج لأنه كان يتلقاهن بمكة ، و يترقبن وجوههن للعلوف والسعي ويصفهن وهن محرمات . وحملت عليه رجالات فريش لمكانة نسبه منهم ولترقب توبته وإفلاحه ، فلها تبادى في أمره وشبب بينات السادات والخلقاء ، غضب عليه عمر بن عبد العزيز وقناه إلى دهلك : (وهي جزيرة أمام مدينة مصوّع) ، ثم رأى ابن أبي ربيعة أن يكفر عن سيئاته بالتوبة والجهاد ففزا في البحر فاحترقت السفينة التي كان فيها واحترق هو أيضاً سنة ٩٣ هـ وقد اقتبسنا تصدير بحثنا عنه عن أبي الفرج الأصفهاني وتجد ترجمته معقولة في الأغاني ج ١ ص ٦١ — ٢٤٨ (طبعة دار الكتب المصرية) والشعر والشعراء ص ٣٤٨ وابن خلكان (ج ١ ص ٣٧٨) والدميري (ج ١ ص ٣٢٦) والعقد الفريد (ج ٣ ص ١٣٢) وله ديوان مطبوع في ليزر سنة ١٨٩٣ وفي مصر سنة ١٣١١ ومنه نسختان خطيتان بدار الكتب المصرية .

القلب ، وحسن العزاء ، ومخاطبة النساء ، وعفة المقال ، وقلة الانتقال ، وإثبات الحجّة ، وترجيح الشك في موضع اليقين ، وطلاوة الاعتذار ، وفتح الغزل ، ونهج العِلل . وعطف المساءة على العُدال ، وحسن التفجع ، وبُخُل المنازل ، واختصار الخبر ، وصدق الصّفاء ؛ إن قَدَح أَوْرى ، وإن اعتذر أبرأ ، وإن تَسَكَّى أَتَّجَبِي ، وأقدم عن خبرة ، ولم يعتذر بغرة ، وأسر النوم ، وغم الطير ، وأغدّ السير ، وحيّر ماء الشّبَاب ، وسهل وقول ، وقاس الموى فأزبى ، وعصى وأخلى ، وحالف بسمعِه وطرفِه ، وأبرم نعت الرُّسل وحدّر ، وأعلن الحبّ وأسرّ ، وبطن به وأظهر ، وألحّ وأسفّ ، وأنكح النوم ، وجنى الحديث وضرب ظهره لبطنه ، وأذلّ صعبه ، وقنع بالرجاء من الوفاء ، وأعلى قاتله ، وأستبكي عاذله ، ونقض النوم ، وأغلق رهن مَنِي وأهدر قتلاه ؛ وكان بعد هذا كله فصيحاً .

فمن سهولة شعره وشدة أسرهِ قوله^(١) :

فلما توافقنا وسامتُ أشرقَتْ * وجوهُ زهاها الحسنُ أن نُتقنعا
تَبَاهنَ بالعِرْفانِ لما رأيتني * وقلنَ أمرؤُ باغِ أكلٍ وأوضعا^(٢)

ومن حُسن وصفه قوله :

لها من الرِّيمِ عيناها ولقنته^(٣) * ونحوهُ السابقُ المُختالِ إذ صهلا

ومن دقة معناه وصوابِ مصدره قوله :

عوجا مَحَى الطَّلَلِ المَحُولَا^(٤) * والرِّبعِ من أسماءِ والمنزلا^(٥)
بسايعِ البوابةِ لم يعده^(٦) * تقادمُ العهدِ بأن يؤهلا

(١) المراد من شدة الأسر هنا إحكام النسيج ومناة التركيب . (٢) أكل : أعيأ وأوضع : أسرع

في السير . (٣) الرِّيم : الظبي . (٤) عرجا : قفا . (٥) المحول والمحيل : الذي أتت

عليه أحوال كثيرة فغيره . (٦) البوابة : الفسلاة واسم لصحراء بأرض تهامة إذا خرجت من أطال

وادي النخلة الجمانية وهي بلاد بنى سعد بن بكر بن هوازن . (معجم البلدان لياقوت) .

ومن قصيده للحاجة قوله :

أيها المنكحُ الثريا سهيلاً ^(١) * عمرك الله كيف يلتقيان
هي شاميةٌ إذا ما استقلت * وسهيلٌ إذا استقلَّ يمانِي

ومن استنطاقه الربع قوله :

سائلاً الربع بالبلى ^(٢) وقولا * هجت شوقاً لى الغداة طويلاً
أين حتى حلوك إذ أنت محفو * ف بهم أهل أراك جميلاً
قال ساروا فأمعنوا وأستقلوا ^(٣) * وبرغمي ولو وجدت سبيلاً
سميونا وما سميئنا جوراً * وأحبوا دمانه ^(٤) وسهولاً

قال إسحاق : أشيد جرير هذه الأبيات فقال : إن هذا الذي كان تدور عليه فأخطأناه .
ومن إنطاقه القلب قوله :

قال لى فيها عتيق مقالاً * بغرث مما يقول الدموع
قال لى ودع سليمي ودعها * فأجاب القلب : لا أستطيع

ومن حسن عزائه قوله :

أالحق إن دار الرباب تباعدت * أو أنبت جبل أن قلبك طائر
أفق قد أفاق العاشقون وفارقوا ^(٦) * هوى وأستمرت بالرجال المرائر
زغ النفس واستبق الحياء فإتما ^(٧) * تباعد أو تُدني الرباب المقادر
أمت حبها وأجعل قديم وصالها * وعشمتها كمشيل من لا تعاشر

(١) هي الثريا أبتة عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف الأموية . تزوجها سهيل ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري رضى الله عنه ونقلها الى مصر فقال عمر هذا الشعر . (٢) البلى — بضم وفتح ويا . مشددة — تل قصر أسفل حاذة بينها وبين ذات عرق (ياقوت) . (٣) استقلوا : واصلوا السير وجدوا فى الارتحال . (٤) يقال : دمت الأرض دمانة : سهلت ولانت . (٥) انبت : انقطع . (٦) المراد أن الرجال قد أفاقوا واستحكمت عزائمهم وهو يريد أن يسلو سلوهم . (٧) زغ النفس ، أى أزجرها وكفها عن هواها .

وهبها كشيء لم يكن أو كزاج * به الدار أو من غيبته المقابر
 وكالناس علقَت الرِّبابَ فلا تكن * أحاديث من يبدو ومن هو حاضر^(١)

وهذه الأبيات يروها بعض أهل الحجاز لكثير، ويروها الكوفيون للكثير بن معروف
 الأسدي، وذكر بعضها الزبير بن بكار عن ابن عبيدة لكثير في أخباره .

ومن حسن غزله في مخاطبة النساء - قال مُصعب الزُّبيري: وقد أجمع أهل بلدنا
 ممن له علمٌ بالشعر أن هذه الأبيات أغزل ما سمعوا - قوله :

تقولُ غداةَ التَّقينا الرِّبابُ * أيذا أفلتَ أفولَ السَّماءِ
 وكفَّتْ سوابقُ من عبْرَةٍ * كما أرفضُ نظمُ ضعیفُ السَّلاكِ
 فقلتُ لها مَنْ يُطعُ في الصَّديقِ أعداءَه يَحْتَنِبُه كذاكِ
 أغرِّكُ أتى عصيتُ المَلا * مَ فيك وأن هوانا هواكِ
 وأن لا أرى لذةَ في الحياة * تقرُّ بها العينُ حتى أراكِ
 فكان من الذنبي لي عندكم * مكارمتي وأتباعي رضاكِ
 فليت الذي لأم في حُبكم * وفي أن تُزاري بقرينِ وقاكِ^(٢)
 همومَ الحياةِ وأستقامها * وإن كان حنْفُ جهيزِ فداكِ^(٣)

ومن عفة مقالهِ قوله :

طال ليلى وأعادني اليومَ سقمُ * وأصابتَ مقاتِلَ القلبِ نَعْمُ
 حُرَّةَ الوجهِ والشَّمائلِ والجسُو * هيرِ تكليمها لمن نال غنمُ
 وحديثٍ بمثله تُنزلُ العَصُ^(٤) * مَ رَحِيمِ يَسُوبُ ذلكَ حِلْمُ
 هكذا وصُفَّ ما بدا لي منها * ليس لي بالذي تغيبَ عِلْمُ
 إن تجودِي أو تجحلي فبحمدِ * لست يا نَعْمُ فيهما من يَدْمُ

(١) أي من يقيم في البدو والحضر . (٢) المراد به قرن المنازل، وكثيرا ما يذكره في شعره .

(٣) جهيز : سريع . (٤) العصم : جمع أعصم وهو من الغلباء والوعول مافي ذراعيه بياض ،

وهي تعصم غالبا بفتن الجبال .

ومن قلة أنتقاله قوله :

أيها القائل غير الصواب * أمسك النصح وأقل عتاي
 وأجتنبني وأعلمن أن ستعصى * ونحير لك طول أجتاني
 إن تقل نصحا فغن ظهر غش * دائم الغمر بعيد الذهب^(١)
 ليس بي عي بما قلت إني * عالم أفقه رجع الجواب
 إنما قرة عيني هواها * فدع اللوم وكفي لماني
 لا تلمني في الرباب وأمست * عدلت للنفس برد الشراب^(٢)
 هي والله الذي هو ربي * صادقا أحلف غير الكذاب
 أكرم الأحياء طرا علينا * عند قرب منهم واجتنب
 خاطبتني ساعة وهي تبكي * ثم عزت خلتي في الخطاب^(٣)
 وكفي بي مدرها لخصوم * لسواها عند حد تباني^(٤)

ومن إثباته الجملة قوله :

خليلى بعض اللوم لا ترحلا به^(٥) * رفيقا حتى تقولاً على علم
 خليلى من يكف بأخر كالذى * كلفت به يدمل فوادا على سقيم^(٦)
 خليلى ما كانت تصاب مقاتلي * ولا غرتي حتى وقعت على نعيم
 خليلى حتى لف حبل بخادع^(٧) * موقى إذا يرعى صبود إذا يرعى^(٨)
 خليلى لو رقى خليل من الهوى * رقيت بما يدنى النوار من العضم^(٩)
 خليلى إن باعدت لانت وإن أن * تباعد فلم أنبل بحرب ولا سلم

- (١) الغمر (بكسر الغين) : الحقد والغل . والغمر (فتح الغين) : الماء الكثير ، وكلا المعنيين يحتمله البيت .
 (٢) عدلت : ساوت . (٣) أى غلبت صدقتى فى الخطاب قال تعالى : (وعزنى فى الخطاب) .
 (٤) يريد : حسبي غالباً لكل خصم سواها الى حد هلاكى . (٥) يقال : رحل فلان فلانا بما يكره ،
 والمراد أنه يتفلسه باسمه إياه . (٦) يدمل : يطوى . قال فى اللسان : ويقال : آدمل القوم ،
 أى أطوهم على ما فهم . (٧) يكفى بهذا عن الوقوع فى شركها . (٨) النوار : النافرة من الضياء .
 (٩) لم أنبل : لم أصب ، أو لم أحسن الرى .

ومن ترجيحه الشك في موضع اليقين قوله :

نظرتُ إليها بالمخصَّب من مَنى * ولى نظراً لولا التحرُّج عارِمُ^(١)
 فقلت : أشمسُ أم مصابيحُ بيعة * بدتْ لك خلف السِّجفِ أم أنتِ حالمُ^(٢)
 بعيدة مهوى القُرطِ إفا لنوفلِ * أبوها وإما عبدُ شمسٍ وهاشمُ^(٣)
 ومدَّ عليها السِّجفَ يومَ لقيتها * على عَجَلٍ تباؤها والحِوادمُ^(٤)
 فلم أستطعها غيرَ أنْ قد بدا لنا * عشيةً راحتْ وجهها والمعاصمُ^(٥)
 معاصمُ لم تضربْ على البهيمِ بالضُّحى * عصاها ووجهه لم تلحه السَّائمُ^(٦)
 نُضارُ ترى فيه أسارىع مائه * صبيحُ تُغاديه الأكفُ النَّواعمُ^(٧)
 إذا مادعتْ أزباها فأكتنفتها * تمايلنَّ أو مالتْ بهنَّ المائمُ^(٨)
 طلبنَّ الصِّبا حتى إذا ما أصبته * تزعرنَّ وهنَّ المسلماتُ الظوالمُ^(٩)

ومن طلاوة اعتذاره قوله :

عاودَ القلبَ بعضُ ما قد شجَّاه * من حبيبِ أمتي هوانا هواءُ
 يأتقومي فكيف أصبرُ عمَّن * لا ترى النفسُ طيبَ عيشِ سواه
 أرسلتْ إذ رأته بعادي ألا * يقبلنَّ بي محرشاً إنْ أتاه
 دونَ أنْ يسمعَ المقالةَ منَّا * وليطعني فإنْ عندي رضاه
 لا تطعُ بي فدتكِ نفسي عدوا * لحديثِ على هواه أفتراه
 لا تطعُ بي من لو رأني وإيا * لك أسيرى ضرورة ما عناه
 ما ضرَّ رايَ نفسي بهجرى من يد * سسُ مسيئاً ولا بعيداً تراهُ^(١٠)
 وآجتباي بيتَ الحبيبِ وما الخلدُ * مدُّ بأشهي إلى من أنْ أراه

(١) عارِم : حاذٍ . (٢) السِّجف : الستر . (٣) كناية عن طول العنق ، وبه فسر في المثل السائر (طبعة بولاق ص ٣٨٣) . (٤) البهيم : جمع بهيمة ، وهي الصغير من أولاد الضأن والمعز والبقر . (٥) لم تلحه : لم تغيره . (٦) أسارىع المساء : طرائقه . والمراد أنه يتفرق فيه ماء الشباب . (٧) المائم : جمع ماكمة وهي العجيزة . (٨) المحرَّش : المقرئ ، من التحرَّش وهو الاغراء والافساد . (٩) الثرى : الخير .

ومن نهجه العَلَلُ قولُهُ :

وَآيَةُ ذَلِكَ أَنْ تَسْمَعِي * إِذَا جِئْتُكُمْ نَاشِدًا يَنْشُدُ
فَرُحْنَا سِرَاعًا وَرَاحَ الْهَوَى * دَلِيلًا إِلَيْهَا بِنَا يَقْصِدُ
فَلَمَّا دَنَوْنَا لِجَرَسِ النَّبَا^(١) * حِجَابِ وَالصَّوْتِ، وَالْحَيُّ لَمْ يَرَقُدُوا
بِعِشَانَا لَهَا بَاغِيًا نَاشِدَا * وَفِي الْحَيِّ بَغِيَّةٌ مِنْ يَنْشُدُ

ومن فتحه الغزل قولُهُ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْتَشِقْ وَلَمْ تَدْرِ مَا أَهْوَى * فَكُنْ حَجْرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَاهِدًا
وَمِنْ عَطْفِهِ الْمَسَاءَةَ عَلَى الْعُدَالِ قولُهُ :

لَا تُلْمُنِي عَتِيقُ حَسْبِي الَّذِي بِي * إِنَّ بِي يَاعْتِيقُ مَا قَدْ كَفَانِي
لَا تُلْمُنِي وَأَنْتَ زَيْنَتَهَا لِي * أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ

ومن حُسن تفجُّعه قولُهُ :

هَجَرْتَ الْحَبِيبَ الْيَوْمَ مِنْ غَيْرِ مَا آجَرْتُمْ * وَقَطَّعْتَ مِنْ ذِي وَدَّكَ الْحَبْلَ فَاَنْصَرْمُ
أَطَعْتَ الْوُشَاةَ الْكَاشِحِينَ وَمَنْ يُطِيعُ * مَقَالَةَ وَاشِ يَقْرَعِ السَّنَّ مِنْ نَدَمِ
أَتَانِي رَسُولٌ كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّهُ * شَفِيقٌ عَلَيْنَا نَاصِحٌ كَالَّذِي زَعَمُ
فَلَمَّا تَبَأْتُنَا الْحَدِيثَ وَصَرَّحَتْ^(٢) * سَرَّارُهُ عَنْ بَعْضِ مَا كَانَ قَدْ كَتَمْتُ
تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْمُحَرَّشَ كَاذِبٌ^(٣) * فَعِنْدِي لَكَ الْعُتْبَى عَلَى رَغْمٍ مِنْ رَغْمِ
فِيلَانَ لَمْتُ النَّفْسَ بَعْدَ الَّذِي مَضَى * وَبَعْدَ الَّذِي آلَتْ وَأَلَيْتُ مِنْ قَسَمِ
ظَلَمْتَ وَلَمْ تُعْتَبْ وَكَانَ رَسُولُهَا * إِلَيْكَ سَرِيعًا بِالرِّضَا لَكَ إِذْ ظَلَمْتَ

(١) الجرس : الصوت . (٢) بث الحديث : إنشأه . (٣) المحرَّش : المغر، يقال :

حرَّشَ بِنِ الْقَوْمِ : أَفْسَدَ بَيْنَهُمْ .

ومن تخيله المنازل قوله :

ألم تسأل الأطلالَ والمتربعا * بيطين حلياتِ دوارسَ بلقعا^(١)
إلى السرح من وادي المغمسِ بدلتَ * معالمها وبلا ونكبأ زعزعا^(٢)
فيخزن أو يخبرن بالعلم بعد ما * نكان فؤادا كان قداما منجعا^(٣)

ومن اختصاره الخبر قوله :

أمن آلِ نعيم أنت غاد فبكر * غداة غد أم رائح فهجج^(٤)
بحاجة نفس لم تقل في جوابها * فتبلغ عذرا والمقالة تُعذر^(٥)
أشارت بمدراها وقالت لترها * أهذا المغيرى الذى كان يدكر^(٦)
لئن كان إياه لقد حال بعدنا * عن العهد والإنسان قد يتغير^(٧)

قال الزبير حدثني إسحاق الموصلي قال : قلت لأعرابي : ما معنى قول ابن أبي ربيعة :

بحاجة نفس لم تقل في جوابها^(٨) * فتبلغ عذرا والمقالة تُعذر

فقال : قام كما جلس .

ومن صدقه الصفاء قوله :

كل وصلٍ أمسى لديك لأنثى * غيرها وصلها إليها أداء^(٩)
كل أنثى وإن دنت لوصول * أو نأت فهى للرباب الفداء^(١٠)

(١) حليات (بضم الحاء المهملة وفتح اللام وتشديد الياء) : اسم موضع ذكره اليربى وياقوت ولم يبيناه ، ولعله موضع قرب مكة بقريته ذكره مع المغمس الوارد في البيت بعده .
(٢) السرح : موضع .
(٣) المغمس (بتشديد الميم وفتحها كما في ياقوت ، وضبطه اليربى في معجمه بكسر الميم وتشديدها) : موضع قرب مكة في طريق الطائف ، مات فيه أبو رغال وقبره يرجح لأنه كان دليل أبرهة صاحب الفيل .
(٤) النكبأ : الريح التي تنكب عن مهاب الرياح .
(٥) يقال : ربح زعزع ، أى شديدة ، وكذلك زعزاع وزعزوع .
(٦) يقال : نكا الجرح : قشره قبل أن يلتئم .
(٧) المدرى والمدرة : حديدة يحك بها الرأس .
(٨) أى هي في غاية من السر لا يجاب عليها إذا سئلت عنها ، والإعذار : نفي العذر .

وقوله :

أَحِبُّ حَبِيبِكَ مَنْ لَمْ يَكُنْ * صَفِيًّا لِنَفْسِي وَلَا صَاحِبًا
وَأَبْذُلُ مَالِي لِمَرْضَاتِكُمْ * وَأُعْتَبُ^(١) مِنْ جَاءِكُمْ عَاتِبًا
وَأُرْغَبُ فِي وُدِّ مَنْ لَمْ أَكُنْ * إِلَى وُدِّهِ قَبْلَكُمْ رَاغِبًا
وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ فِي جَانِبِ * مِنَ الْأَرْضِ وَأَعْتَرَلَتْ جَانِبًا
لِيَمَّتُّ طَيْبَتَهَا^(٢) إِنْسِي * أَرَى قُرْبَهَا الْعَجَبَ الْعَاجِبًا

ومما قدح فيه فأورى قوله .

طَالَ لَيْسِي وَتَعَانِي الطَّرِبُ^(٣) * وَأَعْتَرَانِي طَوْلٌ هَمٌّ وَوَصَبٌ^(٤)
أَرْسَلَتْ أَسْمَاءُ فِي مَعْتَبَةٍ * عَتَبَتْهَا وَهِيَ أَحْلَى مِنْ عَتَبِ
أَنْ أَنَّى مِنْهَا رَسُولٌ مُوَهَّبًا^(٥) * وَجَدَ الْحَيَّ نِيَامًا فَانْقَلَبَ
ضَرَبَ الْبَابَ فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ * أَحَدٌ يَفْتَسِحُ بَابًا إِذَا ضَرَبَ
قَالَ : أَيَقَاطُ، وَلَكِنْ حَاجَةٌ * عَرَضَتْ تُكْتَمُّ مِنَّا فَاحْتَجِبُ
وَلَعَمْرَدًا رَدَّنِي، فَاجْتَهَدْتُ * بَيْنَ حَلْفَةٍ عِنْدَ الْغَضَبِ
يَشْهَدُ الرَّحْمَنُ لَا يَجْعُنَا * سَقَفُ بَيْتٍ رَجَبًا بَعْدَ رَجَبِ
قُلْتُ حِلًّا فَاقْبَلِي مَعْذِرَتِي * مَا كَذَا يَجْزِي حُبُّ مَنْ أَحَبُّ
إِنَّ كَفَى لِكَ رَهْنٌ بِالرِّضَا * فَاقْبَلِي يَا هِنْدُ، قَالَتْ قَدُوجِبُ

قالوا : ومن شعره الذي اعتذر فيه فأبرأ قوله :

فالتقينا فرحبت حين سلمه * بت وكففت دمعاً من العين ما رأيت^(٦)
ثم قالت عند العتاب رأينا * منك عنا تجلداً وأزوراراً^(٧)

(١) يقال : أعتبه إذا أعطاه العتبى وأرضاه . (٢) طيبها : ناحيتها وقصدها . (٣) تعاننى : أرقعنى فى العناء . (٤) الطرب : خفة تعترى الإنسان عند شدة الفرح أو الحزن والهم . (٥) الموهن : نحو من نصف الليل . (٦) مار : جرى وسال . (٧) الأزورار : الإعراض .

قُلْتُ كَلَّا لِأَنَّهُ أَنْ تُعَمِّكَ بِلِخَفِّهِ * نَا أُمُورًا كُنَّا بِهَا أَعْمَارًا^(٢)
 بَفَعَلْنَا الصَّدُودَ لَمَّا خَشِينَا * قَالَةَ النَّاسِ لِلْهُوَى أَسْتَارَا
 لَيْسَ كَالْعَهْدِ إِذْ عَهَدْتِ وَلَكِنْ^(٣) * أَوْقَدَ النَّاسُ بِالنِّيمَةِ نَارَا
 فَلِذَلِكَ الْإِعْرَاضُ عَنكَ وَمَا آ * ثَرَقَلِي عَلَيْكَ أُخْرَى آخْتِيَارَا
 مَا أَبَالِي إِذَا التَّوَى قَرَّبْتِكُمْ * فَدَنُوتُمْ مَن حَلَّ أَوْ مَن سَارَا
 فَالْيَالِي إِذَا نَأَيْتِ طَوَالَ * وَأَرَاهَا إِذَا قُرْبِتِ قِصَارَا

وَمَنْ تَسَكَّيْهِ الَّذِي أُشْجِي فِيهِ قَوْلُهُ :

لَعَمْرُكَ مَا جَاوَرْتُ عُجْمَانَ طَائِعًا * وَقَصَرَ شَعُوبٍ أَنْ أَكُونَ بِهِ صَبَّأً^(٥)
 وَلَكِنْ حُمَى أَضْرَعْتَنِي ثَلَاثَةً * مُجْرَمَةً ثُمَّ أَسْتَمَرَّتْ بِنَا غَيْبًا^(٨)
 وَحَتَّى لَوْ أَنِ الْخَلْدَ يَعْرِضُ إِنْ مَشَتْ * إِلَى الْبَابِ رَجَلِي مَا نَقَلْتُ لَهَا إِرْبَا^(٩)
 فَإِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَ يَوْمَ سُوَيْقَةَ^(١٠) * مَنَاحِي وَحَبْسِي الْعَيْسَ دَامِيَةَ حَدْبَا^(١١)
 وَمَصْرَعِ إِخْوَانٍ كَأَنَّ أَيْنَهُمْ * أَنْيُنُ مَكَّاكِي فَارَقْتُ بِلْدَا خُضْبَا^(١٢)
 إِذَا لَأَقْشَعِرَّ الْخَلْدُ مِنْكَ صَبَابَةً * وَلَا سْتَفْرَعْتُ عَيْنَاكَ مِنْ عِبْرَةِ سَجَا

وَمَنْ إِقْدَامِهِ عَنِ خِبْرَةٍ وَلَمْ يَعْتَدِرْ بِغَيْرِهِ قَوْلُهُ :

صَرَمْتُ وَوَاصَلْتُ حَتَّى عَرَفْتُ * سَتُ أَيْنَ الْمَصَادِرُ وَالْمَسُورِدُ
 وَجَرَّبْتُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى عَرَفْتُ * سَتُ مَا أَتَوَقَّى وَمَا أَعْمَدُ

(١) لاه بمعنى لله . (٢) الغمر (بضم الغين وفتحها مع سكون الميم ، وفتح نين ، وفتح فكسر) :
 الغر الجاهل الذي لم يجرب الأمور . (٣) أى ليس الأمر كما تعهدين من قبل .
 (٤) عجمان : قصر باليمن بناه « بشر بن يحصب » . (٥) قصر شعوب : قصر عال مرتفع باليمن .
 (٦) أضرعنتى : أضعفتنى وأذلتنى . (٧) مجرمة كعظمة : نامة ، يريد ثلاثة أحوال كاملة .
 (٨) الغب من الحمى : ما تأخذ يوماً وتدع يوماً . (٩) أى ما حركت له عضواً . (١٠) سويقة :
 موضع . (١١) حدبا جمع حدباء ، وأصل الحدب : ما أرتفع من الأرض ، يريد أنه أعياها السير فهى دامية
 منقوسة الظهور هز الـ . (١٢) المككاكى : جمع مككا ، وهو طير يشبه القبرة إلا أن فى جناحيه بلقا ، وهو حسن
 الصوت فى تغريده .

ومن أسره النوم قوله :

نام صحبي وبات نومي أسيرا * أرقب النجم موهنا أن يغورا

ومن غمه الطير قوله :

فرحنا وقلنا للغلام أفيض حاجة * لنا ثم أدركنا ولا نتغير

سراعاً نغم الطير إن سححت لنا * وإن تلقنا الركن لا نتغير^(٢)

نتغير من قولهم : غير فلان، أى ليث .

ومن إغذاه السير قوله^(٣) :

قلت سيرا ولا تقيما يبصرى * وحفير^(٥) فما أحب حفيراً

وإذا ما مررتما بمعان^(٦) * فأقلاً به الشواء وسيراً

إنما قصرنا إذا حسر السير^(٧) * رُبعيراً أن تستجد بعيراً^(٨)

ومن تحيره ماء الشباب قوله :

أبرزوها مثل المهامة تهادى * بين خميس كواعب أتراب

ثم قالوا تحبها قلت بهراً * عدد القطر والحصى والتراب

وهى مكنونة تحير منها * فى أديم الحدين ماء الشباب

ومن تقويله وتسميله قوله :

قالت على رقيقة يوماً لجارتها * ما تأمرين فإن القلب قد تبال^(٩)

وهل لى اليوم من أخت مواخية * منك أشكو إليها بعض ما فعلا

(١) لعله يريد : نحرنا بالسبق، أو نهرها وتغلبها، من قولهم : غم القمر النجوم : بهرها وكاد يستر ضوءها .

(٢) التخبر : السؤال عن الخبر . (٣) أغذ السير وأغذ فيه : أسرع . (٤) بصرى : بلد بالشام .

(٥) حفير : نهر بالأردن ببلاد الشام . (٦) معان : مدينة فى طرف بادية الشام تلقاه الحجاز من نواحي

اللقاء . (٧) قصرنا، أى قصارنا ونغابتنا . (٨) حسر السير بعيراً : أجهده وأعياه .

(٩) المتبول : من أسقمه الهوى وغلبه الحب على أمره .

فراجعتها حصاناً غير فاحشية^(١) * برجع قولٍ ولُبٍّ لم يكن خطلاً^(٢)
 لا تذكري حبه حتى أراجعه * إني سأكفيك إن لم أمت عجلاً
 فأقني حياك في سترٍ وفي كرم^(٣) * فليست أول أنثى علقت رجلاً
 وأما ما قاس فيه الهوى فقوله :

وقربن أسباب الهوى لمنيم * يقيس ذراعاً كلما قسن إصبعا
 ومن عصيانه وإخلائه قوله :

وأنص المطي يتبعن بالركب^(٤) * يب سراً نواعم الأطعان
 فنصيد الغرير من بقر الوح^(٥) * شن وتلهو بلذة الفتيان
 في زمان لو كنت فيه صجيبي * غير شك عرفت لي عصياني
 وتقلب في الفراش ولا تد * رين إلا الظنون أين مكاني
 ومن مخالفته بسمعه وطرفه قوله :

سئمي وطرفي حليفاها على جسدي * فكيف أصبر عن سئمي وعن بصري
 لو طواعاني على ألا أكلمها * إذا لقضيت من أوطارها وطري
 ومن إبرامه نعت الرسل قوله :

فبعثت كاتمة الحديد * بث ربيعة بجوابها
 وحشية إنسية * نخرجة من بابها
 فرقت فسهلت المعأ * رض من سبيل تقابها
 ومن تحذيره قوله :

لقد أرسلت جاريتي * وقلت لها خذي حذرَكَ
 وقولي في ملاطفة * لزئنب نولي عمرك

(١) حصان : عفيفة . (٢) الخطل : الفاسد المضطرب . (٣) اقني حياك : الزميه .

(٤) نص المطي : استخراج أقصى ما عندها من السير . (٥) الغرير : الغافل .

فإن داويت ذا سقيم * فأخرى الله من كفرتك

فهزرت رأسها عجباً * وقالت من بدأ أمرك

أهدا بمنعرك النسوا * ن، قد خبرني خبرك

وقلن إذا قضى وطراً * وأدرك حاجة هجرك

ومن إعلانه الحب وإسرايه قوله :

شكوت إليها الحب أعلن بعضه * وأخفيت منه في الفؤاد غليلاً

ومما أبطن فيه وأظهر قوله :

حسك يا آل ليل قاتلي * ظهر الحب يجسى وبطن

ليس حب فوق ما أحببتكم * غير أن أقتل نفسي أو أجن

ومما ألع فيه وأسف قوله :

ليت حظي كطرفة العين منها * وكثير منها القليل المهنا

أو حديث على خلاء يسلى * ما يبين الفؤاد منها ومنا

كبرت رب نعمة منك يوماً * أن أراها قبل المات ومنا

ومن إنكاحه النوم قوله :

حتى إذا ما الليل جن ظلامه * ونظرت غفلة كاشح أن يعقلا

واستنحج النوم الذين تخافهم * وسقى الكرى بوابهم فاستنقلا^(١)

خرجت تاطر في الثياب كأنها * أيم يسيب على كتيب أهيلا^(٢)

ومن جنبه الحديث قوله :

وجوار مساعفات على الله * ومسيرات باطن الأصفان

صبيد للرجال يرشقم بالطر * في حسان تحذل الغزلان^(٣)

(١) يقال : أنقله النوم فهو مستنقل بصيغة المفعول . (٢) تاطر أصله تاطر تخذفت إحدى تاءيه ومعناه

نثني . والأيم : الأفي . ويسيب : يمشي . والكتيب الأهيل : الزمل المنهال . (٣) الخذل : جمع

خاذل وهي الفالية تخلف عن صواحباتها أو أولادها .

قد دَعَانِي وقد دَعَاهُنَّ لِلَّهِ * وَتُجُونَ مُهِمَّةُ الْأَشْجَانِ
فَأَجْتَيْنَا مِنَ الْحَدِيثِ ثَمَارًا * مَا جَنَى مِثْلَهَا لِعَمْرِكَ جَانِي
ومن ضربه الحديث ظهره لبطنه قوله :

فِي خَلَاءٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَمِينٍ * فَبِتْنَا غَلِيلَنَا وَأَشْتَفَيْنَا
وَضَرَبْنَا الْحَدِيثَ ظَهْرًا بَطْنًا * وَأَتَيْنَا مِنْ أَمْرِنَا مَا أَشْتَمِينَا
فَمَكَّنْنَا بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ * فَفَضِينَا دِيُونَنَا وَأَقْضِينَا

ومن إذلاله صعب الحديث قوله :

فَلَمَّا أَفْضَيْنَا فِي الْهَوَى نَسْتَيْنُهُ * وَعَادَ لَنَا صَعْبُ الْحَدِيثِ ذُلُّوَلَا
شَكُوتُ إِلَيْهَا الْحَبُّ أَظْهَرُ بَعْضُهُ * وَأَخْفِيَتْ مِنْهُ فِي الْفَرَوَادِ غَلِيلَا
ومن قَنَاعَتِهِ بِالرَّجَاءِ مِنَ الْوَفَاءِ قَوْلُهُ :

فَعِدَى نَائِلًا وَإِنْ لَمْ تُنْبَلِي * إِنَّهُ يَنْفَعُ الْحَبَّ الرَّجَاءُ

قال الزبير : هذا أحسن من قول كثير :

وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلِ بَنَائِلٍ * قَلِيلٍ وَلَا أَرْضَى لَهُ بِقَلِيلٍ

ومن إعلانه قاتله قوله :

فَبَعَثْتُ جَارِيَتِي وَقُلْتُ لَهَا أَذْهَبِي * فَأَشِكِي إِلَيْهَا مَا عَلِمْتِ وَسَأَلِي
قَوْلِي يَقُولُ تَحْرِيجِي فِي عَاشِقِي * كَلِّفِي بِكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ مُتَمِّمِ
وَيَقُولُ إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتِ بِأَنْكُمْ * أَصْبَحْتُمْ يَا بَشْرُ أَوْجَهَ ذِي دَمِ
فَكَيْ رَهَيْتَهُ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلِي * فَأَعْلِي عَلَى قَتْلِ ابْنِ عَمِّكَ وَأَسْأَلِي
فَتَضَاحَكْتَ عَجَبًا وَقَالَتْ حَقُّهُ * أَلَا يَسْأَلُنَا بِمَا لَمْ نَعْلَمِ

(١) أى مثيرة الأشجان .

(٢) أى كفى عن الحرج والاثم .

(٣) أى أحق إنسان أخذ منه بدى .

عالمى به والله يغفرُ ذنبه * فيما بدا لى ذوهوى متقسّم
طُرِفٌ يَنازِعُهُ الى الأَدْنَى الهوى * وَيَبْتُ حَلَّةُ ذى الوِصَالِ الأَقْدَمِ^(١)

ومن تفيضه النومَ قوله :

فلما فَقَدْتُ الصوتَ منهم وَأَطْفَيْتُ * مَصَابِيحُ شُبَّتْ بالعِشاءِ وَأَنورُ
وغياب مُسِيرٍ كُنْتُ أرجو غيوبه * ورووح رُعيانٍ ونوم سمر^(٢)
ونقضتُ عني النومَ أَقبلتُ مِشِيَةَ الـ * حُجَابٍ ورُكني خَشِيَةَ القومِ أزور^(٣)

ومن إغلاقه رهنَ مَنِي وإهداره قتلاه قوله :

فِكم من قَتِيلٍ ما يَبِأُ به دمٌ * ومن غَليقٍ رَهْنَا إذا لَفَّه مَنِي^(٤)
ومن مالِي عِينِهِ من شَيْءٍ غِيَرَهُ * إذا راح نحو الجُمرةِ البِيضِ كالدمي^(٥)
وكان بعد هذا كَلِمَةً فصيحاً شاعراً مَقُولاً^(٦).

ومن شعره المشهور قوله :

أَمِنْ آلِ نَعِيمٍ أَنْتَ غَادٍ مُبَكِّرٌ * غَدَاةَ غَدِيدِ أمِ رَائِحٍ فَمُهَجِّجُرُ
لحاجةِ نَفْسٍ لم تُقَلِّ في جَوَابِهَا * فَنُبْلِغُ عُذْرًا والمُقَالَةَ تُعْذِرُ
أشارتُ بِمِدْرَاهَا وَقالتُ لِأَخْتِهَا * أَهَذَا المُعِيرِيُّ الَّذِي كانَ يُدْكَرُ
فَقالتُ نَعَمْ لا شَكَّ غَيْرَ لَوْنِهِ * سُرَى اللَّيْلِ يَطْوِي نَصَهُ وَالتَّهْجُرُ^(٧)
رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذا السَّمْسُ عارضَتْ * فَيَضْحِي وَأَمَّا بالعِشِيِّ فَيَحْضُرُ

(١) الطرف: من لا يثبت على امرأة ولا صاحب. (٢) رَوْح من الرواح وهو وقت العشي. والرعيان: جمع راع كالرعاة والرعاة. ونوم الرجل تنويماً: مبالغة في نام. (٣) الحجاب: الحية. وأزور كآحسن: مائل من زور يزور إذا مال. (٤) يقال: أباه القاتل بالقتيل: قتله به، والمراد هنا: فك من قتل يطل دمه ولا يؤخذ له بثأر. (٥) يقال: غلق الرهن في يد المرتهن يغلط غلقاً: لم يقدر الزاهن على أفنكاكه في الوقت المشروط. يريد: وك من قلوب أسيرة لا يقدر أصحابها على أفنكاكها. (٦) الدمى: جمع دمية وهي الصورة المنقطة من العاج ونحوه. (٧) المقول: الحسن القول المفضح المبين. (٨) نص السرى: إسرعه، وأصله حث الدابة واستخراج أقصى ما عندها من السير.

أخا سفير جَوَّابَ أَرْضٍ تَقَاذِفَتْ * به فَلَوَاتٌ فَهَوَّ أَشَعَتْ أُغْبِرُ
 قَلِيلًا عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيَّةِ ظِلُّهُ * سِوَى مَا نَفَى عَنْهُ الرِّدَاءُ الْمُخْبِرُ^(١)
 وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ * وَرِيَّانٌ مُلْتَفُّ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ
 وَوَيْلٌ كَفَّاهَا كُلَّ شَيْءٍ يَهْمُهَا * فَلَيْسَتْ لِشَيْءٍ آخَرَ اللَّيْلِ تَسْمَرُ
 وَلَيْلَةٌ ذِي دَوْرَانَ جَشْمَتِي السَّرَى * وَقَدْ يَجْتَمُّ الْهَوْلُ الْمُحِبُّ الْمَغْرَرُ^(٢)^(٣)

ومن شعره قوله في فاطمة بنت محمد بن الأشعث الكنديّة :

تَسْطُ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا * وَللِدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ^(٤)
 إِذَا سَلَكَتْ عَمْرُ ذِي كِنْدَةَ * مَعَ الرَّكْبِ قَصْدًا لَهَا الْفَرْقَدُ^(٥)^(٦)
 وَحَثَّ الْحُدَاةُ بِهَا عَيْرَهَا * سِرَاعًا إِذَا مَا وَنَتْ تَطْرُدُ^(٧)^(٨)
 هِنَالِكَ إِذَا تُعَزَّى الْفُؤَادُ * وَإِنَّمَا عَلَى إِثْرِهَا تَكْمُدُ
 وَلَيْسَتْ يَبْدَعُ إِذَا دَارَهَا * نَأَتْ وَالْعَزَاءُ إِذَا أَجْلَدُ
 صَرَمْتُ وَوَأَصَلْتُ حَتَّى عَلِمْتُ * سَتُ أَيْنَ الْمَصَادِرُ وَالْمُورِدُ
 وَجَرَّبْتُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى عَرَفْتُ * سَتُ مَا أَتَوَقَّى وَمَا أَحْمَدُ
 فَلَمَّا دَوَّنَا لِحَرَسِ النَّبَا * حِجَّ وَالضُّوْءِ وَالْحَيُّ لَمْ يَرْقُدُوا^(٩)
 نَائِنًا عَنِ الْحَيِّ حَتَّى إِذَا * تَوَدَّعَ مِنْ نَارِهَا الْمَوْقِدُ^(١٠)
 وَنَامُوا بَعَثْنَا لَهَا نَاشِدًا * وَفِي الْحَيِّ بَغِيَّةٌ مِنْ يَنْشُدُ

- (١) المخبر : المزين المحسن . (٢) ذو دوران — بفتح أوله وبعد الواو راء مهملة وآخره نون — موضع بين قديد والجمفة (ياقوت) . (٣) أى كلفتنى السير ليلا .
 (٤) تسط : تبعد . (٥) عمر ذى كندة : موضع وراء وجرة بينه وبين مكة مسيرة يومين .
 (٦) كذا في ديوانه ، وفي الأغاني « الصبح » . (٧) الفرقد : نجان في السماء من نجوم الدب الأصغر وهي في الشمال ، ويقال لها : الفرقد بالإفراد ، والفرقدان بالثنية . ولعله يريد أنها تسير جهته ، لأن العراق التي تقصده في الشمال الشرقي من مكة . (٨) الحداة : جمع حاد وأصله المعنى للابل لتنشط في السير ، وقد يراد به الزايجر والسائق . والعير : الإبل ، ولا واحد له من لفظه . وونت : ضعفت وتباطأت . وتطرد : تساق .
 (٩) الحرس : الصوت . (١٠) تودع : سكنت ناره وأنطفأت .

أَننَّا تَهَادَى عَلَى رِقْبَةٍ ^(٢) * من الخوف أحشاؤها ترعد ^(٣)
 نقول وتظهر وجدنا بنا ^(٤) * ووجدى وإن أظهرت أوجد ^(٥)
 لِمَا شَقَائِي تَعَلَّقْتُكُمْ * وقد كان لي عنكم مقعد ^(٦)
 وَكَفْتُ سَوَائِقَ مِنْ عَبْرَةٍ * على الخد جال بها الإمد ^(٧)
 فَإِنَّ التِّي شَبَعْنَا الْغَدَاةَ * مع الفجر قلبي بها مقصد ^(٨)

وَسَبَّ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ بَزِينَةَ بِنْتِ مُوسَى الْجَمْحِيَّةِ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

يَا خَلِيلِي مِنْ مَلَامٍ دَعَانِي * وَأَلِمَا الْغَدَاةَ بِالْأَطْعَانِ
 لَا تَلُومَا فِي آلِ زَيْنَبَ إِنَّ الـ * قَلْبَ رَهْنٍ بِآلِ زَيْنَبَ عَانِي
 مَا أَرَى مَا بَقِيَتْ أَنْ أَذْكَرَ الْمَو * قَفَّ مِنْهَا بِالْخَلِيفِ إِلَّا شَجَانِي ^(٧)
 لَمْ تَدْعَ لِلنِّسَاءِ عِنْدِي حَقًّا * غَيْرَ مَا قَلْتُ مَارِحًا بِلِسَانِي
 هِيَ أَهْلُ الصَّفَاءِ وَالْوَدِّ مَنِي * وَإِلَيْهَا الْهَوَى فَلَ تَعُدُّلَانِي
 حِينَ قَالَتْ لِأَخْتِهَا وَلَا أُخْرَى * مِنْ قَطِينٍ ^(٨) مُؤَلِّدٍ : حَدَّثَانِي
 كَيْفَ لِي الْيَوْمَ أَنْ أَرَى عُمَرَ الْمُرَّ * سِئَلٍ سِرًّا فِي الْقَوْلِ أَنْ يَلْقَانِي
 قَالَتَا : تَبْتَنِي رَسُولًا إِلَيْهِ * وَتُمِيتُ الْحَدِيثَ بِالْحِكْمَانِ
 إِنَّ قَلْبِي بَعْدَ الَّذِي نَلْتُ مِنْهَا * كَالْمَعْمَى ^(٩) عَنْ سَائِرِ النَّسْوَانِ

(١) تهادى : تمشى في تمايل وسكون . (٢) الرقبة : التحفظ والفرق . (٣) الوجد : الشغف
 والشوق الشديد . (٤) المراد : قد كان لي غنى عن حيكم . (٥) الإمد : حجر للكحل وأجوده بأصهبان .
 (٦) أقصده : رماه بهم فقتله . (٧) الخليف : ما أرتفع عن مجرى السيل وأتحدر عن غلط الجبل .
 قال ابن سيدة : وخيف مكة موضع فيها عند منى ، سمي بذلك لأنه حاده عن الغلط وأرتفاه عن السيل .
 (٨) القطين : الخدم والأتباع والحشم ، والمولد من العبيد والإماء : من ولد بين العرب ونشأ مع أولادهم .
 (٩) كذا في الأغاني . وفي ديوانه " كالمعنى " أى المأسور المحبوس عن غيرها .

وكان سبب ذكره لها أن ابن أبي عتيق ذكرها عنده يوماً فأطراها ووصف من عقابها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله إليها ، فقال فيها الشعر وشبب بها ، فبلغ ذلك ابن أبي عتيق ، فلامه فيه وقال له : أتتق الشعر في ابنة عمي؟ فقال عمر :

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي * إن بي يا عتيق ما قد كفاني
لا تلمني وأنت زيتها لي * أنت مثل الشيطان للإنسان
إن بي داخلا من الحب قد أب * بلى عظامي مكنونه وبراني
لو بعينيك يا عتيق نظرنا * ليلة السّفح قرت العينان
إذ بدا الكشح والوشاح من الد * وفصل فيه من المرجان^(١)
وقلى قباي النساء سواها * بعد ما كان مغرماً بالغواني
لم تدع للنساء عندي نصيباً * غير ما قلت مازحاً بلساني

وأشد ابن أبي عتيق قول عمر :

من لسقم يكتم الناس ما به * لزينب تجوى صدره والوساوس^(٢)
أقول لمن يبغى الشفاء متى نجى * بزينب تدرك بعض ما أنت لايس
فإنك إن لم تشف من سقمي بها * فإني من طب الأطباء آيس
ولست بناس ليلة الدار مجلسا * لزينب حتى يعلو الرأس رامس^(٣)
خلاء بدت قراؤه وتكشفت * دجته وخاب من هو حارس
وما نلت منها محرماً غير أننا * كلانا من الثوب الموردي لايس^(٤)
نجين تقضى اللهو في غير مأم * وإن رعمت الكاشحين المعاطس

(١) الكشح : ما بين الحبة — وهي رأس الورك الذي يشرف على الخصرة — إلى الإبط . والوشاح :

شبه قلادة ينسج من أديم عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها .

(٢) هذا البيت دخل عليه الحرم وهو حذف الفاء من فعولن . (٣) الرامس : الدافن في الرمس وهو القبر .

(٤) المورّد : الذي صبغ على لون الورن .

قال : فقال أبنُ أبي عتيق : أَمِنَّا يَسْحَرُ أَبْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ؟ فَأَيُّ مُحْرَمٍ بَقِيَ ! ثُمَّ أتَى عَمَرَ
فَقَالَ لَهُ : يَا عَمْرُ ، أَلَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّكَ مَا أَتَيْتَ حَرَامًا قَطُّ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي
عَنْ قَوْلِكَ :

* كَلَّانَا مِنَ التَّوْبِ الْمُرْدِ لَا بُسَّ *

مَا مَعْنَاهُ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ لِأَخْبَرْتُكَ : نَحَرَجْتُ أُرِيدُ الْمَسْجِدَ وَنَحَرَجْتُ زَيْنَبُ تَرِيدُهُ ، فَالتَّقِينَا
فَاتَعَدْنَا لِبَعْضِ الشَّعَابِ ، فَلَمَّا تَوَسَّطْنَا الشَّعْبَ أَخَذْنَا السَّمَاءَ ، فَكَرِهْتُ أَنْ يُرَى بَثْيَابَهَا بَلَّلُ
الْمَطْرُ ، فَيَقَالُ لَهَا : أَلَا أَسْتَرْتِ بِسَقَائِفِ الْمَسْجِدِ إِنْ كُنْتِ فِيهِ ! فَأَمَرْتُ غُلَمَانِي فَسَتَرُونَا
بِكِسَاءٍ نَحَرَكَانَ عَلَيَّ ، فَذَلِكَ حِينَ أَقُولُ :

* كَلَّانَا مِنْ آتَوَابِ الْمَطَارِفِ لَا بُسَّ *

فَقَالَ لَهُ : أِبْنُ أَبِي عَتِيقٍ : يَا عَاهِرُ ! هَذَا الْبَيْتُ يَحْتَاجُ إِلَى حَاضِنَةٍ !

وَمِنْ جَيْدِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ فِي زَيْنَبِ بِنْتِ مُوسَى :

يَا مَنْ لَقِيْتُ مَتَمِّمَ كَلِيفٍ * يَهْدِي بِجُودٍ مَرِيضَةَ النَّظْرِ^(١)
تَمَشِي الْهُوَيْنَا إِذَا مَشَتْ فُضْلًا * وَهِيَ كَيْتِلُ الْعُسْلُوجِ فِي الشَّجَرِ^(٢)
مَا زَالَ طَرْفِي يَحَارُ إِذْ بَرَزَتْ * حَتَّى رَأَيْتُ التَّقِصَانَ فِي بَصْرِي
أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنِسْوَتَهَا * يَمِشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ
مَا إِنْ طَمِعْنَا بِهَا وَلَا طَمِعَتْ * حَتَّى آتَقِينَا لَيْلًا عَلَى قَدَرِ^(٣)
يَيْضًا حَسَانًا حَرَانِدًا قُطْفًا * يَمِشِينَ هَوْنًا كِشِيَةَ الْبَقْرِ
قَدْ فُزْنَ بِالْحَسَنِ وَالْجَمَالِ مَعًا * وَفُزْنَ رِسَالًا بِالذَّلِّ وَالْحَفْرِ^(٤)

(١) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفًا ، والنصف : المرأة بين الحدة والمستنة .

(٢) الفضل بضمين : المختالة التي تفضل من ذليها . ويروى : « قطفا » والمراد به تقارب الخطو .

(٣) العسلوج : الغصن اللين الأخضر . (٤) على قدر : على غير موعد . والوجه فيه أن التقاءهما كأنه
مقدر في الأزل لا علم له به ولا سعى إليه كما قيل :

جاء الخِلافة أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا * كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ

(٥) جمع قطوف وهي البطية في السير . (٦) الرسل بالكسر : الرفق والتؤدة . والخفر : شدة الاستعجاب .

يُنصِتَنَ يوماً لها إذا نظمت * كَمَا يُسْرِفُهَا عَلَى الْبَشَرِ
 قالت لِتَرْبٍ لها تُحَدِّثُهَا * لِنَفْسِ دَعِ الطَّوَّافِ فِي عُمَرِ
 قَوْمِي تَصَدَّى لَهُ لِيَعْرِفَنَا * ثُمَّ أَعْمِزِيهِ يَا أُخْتِ فِي خَفَرِ
 قالت لها قد غمزته فأبي * ثُمَّ أَسْبَطْتُ^(١) تَسَعَى عَلَى أَثَرِي
 من يُسَقِّ بعد المنام رِيْقَتَهَا * يُسَقِّ بِمَسِكٍ وَبَارِدِ خَصْرِ^(٢)

وقوله فيها أيضا :

أَلِمَّ بَزِينَبَ إِنْ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا^(٣) * قَلَّ التَّوَاءُ لَيْنُ كَانَ الرَّحِيْلُ غَدَا
 قد حَلَقَتْ لَيْلَةَ الصَّوْرَيْنِ جَاهِدَةً^(٤) * وَمَا عَلَى الْمَرْءِ إِلَّا الْحِلْفُ مَجْتَهِدَا
 لِأُخْتِهَا وَلَا أُخْرَى مِنْ مَنَاصِفِهَا^(٥) * لَقَدْ وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدَا
 لَوْ جَمَعَ النَّاسُ ثُمَّ أَخْتِيرَ صَفْوَهُمْ * شَخْصًا مِنَ النَّاسِ لَمْ أَعْدِلْ بِهِ أَحَدَا

ومن شعر عمر في تشوقه الى مكة بعد أن خرج منها الى اليمن قوله :

هِيَاةَ مِنْ أُمَّةِ الْوَهَّابِ مَنزَلْنَا * إِذَا حَلَلْنَا بِسَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ عَدَنِ^(٦)
 وَأَحْتَلَّ أَهْلُكَ أَجْيَادًا^(٧) وَلَيْسَ لَنَا * إِلَّا التَّدَكُّرُ أَوْ حِطُّ مِنَ الْحَزَنِ
 لَوْ أَنهَا أَبْصَرَتْ بِالْحَزْزِ عَبْرَتَهُ * مِنْ أَنْ يُعْرَدَ قُمْرِيٌّ عَلَى فَنَنِ
 إِذَا رَأَتْ غَيْرَ مَا ظَنَّتْ بِصَاحِبِهَا * وَأَيَقُنْتُ أَنْ لِحْجًا لَيْسَ مِنْ وَطَنِي
 مَا أُنْسَ لَا أُنْسَ يَوْمَ الْخَيْفِ مَوْقِفَهَا^(٨) * وَمَوْقِفِي وَكَلَانَا ثُمَّ ذُو شَيْبِنِ
 وَقَوْلَهَا لِلشُّرَيَّا وَهِيَ بَاكِيَةٌ * وَالدمْعُ مِنْهَا عَلَى الْخَلْدَيْنِ ذُو سُنَنِ^(٩)

(١) اسبطرت : أسرعت . (٢) انحصر : البارد . (٣) أفد كفح : مجل وأسرع .

(٤) الصوران : موضع بالمدينة بالبقيع ، وقد ذكره ياقوت وأسنشهد بالبيت . (٥) المنصف كبير

ومقعد : الخادم ، والأُنثَى بالهاء ، جمع مناصف .

(٦) سيف البحر : ساحله . (٧) أجياد : موضع بمكة ، سمي بذلك لأن تبعا لما قدم مكة ربط

خيله فيه فسمى بذلك ، وهما موضعان : أجياد الكبير وأجياد الصغير . (٨) الخيف : موضع بيني وبه

سمى مسجد الخيف . (٩) ذو سنن : ذو طرائق .

بالله قولى له في غير معتبة * ماذا أردت بطول المكث في اليمن
إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها * فما أخذت بترك الحج من يمن

وقال أيضا :

خيلى ما بأل المطايا كأما * نراها على الأدبار بالقوم تنكص^(١)
وقد قطعت أعناقهن صباية * فأنفسنا مما يلاقين شخص
وقد أتعب الحادى سراهن وأنتهى * بهن فما يالو عجول مقلص^(٢)
يزدن بنا قربا فيزداد شوقنا * إذا زاد طول العهد والبعْد ينقص

ومن شعره قوله :

جرى ناصح بالود بينى وبينها * فقرئني يوم الحصاب إلى قلى^(٣)
فطارت بحد من فؤادى وقارنت * قريلتها جبل الصفاء إلى حبلى
فلما توافقنا عرفت الذى بها * كمثل الذى بى حدوك النعل بالنعل
فقلن لها هذا عشاء وأهلنا * قريب الما تسامى مراكب البغل
فقاتل فما شئت قلن لها أنزلى * فللأرض خير من وقوف على رحل
نجوم درارى تكفن صورة^(٤) * من البدر وافت غير هوج ولا تجل^(٥)
فسامت وأستانست خيفة أن يرى * عدو مقامى أو يرى كاشح فعلى
فقاتل وأرخت جانب السرايما * معى فتكلم غير ذى رقبية أهلى
فقلت لها ما بى لهم من ترقيب * ولكن سرى ليس يحمله مثلى
فلما أقتصرنا دونهن حديثنا * وهن طبيبات بجاجة ذى الشكى
عرفن الذى تهوى قلن أنذنى لنا * نطف ساعة فى برد ليل وفى سهل

(١) تنكص : تراجع وتولى وتجمع . (٢) مقلص : مشعر جاد في السير . (٣) الحصاب

كالخصب : موضع رى الجمار . (٤) درارى متنوعة من الصوف وتؤت لضرورة الشعر . (٥) هوج :

جمع هوجاء وهى المنعجة فى السير كأن بها هوجا وحقا .

فقلت فلا تلبثن قن تحديتي * أئينك ، وأسنين أنسياب مها الرميل
فقمين وقد أفهمن ذا اللب أنما * آتين الذي يأتيين من ذلك من أجل

وقد كان عمر حين أسن حلف ألا يقول بيت شعر إلا أعتق رقبة ، فانصرف عمر
إلى منزله يحدث نفسه ، فجعلت جارية له تكلمه فلا يرد عليها جوابا ، فقالت له : إن لك
لأمرا ، وأراك تريد أن تقول شعرا ، فقال :

تقول وليدتي لما رأني * طربتُ وكنتُ قد أقصرتُ حيناً
أراك اليوم قد أحدثت شوقاً * وهاج لك الهوى داءً دفيناً
وكنت زعمت أنك ذو عزاء * إذا ما شئت فارقت القريناً
بربك هل أتاك لها رسولٌ * فشاقتك أم لقيت لها خديناً^(١)
فقلت شكاً إلى أخ محب * كبعض زماننا إذ تعلمينا
فقص على ما يلقي بهند * فذكر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وإن تعزى * مشوق حين يلقي العاشقيناً
وكم من خلة^(٢) أعرضت عنها * لغير قلى وكنت بها ضنيناً
أردت يعادها فصددت عنها * ولو جن الفؤاد بها جنوناً
ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم بكل بيت واحداً .

وله :

يقولون : إني لست أصدقك الهوى * وإني لا أراك حين أغيب
فما بال طرفي عف عما تساقطت * له عين من معشر وقلوب
عشية لا يستنكف القوم أن يروا * سفاهاً أمرى ممن يقال لبيب

(١) الخدين : الصديق الذي يتحادثك فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن ، ومنه خدن الجارية : محبتها ، وكان العرب في الجاهلية لا يمتنون من خدن يحدث الجارية بغيا . الاسلام بهدمه . وفي التنزيل العزيز : (اليوم أحل لكم الطيبات) الى قوله : (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان) الآية . (٢) الخلة : الخلية .

ولا فتنَةً من ناسِكٍ أو مَضَّتْ له ^(١) * بعين الصَّبَا كَسَلَى التَّيَامِ لَعُوبُ
 تَرَوَّحَ يَرْجُو أَنْ تُحَطَّ ذُنُوبُهُ * فآبَ وقد زِيدَتْ عليه ذُنُوبُ
 وما النَّسْكُ أَسْلَانِي وَلَكِنِّ لِلْهَوَى * على العينِ مَنَى والنَّسْوَادِ رَقِيبُ
 وله :

ألم تَسَالِ المَنْزِلَ المُتَّفِرَا * بِيَانًا فِيكُمْ أو يُحْمِرَا
 ذَكَرْتَ به بعض ما قد شَجَاكَ * وَحَقَّ لذي الشَّجْوَانِ يَذْكَرَا
 مَيِّتَ الحَيِّينَ قد ظَاهِرَا ^(٢) * كِسَاءً وَبَرْدِينَ أَنْ يُمَطَّرَا
 وَمَمَّنَى الثَّلَاثِ به مَوْهِنَا * خَرَجْنَ إلى زَائِرِ زُورَا
 إلى مَجْلِسِ من وراء القِبَا * بِ سَهْلِ الرَّبِّيِّ طَيِّبِ أَعْفَرَا ^(٣)
 غَفَلْنَ عن اللَّيْلِ حتى بَدَتْ * تَبَاشِيرُ من وَاضِعِ أَسْفَرَا
 فَمَنْ يَعْقِينِ آثَارَنَا * بِأَكْسِيَةِ الحَزَّانِ تُفَفَّرَا ^(٤)
 مَهَاتَانِ شَيْعَتَا جُوذْرَا ^(٥) * أَسِيلاً مَقْلَدُهُ أَحْوَرَا
 وَفُنَّ وَقُنَّ لَوَانَتِ النِّهَا * رَمَدَّ له اللَّيْلُ فَاسْتَأْخَرَا
 قَضَيْنَا به بعضُ أَشْجَانِنَا * وَكَانَ الحَدِيثُ به أَجْدَرَا

وله :

أفَى رَسْمِ دَارِ دَمْعِكَ المَتَرَفْرِقِ ^(٧) * سَفَاهَا! وما أَسْتَنْطَاقُ ما لَيْسَ يَنْطُوقُ!
 بِحَيْثُ التَّقَى ^(٨) وَوَجْعٌ وَأَقْصَى ^(٩) * مَعَالِمُهُ كَادَتْ على العَهْدِ تُخْلِقُ
 ذَكَرْتُ به ما قد مَضَى من زَمَانِنَا * وَذَكَرْتُكَ رَسْمَ الدَّارِ مِمَّا يُسَوِّقُ

(١) أو مضت له : سارقه النفر .

- (٢) يقال : ظاهر بين التوبين إذا لبس أحدهما على الآخر . (٣) أعفر : ذى رمل أحمر .
 (٤) يقال : ففر الأثر ففرا : اقتفاه وتبعه . (٥) الجوذور (بضم أوله وضم الذال وفتحها) : ولد البقرة .
 والربرب : القطيع من بقرة الوحش وقيل من الفباء ، ولا واحد له من لفظه . (٦) المقلد : موضع القلادة
 ويراد به الجيد . (٧) تفرق الدمع : سال . (٨) جمع ، هي المزدلفة . (٩) محسر : موضع
 بين منى والمزدلفة .

ليالى من دهرٍ إذ الحى جيرة * وإذ هو مأهول الخميعة مؤثق
 مقاماً لنا عند العشاء ومجلسا * به لم يكدره علينا معوق^(١)
 ومشى فتاة بالكساء تكئنا * به تحت عين برقها يتألق^(٢)
 يئل أعلى الثوب قطر وتحتة * شعاع بدأ يعشى العيون ويشرق
 فأحسن شىء بدء أول ليلنا * وآخره حزن إذا نتفرق

وروى أن ليلي كانت جالسة في المسجد الحرام، فرأت عمر بن أبي ربيعة فوجهت
 إليه مولى لها بغاءها به، فقالت له: يابن أبي ربيعة، حتى متى لا تزال سادراً في حرم الله^(٣)
 تُسبب بالنساء وتُشيد بذكرهن! أما تخاف الله! قال: دعيني من ذلك وأسمعي ما قلت،
 قالت: وما قلت؟ فأنشدها الأبيات المذكورة، فقالت له القول الذي تقدم أنها أجابته به.
 قال: وقال لها: أسمعي أيضاً ما قلت فيك، ثم أنشدها قوله:

أين الرسم وأطلال الدمن * عادلى وجدى وعاودت الحزن
 إن حبي آل ليلي قاتلى * ظهر الحب يجسمى وبطن
 يا أبا الحارث قلبي طائر * فأتمر أمر رشيد مؤتمن^(٤)
 التمس للقلب وصلاً عندها * إن خير الوصل ما ليس بمن^(٥)
 علق القلب، وقد كان صحاً، * من بني بكرٍ غزلاً قد شدن^(٥)
 أحوار المقلّة كأبدر، إذا * قلد الدرّ قلبي ممنحن^(٦)
 ليس حب فوق ما أحببتكم * غير أن أقتل نفسي أو أجن
 خلقت للقلب مني فتنة * هكذا يُخلق معروض الفتن

(١) معوق: عائق ومانع . (٢) العين: السحاب .

(٣) السادر: الذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع .

(٤) كذا في الديوان، ومعناه ما ليس يقطع، ومنه قوله تعالى: (وإن لك لأجراً غير ممنون) .

(٥) شدن: شب وترعرع . (٦) ممنحن: واقع في محبة .

وفيها يقول :

إِن لَيْلِي وَقَدْ بَلَغْتُ الْمَشِيئَا * لَمْ تَدْعُ لِلنِّسَاءِ عِنْدِي نَصِيئَا
هَاجِرٌ بَيْتَهَا لِأَنْفِي عَنْهَا * قَوْلَ ذِي الْعَيْبِ إِنْ أَرَادَ عِيوبَا

وله في النّوَّار وقد شغلت قلبه :

عَلِقَ النَّوَّارَ فَنَوَّادُهُ جَهْلًا * وَصَبَا فَلَمْ تَرَكَ لَهُ عَقْلًا
وَتَعَرَّضْتُ لِي فِي الْمَسِيرِ فَا * أَمْسَى الْفَوَّادُ يَرَى لَهَا مِثْلًا
مَا نَعَجَةٌ مِنْ وَحْشٍ ذِي بَقْرِ^(١) * تَغْدُو بِسَقَطِ صَرِيمَةٍ طِفْلًا^(٢)
بِأَلَدٍ مِنْهَا إِذْ تَقُولُ لَنَا * وَأَرَدْتُ كَشَفَ قِنَاعِهَا مَهْلًا
دَعْنَا فَإِنَّكَ لَا مُكَارِمَةَ * تَجْزِي وَاسْتَبَوَاصِلِ جَبَلًا
وَعَلَيْكَ مَنْ تَبَلَّ الْفَوَّادَ وَإِنْ * أَمْسَى لِقَلْبِكَ ذِكْرُهُ شُغْلًا
فَأَجِبْتُهَا إِنْ الْحَبَّ مَكْلَفٌ^(٣) * فَدَعِيَ الْعِتَابَ وَأَحْدِثِي بَدَلًا

اجتمع نسوة من أهل المدينة من أهل الشرف فتذاكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظهره وحسن حديثه فتشوقن إليه وتمنينه ، فقالت سكينه بنت الحسين عليهما السلام : أنا لكنن به ، فأرسلت إليه رسولا وواعدته الصورين ، وسمت له الليلة والوقت وواعدت صواحباتها ، فوافاهن عمر على راحلته ، فحدثهن حتى أضاء الفجر وحن أنصرافهن ، فقال لهن : والله إنى لمحتاج إلى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده ولكن لا أخاطب بزيارتكن شيئا ، ثم أنصرف إلى مكة وقال :

(١) ذوبقر : موضع . (٢) سقط الصريمة : منبهاها . والصريمة : الرملة المنصرمة من الرمال ذات الشجر . (٣) مكلف : لهج بالحب ، يقال : كلف بالشي كلفا ، أى لهج به فهو كلف ومكلف ، والأبيات من الكامل الأخذ ، وهو ما حذف من عروضه وضربه الوند المجموع «علن» من «متماطن» . وقد جاء عروض هذا البيت تاما على خلاف بقية الأبيات ، وظاهر أن حذف الوند في اصطلاح علماء العروض نلة ، والعلة إذا لحقت بعروض أو ضرب لم استعمالها في سائر الأبيات ولو قال : * فأجبتها إني بكم كلف * نخلت القصيدة من هذا العيب .

قالت سَكِينَةُ وَالدَّمُوعُ ذَوَارِفٌ * منها على الخدين والجلباب^(١)
 ليت المُعِيرَى الذى لم أجزه * فيا أطال تصيّدى ويطلابى
 كانت تردُّ لنا المني أماننا * إذ لا نلأم على هوى وتصابي
 خُبرْتُ ما قالت فبتُّ كأنما * رُمي الحشا بنوافذ النشاب^(٢)
 أسكين ما ماء الفرات وطيبه * منى على ظميا وفقد شراب
 بالذم منك وإن نأيت وقلمها * ترعى النساء أمانة الغياب

وقال فيها :

أُحِبُّ لِحَبِّكَ من لم يكن * صَفِيًّا لِنَفْسِي ولا صاحبا
 وأبذلُ نفسى لمَرْضَاتِكُمْ * وأعتب^(٣) من جاءكم عاتبا
 وأرغب في ودِّ من لم أكن * الى ودّه قبلكم راغبا
 ولو سلكت الناس في جانب * من الأرض وأعتلت جانبا
 ليممتُ طيبتها ، إنسى * أرى قريبا العجب العاجبا
 فما ظبية من ظباء الأرا * لك تقرو دميث الرئي عاشبا^(٤)
 بأحسن منها غداة الغميم * وقد أبدت الخدَّ والحاجبا^(٥)
 غداة تقول على رقبته * لخادمها : يا أحسبى الراكبا^(٦)
 فقالت لها : فيم هذا الكلام * وأبدت لها عابسا قاطبا^(٧)
 فقالت كريم أتي زائرا * يُمرُّ بكم هكذا جانبا
 شريف أتي ربعا زائرا * فأكره رجعتَه خابا^(٨)

- (١) الجلباب : القميص أو هو الخمار ، وهو ما تغطى به المرأة رأسها . (٢) النشاب : النبل .
 (٣) أعتب : أزال سبب العتب ، فالهزمة للسلب . والمعنى أعذر . (٤) قرأه بقروه : تبعه .
 (٥) دميث الرئي : سهلها ولينها . (٦) الغميم كأمير : موضع بين مكة والمدينة . (٧) الخادم :
 واحد الخدم غلاما كان أو جارية . (٨) قاطبا من القطوب : وهو تزرى ما بين العينين من العبوس .

وقال في جاريته بغموم :

صرمت حبلك البغوم وصدت * عنك في غير ريبه أسماء
والغواني اذا رأيتك كهللاً * كان فيهن عن هواك التواء
جهداً أنت يا بغموم وأسماء * وعيص يكتننا وخلاء
ولقد قلت ليلة الجزل لما * أخضت ريطتي على السماء^(١)
ليت شعري - وهل يردن ليت - * هل لهذا عند الرباب جزاء
كل وصل أمسى لدى لأثني * غيرها وصلها إليها أداء
كل خلق وإن دنا لوصال * أو نأى فهو للرباب الفداء
فعدى نائلاً وإن لم تنبلي * إنما ينفع المحب الرجاء

وكان يهوى حميدة جارية ابن تفاعه؛ وفيها يقول :

حمل القلب من حميدة ثقلاً * إن في ذاك للفؤاد لشغلاً
إن فعلت الذي سألت فقولي * حمد خيراً وأتبعي القول فعلاً
وصليني وأشهد الله أنني * لست أصفى سواك ما عشت وصلاً

وفيها يقول :

يا قلب هل لك عن حميدة زاجر * أم أنت مذكر الحياء فصابر
فالقلب من ذكرى حميدة موجه * والدمع منحدر وعظمى فاتر
قد كنت أحسب أنني قبل الذي * فعلت على ما عند حمدة قادر
حتى بدأ لي من حميدة خلتي * بين وكنت من الفسراق أحاذر

(١) الجزل : موضع قسرب مكة . وأخضت : بل . والريطة : ملاهه كلها نسج واحد وقطعة

وله في هند :

أرَبْتُ إلى هند وترَّيْنِ مرَّةً * لها إذ توافقنا بفرع المَقْطَعِ
 لَتَعْرِيحِ يومٍ أو لَتَعْرِيسِ لَيْلَةٍ * علينا بجمع الشَّمْلِ قَبْلَ التَّصَدُّعِ
 فقلن لها لولا آرتقَابُ صَحَابَةٍ * لنا خَلَفْنَا عَجْنَا ولم نَتَوَرَّعِ
 فقالت فتاة كُنْتُ أَحْسِبُ أنها * مَغْفَلَةٌ في مَثَرٍ لم تَدْرِعِ
 هُنَّ - وما شاورنَّها - ليس ما أرى * بَحْسِنِ جِزَاءٍ لِلطَّيِّبِ المُوَدِّعِ
 فقلن لها لا شَبَّ قَرْنُكَ فَافْتَحِي * لنا بَابَ مَا يَحْتَفِي مِنَ الأَمْرِ نَسْمَعِ

- (١) يقال : أرب بكذا : كلف به ، وأرب إلى كذا : احتاج إليه . ولعل المراد : دعاني الشوق الهين .
 (٢) التعريس : قيل هو نزول القوم في السفر آخر الليل يستر يحون قليلا ثم يرحلون مع الصبح . وقيل : هو النزول
 أزل الليل . وقيل : النزول في أي وقت كان من ليل أو نهار . والمراد هنا : لإقامة يوم أو لإقامة ليلية .
 (٣) لم تدرع : لم تلبس الدرع ، يقال : درعت الصبية إذا ألبست الدرع ، والدرع : جبة مشقوقة المقدم .
 (٤) قال الأصمى : يقال أشبه الله وأشبه الله قرنه بمعنى واحد (وهو الدعاء له بأن يشب ويكبر) ، والقرن
 زيادة في الكلام اه . والقرن : الضغيرة . والمراد التعجب من حديثها كما يقال في هذا المقام : فانك الله .
 (٥) البابة : الوجه والطريق ، قال تميم بن مقبل :

بني عامر ما تأمرون بشاعر * تخير بابات الكتاب هجائيا

أي تخير هجائيا من وجوه الكتاب ، كما فسره صاحب اللسان . وللبابة معان أخرى لا بأس من إيرادها وهي : القبيل
 والنوع - كما قال الجاحظ في « كتاب الحيوان » ج ٢ ص ٤٥ : « فليس الديك من بابة الكلب لأنه إن ساوره قتله
 قتلا ذريعا » وقال أيضا في ج ٧ ص ٤٣ : « وقد أيقنا أنهما ليسا من بابه » . وقال في كتاب البخلاء ص ٥٥ ،
 ١٤٣ : « أنت من ذى البابة ... وأما سائر حديث هذا الرجل فهو من هذه البابة » . ومثل ذلك في نفع الطيب
 ج ١ ص ٥٥٩ طبع ليدن ، ج ١ ص ٣٩٨ طبع بولاق سنة ١٢٧٩ هـ قول القاضي محمد بن بشر الأندلسي :

إنما أزرى بقدرى أنى * لست من بابة أهل البلد

وإذا قال الناس : « من بابتي » فعناه من الوجه الذي أريده ويصلح لي .

والشرط - ومثله ما في « تاج العروس » : هذا بابه أي شرطه .

والغاية - ويستعمل ذلك في الحساب والحدود . وفي « شفاء الغليل » أنهم يقولون لعب خيال الظل بابة
 فيقولون : بابات خيال الظل ، وعلى ذلك قول ابن إياس المؤرخ المصري : فكانوا مثل بابات خيال الظل فشيء . ويجيء
 وبشيء يروح (بدائع الزهور في وقائع الدهور ج ١ ص ٣٤٧) .

ويجوز أن يسمى به كل فصل من فصول التمثيل المسماة الآن فصول الرواية . (انظر كتاب التاج للجاحظ ص ٣٨

وله :

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ * وَشَقَّتْ أَنْفَسَنَا مَا تَعِدُ^(١)
 وَأَسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً * إِنَّمَا الْعَاجِزُ مِنْ لَا يَسْتَبِدُّ^(٢)
 وَلَقَدْ قَالَتْ بِلْجَارَاتِهَا * ذَاتَ يَوْمٍ وَتَعَرَّتْ تَبْتَرِدُ^(٣)
 أَكَّا يَنْعَتِي تَبْصِرْتِي * عَمْرُكُنَّ اللَّهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ^(٤)
 فَمَهَانَتُنَّ وَقَسَدَ قُلْنَهَا * حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدُّ^(٥)
 حَسَدًا حَمَلَنَهُ مِنْ أَجْلِهَا * وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

وله :

يَا مَنْ لِقَلْبٍ دَنِيْفٍ مُغْرَمٍ * هَامٌ إِلَى هِنْدٍ وَلَمْ يَظْلِمِ^(٤)
 هَامٌ إِلَى رِيمٍ هَضِيمِ الْحَشِيِّ * عَذَبِ الثَّنَائِيَا طَيْبِ الْمُبْسَمِ^(٥)
 لَمْ أَحْسِبِ الشَّمْسَ بِلَيْلٍ بَدَّتْ * قَبْلِي لِذِي لَحْمٍ وَلَا ذِي دَمِ^(٦)

(١) وجد به يجد وجدا : أحبه جدا شديدا ، ووجد عليه يوجد وجدا : حزن . (٢) تبتد : تغتسل بالماء البارد . (٣) كذا في الكامل للبرد طبع ليترج ص ٥٩٤ وهي رواية جيدة . والتهايف كالأهتاف والمهافة : ضحك فيه فتور كضحك المستهزئ . وفي الأغاني والديوان : «فتضاحكن» . وقد رجحنا الرواية الأولى لأنها تؤدي تمام المعنى المراد . (٤) هام تعدي بالياء . وقد ضمنت هنا معنى صبا ولهذا تعدت بالياء . (٥) كذا في الأغاني ، وفي ديوانه : «رثم» بالهمز . والرثم : الظبي الأبيض الخالص البياض ، وقيل ولد الظبي ، يهمز ولا يهمز . (٦) كذا في الأغاني ، وبين هذا البيت والذي قبله في ديوانه :

كالشمس بالأسعد إذا شرقت * في يوم دجن بارد مقتم

يريد بالأسعد هنا سعود النجوم ، وهي عشرة : أربعة منها في برج الجدي والدلو يترها القمر وهي سعد الذابح وسعد بلع وسعد الأخبية وسعد السعود وهو كوكب منفرد نير . وأما الستة التي ليست من المنازل فسعد ناشرة وسعد الملك وسعد الهام وسعد الهام وسعد البارح وسعد مطر . وكل سعد من هذه الستة كوكبان بين كل كوكبين في رأي العين قدر ذراع وهي متناسقة . وأما سعد الأخبية فتلاثة أنجم كأنها أنافى ورايح تحت واحد منهم . أنظر المرغضي والمقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للامام العيني المطبوع بهامش الخزانة ج ١ ص ٨ . في الكلام على البيت :

إذا دبران منك يوما لقيته * أؤمّل أن ألقاك غدوا بأسعد

وقال في اللسان في مادة «سعد» بعد أن ذكر هذه السعود : فأحسن ما تكون الشمس والقمر والنجوم في أيامها لأنك لا ترى فيها غبرة ، وقد ذكرها النابغة الذبياني فقال :

قامت ترامى بين سبغى كلمة * كالشمس يوم طلوعها بالأسعد

وقد ضبط خطأ في اللسان بفتح العين . وقال :

بيضاء كالشمس وافت يوم أسعدها * لم تؤذ أهلا ولم تفضح على جار

قالت ألا إنك ذو مَلَّةٍ * يَصْرِفُكَ الأَدْنَى عن الأَقْدَمِ
قلت لها بل أنتِ معتَلَّةٌ * في الوَصْلِ يَاهنْدُ لِكِي تَصْرِمِي

بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ،
وكانت من أجمل أهل دهرها ، وهي تريد الركن تستلمه ، فبهت لما رآها ورأته ، وعلمت
أنها قد وقعت في نفسه ، فبعثت إليه بجارية لها وقالت : قولي له : أتق الله ولا تقل هجراً ،
فإنك هذا مقام لا بد فيه مما رأيت ، فقال للجارية : أفرئها السلام وقولي لها : ابن عمك
لا يقول إلا خيراً ، وقال فيها :

لعائشة أبنة التيمي عندي * حمي في القلب ، لا يرعى حماها
يدكرني أبنة التيمي ظبي * يرود بروضة سهل رباها
فقلت له وكاد يرأع قلبي * فلم أر قط كالיום أنسبها
سوى حميش يساقك مستبين^(١) * وأن شواك لم يُسبه شواها
وأنت عاطل عارٍ وليست * بعارية ولا عطيل يداها
وأنت غير أفرع^(٢) وهي تدلي * على المتنين^(٣) اتعمم قد كساها
ولو قعدت ولم تكلف بود^(٤) * سوى ما قد كلفت به كفاها
أظل إذا أكلها كاني * أكلم حية غلبت رقاها
تبيت إلى بعد النوم تسرى * وقد أمسيت لا أخشى سراها

وله :

إني وأول ما كلفت بحبها * عجب وهل في الحب من متعجب
نعت النساء فقلت لست بمبصر * شهباً لها أبداً ولا بمقرب

(١) الحمس : دقة السابقين . (٢) الشوى : الأطراف . (٣) الأفرع : طويل شعر الرأس .

(٤) الأعمم : الأسود ، يريد به الشعر .

فَمَكَّنَ حِينًا ثُمَّ قُلْنَ تَوَجَّهَتْ * لِلْحَجِّ ، مَوْعِدُهَا لِقَاءَ الْأَخْشَبِ^(١)
 أَقْبَلْتُ أَنْظُرَ مَا زَعَمَنَ وَقُلْنَ لِي * وَالْقَلْبُ بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ
 فَلَقِيْتُهَا تَمَشِي بِهَا بَغْلَاتُهَا * تَرِي الْجِمَارَ عَشِيَّةً فِي مَوَكِبِ
 غَرَاءَ يُعْشَى النَّاطِرِينَ بِيَاضِهَا * حَوْرَاءَ فِي غُلُوَاءِ عَيْشٍ مُعْجِبِ^(٢)
 إِنَّ الَّتِي مِنْ أَرْضِهَا وَسَمَائِهَا * جُلِبَتْ لِحَيْنِكَ لَيْتَهَا لَمْ تُجَلَبِ

وكان عمر بن أبي ربيعة يهوى كلم بنت سعد الخزومية، فأرسل إليها رسولا فضربتها وحاقتها وأحلقها ألا تعاود؛ ثم أعادها ثانية ففعلت بها مثل ذلك، فتحاماها رسله؛ فابتاع أمة سوداء لطيفة رقيقة وأنى بها منزله فأحسن إليها وكساها وأنسها وعرفها خبره وقال لها: إن أوصلت لي رقيقة إلى كلم فقرأتها فانت حرة ولك معيشتك ما بقيت؛ فقالت: اكتب لي مكتبة^(٣) وأكتب حاجتك في آخرها، ففعل ذلك، فأخذتها ومضت بها إلى باب كلم فاستأذنت فخرجت إليها أمة لها فسألها عن أمرها؛ فقالت: مكتبة لبعض أهل مولاناك جئت أستعينها في مكاتبي، وحادثتها وناشدتها حتى ملأت قلبها، فدخلت إلى كلم وقالت: إن بالباب مكتبة لم أرقط أجمل منها ولا أكل ولا آذب؛ فقالت: إنذني لها، فدخلت، فقالت: من كتابك؟ قالت: عمر بن أبي ربيعة الفاسق! فافترى مكاتبي، فمدت يدها لتأخذها فقالت لها: لي عليك عهد الله أن تقرئها، فإن كان منك إلى شيء مما أحبه وإلا لم يالحقني منك مكروه؛ فعاهدتها وفطنت وأعطتها الكتاب، فإذا أوله:

من عاشق صب يسر الهوى * قد شفه الوجد إلى كلم
 رأيتك عيني فدعاني الهوى * إليك للحين ولم أعلم

(١) الأخشب: مفرد الأخشين وهما جبلان بمكة أحدهما أبو قبيس والآخر فميقعان، ويقال: هما أبو قبيس

والجبل الأحمر المشرف هنالك، وقد تفرد هذه التثنية فيقال لكل واحد منهما: الأخشب، قال ساعدة بن جؤية.

ومقامهن إذا حبسن بمأزم * ضيق ألف وصد هن الأخشب

(٢) في غلواء عيش: في أنضره وأرغده. (٣) المكتبة: أن يكتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجا

(مقسطا) فإذا آذاه صار حرا، وسميت كذلك لأنه يكتب على نفسه لمولاه نمة، ومولاه يكتب له عليه عتقه.

قَتَلْنَا ، يَا جَبَّذَا أَنْتُمْ * فِي غَيْرِ مَا جُرِّمَ وَلَا مَأْتُمْ
 وَاللَّهُ قَدْ أَنْزَلَ فِي وَحْيِهِ * مُبَيَّنًا فِي آيَةِ الْمُحْكَمِ
 مَنْ يَقْتُلِ النَّفْسَ كَذَا ظَالِمًا * وَلَمْ يَقْدَحْهَا نَفْسَهُ يَظْلَمُ
 وَأَنْتِ تَأْرِي فَتَلَاقِي دَمِي * ثُمَّ آجَعْلِيهِ نِعْمَةً تُنْعِمِي
 وَحِكْمِي عَدْلًا يَكُنْ بَيْنَنَا * أَوْ أَنْتِ فِيمَا بَيْنَنَا فَأَحْكُمِي
 وَجَالِسِي مَجْلِسًا وَاحِدًا * مِنْ غَيْرِ مَا عَارٍ وَلَا مُحَرَّمِ
 وَخَبْرِي مَا الَّذِي عِنْدَكُمْ * بِاللَّهِ فِي قَتْلِ أَمْرِي مُسْلِمِ
 فلما قرأت الشعر قالت لها : إنه خداع مَلَقٌ وليس لما شكاه أصل ؛ قالت : يا مولاتي ،
 فما عليك من أمتحانه ؟ قالت : قد أدننتُ له وما زال حتى ظفر بيغيته ! فقولي له : إذا كان
 المساء فليجلس في موضع كذا وكذا حتى يأتيه رسولي ؛ فأنصرفت الجارية فأخبرته فأنهت لها ،
 فلما جاءه رسولها مضى معه حتى دخل إليها وقد تهيأت أجمل هيئة ، وزينت نفسها ومجلسها
 وجلست له من وراء ستر ، فسلم وجلس ، فتركته حتى سكن ثم قالت له : أخبرني عنك
 يا فاسق ! ألسنت القائل :

هَلَّا أَرْعَوَيْتِ قَرَحِي صَبَا * صَدْيَانِ لَمْ تَدْعِي لَهُ قَلْبَا
 جَسَمَ الزَّيَارَةِ فِي مَوَدَّتِكُمْ * وَأَرَادَ أَلَّا تُرْهِقِي ذَنْبَا
 وَرَجَا مُصَالِحَةً فَكَانَ لَكُمْ * سَلَمًا وَكُنْتَ تَرِيْنَهُ حَرْبَا
 يَا أَيُّهَا الْمُصْنِفِي مَوَدَّتِهِ * مَنْ لَا يَرَاكَ مُسَامِيًا خُطْبَا^(١)
 لَا تَجْعَلْنَ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا * أَحْبَبْتَهُ وَهَوَيْتَهُ رَبًّا
 وَصِلِ الْحَبِيبَ إِذَا سُغِفَتْ بِهِ * وَأَطْوِ الزَّيَارَةَ دُونَهُ غَيْبًا
 فَلِذَلِكَ أَحْسَنُ مِنْ مُوَاطَبَةٍ * لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبَا
 لَا بِلِ يَمْلِكُ عِنْدَ دَعْوَتِهِ * فَيَقُولُ هَاهُ وَطَالَمَا لَبِي^(٢)

(١) الخطب : الخطاب . (٢) وهاه : كلمة وعيد ، وحرك لضرورة الشعر وقد روى البيت في ديوانه :

لا بل يملك ثم تدعو باسمه * فيقول هاه وطالما لبي

ورأى عمرُ لُبَّابَةَ بنتَ عبدِ الله بن العباسِ امرأةَ الوليدِ بنِ عُتبَةَ بنِ أبي سفيانٍ تطوفُ
بالبيتِ فرأى أحسنَ خلقِ الله ، فكاد عقله يذهبُ ، فسأل عنها فأخبر بنسبها ، فنسب بها
وقال فيها :

وَدَّعْ لُبَّابَةَ قَبْلَ أَنْ تَرَحَّلَا * وَأَسْأَلُ فَإِنَّ قُلَّالَهُ أَنْ تَسْأَلَا
إِلْبَثَ بَعْمَرِكَ سَاعَةً وَتَأْتَهَا * ففعل ما يَحَلَّتْ به أَنْ يُسَدَّلَا
قال أَمْرٌ مَا شئتَ غَيْرُ مُخَالِفٍ * فَمَا هَوَيْتَ فَإِنَّا لَنْ نَعْجَلَا
لَسْنَا نُبَالِي حِينَ تَقْضِي حَاجَةً * مَا بَاتَ أَوْ ظَلَّ الْمِطْيَ مُعَقَّلَا
حتى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ ظَلَامُهُ * وَرَقَبْتُ غَفْلَةً كَأَشِيحٍ أَنْ يَحْجَلَا
نَحْرَجَتْ تَأَطَّرَ فِي الثِّيَابِ كَأَنهَا * أَيْمٌ يَسِيبُ عَلَى كَيْبِ أَهْيَلَا
رَحَبْتُ حِينَ رَأَيْتَهَا فَتَبَسَّمْتُ * لَتَحْتَجِّي لَمَّا رَأَيْتِي مُقْبِلَا
وَجَلَّ الْفِنَاعُ تَحَابَةً مَشْهُورَةً * غَرَاءَ تُعْشِي الطَّرْفَ أَنْ يَتَأَمَّلَا
فَلَبِثْتُ أَرْقِيهَا بِمَا لَوْ عَاقِلٌ * يُرْقَى بِهِ مَا أَسْطَاعَ آلَا يَنْزَلَا

وَحَجَّتْ رَمْلَةً بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلِيفِ الْخَزَاعِيَّةِ فَقَالَ فِيهَا :

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْجِبَالِ رَهِينًا * مُقْصِدًا يَوْمَ فَارَقَ الظَّاعِنِينَا
عَجَلَتْ حَمَّةُ الْفِرَاقِ عَلَيْنَا * بَرَحِيلٌ وَلَمْ نَخْفُ أَنْ تَبِينَا
لَمْ يَرُعْنِي إِلَّا الْفِتَاءُ وَإِلَّا * دَمْعُهَا فِي الرِّدَاءِ سَحَابًا سَنِينَا
وَلَقَدْ قَلْتُ يَوْمَ مَكَّةَ سِرًّا * قَبْلَ وَشِكِّ مِنْ بَيْنِكُمْ نَوْلِينَا
أَنْتِ أَهْوَى الْعِبَادِ قُرْبًا وَدَلًّا * لَوْ تُنِيلِينَ عَاشِقًا مَحْزُونَا
قَادَهُ الطَّرْفُ يَوْمَ مَرَّ إِلَى الْحِيَا * مِنْ جِهَارًا وَلَمْ يَخْفُ أَنْ يَحِينَا

(١) القلال كغراب وسحاب : القليل . (٢) اتمر ما شئت : افعل ما شئت فإننا لانعصى لك أمرا .
(٣) تأطر : محذوفة إحدى تاءيه ، أى تثنى . (٤) الأيم : الحية . (٥) يقال : عقل الوعل
يعقل عقولا : امتنع في الجبل ، وبه سمي الوعل عاقلا على حد التسمية بالصفة ، ومثله المثل : « إنما هو كجارح
الأرعى قليلا ما يرى » . والأرعى : جمع أروية وهى تيموس الجبل البرية .

فاذا نعمةً ترعى نعباً * ومها بهج المناظر عيناً
 قلت من أتم فصدت وقالت * أميد سؤالك العالمينا
 قلت بالله ذى الجلالة لما * أن تبليت الفؤاد أن تصدقينا
 أرى من تجمع المواسم قولى * وأبني لنا ولا تكتمينا
 نحن من ساكنى العراق وكأنا * قبله قاطنين مكة حيناً
 قد صدقناك إذ سألت من أن * ست عسى أن يحرر شأن شؤونا
 ونرى أننا عرفناك بالنع * يت بظن وما قتلنا يقينا
 بسمواد الثيبين ونعت * قد نراه لناظر مستبيناً
 وقال فى الثريا وقد صرّمته .

من رسولى إلى الثريا فإنى * ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب
 سلبتى مجاجة المسك عقلى * فسألوها ماذا أحلّ اغتصابى
 وهى مكنونة تحير منها * فى أديم الخدين ماء الشباب
 أبرزوها مثل المهابة تهادى * بين خميس كواعب أتراب
 ثم قالوا تحبها قلت بهراً * عدد القطر والحصى والتراب
 أزهدت أم نوفل إذ دعته * مهجتي ، ما لقائلى من متاب
 حين قالت لها أجيبي فقالت * من دعاني قالت أبو الخطاب
 فاستجابت عند الدعاء كما لى * رجال يرجون حسن النواب

(١) قال فى اللسان مادة بذب بعد أن أورد هذا الشطر : « معناه أمقسم أنت سؤالك على الناس واحدا واحدا حتى تعيهم » . من البداد وهو أن يبدأ المسال القوم فيقسم بينهم ، وأبداهم المال والعطاء : فرقه فيهم ، والمراد : لماذا تسألنا ! ألك حق السؤال على جميع الناس ! . أو معناه : « أنت ملزم سؤالك الناس ، من قولهم : مالك منه بده » ، والمراد : أنت ملزمتنا الإجابة عن سؤالك ! إننا لانجيبك . (٢) مجاجة المسك ، يريد بذلك وصفها بطيب ريقها وبأنه كالمسك . (٣) تهادى ، يريد يهدى بعضها بعضاً فى مثيلتها (الكامل للبرد طبع لبيزج ص ٣٧٩) . (٤) فى الكامل للبرد طبع لبيزج ص ٣٧٩ : أزهدت : أبطلت وأذهبت قال الله عز وجل : (فدمنه فإذا هو زاغ) اه . يريد : أذهبت أم نوفل نفسى إذ دعت الثريا لوصالى فلم تجبها .

ومن شعره :

كُتِبَتْ إِلَيْكَ مِنْ بَلَدِي * كِتَابٌ مُؤَوَّلَةٌ كَيْدِ
 كَيْبِ وَأَكْفِ الْعَيْنِ (١) * مِنْ بِالْحَمْرَاتِ مَنْفَرِدِ
 يُورِقُهُ لَهَيْبُ الشُّو * قِي بَيْنَ السَّحْرِ وَالْكَيْدِ (٢)
 فِيمَسِكَ قَلْبَهُ بِيَدِ * وَيَمْسَحُ عَيْنَهُ بِيَدِ

لما تزوج سهيل بن عبد العزيز الثريا ونقلها الى الشام، بلغ عمر بن أبي ربيعة الخبر، فأتى المنزل الذي كانت الثريا تنزله، فوجدها قد رحلت منه يومئذ، فخرج في أثرها فلحقها على مرحلتين، وكانت قبل ذلك مهاجرة لأمر أنكرته عليه، فلما أدركهم نزل عن فرسه ودفعه الى غلامه ومشي متنكرا حتى مر بالخيمة، فعرفته الثريا وأثبتت حركته ومشيته، فقالت لحاضتها: كلميه، فسلمت عليه وسأته عن حاله وعاتبته على ما بلغ الثريا عنه، فاعتذر وبكى، فبكت الثريا، فقالت: ليس هذا وقت العتاب مع وشك الرحيل، فحادثها الى وقت طلوع الفجر ثم ودعها وبكى طويلا، وقام فركب فرسه ووقف ينظر اليهم ويرحلون، ثم أتبعهم بصره حتى غابوا، وأنشأ يقول:

يا صاحبي قفا تسبخير الطللا * عن حال من حله بالأمس ما فعلا
 فقال لي الرُّعُ لما أن وقفتُ به * إن الخليط أجده بين فاحتملا (٣)
 وخادعتك النوى حتى رأيتهم * في الفجر يحث حادي عيسهم زجلا (٤)

(١) يقال: وكفت العين: سالت دموعها. (٢) السحر: الرثة.

(٣) أي عرفتها حق المعرفة. (٤) لحاضتها: لمربيتها. (٥) يرحلون يشدون على إبلهم الرحال. (٦) أجده بين: اعترته. (٧) احتمل: ارتحل. (٨) النوى: الفراق والبعد. ويحث: يسوق. وزجلا: رافعا صوته في حذاء الإبل لتسرع في السير، وأصل الزجل الجلبة ورفع الصوت ونخص به التطريب، وأنشد سيبويه في وصف حمار وحش:

له زجل كأنه صوت حاد * إذا طلب الوسيقة أو زمير

وذكره في باب ما يحتمل الشعر من استباحة الضرورة، وهي هنا حذف الواو المبنية لحركة الهاء في قوله: كأنه. والوسيقة: أثناء التي يضمها ويجمعها، من وسقت الشيء: جمعه.

لما وقفنا نُحْيِيهِمْ وقد صرخت * هَوَاتِفُ الْبَيْنِ وَأَسْتَوَاتُ بِهِمْ أَصْلًا^(١)
 صَدَّتْ بِعَادًا وَقَالَتْ لَاتِي مَعَهَا * بِاللَّهِ لَوْمِيهِ فِي بَعْضِ الَّذِي فَعَلَا
 وَحَدَّثِيهِ بِمَا حَدَّثْتِ وَأَسْمَعِي * مَاذَا يَقُولُ وَلَا تَعْبِي بِهِ جَدَلًا^(٢)
 حَتَّى يَرَى أَنْتَ مَا قَالَ الْوُشَاةُ لَهُ * فِينَا لَدَيْهِ إِلَيْنَا كُلُّهُ نُقَلَا
 وَعَرَّفِيهِ بِهِ كَالْمُهْزَلِ وَأَحْفَظِي * فِي بَعْضِ مَعْتَبَةٍ أَنْ تُغْضِبِي الرَّجُلَا
 فَإِنَّ عَهْدِي بِهِ وَاللَّهُ يَحْفَظُهُ * وَإِنْ أَتَى الذَّنْبَ مِنْ يَكْرِهِ الْعَدَلَا
 لَوْ عِنْدَنَا أَغْتِيبَ أَوْ نَيْتَ تَقِصُّهُ * مَا آبَ مُعْتَابُهُ مِنْ عِنْدِنَا جَدَلَا
 قَلْتُ أَسْمَعِي فَلَقَدْ أَبْغَيْتِ فِي لَطْفِ^(٣) * وَليْسَ يَخْفَى عَلَي ذِي اللَّبِّ مِنْ هَزَلَا
 هَذَا أَرَادَتْ بِهِ بُحْلًا لِأَعْذِرَهَا * وَقَدْ أَرَى أَنَهَا لَنْ تَعْدَمَ الْعِلَلَا
 مَا يُسَمِّي الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقَلُّبِهِ * وَلَا الْفُؤَادُ فُؤَادًا غَيْرَ أَنْ عَقَلَا^(٤)
 أَمَا الْحَدِيثُ الَّذِي قَالَتْ أَتَيْتَ بِهِ * فَمَا عَبَأْتُ بِهِ إِذْ جَاءَنِي حَوْلَا
 مَا إِنْ أَطَعْتُ بِهَا بِالْغَيْبِ قَدْ عَلِمْتُ * مَقَالَةَ الْكَاشِحِ الْوَاشِي إِذَا مُحَلَا
 إِنِّي لِأَرْجِعُهُ فِيهَا بِسَخَطْتَهُ * وَقَدْ يَرَى أَنَّهُ قَدْ غَرَنِي زَلَا
 وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ مَذْكُورَةٌ فِي شِعْرِهِ .

(١) فِي دِيْوَانِهِ :

لما وقفنا نُحْيِيهِمْ وقد شحطت * نَعَامَةُ الْبَيْنِ فَاسْتَوَلَتْ بِهِمْ أَصْلًا

وشحطت نَعَامَةُ الْبَيْنِ : ارتحلوا ووفزقهم الْبَيْنَ ، وفي اللسان مادة نعم وشال : يقال للقوم إذا ارتحلوا عن منزلهم أو تفزقوا : قد خفت نعامتهم وشالت نعامتهم ، والأصل : جمع أصيل وهو العشي وقيل هو مفرد ، أشد ثعلب :

وتمذرت نفسى لذلك ولم أزل * بدلا نهاري كنه حتى الأصل

فقوله : بدلا نهاري كنه ، يدل على أن الأصل هاهنا واحد . (٢) لا تعبي به جدلا : لا تعجزى في مجادله .

(٣) اللطف لفة في اللطف . (٤) قال في اللسان : والتفؤد : التوقد ، والفؤاد : القلب لتفؤده

وتوقده . وقال في القاموس وشرحه : والتفؤد : التحرق والتوقد ، ومنه الفؤاد للقلب ، لأن عقل الفؤاد للعلومات

نتيجة اشتغاله وتوقده وتحركه وجولته فيها حتى يحصها ، ويميز الصحيح من الفاسد والحق من الباطل .

وله :

هل تعرف الدار والأطلال والدمنا * زدت الفؤاد على علاته حزنا^(١)
 داراً لأسماء قد كانت تحل بها * وأنت إذ ذاك قد كانت لكم وطناً
 لم يحب القلب شيئاً مثل حبكم * ولم تر العين شيئاً بعدكم حسناً
 ما إن أبالي أدام الله قربكم * من كان شطاً من الأحياء أو طعناً
 فإن نأيمه أصاب القلب نأيمكم * وإن دنت داركم كنتم لنا سكناً
 إن تجللى لا يسئل القلب بخلكم * وإن تجودى فقد عنتيني زمناً
 أمسى الفؤاد بكم ياهند مرثناً * وأنت كذت الهوى والهّم والوسناً
 إذ تستيبك بمصقول عوارضه * ومقلتي جؤذير لم يعد أن شدناً

وقال :

أعبدة ما ينسى مودتك القلب * ولا هو يسليه رخاء ولا كرب
 ولا قول وإش كاشع ذى عداوة * ولا بعد دار إن نأيت ولا قرب
 وما ذاك من نعمي لذك أصابها * ولكن حباً ما يقاربه حب
 فإن تقبلي يا عبدة توبة تائب * يتب ثم لا يوجد له أبداً ذنب
 أذل لكم يا عبدة فيما هويتم * وإني إذا ما رامني غيركم صعب
 وأعدل نفسي في الهوى فتعوقني * ويأصرنى قلب بكم كلف صب
 وفي الصبر عمن لا يؤاتيك راحة * ولكنه لا صبر عندي ولا لب
 وعبدة بيضاء المحار طفلة * منعمة نصبي الحليم وما تصبو
 قطوف من الحور الأوانس بالضحي * متى تمش قيس الباع من بهرها ترو
 فلست بناس يوم قالت لأربع * نواعم غمر كلهن لها ترب
 ألا ليت شعري فيم كان صدوده * أعلق أخرى ! أم على به عتب

(١) كذا في ديوانه وفي الأغانى ج ١ ص ٢٧٩ « على ما عتده » .

وقال :

إِنَّ طَيْفَ الْحَيَالِ حِينَ أَلَمَّا * هَاجَ لِي ذُكْرَةٌ وَأَحَدَتْ هَمًّا
 جَدْدِي الْوَصْلَ بِاسْكِينٍ وَجُودِي * لِحُبِّ رَحِيلَةَ قَدْ أَحَمَّا
 لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا * أَنْ يَرُدُّوا حِمْلَهُمْ فِتْرَمَّا
 وَلَقَدْ قَلْتُ مُحْفِيًّا لَغَرِيضٍ * هَلْ تَرَى ذَلِكَ الْغَزَالَ الْأَحْمَا
 هَلْ تَرَى فَوْقَهُ مِنَ النَّاسِ شَخْصًا * أَحْسَنَ الْيَوْمِ صُورَةً وَأَهْمَا
 إِنْ تَنَسَّلِي أَعِشْ بِجَيْرٍ وَإِنْ لَمْ * تَبْدُلِي الْوَدَّ مَتٌ بِالْهَمِّ غَمًّا

وله أيضا :

أَيَا مَنْ كَانَتْ لِي بَصْرًا وَتَمَعًا * وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْ بَصْرِي وَسَمْعِي
 وَعَمَّنْ حِينَ يَذْكُرُهُ فُؤَادِي * يَفِيضُ كَمَا يَفِيضُ الْغَرْبُ دَمْعِي
 يَقُولُ الْعَادِلُونَ نَأَتْ فَدَعَا * وَذَلِكَ حِينَ تَهَيَّأِي وَوَلْعِي
 أَا هَجْرَهَا فَأَقْعُدَ لَا أَرَاهَا * وَأَقْطَعُهَا وَمَا هَمَّتْ بِقَطْعِي
 وَأَصْرِمُ حَبْلَهَا لِمَقَالٍ وَأَشِ * وَأَجْعَلُهَا وَمَا هَمَّتْ بِفَجْعِي
 وَأَقْسِمُ لَوْ خَلَوْتُ بِهِجْرٍ هِنْدٍ * لَصَاقَ بِهِجْرِهَا فِي النَّوْمِ ذَرْعِي

وهو القائل :

مَا كُنْتُ أَشْعُرُ إِلَّا مُدَّ عَرَفَتُمْ * أَنْ الْمَضَاجِعَ تُسَمِّي تَنْبِتُ الْإِبْرَا
 لَقَدْ شَقِيْتُ وَكَانَ الْحَيْنُ لِي سَبَبًا * أَنْ عُلِقَ الْقَلْبُ قَلْبًا يُشْبِهُ الْمَجْرَا
 قَدْ لَمْتُ قَلْبِي فَأَعْيَانِي بِوَاحِدَةٍ * وَقَالَ لِي لَا تَلْمَنِي وَأَدْفَعِ الْقَدْرَا
 إِنْ أَكْرَهَ الطَّرْفُ يَحْسَرُونَ غَيْرَكُمْ * وَلَسْتُ أَحْسِنُ إِلَّا لِنَحْوِكَ النَّظْرَا
 قَالُوا صَبَوْتُ فَلَمْ أُكْذِبْ مَقَالَتَهُمْ * وَلَيْسَ يَنْسَى الصَّبَا إِنْ وَالَهُ كَثِيرَا

(١) الحين : الحنة .

وقال أيضا :

ألا لَيْتَ قَبْرِي يَوْمَ تُقْضَى مَنِيَّتِي * بتلك التي مِنْ بَيْنَ عَيْنَيْكَ والنم
وَلَيْتَ طَهْوَرِي كَانَ رِيْقِكَ كُفَّةً * وليت حَنُوطِي مِنْ مُشَاشِكَ وَالْدَّم
ألا لَيْتَ أُمُّ الْفَضْلِ كَانَتْ قَرِيْبَتِي * هُنَا أَوْ هُنَا فِي جَنَّةٍ أَوْ جَهَنَّمَ

نظر عمر بن أبي ربيعة في الطواف إلى امرأة شريفة فرأى أحسن خلق الله صورة،
فذهب عقله عليها وكنمها فلم يُجِبْه، فقال فيها :

الرِّيحُ تَسْحَبُ أَذْيَالًا وَتَشْرَهَا * يا لَيْتِي كُنْتُ مِمَّنْ تَسْحَبُ الرِّيحُ
كَمَا تَجْرُبُنَا ذَبَلًا فَطَرَحْنَا * على التي دُونَهَا مَغْبَرَةٌ سَوْحٌ ^(٢) ^(٣)
أَنِّي بَقْسَرِيكُمْ أُمُّ كَيْفَ لِي بِكُمْ * هَيْهَاتَ ذَلِكَ مَا أَمَسَّتْ لَنَا رُوحُ
فَلَيْتَ ضِعْفَ الَّذِي أَلْقَى يَكُونُ بِهَا * بل لَيْتَ ضِعْفَ الَّذِي أَلْقَى تَبَارِيخُ ^(٤)
إِحْدَى بُنْيَاتٍ عَمِّي دُونَ مَنَزَلِهَا * أَرْضٌ بِقِيْعَاتِهَا الْقَيْصُومُ وَالشَّيْحُ ^(٥)

فبلغها شعره فجَزَعَتْ منه، فقيل لها : اذكريه لزوجك ، فإنه سينكر عليه قوله ، فقالت :
كَلَّا وَاللَّهِ لَا أَشْكُوهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ ، ثم قالت : اللهم إن كان نَوْهَ بَاسْمِي ظَالِمًا فَاجْعَلْهُ طَعَامًا
لِلرِّيحِ ، فَضْرَبَ الدَّهْرُ مِنْ ضَرْبِهِ ؛ ثم إنه غدا يوماً على فرس فهبَّتْ رِيْحٌ فَتَرَلَّ فَاسْتَر
بَسَامَةً ، فَعَصَفَتِ الرِّيحُ نَفْدَشَهُ غَضْنٌ مِنْهَا ، فَدَمِيَ وَوَرِمَ بِهِ وَمَاتَ مِنْ ذَلِكَ .

(١) هذا أحد الوجهين في الفعل الواقع بعد كذا : الرفع على أن ما كافة لها عن العمل ، والنصب على أن
ما زائدة وكى عاملة فيما بعدها ، وقد روى بالوجهين :

إذ أنت لم تنفع فضرر فإنما * يربحى القى كيا يضر وينفع

(٢) مغبرة ، يريد بها الغلاة المحجبة . (٣) سوح : جمع ساحة وهي الفضاء . (٤) تباريح
الشوق : تويجه ، قال السيد محمد مرتضى : قال شيخنا وهو من المجموع التي لا مفرد لها وقيل : مفردة تباريح
وأستعمله المحسنون وليس بثبت . (٥) قال في اللسان : القيصوم : ما طال من العشب ، ثم قال :
والقيصوم من نبات السهل قال أبو حنيفة : القيصوم من المذكور ومن الأمرار وهو طيب الرائحة من رياحين البر
وروقه هذب وله نورة صفراء ، وهي تنهض على ساق وتطول .

(ب) الغزل العذريّ

(١)
جميل

قال نُصَيْبُ مولى عبد العزيز بن مروان: قَدِمْتُ المَدِينَةَ فسألتُ عن أعلم أهلها بالشعر، فقيل لي: الوليد بن سعيد الأثجعي، فوجدته بشعب سأل مع عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن أذهر، فإنا جلوس إذ طلع علينا رجل طويل بين المتكئين يقود راحلةً

(١) هو جميل بن عبد الله بن معمر من عذرة، وكان شاعرا فصيحاً مقدّماً جامعاً للشعر والرواية. اشتهر بحبه بئنة ابنة عمه، ولذلك عرف بجميل بئنة، وكانا يقيان في وادي القرى، وكان أول عهده بها وهي صغيرة. ومن أوائل نظمه فيها قوله:

وأقول ما قاد المودة بيننا * بوادي بغيض يا بئنين سباب

وقلت لها قولاً بغامت بمنله * لكل كلام يا بئنين جواب

ولم يكن يراها حتى صارت شابة، فأخذ ينظم القصائد فيها حتى اشتهر أمره. وأتفق مرة أن توبة بن الحخير صاحب ليل مر بئنة فرأته بئنة فجعلت تنظر إليه وجميل حاضر فنارت الغيرة في قلب جميل، فقال لتوبة: من أنت؟ قال: أنا توبة بن الحخير، قال: هل لك في الصراع؟ قال: ذلك إليك، فأعطته بئنة ملاءة حراء فأترز بها، ثم صارعه فصرعه جميل. ثم قال: هل لك في النضال؟ قال: نعم، ففاضله فضله جميل. ثم قال: هل لك في السباق؟ قال: نعم. فسابقه فسبقه جميل. فقال له توبة: يا هذا، إنما تفعل ذلك بريح الجلوسة، ولكن اهبط بنا الوادي، فهبط، فصرعه توبة ونضله وسبقه.

وكان عند بئنة مثل ما عند جميل، ولما رأته متاخلة عنها زادت شغفا به، ولكنهما لم يكونا يجتمعان إلا خلصة على موعد. ولم يكن جميل يتخلو من الرقباء، لكنهم لم يستطيعوا رميه بريية. وأخباره معها كثيرة لا يسعها هذا المقام. ولم يزل يجتمع بها سرا عن أهلها، فألحوا بالشكوى منه إلى العامل، ففزع إلى اليمن حتى عزل العامل. واتّسع أهل بئنة الشام، فرحل جميل اليهم، فترصدوه وشكوه إلى عشيرته، فغنمه أهله وهددوه، فانقطع عنها، وأخيرا لجأ إلى مصر، وعاملها عبد العزيز بن مروان، فأحسن وفادته، ومرض هناك ومات. وكان طويل القامة عريض بين المتكئين جميل الخلفة حسن البزة، توفي سنة ٨٢ هـ.

وجميل ديوان شعر كبير كان مشهوراً في أيام ابن خلكان ولم تقف على خبره، ولكن منه أشعاراً مجموعة في كتاب منه نسخة خطية في مكتبة برلين.

أنظر الكلام على جميل في الأغاني ج ٧ ص ٧٧ وج ١ ص ٨٠ وابن خلكان ج ١ ص ١١٥ ونزارة الأدب ج ١ ص ١٩١ والشعر والشعراء ص ٢٦٠

عليها بزة حسنة، فقال عبد الرحمن بن حسان لعبد الرحمن بن أزرع : يا أبا حَبْرَة، هذا جميل فادعه لعله يُنشدنا، فصاح به عبد الرحمن : هيا جميل، فألتفت فقال : من هذا ؟ فقال : أنا عبد الرحمن بن أزرع، فقال : قد علمت أنه لا يجترئ على إلا مثلك، فأناه، فقال له : أنشدنا، فأنشدهم :

ونحن منَعنا يوم أولِ نساءنا * ويوم أقي والأسننة ترعف^(١)
يُحب الغواني البيض ظلّ لوانسا * اذا ما أانا الصارخ المتلهف
نسير أمام الناس والناس خلفنا * فإن نحن أوماناً الى الناس وقفوا
فأى معد كان في رماحه * كما قد أفانا والمفاحر يُصف
وكنا اذا ما معشر نصبوا لنا * ومررت جوارى طيرهم وتعيفوا^(٢)
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة * بما سوف نُوفيها اذا الناس طففوا^(٣)
اذا استبق الأقوم مجداً وجدتنا * لنا معرفاً مجيداً وللناس معرف

ثم قال له : أنشدنا هزجاً، قال : وما الهزج ؟ لعله القصير ! قال : نعم، فأنشده :

رسم دارٍ وقفْتُ في طَلله * كدت أفضى الحياة من جلله^(٤)
موحشاً ما ترى به أحداً * تنسج الرياحُ ترب معتدله
وصريعاً بين الثمام ترقى * عازفات المدب في أسله
بين علياء رائس فبلى * فالغميم الذي الى جبهه
واقفاً في ديار أم جسيير * من ضحى يومه الى أصله
يا خليلي إن أم جسيير * حين يدنو الضجيع من غلله^(٥)
روضة ذات حنوة وخرامى * جاد فيها الربيع من سبله^(٦)
بيننا نحن بالأراك معاً * اذ بدا راكب على جمهه

(١) ترعف : تقطر دما . (٢) تعيفوا : من العياقة ، وهي زير الطير والاعتبار بأسمائها ومساقطها وأصواتها ، فيتسعد أو يتشامم . . (٣) التطفف : نقص الكيل . (٤) من أجله .
(٥) الغلال : جمع غلة ، وهي ما يتوارى فيه أو شعار تحت الثوب . (٦) السبل : المطر .

فَتَأَطَّرْتُ^(١) ثُمَّ قَلْتُ لَهَا * أَكْرَمِيهِ حَيْثُ فِي نُزُلِهِ
 فَظَلَمْنَا بِنِعْمَةٍ وَأَتَكْنَا * وَشَرِبْنَا الْحَلَالَ مِنْ قُلَّةِ
 قَدْ أَصَوْنُ الْحَدِيثَ دُونَ أُيْح * لَا أَخَافُ الْأَذَاةَ مِنْ قَبْلِهِ
 غَيْرَ بَغِيضٍ لَهُ وَلَا مَلِيْقٍ * غَيْرَ أَنِّي أَشَحْتُ^(٢) مِنْ وَجْهِهِ
 وَخَلِيلٍ صَافِيَةٍ مَرْضِيَا * وَخَلِيلٍ فَارَقْتُ مِنْ مَلَّةِ

ثم افتاد راحلته موليا؛ فقال ابن الأزهري: هذا أشعر أهل الإسلام؛ فقال ابن حسان:
 نعم والله وأشعر أهل الجاهلية، والله ما لأحد منهم مثل هجائه ولا نسيبه؛ فقال عبد الرحمن
 ابن الأزهري: صدقت.

قال محمد بن سَلَام: كان لكثير في النسب حظ وافر، وجميل مقدم عليه وعلى
 أصحاب النسب في النسب، وكان جميل صادق الصباية والعشق، ولم يكن كثير بعاشق
 ولكنه كان يتقوّل، وكان الناس يستحسنون بيت كثير في النسب؛ وهو:

أُرِيدُ لِأَنِّي ذَكَرَهَا فَكُنَّا * تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

ورأيت من يفضل عليه بيت جميل:

خَلِيلِي فَمَا عَشْتَا هَلْ رَأَيْتَا * قَتِيلًا بَكِي مِنْ حَبِّ قَاتَلِهِ قَبْلِي

قيل إن بثينة واعدت جميلا أن يلتقيا في بعض المواضع، فأتى لوعدها، وجاء أعرابي
 يستضيف القوم، فأنزاه وقرّوه، فقال لهم: قد رأيت في بطن هذا الوادي ثلاثة نفر متفرقين
 متوارين في الشجر وأنا خائف عليكم أن يسلبوا بعض إبلكم، فعرفوا أنه جميل وصاحباه،
 فخرسوا بثينة ومنعوها من الوفاء بوعده، فلما أسفر له الصبح انصرف كئيبا سيئ الظن بها
 ورجع إلى أهله؛ بفعل نساء الحى يقزّعنه بذلك ويقلن له: إنما حصلت منها على الباطل
 والكذب والغدر، وغيرها أولى بوصلك منها، كما أن غيرك يحظى بها؛ فقال في ذلك:

(١) تأطرت: ملت. (٢) أشاح: حذروخاف.

فأجبتُها بالقول بعد تسرُّ * حبي بئينة عن وصالك شاغلي
 أبين إنك قد ملكت فأبيحي ^(١) * وأخذى بحظك من كريم واصل
 فلبت عارضة علينا وصلها * بالحسد تخاطبه بقول الهازل
 لو كان في صدري كقدر قلامية * فضلاً وصالك أو أنتك رسائي
 ويقن إنك قد رضيت بباطل * منها فهل لك في اجتناب الباطل
 ليزن عنك هواي ثم يصالني * وإذا هويت فما هواي بزائل
 صادت فؤادي يا بئين جبالكم * يوم المحجون وأخطائك جبائلي
 منيتني فلويت ما منيتني * وجعلت عاجل ما وعدت كأجل
 وتناقلت لما رأت كلفي بها * أحجب اليّ بذاك من متناقل
 وأطعت في عواذلاً فهجرتني * وعصيتُ فيك وقد جهدت عواذلي
 حاولتني لأبت جبال وصالكم * مني ولست وإن جهدت بفاعل
 فرددتهم وقد سعين بهجركم * لما سعين له بأفوق ^(٢) ناصلي
 يعرضن من غيظ عليّ أنا ملاً * ووددت لو يعرضن صم جناديل
 ويقن إنك يا بئين بخيلة * نفسي فداؤك من ضنين باخل

وقال جميل في وعد بئينة بالتلاقي وتأخرها قصيدة أولها :

يا صاح عن بعض الملامة أفصير * إن المنى للقاء أم المسور

ومنها :

وكانت طارقها على علل الكرى * والنجم وهنّا قد دناملتغور
 يستاف ریح مدامة معجونية ^(٣) * بذكي مسك أو سحيق العنبر

(١) أبيضى : أحسن العفو . (٢) الأفوق : السهم الذي كسر فوقه ، وهو مشق رأس السهم حيث

يقع الوتر . وواصل : لا تصل فيه . (٣) يستاف : يشم .

ومنها :

إِنِّي لِأَحْفَظُ غَيْبَكُمْ وَيُسْرَتِي * اذ تذكركم بصالح أن تذكروني
ويكون يومٌ لا أرى لكِ مُرْسَلًا * أو نلتقي فيه على كاشمير
يا ليتني ألقى المنيةَ بعتةً * إن كان يومُ لقائكم لم يُقدِّر
أو أستطيع تجلُّدًا عن ذكركم * فيفريق بعض صباهي وتفكركي

وفيه يقول :

لو قد تُجَنِّ كما أُجَنُّ من الهوى * لعذرت أو لظلمت إن لم تعذر
والله ما للقلب من علمٍ بها * غيرُ الظنون وغيرُ قولِ المخبر
لا تحسبي أني هجرتك طائعا * حدتُ لعمرِكَ رائِعٌ أن تُهجري
فلتبكينَ الباكاتُ وإن أُجُّ * يوما بسرِّك مُعلِنًا لم أُعذر
يهواك ما عشتُ الفؤادُ فإن أمت * يتبعُ صدأى صدك بين الأقبُر
إني اليك بما وعدتُ لناظرٌ * نظَرَ الفقير إلى الغنى المُكثِر
يعد الديونَ وليس يُجز موعداً * هذا الغريمُ لنا وليس بمُعسر
ما أنتِ والوعد الذي تعدينتي * إلا كبرقِ سحابةٍ لم تُمطر
قلبي نصحتُ له فردتُ نصيحتي * فتى هجرتيه فنه تكثري

وقال في إخلاصها إياه هذا الموعد :

ألا ليت ريعانَ الشبابِ جديدُ * ودهراً تولى يا بُشِينِ يعودُ
فَنَعْنِي كما كما نكونُ وأنتمُ * قريبٌ واذ ما تبدلِينِ زهيدُ
وما أنسَ مِلاشياءٍ لا أنسَ قولها * وقد قربتِ نِصْوى أمصرَ تريدُ
ولا قولها لولا العيونُ التي ترى * أتيتُكَ فاعذرتني فدتكِ جدودُ
خليلي ما أخفي من الوجدِ ظاهرٌ * ودمعي بما قلتُ الغداةَ شهيدُ

(١) النضر : المهزول من الابل وغيرها .

أَلَا قَدْ أَرَى وَاللَّهِ أَنَّ رَبَّ عِبْرَةٍ * إذا الدار شَطَّتْ بَيْنَنَا سَتْرِيَدُ
 إذا قَلْتُ مَا بِي يَا بَشِينَةَ قَاتِلِي * من الحَبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ
 وَإِنْ قَلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعْشِ بِهِ * مع النَّاسِ قَالَتْ ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ
 فَلَإِنَا مُرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا * وَلَا حُبُّهَا فِيهَا يَدِيدُ يَدِيدُ
 جَزَيْتِكَ الْجَوَازِي يَا بَشِينَ مَلَامَةً * إذا مَا خَلِيلٌ بَانَ وَهُوَ حَمِيدُ
 وَقُلْتُ لَهَا بَنِي وَبَيْنِكَ فَاعْلَمِي * من الله مِيثَاقٌ لَهُ وَعَهْدُودُ
 وَقَدْ كَانَ حُبِّيكَ طَرِيفًا وَتَالِدًا * وَمَا الْحُبُّ إِلَّا طَارْفٌ وَتَلِيدُ
 وَإِنْ عَرَوْضُ الْوَصْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا * وَإِنْ سَهَلْتَهُ بِالْمَنَى لَصَعُودُ
 فَأَفْنَيْتُ عَيْشِي بِاتْتِظَارِي نَوَالَهَا * وَأَبْلَيْتُ ذَاكَ الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدُ
 فَلَيْتَ وُشَاةَ النَّاسِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا * يَدُوفٌ لَهُمْ سُمًّا طَاطِمٌ سُودُ (٢)
 وَلَيْتَ لَهُمْ فِي كُلِّ مُنْمَسِي وَشَارِقِي * تَضَاعَفُ أَكْبَالُ لَهُمْ وَقِيُودُ
 وَيَحْسَبُ نَسْوَانٌ مِنَ الْجَهْلِ أَنِّي * إذا جِئْتُ لِإِيَّاهُنَّ كُنْتُ أُرِيدُ
 فَأَقْسِمُ طَرْفِي بَيْنَهُنَّ فَيَسْتَوِي * وَفِي الصَّدْرِ بَوْتُ بَيْنَهُنَّ بَعِيدُ
 أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً * بُوَادِي الْقُرَى إِنِّي إِذَا لَسَعِيدُ (٣)
 وَهَلْ أَهْطِنُ أَرْضًا تَظَلُّ رِيَّاحُهَا * لَهَا بِالثَنَائِيَا الْقَاوِيَاتُ وَثِيدُ (٤)
 وَهَلْ أَلْقَيْنَ سَعْدِي مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً * وَمَا رَثَّ مِنْ حَبْلِ الصَّفَاءِ جَدِيدُ
 وَقَدْ تَلْتَقَى الْأَهْوَاءُ مِنْ بَعْدِ يَأْسَةٍ * وَقَدْ تَطَلَّبُ الْحَاجَاتُ وَهِيَ بَعِيدُ
 وَهَلْ أَزْجُرُنَّ حَرْقًا عِلَاةً شِمْلَةً * بَحْرِقِ ثُبَارِيهَا سَوَاهِمُ قُودُ (٥)
 عَلَى ظَهْرِ مَرْهُوبٍ كَأَنَّ نَشُورَهُ * إذا جازَ هَلَاكُ الطَّرِيقِ رُقُودُ

(١) العروض : الطريق في عرض الجبل في مضيق : يريد الطريق الى وصلها . (٢) يدوف :

يخلط . وطاطم : جمع ططم وهو من في لسانه بجمعة ، وأراد بالطاطم هنا : الموالى . (٣) القاويات :

الخاليات . (٤) الوئيد : الصوت العالى الشديد . (٥) الحرف : الناقة الضامرة الصلبة . والعلاة :

المشرفة الصلبة . والشملة : السريعة . والحرق : الأرض الواسعة . والساهمة : الناقة الضامرة .

سَبَّتْنِي بَعِيْنِي جُوْدِرٍ وَسَطَ رَبِّبٍ * وَصَدْرِي كَفَاوِرِ اللَّجِيْنِ وَجِيْدِ (٢)
 تَرِيْفٍ كَمَا زَاْفَتْ اِلَى سِيْلِفَاتِهَا (٣) * مُبَاهِيَةً طَيِّبًا الْوِشَاحِ مِيْدُودِ
 اِذَا جِئْتُهَا يَوْمًا مِّنَ الدَّهْرِ زَائِرًا * تَعْرَضُ مَنَقُوضُ الْيَدِيْنِ صَدُوْدِ
 يَصْدُ وَيُعْضِي عَنْ هَوَايَ وَيَجْتَنِي * ذُنُوبًا عَلَيْهَا اِنَّهٗ لَعُنُوْدِ
 فَاَصْرِمُهَا خَوْفًا كَاَنِي مُجَانِبٌ * وَيَغْفُلُ عَنَّا مَرَّةً فَنَعُوْدِ
 فَمَنْ يُعْطَى فِي الدُّنْيَا قَرِيْنًا كَمِثْلِهَا * فَذَلِكَ فِي عِيْشِ الْحَيَاةِ رَشِيْدِ
 يَمُوْتُ الْمَهْوِيُّ مَتَى اِذَا مَا لَقِيْتُهَا * وَيَحْيَا اِذَا فَارَقْتُهَا فَيَعُوْدِ
 يَقُوْلُوْنَ جَاهِدْ يَا جَمِيْلُ بَعْزُوْدِ * وَاَيُّ جِهَادٍ غَيْرَهٗنْ اُرِيْدِ
 لِكُلِّ حَادِيْثٍ بَيْنَهِنَّ بِشَاشَةٌ * وَكُلُّ قَتِيْلٍ بَيْنَهِنَّ شَهِيْدِ
 وَمَنْ كَانَ فِي حَيِّ بَيْتِنَا يَمْتَرِي * فَبِرْقَاءِ ذِي ضَالٍ عَلَيَّ شَهِيْدِ
 اَلَمْ تَعْلَمِي يَا اُمَّ ذِي الْوَدْعِ اَنِّي * اَضَاحِكُ ذِكْرًا كَمْ وَاَنْتِ صَالُوْدِ

بعثت أمةً لبينةً الى أبيها وأخوها وقالت لهما: إن جميلاً عندها الليلة، فأتياها مشتملين على سيفين، فرأياه جالسا منها حجراً يحدثها ويشكو لها به، ثم قال لها: يا بئينة، أرايت ودي إياك وشغفتي بك ألا تجزينيه؟ قالت: بماذا؟ قال: بما يكون من المتحابين، فقالت له: يا جميل، أهدنا تبغي! والله لقد كنت عندى بعيداً منه، ولئن عاودت تعريضا بريية لا رأيت وجهي أبدا! فضحك وقال: والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك فيه، ولو علمت أنك تجيبيني لعلمت أنك تجيبين غيري، ولو رأيت منك مساعدة لضربتك بسيفي هذا ما استمسك في يدي، ولو أطاعتني نفسي لهجرتك هجرة الأبد، أو ما سمعت قولي:

وَإِنِّي لِأَرْضِي مِّنْ بَيْتِنَا بِالَّذِي * لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَسَّرَتْ بِلَايِلِهِ
 بَلَا وَبِأَلَا أَسْتَطِيْعَ وَبِالْمُنَى * وَبِالْأَمْلِ الْمَرْجُوِّ قَدْ خَابَ أَمَلُهُ
 وَبِالنَّظَرَةِ الْعَجَلَى وَبِالْحَوْلِ يَنْقُضِي * أَوْانِحُهُ لَا نَلْتَقِي وَأَوْائِلُهُ

(١) الفأور: الخوان من رخام أو فضة أو ذهب. (٢) في البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروي

بالرفع والسر. (٣) زاف: تجتري. (٤) أي ناحية.

فقال أبوها لأخيها : قم بنا ، فما ينبغي لنا بعد اليوم أن تمنع هذا الرجل من لقاءها ،
فانصرفا وتركاهما .

ومن قول جميل :

إنَّ المنازلَ هيجتْ أطرابي * وأسْتعجمتْ آياتها بجوابي
قفراً تلوحُ بذى الجعِينِ كأنها * أنضاءُ رسمٍ أو سطورِ كتاب
لما وقفتُ بها القلوصُ تبادرتُ * منى الدموعُ لفرقةِ الأحباب
وذكرتُ عصراً يا بئينةُ شافني * وذكرتُ أيامي وشَرَخَ شبابي

لما نذر أهل بئينة دم جميل وأهدره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل ، فكان يصعد
بالليل على قوز رمل يتنسم الريح من نحو حى بئينة ويقول :

أيا ريح الشمالِ أما ترينى * أهيمُ وأنى بادي النحولِ
هَي لي نَسمةً من رِيحِ بئِن * ومنى بالهبُوبِ الى جميل
وقولى يا بئينةُ حسبُ نفسى * قليلُك أو أقلُّ من القليلِ

ومن قوله :

يَقِيكُ جميلٌ كلُّ سوءٍ أما له * لديك حديثٌ أو اليك رسولُ
وقد قلتُ فى حُبِّي لكم وصباي * محاسنَ شعريذ كُرهنَ بطولُ
فان لم يكن قولى رضاك فعامى * هبوبَ الصبا يابئنُ كيف أقول
فما غاب عن عيني خيالك لحظةً * ولا زال عنها والخيالُ يزول

ومنه :

خيلى عوجا اليومَ حتى سُلمَا * على عُدبةِ الأنبيابِ طيبةِ الدُشُرِ
ألمَّا بها ثم اشفعا لي وسلمَا * عليها سقاها الله من سائغِ القَطْرِ

(١) القوز : المستدير من الرمل ، وقال الأزهري : إنه الكتيب المشرف .

إذا مادنت زدتُ اشتياقاً وإن نأتُ * جَزَعْتُ لِنَأَى الدارِ مِنْهَا وللبعد
أبى القلب إلا حَبَّ بثنة لم يرد * سواها وحبَّ القلب بثنة لا يجدى
وفيها يقول :

سلى الركب هل نُجِنَا لَمَغْنَاكِ مرَّة * صُدُورَ المطايا وهي مُوقِرَةٌ تَحْدِي (١)
وهل فاضتِ العينُ الشُّرُوقُ بِمَاءِهَا * مِنْ أَجْلِكَ حَتَّى أَخْضَلَ مِنْ دَمْعِهَا بُرْدِي
وإني لَأَسْتَجِرِي لِكَ الطيرِ جَاهِدًا * لَتَجْرِي يَمِينُ مَنْ لِقَائِكَ أَوْ سَعِدِ
وإني لَأَسْتَبْكِي إِذَا الركبُ غَرَّدُوا * بِذِكْرِكَ أَنْ يَحْيَا بِكَ الركبُ إِذْ يَحْدِي
قهل تجزيتني أم عميرو بوذها * فَاتَ الَّذِي أُخْفِيَ بِهَا فَوْقَ مَا أَبْدِي
وكلَّ محبٍّ لم يَزِدْ فَوْقَ عَهْدِهِ * وَقَدْ زِدْتُهَا فِي الحَبِّ مَنِي عَلَى العَهْدِ
ومن قوله فيها :

لها في سواد القلب حبٌّ ومنعَةٌ * هِيَ المَوْتُ أَوْ كَادَتْ عَلَى المَوْتِ تُشْرِفُ
وما ذكركِ النفسُ يَا بَشْرُ مرَّة * مِنَ الدَّهْرِ إِلا كَادَتْ النَفْسُ تَتَلَفُ
وإلا اعترتني زفرةٌ واستكانةٌ * وَجَادَ لَهَا تَجَمُّلٌ مِنَ العَيْنِ يَدْرِفُ
وما استطرفت نفسي حديثاً خلَّةً * أُسْرُّ بِهِ إِلا حَديثُكَ أَطْرَفُ
وأول هذه القصيدة :

أمن منزلٍ قفرتُ تعفَّتْ رسومُه * شَمَّالٌ تُعَادِيهِ وَنِجَاءٌ حَارِجُ (٢)
فأصبح قفراً بعد ما كان أهلاً * وَجُمْلُ المُنَى تَسْتَوِي بِهِ وَتَصَيِّفُ
ظَلَّيْتُ وَمُسْتَنٌّ مِنَ الدَّمْعِ هَامِلٌ * مِنَ العَيْنِ لَمَّا نَجَّتْ بِالدارِ يَتْرِفُ
أمنصفتي حمل قعدل بيننا * إِذَا حَكَمْتَ وَالْحَاكِمُ العَدْلُ يُنْصَفُ
تعلقها والجسم مني مصححٌ * فَمَا زَالَ يَنْمِي حَبُّ جَمَلٍ وَأَضْعَفُ

(١) موقرة : جملة الوقور وهو الحمل . وحدى البعير يحدى : أسرع وزج بقوائمه .

(٢) الحرحرف : الريح الباردة الشديدة الهبوب .

الى اليوم حتى سَلَّ جسمي وشَفَّنِي * وأنكرتُ من نفسي الذي كنتُ أعرف
 قَنَاءَةً من المِزَانِ ما فوق حَقْوَهَا * وما تحته منها نَقًّا يتَقَصَّفُ^(٢)
 لها مُقَلَّتَا رِيمٍ وَجِيدُ جَدَايَةٍ * وكَشَحُّ كَطِي السَابِرِيَّةِ أَهِيْفُ^(٣)
 ولسْتُ بناسِ أهلها حينَ أقبلوا * وجألوا علينا بالسيوفِ وطَوَّفوا
 وقالوا جميلُ بات في الحىَ عندها * وقد جَرَّدوا أسيافهم ثم وَقَفوا
 وفي البيتِ ليثُ الغابِ لولا مخَافَةٌ * على نفسِ جميلٍ والإلهِ لأُرْعَفوا
 همَمْتُ وقد كادت مراراً تَطَلَعْتُ * الى حربهم نفسي وفي الكفِّ مُرْهَفُ
 وما سرتني غيرُ الذي كان منهمُ * ومنى وقد جاءوا الى وأوجفوا
 فكم مُرْتَجِحُ أمرا أُتِيحَ له الرَّدَى * ومن خائفٍ لم يَنْقِصْهُ التَخَوُّفُ
 ومنها :

أَنْ هَتَفْتُ ورفاءُ ظَلَّتْ سفاهَةٌ * تُبَكِّي على جميلٍ لورقاء تَهْتِفُ
 فلو كان لي بالصَّرْمِ ياصاحِ طَاقَةٌ * صَرَمْتُ ولكني عن الصرمِ أضعفُ

قيل : إن مروان طلب الى جميل أن ينزل فيرجز به ، وهو يريد أن يمدحه ، فنزل

جميل فقال :

أنا جميلٌ في السَّنامِ الأَعْظَمِ * الفارِعُ الناسِ الأَعزَّ الأَكْرَمِ
 أحمي ذِمَّارِي ووجدتُ أقرمِي * كانوا على غارِبِ طَوْدِ خِضْرَمِ^(٤)
 * أعياء على الناسِ فلم يَهْتَمِ

فقال : عدَّ عن هذا ؛ فقال جميل :

لحقا على البيتِ المَعَدِّي لهُنَّا * من بعد ما كان قد استكفَّا
 ولو دعا اللهَ ومدَّ الكفَّا * لرجفت منه البلادُ رجفا

(١) الحفو : الحصر . (٢) يتقصف : يهبل ويتقطع بعضه عن بعض . (٣) الجداية :

الغزالة . والسابرية : ثوب من أجود الثياب منسوب الى سابور على غير قياس . (٤) يرجزه : ينشده

أرجوزة . (٥) أقرم : جمع قرم (بالفتح) وهو السيد العظيم . (٦) خضرم : عظيم .

وطلب ذلك اليه الوليد فقال :

أنا جميل في السنام من معدد * في الذروة العليا والركن الأشد
والبيت من سعد بن زيد والعدد * ما يتسنى الأعداء مني ، ولقد
أضري بالشتم لساني ومرد * أقود من شدت وصعب لم أقد
فقال له الوليد : اركب لاحمك الله ! وما مدح جميل أحدا قط .

ومن قول جميل في مَراجرة جَواس بن قُطبة ، وكان ذلك بوادي القرى :

يا أم عبد الملكِ أصيرميني * فييني صرمي أو صلييني
أبكي وما يدريك ما يُيكيني * أبكي حذار أن تُفارقيني
وتجعلي أبعداً مني دوني * إن بني عمك أوعدونني
أن يقطعوا رأسي إذا لقوني * ويقتلونني ثم لا يدوني^(١)
كلا ورب البيت لو لقوني * شفعاً ووترًا لتواكلوني^(٢)
قد علم الأعداء أن دوني * ضرباً كإزاع الخاض الجون^(٣)
ألا أسب القوم إذ سبوني * بلى وما مرّ على دفين
وسابحات بلوى المحجون * قد جربوني ثم جربوني
حتى إذا شابوا وشيبوني * أخزاهم الله ولا يخزوني
أشباه أعيار على معين * أحسن حس أسد حرون
فهن يضرطن من اليقين * أنا جميل فتعرفوني
وما تقنعت فتذكروني * وما أعنيكم لتسألوني

(١) يدوني : من الدية وهي ما يعطى لولي القاتل من المال بدل النفس . (٢) تواكلوني : تركوني .

(٣) أوزغت الناقة بيوها : رمت به دفعة دفعة . ومنه العلة توزغ بالدم أي ترمي به كذلك .

أَتَى إِلَى عَادِيَّةٍ طَّحُونٌ * يَنْشَقُّ عَنْهَا السَّيْلُ ذُو الشُّؤُونِ
عَمْرٍ يُزِفُ رُجْحَ السَّفِينِ * ذُو حَدَبٍ إِذَا يُرَى مَجْمُونٌ^(٢)
* تَحَلَّلَ أَحْقَادُ الرِّجَالِ دُونِي *^(٣)

ومن قوله يمدح أخواله من جذام :

جُذَامُ سَيُوفُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ * إِذَا أَزِمْتُ يَوْمَ اللِّقَاءِ أَزَامُ^(٤)
هُمُ مَنْعُوا مَا بَيْنَ مِصْرَ فِذَى الْقُرَى * إِنِّي الشَّامُ مِنْ حِلِّ بِهِ وَحَرَامِ
بِضْرِبِ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سَكَاتِهِ * وَطَعْنِ كَيْزَاغِ الْخَاضِ تُوَامِ
إِذَا قَصُرَتْ يَوْمًا أَكُفُّ قَبِيلَةٍ * عَنْ الْمَجْدِ نَالَتْهُ أَكُفُّ جُذَامِ

اجتمع جميل وعمر بن أبي ربيعة بالأبطح، فأنسده جميل قصيدته :

لَقَدْ فَرِحَ الْوَأَشُونَ أَنْ صَرَمَتْ حَبْلِي * بَشِينَةً أَوْ أَبَدَتْ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ
يَقُولُونَ مَهَلًا يَا جَمِيلَ وَإِنِّي * لِأَقْسِمُ مَا بِي عَنْ بَشِينَةٍ مِنْ مَهَلِ
أَحِلَّمَا فِقَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ أَوَانُهُ * أَمْ أَخَشَى فِقَبْلَ الْيَوْمِ أُوْعِدْتُ بِالْقَتْلِ
لَقَدْ أَنْكَحُوا حَرْبِي نُبَيْهَا ظَعِينَةً * لَطِيفَةَ طَى الْبَطْنِ ذَاتِ شَوَى جَزَلِ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْتَا سَاعِيًا بَنِيمَةً * لِأَحْرَمَ لَمْ يَعْمِدْ بِكَفِّ وَلَا رَجَلِ
إِذَا مَا تَرَا جَعْنَا الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا * جَرَى الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي بِشِينَةٍ بِالْكُحْلِ
كَلَانَا بَكِي أَوْ كَادَ بَيْكِي صَبَابَةً * إِلَى الْفِيهِ وَأَسْتَعَجَلَتْ عَبْرَةٌ قَبْلِي
فَلَوْ تَرَكْتُ عَقْلِي مَعِيَ مَا طَلَبْتُهَا * وَلَكِنْ طَلَّ بِهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي
فَيَا وَيْحَ نَفْسِي حَسْبَ نَفْسِي الَّذِي بَهَا * وَيَا وَيْحَ أَهْلِي مَا أُصِيبَ بِهِ أَهْلِي
وَقَالَتْ لِأَتْرَابٍ لَهَا لَا زَعَانِفَ * قِصَارَ وَلَا كُؤْسَ الثَّنَايَا وَلَا تُعْلِي^(٥)

(١) يزف : يجعلها تسرع . (٢) ذو حدب : ذو موج . (٣) مجنون : معوج .

(٤) أزمت : اشتدت . (٥) الكسس محرقة : قصر الأسنان أو صفرها أو لصوقها بسنوخها .

وعلقت سه ولنته فهي تعلق . تراكت أسنانها .

إذا حَمِيَتْ شَمْسُ النَّهَارِ آتَقِيَتْهَا * بأَكْسِيَةِ الدِّيْبَاجِ وَالخَزْدَى الْخَمَلِ
 تَدَاعَيْنِ فَاسْتَعْجَمْنَ مَشِيًّا بَدَى الْغَضَى * دَدِيبَ القَطَا الكُدْرَى فِي الدَّمْتِ السَّهْلِ
 إِذَا آرَتَعْنَ أَوْ فُزَعْنَ فَمَنْ حَوَالَهَا * قِيَامَ بَنَاتِ المَاءِ فِي جَانِبِ الضَّحْلِ^(٢)
 أَجِدْكَ لَا أَلْقَى بُثَيْنَةَ مَرَّةً * مِنَ الذَّهْرِ إِلَّا خَائِفًا أَوْ عَلَى رِجْلِ
 خَلِيلِي فِيمَا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتَا * قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي
 أَيْدُتُ مَعَ المُهْلَاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِهَا * وَأَهْلِي قَرِيبِ مُوسِعُونَ ذُو وَفَضْلِ
 أَلَا أَيُّهَا البَيْتُ الَّذِي جِيلَ دُونِهِ * بِنَا أَنْتَ مِنْ بَيْتِي وَأَهْلِكَ مِنْ أَهْلِي
 ثَلَاثَةُ أَيْبَاتٍ فَبَيْتُ أَحَبِّهِ * وَيَتَانِ لَيْسَا مِنْ هَوَايَ وَلَا شَكْلِي

وقال في هجرة هجرته إياها بثينة :

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ القَوَاءَ فَيَنْطِقُ * وَهَلْ تُحْبِرُنِيكَ اليَوْمَ يَبْدَأُ سَمَلِقُ^(٤)
 وَفَقْتُ بِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ عَمَائِي * وَمَسَلَّ الوُقُوفَ الأَرْحَجِيَّ المُنَوَّقُ^(٥)
 تَعَزَّ وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ كَرِيمَةٌ * لَعَلَّكَ مِنْ رِقِّ لَبْنَسَةٍ تُعْتَقُ
 لَعَمْرُكَ إِنْ البِعَادَ لَشَائِقِي * وَبَعْضُ بَعَادِ البَيْنِ وَالنَّأْيِ أَشُوقِ
 لَعَلَّكَ مَحْزُونٌ وَمُبْدٍ صَبَابَةٌ * وَمُظْهَرُ شَكْوَى مِنْ أَنَاسٍ تَفَرَّقُوا
 وَبِيضٌ غَيْرِ بَرَاتٍ تُثَنِّيْ خُصُورَهَا * إِذَا فَمَنْ أَعْجَازُ تُقَالُ وَأَسُوقُ
 عَزَائِرٌ لَمْ يَلْقَيْنِ بؤْسَ مَعِيشَةٍ * يُجِنُّ بِهِنَّ النَّاضِرُ المُنْتَوِقُ
 وَغَلَعْتُ مِنْ وَجَدِ إِيهِنَّ بَعْدَ مَا * سَرَيْتُ وَأَحْشَانِي مِنَ الخُوفِ تَحْفُقُ
 مَعِيَ صَارِمٌ قَدْ أَحْأَصَ القَيْنِ صَقْلَهُ * لَهُ حِينَ أُغْشِيهِ الضَّرِيَّةَ رَوْنِقُ
 فَلَوْلَا أَحْتِبَالِي ضِقْنُ ذَرْعًا بَزَائِرٍ * بِهِ مِنْ صَبَابَاتِ إِيهِنَّ أَوْلِقُ^(٦)

(١) بنات الماء : ما يألف الماء من السمك والطيور والضفادع (أنظر المضاف والمضاف إليه) .

(٢) الضحل : الماء القليل على الأرض لا عمق له . (٣) الهلاك : الصعاليك . (٤) السملق :

القناع الصفصف . (٥) الأرحجي : الفعل النجيب نسبة إلى أرحب وهي قبيلة من همدان تنسب

إليها التجائب الأرحبية . المنتوق : المحسن المزين . (٦) أولق : جنون .

تَسُوكُ بِقُضْبَانِ الْأَرَاكِ مُفْلَجًا * يُسَعِّعُ فِيهِ الْفَارِسِيُّ الْمُرَوِّقَ
أَبْنَةُ لِلْوَصْلِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا * نَضًا مِثْلَ مَا يَنْضُو الْخِضَابَ فَيَخْلُقُ
أَبْنَةُ مَا تَتَأَيَّنَ إِلَّا كَأَنِّي * بِنَجْمِ الشَّرِيَا مَا نَأَيْتَ مُعَلَّقُ

قال الرشيد لإسحاق الموصلي: أنشدني أحسن ما تُحِبُّ في عتابٍ مُحِبِّ وهو ظالم

مَتَعَّبٌ، فأنشده قول جميل:

رِدِّ الْمَاءَ مَا جَادَتْ بِصَفْوِ ذَنَابِهِ * وَدَعَهُ إِذَا خِيضَتْ بِطَرَقِ مَشَارِبِهِ^(١)
اعْتَبُ مِنْ يَحْلُو لَدَى عَتَابِهِ * وَأَتْرَكَ مِنْ لَا أَشْتَهِي وَأُجَانِبِهِ
وَمِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَإِنْ كُنْتَ ظَالِمًا * عَنَّا قَدْ مَظْلُومًا وَأَنْتَ تَعَاتِبُهُ

ومن قوله في زيارة له:

زُورًا بِبَيْتِنَا فَالْحَبِيبُ مَزُورٌ * إِنْ الزِّيَارَةَ لِلْحَبِيبِ يَسِيرُ
إِنْ التَّرْحَلُ أَنْ تَلْبَسَ أَمْرُنَا * وَأَعْتَقْنَا قَدْرَ أَحْمُ بِكُورِ
إِنِّي عَشِيَّةٌ رُحْتُ وَهِيَ حَزِينَةٌ * تَشْكُو إِلَى صَبَابَةٍ لَصَبُورِ
وَتَقُولُ بِي عِنْدِي فَدَيْتُكَ لَيْلَةٌ * أَشْكُو إِلَيْكَ فَإِنْ ذَلِكَ يَسِيرُ
غَرَاءُ مَيْسَامٌ كَأَنَّ حَدِيثَهَا * دُرٌّ تَحْدَرُ نَظْمُهُ مَنثورِ
مَخْطُوطَةُ الْمُتَنِينِ مُضْمَرَةُ الْحَشِيِّ^(٢) * رِيًّا الرَّوَادِفِ خَلَقَهَا تَمَكُورِ
لَا حُسْنَهَا حُسْنٌ وَلَا كَدَالِهَا * دَلٌّ وَلَا كَوَقَارِهَا تَوْقِيرِ
إِنْ اللِّسَانَ بَدَّ كَرَاهًا لِمَوْكَلِّ * وَالقَلْبُ صَادٍ وَالخَوَاطِرُ صُورِ
وَأَنْ جَزَيْتِ الْوَدَّ مَنَى مِثْلَهُ * إِنْ بِذَلِكَ يَا بُيْتِنَ جَدِيرِ

وعذله فيها ابن عمه روق، فقال:

لَقَبِدْ لَأَمْنِي فِيهَا أَخٌ ذُو قَرَابَةٍ * حَبِيبٌ إِلَيْهِ فِي مَلَامَتِهِ رُشْدِي
وَقَالَ أَفِئ حَتَّى مَتَى أَنْتَ هَائِمٌ * بَيْتِنَا فِيهَا قَدْ تُعِيدُ وَقَدْ تُبْسِدِي

(١) الطرق: الماء الذي خوضته الأبل وبقوات فيه وربعت.

(٢) مخطوطة المتنين: بمدودتهما. والمكورة: المطوية الخلق.

فقلتُ له فيها قضي اللهُ ما ترى * على وهل فيما قضى اللهُ من ردِّ
 فإن يكُ رُشدًا حبها أو غَوَايَةً * فقد جئته، ما كان متى على عمد
 لقد جَّ ميثاقُ من اللهُ بيننا * وليس لمن لم يُوفِّ اللهُ من عهد
 فلا وأيها الخَيْرُ ما خنتُ عهدها * ولا لي عِلْمٌ بالذي فعلتُ بعدى
 وما زادها الواشون إلا كرامةً * على وما زالت مودَّتُها عندي
 أفي الناس أمثالي أحبَّ فخالمُ * كحالي أم أحببتُ من بينهم وحدى
 وهل هكذا يلقى المحبون مثل ما * لقيتُ بها أم لم يجِدْ أحدٌ وحدى

وقال فيها :

خيلتُ عوجا اليومَ حتى نُسأما * على عدبة الأنيابِ طيبةِ النَّشرِ
 ألياً بها ثم أشفعا لي وسأما * عليها سقاها اللهُ من سائغِ القطرِ
 وبُوحا بذكري عند بثنة وأنظرا * أترتاح يوماً أم تهش إلى ذكري
 فإن تك لم تقطع قُوى الودِّ بيننا * ولم تنس ما أسلفتُ في سالفِ الدهرِ
 فكيف يرى منها أشتياقٌ ولوعةً * بينٍ وغربٌ من مدامعها يجرى
 وإن تك قد حالت عن العهد بعدنا * وأصغت إلى القول المؤنب والمزرى
 فسوف يرى منها صدودٌ ولم تكن * - بنفسى - من أهل الخيانة والغدرِ
 أعوذُ بك اللهم أن تسحط النوى * ببثنة في أدنى حياتي ولا حشرى
 وجاوز إذا ما ميتٌ ببنى وبنها * فيا حبدا موتي إذا جاورت قبري
 عدمتُك من حبٍّ أمانك راحةً * وما بك عني من تَوَانٍ ولا فترِ
 ألا أيها الحبُّ المبرح هل ترى * أخوا كلفٍ بغري بحبِّ كما أغيرى
 أجِدْكَ لا تبلى وقد بلى الهوى * ولا ينتهى حبي ببثنة للزجرِ

(١) هكذا وردت «فكيف» ولعلها فسوف ليستقيم بها السياق .

ومن قوله فيها :

فِي نَسْلِ عَنكَ النَّفْسُ بِالْخَطَّةِ الَّتِي * تُطِيلِينَ تَخْوِيفِي بِهَا وَوَعِيدِي
فَقَدْ طَالَمَا مِنْ غَيْرِ شَكْوَى قَبِيحَةٍ * رَضِينَا بِحُكْمِ مَنكَ غَيْرِ سَدِيدِ

ومنه :

بُشَيْنَ سَلِينِي بَعْضَ مَالِي فَإِنَّمَا * يَبِينُ عِنْدَ الْمَالِ كُلِّ بِجِيلِ
فَإِنِّي وَتَكَرَّرَ الزِّيَارَةَ نَحْوَكُم * لَبِينُ يَدِي هَجْرُ بُشَيْنَ طَوِيلِ
فِيَالَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَقُولِينَ بَعْدَنَا * إِذَا نَحْنُ أَزْمَعْنَا غَدًا لِرَحِيلِ
أَلَا لَيْتَ أَيَامَا مَضَيْنَ رَوَاجِعُ * وَلَيْتَ النَّوَى قَدْ سَاعَدَتْ بِجِيلِ

ومنه :

أَتَعْجَبُ أَنْ طَرِبْتُ لَصَوْتِ حَادٍ * حَادًا بَزْلًا يَسْرُنُ بِبَطْنِ وَادٍ
فَلَا تَعْجَبْ فَإِنَّ الْحَبَّ أَمْسَى * لَبَثْنَةُ فِي السَّوَادِ مِنَ الْفَوَادِ

ومنه :

خَلِيلِي عَوْجًا بِالْمَحَلَّةِ مِنْ جُمَلِ * وَأَتْرَايَهَا بَيْنَ الْأَصْفَرِ وَالْخَبَلِ
نَقِيفٌ بِمَعَانٍ قَدْ مَحَا رَسْمَهَا الْبِلَى * تُعَاقِبُهَا الْأَيَّامُ بِالزَّرِيحِ وَالْوَبَلِ
فَلَوْ دَرَجَ النَّمْلُ الصِّغَارُ بِجِلْدِهَا * لِأَنْدَبِ أَعْلَى جِلْدِهَا مَدْرَجُ النَّمْلِ
وَأَحْسَنُ خَلَقَ اللَّهُ جِيدًا وَمُقَلَّةً * تُسَبِّهُ فِي النَّسْوَانِ بِالشَّادِنِ الطُّفْلِ^(١)

ومن قوله :

أَمِينِكَ سَرَى يَا بَثْنُ طَيْفٍ تَأْوِبَا * هُدُوءًا فَهَاجَ الْقَلْبَ شَوْقًا وَأَنْصَبَا
عَجِبْتُ لَهُ أَنْ زَارَ فِي النَّوْمِ مَضْجَعِي * وَلَوْ زَارَنِي مُسْتَقِظًا كَانَتْ أَعْجَابَا

لما قدم جميل من الشام بلغ بثينة خبره ، فأرسلته مع بعض نساء الحى تذكر شوقها إليه ووجدتها به ، وطلبها للخيلة في لقائه ، ووعدته لموضع يلتقيان فيه ، فسار إليها وحدثها

(١) الطفلة : الرخص الناعم من كل شيء .

طويلاً وأخبرها خبره بعدها ، وقد كان أهلها رصّدها ، فلما فقّدها تبعها أبوها وأخوها حتى هجا عليهما ، فوثب جميل فأنضى سيفه وشدّ عليهما ، فأتقياه بالحرب ، وناشدته بثينة الله إلا أنصرف ، وقالت له : إن أمت فضحتني ، ولعلّ الحى يلحقونك ، فأبى وقال : أنا مقيم وأمضى أنت وليصنعوا ما أحبوا ، فلم تزل تناشده حتى أنصرف وقال في ذلك ، وقد هجرته وأقطع التلاقي بينهما مدّة :

هي البدرُ حسناً والنساءُ كواكبُ * وشستان ما بين الكواكب والبدر
لقد فضلت حسناً على الناس مثل ما * على ألف شهر فضلت ليلة القدر

وقال :

لقد خفت أن يغتالني الموتُ عنوة * وفي النفس حاجاتُ اليك كما هيأ
وإني لتُنينني الحفيظةُ كلما * لقيتُك يوماً أن أبثك ما يبأ
ألم تعلمي يا عدبّة الرّيق أني * أظّل إذا لم أسق ريقك صادياً

ورحل الى مصر فأدركته بها منيته ، فزعموا أنه قال حين حضرته الوفاة :

صدع النعي وما كنى بجميل * وثوى بمصر ثواء غير قفول
ولقد أجرّ الذيل في وادي القرى * نشوان بين مزارع ونخيل
قومي بثينة فاندبى بعويل * وأبكي خليلك دون كل خليل

ولما أنشدت بثينة قول جميل قالت :

وإن سلوى عن جميل لساعة * من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواءً علينا يا جميل بن معمر * إذا مت بأساء الحياة ولينها

وقال :

رحل الخليلط جملهم بسواد * وحداً على أثر البيخيلة حادي
ما إن شعرت ولا سمعت ببينهم * حتى سمعت به الغراب ينادي

لَمَّا رَأَيْتُ الْبَيْنَ قَلْتُ لِصَاحِبِي * صَدَعَتْ مُصَدَّعَةُ الْقُلُوبِ فَوَادِي
بَانُوا وَغُوْدِرَ فِي الدِّيَارِ مَتِيْمٌ * كَلَّفَ بِذِكْرِكَ يَا بُشَيْنَةُ صَادِي

وقال أيضا :

خَلِيلِي هَلْ فِي نَظْرَةِ بَعْدِ تَوْبَةٍ * أَدَاوِي بِهَا قَلْبِي عَلَى بَحُورٍ
إِلَى رُجْحِ الْأَكْفَالِ هَيْفَ خُصُورُهَا * عَذَابِ النَّسَايَا رِيْقُهُنَّ طَهُورٍ
تَدَكَّرْتُ مَنْ أَحْسَحْتُ قُرَى اللَّذْدُونَهُ * وَهَضْبُ لَيْتِيَا وَالْمِضَابُ وَعُورٍ
فَقَطَّلْتُ لِعَيْنَيْكَ الْجُجُوجِينَ عِبْرَةً * يَهْجَهَا بَرِحَ الْمَوَى فَمَمُورٍ
عَلَى أَنْبَى بِالْبَرْقِ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا * إِذَا قَصَّرْتُ عَنْهُ الْعَيْونَ بَصِيرٍ
وَإِنِّي إِذَا مَا الرِّيحُ يَوْمًا تَنَسَّمْتُ * شَامِيَةً عَادَ الْعِظَامَ فُورٍ
أَلَا يَا غَرَابَ الْبَيْنِ لَوْنُكَ شَاحِبٌ * وَأَنْتَ بَرُوعَاتِ الْفِرَاقِ جَدِيرٍ
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولُ فَاصْبَحْتُ * هُمُومِكَ شَتَّى وَالْجَنَاحُ كَسِيرٍ
وَدُرْتُ بِأَعْدَاءِ حَبِيْبِكَ فِيهِمْ * كَمَا قَدْ تَرَانِي بِالْحَبِيبِ أَدُورٍ
وَكَيفَ بِأَعْدَاءِ كَأَنَّ عَيْونَهُمْ * إِذَا حَانَ لِإِثْنَانِي بُشَيْنَةُ عُورٍ
فَإِنِّي وَإِنْ أَصْبَحْتُ بِالْحَبِّ عَالِمًا * عَلَى مَا بَعَيْنِي مِنْ قَدَمِي تَحْيِيرٍ

وله أيضا :

فَلَوْ أَرْسَلْتُ يَوْمًا بُشَيْنَةَ تَبْتَغِي * يَمِينِي وَلَوْ عَزَّتْ عَلَى يَمِينِي
لَأَعْطَيْتُهَا مَا جَاءَ يَبْتَغِي رَسُولُهَا * وَقَلْتُ لَهَا بَعْدَ الْيَمِينِ سَلِينِي
سَلِينِي مَالِي يَا بُشَيْنُ فَإِنَّمَا * يُبَيِّنُ عِنْدَ الْمَالِ كُلِّ ضَبِينِ
فَمَا لَكَ لَمَّا خَبَرَ النَّاسُ أُنْبَى * أَسَأْتُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ لَمْ تَسَلِينِي
فَأُبَلِّغُ عُدْرًا أَوْ أَجَىءَ بِشَاهِدٍ * مِنَ النَّاسِ عَدَلٍ أَنَّهُمْ ظَلَمُونِي
وَلَسْتُ وَإِنْ عَزَّتْ عَلَى بَقَائِلِ * لَهَا بَعْدَ صَرِيمِ يَا بُشَيْنِ صِلِينِي

(١) اللد بالضم والتشديد : قرية قرب بيت المقدس من فواحي فلسطين .

وَبَنَيْتُ قَوْمًا فِيكَ قَدْ نَذَرُوا دَمِي * فليت الرجال الموعدين لقونى
إذا ما رأوني مقبلاً عن جنابه * يقولون من هذا وقد عرفونى

وله أيضا :

تَنَادَى آلَ بَنِيهِ بِالرَّوَّاحِ * وقد تركوا فؤادك غير صاح
فِيَالِكَ مَنْظَرًا وَمَسِيرَ رَكِبِ * شجاني حين أمعن في الفياح
وِيَالِكَ حُلَّةً ظَفِرْتُ بِعَقْلِي * كما ظفر المقامر بالقراح
أريد صلاحها وتريد قتلي * فشئى بين قتلي والصلاح
لعمرك أبىك لا يجدين عهدى * كعهدك في المودة والسماح
ولو أرسلت تستهدين نفسى * أتاك بها رسولك في سراح

وله أيضا :

فإن يك جثماني بأرض سواكم * فإن فؤادى عندك الدهر أجمع
إذا قلت هذا حين أسلو وأجترى * على صرمها ظلت لها النفس تشفع
وإن رمت نفسى كيف آتى لصرمها * ورمت صدودا ظلت العين تدمع

وله أيضا :

ألم تعلمى يا عذبة الماء أننى * أظل إذا لم أسق ماءك صاديا
وما زلت بي يابئ حتى لو آنى * من الوجد أستبكي الحمام بكى ليا
ووددت على حب الحياة لو أنها * يزد لها في عمرها من حياتيا

وله أيضا :

وقلت لها اعتلت بغير ذنب * وشئ الناس ذو أعلل البخيل
ففتابنى إلى حكم من أهلى * وأهلك لا يحيف ولا يميل
فقلت أبتغى حكما من أهلى * ولا يدرى بنا ألواشى المحول
فولينا الحكومة ذا يخوف * أحا دنيا له طرف كليل

فقلنا ما قَضَيْتَ به رَضِينَا * وَأَنْتَ بِمَا قَضَيْتَ به كَفِيلٌ
 قَضَاؤُكَ نَافِذٌ فَاحْكُمْ عَلَيْنَا * بِمَا تَهْوَى وَرَأْيُكَ لَا يَفِيلُ
 فقلتُ له قُتِلْتُ بِغَيْرِ جُرْمٍ * وَغِبُّ الظلمَ مَرَّتَهُ وَيَسِيلُ
 فَسَلْ هَذِي مَتَى تَقْضِي دُونِي * وَهَلْ يَقْضِيكَ ذُو الْعِلَالِ الْمُطُولُ
 فقالتُ إن ذَا كَذِبٍ وَبُطْلٍ * وَشَرٌّ مِنْ خُصُومَتِهِ طَوِيلُ
 أَقْتَلُهُ وَمَالِي مِنْ سِلَاحٍ * وَمَا بِي لَوْ أَقَاتِلُهُ حَوِيلُ^(١)
 وَلَمْ أَخْذُ له مَا لَا فِيلَتِي * له دَيْنٌ عَلَيَّ كَمَا يَقُولُ
 وَعِنْدَ أَمِيرِنَا حُكْمٌ وَعَدْلٌ * وَرَأْيٌ بَعْدَ ذَلِكَ أُصِيلُ
 فقال أَمِيرُنَا هَاتُوا شُهُودَا * فقلتُ شَهِدْنَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ
 فقال يَمِينَهَا وَبِذَلِكَ أَقْضَى * وَكُلُّ قَضَائِهِ حَسَنٌ بِجَمِيلُ
 قَبَبْتُ حَلْفَةً مَا لِي لَدَيْهَا * تَقِيرُ أَدْعِيهِ وَلَا قَيْلُ
 فقلتُ لها وَقَدْ غَلِبَ التَّعَزَّى * أَمَا يُقْضَى لَنَا يَا بَنُّ سُوْلُ
 فقالتُ ثم زَجَّتْ حَاجِبِيهَا * أَطَلَّتْ وَلَسَتْ فِي شَيْءٍ تُطِيلُ
 فَلَا يَجِدَنَّكَ الْأَعْدَاءُ عِنْدِي * فَتَشْكَلَنِي وَإِيَّاكَ التَّمْكُولُ

وله أيضا :

حَلَفْتُ يَمِينًا يَا بُشَيْنَةَ صَادِقَا * فَإِنْ كُنْتُ فِيهَا كَاذِبًا فَعَمِيْتُ
 إِذَا كَانَ جِلْدٌ غَيْرَ جِلْدِكَ مَسْنِي * وَبِأَشْرَتِي دُونَ الشَّعَارِ شَرِيْتُ^(٢)
 وَلَوْ أَنَّ رَاقِيَ الْمَوْتِ يَرِي جَنَازَتِي * بِمَنْطِقِهَا فِي النَّاطِقِينَ حَيَّتُ

وقال أيضا :

فقد لَانَ أَيَّامُ الصَّبَا ثُمَّ لَمْ يَكَدْ * مِنْ الدَّهْرِ شَيْءٌ بَعْدَهُنَّ يَلَانُ
 ظَعَانٌ مَا فِي قُرْبِهِنَّ لَذِي هَوَى * مِنْ النَّاسِ إِلَّا شِقْوَةٌ وَفُتُونُ

(١) الحويل : القوة والحظ والقدرة على التصرف . (٢) يقال : شرى جلده : خرج عليه الشرى ،

وهو شور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة واحدة غالباً وتشد ليلاً لبخار حار يثور في البدن دفعة .

وواكلنه والمهم ثم تركنه * وفي القلب من وجد بهن رهين
 فواحسرتا إن حيل بني وبينها * وياحين نفسي كيف فيك تبحين
 فشيب روعات الفراق مفارقي * وأنشزن نفسي فوق حيث تكون
 شهدت بأني لم تغير مودتي * وأنى بكم حتى المات ضنين
 وأن فؤادي لا يلين الى هوى * سواك وإن قالوا بلى سليلين
 وإنى لأستغشى وما بى نعمة * لعل لقاء فى المنام يكون
 ولما علوت الألبتين تسوقت * قلوب الى وادى القرى وعيون
 كأن دموع العين يوم تحملت * بثينة يسقيها الرشاش معين
 ورحن وقد ودعن عندى لبانه * لبانة سر فى الفؤاد كمين
 كسر الترى لم يعلم الناس أنه * ثوى فى قرار الأرض وهو دفين
 فإن دام هذا الصرم منك فإننى * لأغبر هارى الجانين رهين
 لكيا يقول الناس مات ولم آهن * عليك ولم تثبت منك قرون

(ج) الغزل الصناعي

(١)
كثير

قال أبو الفرج قال محمد بن عبد العزيز: ما قصّد القصيدَ ولا نعتَ الملوكَ مثل كثير. وقال إبراهيم بن سعد: إني لأروى لكثيراً ثلاثين قصيدة أو رُقي بها مجنوناً لأفاق، وكان بعض أصحاب الحديث يأتونه، وهو خبيث النفس، فيسألونه عن شعر كثير فتطيب نفسه ويحدثهم. وقال عبد الله بن أبي عبيدة: من لم يجمع من شعر كثير ثلاثين لامية فلم يجمع شعره. وكان ابن أبي عبيدة يُملي شعره بثلاثين ديناراً. وسئل مُصعب: مَنْ أشعر الناس؟ فقال: كثير بن أبي جعنة، وقال: هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وعامتهم، يعني الشعراء. ولم يُدرك أحدٌ في مديح الملوك ما أدرك كثير. وقال محمد بن سلام: كان كثير شاعر أهل الججاز، وهو شاعر فحل ولكنّه منقوصُ حظّه بالعراق. وقال يونس النحوي: كثير أشعر

(١) هو كثير بن عبد الرحمن من خزاعة، ويعرف بكثير عزة، نسبة إلى عشيقته التي كان يشبها. وكان يدخل على عبد الملك ويشده، وكان رافضياً شديداً التعصب لآل أبي طالب، وكان عبد الملك يعرف ذلك فيه فلا ينكره، فاذا أراد أن يصدقه بشيء حلفه بعلّي. وكان له صديق اسمه خندق الأسدي، شديد التشيع مثله، وبلغ من جرأة خندق هذا أنه وقف مرة في الموسم والناس مزدحون وقال: «أيها الناس، إنكم على غير حق، قد تركتم بيت نبيكم والحق لهم وهم الأئمة» فوثب عليه الناس، فضر بوه ورموه حتى قتلوه، ودفن خندق بقنونا، فقال إذ ذاك كثير يرثيه.

أصادرة حجاج كعب ومالك * على كل عجلي ضامر البطن محتق

بمريسة فيها ثناء محير * لأزهر من أولاد مرة معرق

والقصيدة طويلة. أما معشوقته عزة فهي بنت حميد بن وقاص من ضمرة، وكانت من أجمل النساء وأدبين وأعقلهن. ويقال إنه لم ير لها وجهاً إلا أنه استهيم بها قلبه لما ذكر له عنها. وعاتبه بعض أهلها فقالوا: «قد شهرت نفسك وشهرت صاحبتنا فأكفف نفسك» فقال: «إني لا أذكرها بما تكرهون».

وأتفق خروجهم إلى مصر في عام الجلاء، فتبعهم على راحلته فزجره فأبى إلا أن يلحقهم، فبرص له بعضهم في بعض الطريق وقبضوا عليه وجعلوه في جيفة حمار وربطوها عليه فتر به صديقه خندق فأطلقه وألحقه بيلاده. وكان كثير دميماً قليلاً أحمر أقيشر عظيم الهامة قبيحاً. وأكثر أشماره في عزة هذه. توفي سنة ١٠٥ هـ، وأخباره كثيرة تجدها في الأغاني (ج ١١ ص ٤٦) و(ج ٨ ص ٢٧) و(ج ٧ ص ٧٨) والشعر والشعراء (ص ٣١٦) وابن خلكان (ج ١ ص ٤٣٣) والعقد الفريد (ج ١ ص ١١٥ و ٢٠٣) ونزاة الأدب (ج ٢ ص ٣٨١) وله ديوان شرحه أبو عبد الله الرشيدى منه نسخة خطية في الاسكوريال.

أهل الإسلام، وكان ابن أبي حَفْصَةَ يعجبه مذهبه في المديح جدا، ويقول: كان يستقصي المديح، وكان فيه مع جودة شعره خَطلٌ وعُجْب. وقال المِسُور بن عبد الملك: ما ضَرَّ مَنْ يروى شعر كثيرٍ وجميلٍ ألا تكون عنده مغنيتان مطربتان .

وكان قصيرا، قال الواقِصِي: رأيتُ كثيرا يطوف بالبيت، فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذبُه. وكان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول: طَأطِءُ رأسك لا يُصِبه السَّقْفُ. وقال كثير: في أي شيء أعطى هؤلاء الأَحْوصَ عشرة آلاف دينار؟ قالوا: في قوله فيهم:

وما كان مالى طارِفاً من تجارةٍ * وما كان ميراثا من المال مُتسلِّداً
ولكن عطايا من إمامٍ مباركٍ * مالا الأرضُ معروفاً وجوداً وسودداً
فقال كثير: إنه لَضَرِعٌ قَبَّحَهُ اللهُ! ألا قال كما قلت:

دع عنك سألنى إذ فأت مَطْلَبُها * وأذكر خَلِيلِيكَ من بنى الحَكَمِ
ما أعطيانى ولا سألتُهُما * ألا وإئني لِحَاجِزِي كَرَمِي
إني متى لا يَكُن نواهُما * عندي بما قد فعلتُ أحْتَمَمِ
مُبْدِي الرِّضَا عنهما ومنصِرْفٍ * عن بعض ما لو فعلتُ لم أَلَمِ
لا أُنزِرُ النَّائِلَ الخَلِيلَ إذا * ما أعتَلَّ نَزْرَ الظُّوُورِ لم تَرَمِ

وطلب من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان أرضاً له يقال لها: غُرْب، وقدم بين يدي طلبه تلك الأبيات:

جرتك الجوازي عن صديقك نَضْرَةً * وأدناك ربي في الرفيق المقرب
فإنك لا يُعْطَى عليك ظُلامَةٌ * عدوٌ ولا تنأى عن المتقرب
وإنك ما تمنعُ فإنك مانِعٌ * بحقٍ وما أعطيتُ لم تُعَقِّبِ

فقال له: أترغب غرِّبا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: آكتبوها له، ففعلوا.

(١) يقول: لا ألح عليه بالمسألة، يقال: نزرته أنزره إذا ألحت عليه. والظهور: العاطفة على أولاد

غيرها. ولم ترم: لم ترام.

وُسِبَ كثيرٌ لكثرة نسيبه بعزة الضمريّة اليها، وعُرف بها فقيل : كثير عزة، وهي عزة ابنة حميد بن وقاص. وكان ابتداء عشقه إياها أنه مرّ بنسوة من بنى ضمرة ومعه جَلَب غنم، فأرسلن اليه عزة وهي صغيرة، فقالت : يقلن لك النسوة : بعنا كبشاً من هذه الغنم وأنسئنا بمنه الى أن ترجع، فأعطاها كبشاً، وأعجبته، فلما رجع جاءته امرأة ممنه بدراهمه؛ فقال : وأين الصبيّة التي أخذت مني الكبش ؟ قالت : وما تصنع بها وهذه دراهمك ؟ قال : لا آخذ دراهمي إلا ممن دفعت الكبش اليها، ونرج وهو يقول :

قَضَى كُلُّ ذِي دِينَ فَوْقَ غَرِيمِهِ * وَعِزَّةٌ مَمْطُولٌ مَعْنَى غَرِيمِهَا

فكان أول لقائه إياها . ثم قال فيها :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً وَهِيَ عَاتِقٌ * عَلَى حِينِ أَنْ شَبَّتْ وَبَانَ نُهُودُهَا

وَقَدْ دَرَّعُوهَا وَهِيَ ذَاتُ مُؤَصَّدٍ * ^(١) مَجُوبٍ وَلَمَّا يَلْبَسُ الدَّرْعَ رِيْدُهَا

مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا * إِذَا مَا أَنْقَضَتْ أَحْدُوْتَهُ لَوْ تَعِيْدُهَا

نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً مَا يَسْرُنِي * بِهَا حُمُرُ أَنْعَامِ الْبِلَادِ وَسُودُهَا

وَكَنتُ إِذَا مَا جِئْتُ سَعْدِي بِأَرْضِهَا * أَرَى الْأَرْضَ تُطَوِّي لِي وَيَدْنُو بَعِيْدُهَا

ثم أحبته بعد ذلك عزة أشد من حبه إياها .

قال محمد بن صالح الأسلمى : دخلت عزة على عبد الملك بن مروان وقد عجزت ؛

فقال لها : أنت عزة كثير؟ فقالت : أنا عزة بنت حميد؛ قال : أنت التي تقول لك كثير:

لَعِزَّةٌ نَارٌ مَا تَبُوخُ كَأَنَّهَا * إِذَا مَا رَمَقْنَاهَا مِنَ الْبَعْدِ كَوَكْبُ

فما الذي أعجبه منك ؟ قالت : كلا يا أمير المؤمنين، لقد كنت في عهده أحسن من

النار في الليلة القرة . ويروى أنها قالت له : أعجبه مني ما أعجب المسلمين منك حين

صيروك خليفة، وكانت له سنٌ سوداء يخفيها، فضحك حتى بدت، فقالت له : هذا الذي

أردت أن أبعده؛ فقال لها : هل ترؤين قوله :

(١) مؤصد : ألبس الأصداء (بالضم) وهي قبض صغير يلبس تحت اثرب . والمجوب : القميص ذو الجيب .

والرند (يهمز ولا يهمز) : الثرب . (٢) تبوخ : محمد .

وقد زَعَمْتُ أنى تَغَيَّرتَ بعدها * ومن ذا الذى يا عَزَّ لا يَتَغَيَّرُ
تَغْيِيرَ جِسْمى وَالخَلِيقَةَ كَالتى * عَهْدتِ ولم يُخْبِرْ بِسِرِّكَ مُخْبِرًا

قالت : لا أروى هذا، ولكنى أروى قوله :

كأنى أنادى صخرةً حين أَعْرَضْتُ * من الصَّمِّ لو تَمَشى بها العُصْمُ زَلَّتْ
صَفُوحًا فما تَلْقَاكَ إلا بِخَيْلَةٍ * فمن مَلَّ منها ذلك الوصلَ مَلَّتْ

فأمر بها ، فأدخلت على عاتكة بنت يزيد ، فقالت لها : أرايت قول كثير :

قضى كل ذى دين فوقى غريمه * وعزّة مَمْطُولٍ مَعْنَى غريمها

ما هذا الذى ذكره؟ قالت : قُبَلَةٌ وعدته لياها ، قالت : أنجزها وعلى إثمها .

ومما قال فيها :

خيلى هذا رَسْمٌ عَزَّةٌ فَأَعْقَلَا * قَلُوصَيْكَا ثم أَبْيَا حيث حَلَّتْ
وما كُنْتُ أدرى قبل عَزَّةٍ ما البكا * ولا مُوجِعَاتِ القلبِ حتى تَوَلَّتْ
فقد حَلَفْتُ جَهْدًا بما نَحَرْتُ له * قَرِيْبٌ غَدَاةَ المَأْزَمِينَ ^(١) وَصَلَّتْ
أُنَادِيكَ ما حَجَّ الحَجِيجُ وَكَبَّرَتْ * بَفَيْفَا ^(٢) غَزَالٍ رَفَقَةً وَأَهَلَّتْ
وكانت لَقَطْعِ الحبلِ بينى وبينها * ككَأذِرَةِ نَذْرًا وَفَتْ فَأَحَلَّتْ
فقلت لها يا عَزَّ كل مصيبة * إذا وَطَّنتَ يوماً لها النفسُ ذَلَّتْ
ولم يَلْقُ إنسانٌ من الحبِّ مَبِيعَةً * تَعْمُ ولا غَمَاءَ إلا تَجَلَّتْ
كأنى أنادى صخرةً حين أَعْرَضْتُ * من الصَّمِّ لو تَمَشى بها العُصْمُ زَلَّتْ
صَفُوحًا فما تَلْقَاكَ إلا بِخَيْلَةٍ ^(٣) * فمن مَلَّ منها ذلك الوصلَ مَلَّتْ
أباحَتِ حِمى لم يرعه الناسُ قبلها * وَحَلَّتْ تِلَاعًا لم تكن قَبْلُ حَلَّتْ

(١) المأزمان : بين عرفة والمزدلفة . (٢) فيفا غزال : بمكة حيث ينزل الناس فيها

الى الأبطح . وأناديك : أجالسك ، مأخوذ من الندى والادى جميعا وهما المجلس .

(٣) الصفوح : المعرصة .

فليْتَ قُلُوصِي عند عَزَّةٍ قَيَّدت * بحبل ضعيفٍ عَزٌّ منها فَضَلت
 وَغُوْدِر في الحَيِّ المقيمين رَحَلها * وكان لها باعٍ سِوَاي قَبَلت^(١)
 وكنت كذى رَجَلَيْنِ رُجِلٍ صَحِيحَةٍ * ورجلٍ رَمَى فيها الزمانُ فَشَلت
 وكنت كذات الظَّلَع لما تَحَامَلت * على ظَلَعها بعد العِثارِ اسْتَقَلت
 أريد التَّوَاءَ عندها وأظنها * إذا ما أَطَلنا عندها المُكثَ مَلت
 فما أَنْصَفْتُ، أما النساءُ فَبَغَّضْتُ * إلى وأما بالنِّسْوالِ فَضَنَّتْ
 يُكَلِّفها الغَيْرانُ شَتْمِي وما بها * هَوَانِي ولِكن لِيكِ اسْتَدَاتْ
 هَيْبَتًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءِ مُحَامِي * لعزَّةٍ من أَعْرَاضِنَا ما اسْتَحَلتْ
 فوالله ما قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدتْ * بَصْرِمٍ ولا أَكثَرْتُ إِلَّا أَقَلتْ
 فإن تَكُن العَتْبِيُّ فَأَهْلًا ومرحبا * وحقَّتْ لها العَتْبِيُّ لَدِينَا وَقَلتْ
 وإن تَكُن الأُخْرَى فإن وراءنا * مَنَادِحَ لو سارت بها العَيْسُ كَلتْ^(٣)
 خَلِيلِي إنَّ الحَاجِيَةَ طَلَحْتُ * قُلُوصِيكِما وناقِي قَد أَكَلتْ^(٤)
 فلا يَبْعَدُنْ وَضُلُّ لعزَّةٍ أَصْبَحتْ * بعاقِبَةٍ أَسبابُهُ قَد تَوَلَّتْ
 أَسِيئِي بنا أو أَحْسِنِي لا مَلُومَةٍ * لَدِينَا ولا مَقْلِيَةَ إن تَقَلتْ
 ولكن أَنيلِي وأذكري من مودَةٍ * لِنَا خُلَّةً كانت لَدَيْكِم فَطَلتْ^(٥)
 فإني وإن صَدَدتْ لَمُتْنٍ وَصَادِقُ * عَلَيْها بما كانت لِنِنا أَزَلتْ^(٦)
 فما أنا بالداعِي لعزَّةٍ بِالْجوى * ولا شامِتٌ إن نَعَلُ عَزَّةٍ زَلتْ
 فلا يحسب الواشون أنَّ صَبابِي * بعزَّةٍ كانت تَمَمَّرَةٌ فَتَجَلتْ
 فأصْبَحْتُ قَد أَبْلَأتْ من دَنيفِها * كما أَدْنِفَتْ هَيأَهُ ثُمَّ اسْتَبَلتْ^(٧)

(١) بلت : ذهب . (٢) العتبي : الإعتاب ، يقال : عاتبني فلان فأعتهبه إذا زعت عما عاتبك عليه ،
 والعتبي الاسم والإعتاب المصدر (٣) المنادح : المناويز . (٤) الطلح : المعى الذى سقط من الأهيا .
 (٥) طلت : هدرت . (٦) أزلت : اصططعت . (٧) يقال : بل من مرضه وأبل واستبل إذا
 برأ . والهياء : التى أصابها داء الهيام ، وهو داء يصيب الإبل من ماء تشربه مستنقعا فتهم فى الأرض لاترعى .

فوالله ثم الله ما حَلَّ قبلها * ولا بعدها من حُلَّةٍ حيث حَلَّتْ
وما مرَّ من يومٍ على كيومها * وإن عَظُمَتْ أيامُ أخرى وجَلَّتْ
وأصحت بأعلى شاهقٍ من فؤاده * فلا القلبُ يسَلاها ولا العين مَلَّتْ
فياعجبا للقلب كيف أَعترَفُه^(١) * وللنفس لما وُطِنَتْ كيف ذَلَّتْ
وإني وتَهَيَّي بعزّةٍ بعد ما * تَحَلَّيْتِ مما بيننا وتَحَلَّيْتِ
لكالمُرَجِّي ظِلِّ الغمامةِ كلها * تَبَوَّأُ منها لِلقَيْلِ أَصْحَلَّتْ
كأنِّي وإياها سَحَابَةٌ مُجْحَل * رَجَّأَهَا فلما جَاوَزَتْه آسَهَلَّتْ
فإن سألَ الواشُونَ فيمِ هَجْرَتِهَا * فَقُلْ نَفْسُ حَرِّ سُلَيْتِ فَتَسَلَّتْ

قال ابن سلام : كان كثير مدعيًا ولم يكن عاشقًا ، وكان جميل صادق الصباية والعشق .
وأخبرته عزّة ذات مرّة فوجدت علامة ذلك ، وكانت متقبّة فأسفرت ، فأبلس ولم ينطق
وبُهِت ، فلما مضت أنشأ يقول :

ألا ليتني قبل الذي قلت سِيبَ لي * من السمِ خَصْخَاضِ بماءِ الذّراحِ^(٢)
فمُتُّ ولم تعلم عليّ خيانهُ * وكَم طالِبٍ للريحِ ليس برايحِ
أبوءُ بذنبي ، إنني قد ظلمتُها * وإني بيساقِ سرّها غير بائعِ

ومن قوله يمدح عمر بن عبد العزيز :

وَلَيْتَ فلم تَسْتَمِ عَلِيًّا ولم تُخَفِ * بَرِيًّا ولم تَتَّبِعْ مَقَالَةَ مُجْرِمِ
وَقَلَّتْ فَصَدَّقْتَ الذي قلتَ بالذي * فَعَلْتَ فَأُصْحِي راضِيًّا كُلِّ مُسْلِمِ
ألا إِنما يَكْفِي الفتي بعد زَيْغِهِ * من الأودِ الباقي ثِقَافُ المَقْصُومِ
لَقَدْ لَيْسَتْ لِبَسِ المَلُوكِ بابِها * تَرَأَى لك الدُّنيا يَكْفُفُ ومِعْصَمِ
وتُؤَمِّضُ أحيانًا بعينٍ مَرِيضَةٍ * وتَبَسِّمُ عن مثلِ الجُمانِ المُنْظَمِ

(١) اعترافه : اصطباره ، يقال : نزلت به مصيبة فوجد عرفوا ، أى صبورا .

(٢) أبلس : انكسروا . (٣) الذراح : دويبة حمراء منقطة بسواد تطير ، وهى من السموم

القائلة ، والذراح جمعها . والخصخاض : قفط أسود لا خنورة فيه تهاى به الإبل الجربى .

فأعرضت عنها مُشْمِئًا كأنما * سَقَتَكَ مَدُوفًا^(١) من سِمْامٍ وَعَلَقَمٍ
وقد كنت من أجبالها في مُنْتَع * ومن بجرها في مُزِيدِ الْجُودِ مُفْعَمٍ
وما زلت سَبَاقًا إلى كل غايَةٍ * صَعِدْتَ بها أعلى البِنَاءِ المُقَدَّمِ
فلما أتاك المُلْكُ عَفَّووا ولم يكن * لطالب دنيا بعده من تَكَلُّمٍ
تركت الذي يَفْنَى وإن كان مُوْتَقًا * وآثرت ما يَبْقَى برأى مُصَمِّمٍ
فأضرت بالفاني وشمَّرت للذي * أمامك في يوم من الهول مظلم
ومالك أن كنت الخليفة مانعٌ * سوى الله من مال رغب ولادم
سما لك همٌّ في الفؤاد مؤرقٌ * صَعِدْتَ به أعلى المعالي يُسَلِّمُ
فما بين شرق الأرض والغرب كلها * مُنَادٍ ينادى من فصيحٍ وأعجمٍ
يقول أمير المؤمنين ظلمتني * بأخِذِ لدينار وأخِذِ لدرهم
ولا بسِطِ كَفِّ لأمريء ظالم له * ولا السفك منه ظالمًا ملءٌ مُحْجِمِ
فلو يستطيع المسلمون تقسّموا * لك الشَّطْر من أعمارهم غير نَدَمِ
فِعِشْتَ به ما حجَّ الله راصبٌ * مُغْدٍ^(٢) مُطِيفٌ بالمقام وزمزمِ
فأرْبِجْ بها من صفقةٍ لِبُباعٍ * وأعْظِمْ بها أعْظِمَ بها ثم أعْظِمِ
ومن نسيه بعزة لما أُخْرِجَتْ إلى مصر :

لعزة من أيام ذى الغصن شافني * بضاحي قرار الرّوضتين رُسُومِ
هي الدار وَحُشًا غير أن قد يُحَلِّها * وَيَعْنَى بها شخص على كَرِيمِ
فما رُسُومِ الدار لو كنت عالما * ولا بالتّلاع المُقْوِياتِ أَهْمِ^(٣)
سالت حِكْمِيًا أين شَطَّتْ بها النوى * نَحْبِرُنِي ما لا أحب حَكِيمِ
أجدوا فاما آل عَزَّةِ عُذُوَّةِ * فبانوا وأما واسط فمَقِيمِ
لعمرى لئن كان الفؤاد من الهوى * بَعَى سَقَمًا إِنى إِذا لَسَقِيمِ

(١) مدوفا : مخلوطا ، داف الدواء والزعفران يدوفه : خلطه .

(٢) مغد : مسرع .

(٣) أقوت الدار : خلت من ساكنها .

(٤) هو أبو السائب بن حكيم .

ومنها :

- ولست برأى نحو مصر سخابة * وإن بعدت إلا قعدت أشيم
 فقد يقعد النكس الدني عن الهوى * عزوفاً وبصبو المرء وهو كريم
 وقال خليلي ما لها إذ لقيتها * غداة السنأ فيها عليك وجوم^(١)
 فقلت له إن المودة بيننا * على غير فحش والصفاء قديم
 وإني وإن أعرضت عنها تجلدا * على العهد فيما بيننا لمقيم
 وإن زمانا فزق الدهر بيننا * وبينكم في صرفه لمشوم
 أفي الحق هذا أن قلبك سالم * صحيح وقلبي في هوالك سقيم
 وأن يجسمي منك داءً مخامرا * وجسمك موفور عليك سليم
 لعمرُك ما أنصفتني في مودتي * ولكنني يا عز عنك حلیم
 فإما تريني اليوم أبدو جلادة * فإني لعمرى تحت ذاك كليم
 ولست أبنة الضمري منك بناقم * ذنوب العدى إني إذا لظلوم
 وإني لذو وجد إذا عاد وصلها * وإني على ربي إذا لكريم

ومن نسبته بها :

- لعزة أطلال أبت أن تكلمًا * تبيع مغانها الفؤاد المكمًا
 وكنت إذا ما جئت أجلان مجلسي * وأظهرن مني هيبة لا تجهما
 يحاذرن مني غيرة قد عرفها * قديمًا فما يضحكن إلا تبسًا

ومنه :

- خليلي عوجاً منكأ ساعة معي * على الربع نقض ساعة ونودع
 ولا تعجلاني أن ألم يدمنة * لعزة لاحت لي ببيداء بلقع
 وقولا لقلب قد سلا راجع الهوى * وللعين أذري من دموعك أودعي
 فلا عيش إلا مثل عيش مضي لنا * مصيفاً أقنأ فيه من بعد مريع

(١) وجم : سكت على غيظ .

ومنه :

بيلى وجارات ليلى كأنها * نَعَاجُ الفِلا تُحَدَى بهن الأباعرُ
أَمْتَقَطِعُ ياعزّ ما كان بيننا * وشاجرني ياعزّ فيك الشواجر
إذا قيل هذا بيتُ عَزّة قاذى * اليه الهوى وأستعجلتني البوادر
أصدّ وبى مثل الجنون لى يرى * رُؤاةُ الخنّا أنى لبيتك هاجر
ألا ليت حظى منك ياعزّ أنى * إذا بِنْتِ باع الصبر لى عنك تاجر

ومنه :

ومازلتُ من ليلى لَدُنْ طَرّ شاربى * الى اليوم أخفى حبها وأداجنُ
وأحمل فى ليلى ضغائنَ معشر * وتتمثل فى ليلى على الضغائن

ومنه :

وإنى لأرعى قومها من جلالها * وان أظهر واغشا نصحتُ لم جهدى
ولو حاربوا قومى لكنت لقومها * صديقاً ولم أحمل على حربها حقدى

ومنه :

هلا سألت معالم الأطلال * بالجزع من حُرّض^(١) وهنّ بوال
سَقِيًّا لعزّة خُلّة سَقِيًّا لها * اذ نحن بالهَضَبات من أمّلال^(٢)
إذ لا تكلمنا وكان كلامها * نَفلاً نؤمّله من الأنفال

ومنه :

ألا حياً ليلى أجدّ رَحِيلِي * وأذن أصحابى غداً بقُقول^(٣)
تبدت له ليلى تُنْذِهب عقله * وشأقتك أمّ الصلّت بعد دُهُول
أريد لأنتى ذِكْرها فكأنما * تتمثل لى ليلى بكل سبيل
إذا ذِكْرَتْ ليلى تَغَشَّتْكَ عِبرة^(٤) * تُعلّ بها العينان بعد دُهُول

(١) حرّض : واد من وادى قنّاة ، من المدينة على ميلين .

(٢) أراد ملل ، وهو منزل على طريق المدينة من مكة . (٣) قُقول : رجوع .

(٤) قُقول : رجوع .

وكم من خليل قال لي هل سألتها * فقلت له ليس أضن خليل
 وأبعده نيلًا وأوشكه قلى^(١) * وإن سُئِلت عرْفًا فشرُّ مَسْئول
 حَلَفْتُ رَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مَنِي^(٢) * خِلَالَ الْمَلَا يَمْدُدْنَ كُلَّ جَدِيلٍ
 تَرَاهَا رِفَاقًا بَيْنَهُنَّ تَفَاوَتْ * وَيَمْدُدْنَ بِالْإِهْلَالِ كُلَّ أَصِيلٍ^(٣)
 تَوَاهَقْنَ بِالْحُجَّاجِ مِنْ بَطْنِ نَخْلَةٍ * وَمِنْ عَزْوَرٍ وَالْحَبْتِ حَبْتِ طَفِيلٍ^(٤)
 بِكُلِّ حَرَامٍ خَاشِعٍ مُتَوَجِّهٍ * إِلَى اللَّهِ يَدْعُوهُ بِكُلِّ تَقِيلٍ^(٥)
 عَلَى كُلِّ مِدْعَانِ الرُّوْحِ مُعِيدَةٍ * وَمُخْشِيَةٍ أَلَا يُعِيدُ هَزِيلٍ
 شَوَامِدٌ قَدْ أَرْتَجَنَ دُونَ أَجْنَةٍ * وَهُوجٌ تَبَارَى فِي الْإِزْمَةِ حُورٍ^(٦)
 يَمِينِ أَمْرِي مُسْتَغْلِظٍ مِنْ أَلِيَّةٍ^(٧) * لِيُكْذِبَ قِيْلًا قَدْ أَلَحَّ بِقِيْلٍ^(٨)
 لَقَدْ كَذَّبَ الْوَاشُونَ مَا بَحْتُ عَنْهُمْ * بَلِيلٍ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ^(٩)
 إِنْ جَاءَكَ الْوَاشُونَ عَنِ الْكُذْبَةِ * فَرَوْهَا وَلَمْ يَأْتُوا لَهَا بِحَوِيلٍ^(١٠)
 فَلَا تَعْجَلِ يَا لَيْلِ أَنْ تَتَفَهَمِي * بِنَصِيحِ أُنَى الْوَاشُونَ أَمْ يَجْبُولُ
 إِنْ طَبَّتِ نَفْسًا بِالْعَطَاءِ فَأَجْرِي * وَخَيْرُ الْعَطَا يَا لَيْلِ كُلُّ جَزِيلٍ
 وَإِلَّا فِإِحْمَالٍ إِلَى فِإِنْسِي * أَحَبُّ مِنَ الْأَخْلَاقِ كُلِّ جَمِيلٍ
 وَإِنْ تَبَدَّلِي لِي مِنْكَ يَوْمًا مَوْدَةٌ * فَقَدِمَا تَحَدَّثَ الْقَرَضَ عِنْدَ بَدُولِ
 وَإِنْ تَبْغَلِي يَا لَيْلِ عَنِ فِإِنْسِي * تُوكَلِّي نَفْسِي بِكُلِّ بَحْرِيْلٍ
 وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلِ بِنَائِلِ * قَلِيلٍ وَلَا رَاضٍ لَهُ بِقَالِيلِ

- (١) أوشكه : أمرعه . والقلى : البيض . (٢) الراقصات : الأبل، والملا : القضاء، والجديل : زمام محدود أي مضمور . (٣) الأصيل : العشي . (٤) تواهقن : تبارين ، وبطن نخلة : بستان بنى عامر ، وعزور : نيسة الخفصة . والحبت ، المطهين من الأرض . وطفيل : موضع . (٥) التقيل : الطريق . (٦) المدعان : المذلة . ومعيدة : قد عاودت السفر . (٧) الشوامد : اشتات الأذنان ، وأرتجن : أغلقن أرحامهن على أولادهن . والحول : جمع حائل وهي التي لا تلتحق . (٨) الألية : اليمين . (٩) فروها من الفرية ، يقال فرى يفرى . والحويل : المحاولة . (١٠) الحبول : الدواهي .

وليس خيلى بالملول ولا الذى * اذا غبتُ عنه باعنى بخيل
ولكن خيلى من يُديمِ وصالَه * ويحفظ سرى عند كل دَخيل^(١)
ولم أرَ من ليلى نوالا أعدُه * ألا ربما طالبت غير مُنيل
يلومك فى ليلى وعقلُك عندها * رجالٌ ولم تذهب لهم بعقول
يقولون ودع عنك ليلى ولا تمهم * بقاطعة الأقران ذات حليل
فما تقعت تسمى بما أمروا به * ولا عجتُ من أقوالهم بفتيل^(٢)
تذكرت أترابا لعزة كالمها * حينَ يلبطِ ناعم وقبول^(٣)
وكنتُ اذا لاقيتهم كائنى * محالطةً على سلاف سُمول
تأطرتُ حتى قلتُ لسن بوارحا * رجاء الأمانى أن يقلن مقيل^(٤)
فأبدنين لى من بينن تجمها * وأخلفن ظنى إذ ظننت وقيل^(٥)
فلأيا بلائى ما قضين لبانة * من الدار وأستقلان بعد طويل
فلما رأى وأستيقن البين صاحبي * دعا دعوةً يا حبر بن سؤل
فقلتُ وأسررتُ الندامة ليقنى * وكنتُ أمراً أغتش كل عدول
سلكتُ سبيل الرائحات عشية * مخارم نضع أو سلكن سبيل^(٦)
فأسعدت نفسا بالهوى قبل أن أرى * عوادى نأى بيننا وشغول^(٧)
ندمتُ على ما فاتنى يوم بنتم * فياحسرتا ألا يرين عويل^(٨)
كان دموع العين وأهية الكلى * وعت ماء غرب يوم ذاك سجيل

- (١) الدخيل : الذى يتسبب الى قوم وليس منهم . (٢) أى مارويت . (٣) الأتراب : الأقران . واللبط : اللون وهو الجلد أيضا . (٤) تأطرن : تلبتن ، وأصل التأطرن : التعطف . (٥) اللأى : البط . واللبانة : الحاجة . (٦) المخارم : جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل . نضع : جبل أسود بين الصغراء . وينبع . (٧) العوادى : الصوارف . (٨) الكلى : جمع كاية وهى الرقعة تكون فى أصل عروة المزاد . والغرب : الدلو العظيمة . وسجيل : ضم .

تَكْنَفَهَا حُرْقٌ تَوَاكَّلْنَ خَرَزَهَا * فَأَبْجَانَنَهُ وَالسَّيرُ غَيْرُ بِيحِيلِ^(١)
 أَيْمِي فَإِنَّ الْغَوْرَ يَاعَزُ بَعْدَكُمْ * إِلَى إِذَا مَا بِنْتٌ غَيْرُ بَحْمِيلِ
 كَفَى حَزْنَا لِلْعَيْنِ أَنْ رَدَّ طَرْفَهَا * لِعِزَّةِ عَيْرِ آذَنْتُ بِرَحِيلِ
 وَقَالُوا نَأَتْ فَأَخَّرْتَ مِنَ الصَّبْرِ وَالْبُكََا * فَقَلْتَ الْبُكََا أَشْفَى إِذَا لَغَالِيَلِي
 تَوَلَّيْتَ مَحْزُونًا وَقَلْتَ لِصَاحِبِي * أَقَاتِلْتِي لَيْلِي بغير قَيْلِ
 لِعِزَّةِ أذِي يَحْتَلُّ بِالْخَيْفِ أَهْلَهَا * فَأَوْحَشَ مِنْهَا الْخَيْفُ بَعْدَ حُلُولِ
 وَبَدَّلَ مِنْهَا بَعْدَ طَوْلِ إِقَامَةٍ * تَبَعْتُ نَكَبَاءَ الْعَيْشِيِّ جَفُولِ^(٢)
 لَقَدْ أَكْثَرَ الْوَاشُونَ فِينَا وَفِيكُمْ * وَمَالَ بِنَا الْوَاشُونَ كُلِّ مَيْمِلِ
 وَمَا زَلْتُ مِنْ لَيْلٍ لَدُنَّ طَرْ شَارِي^(٣) * إِلَى الْيَوْمِ كَأَلْقَصَى بِكُلِّ سَبِيلِ
 وله :

إِذَا مَا أَرَادَ الْغَزْوَ لَمْ تَنْهَ هَمَّهُ * حَصَانٌ عَلَيْهَا نَظْمٌ دَرَّ زِيْنُهَا
 نَهْتُهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عَاقَهُ * بَكَتْ فَبَكَى مِمَّا سَجَّهَا قَطِينُهَا^(٤)
 وَلَمْ يَنْتَهِ يَوْمَ الصَّبَابَةِ بِنُهَا * غَدَاةً اسْتَهَلَّتْ بِالْدموعِ شُؤُونُهَا
 وَلَكِنْ مَضَى ذُو مِرَّةٍ مُتَثَبَّتٌ * لِسُنَّةٍ حَقٌّ وَاضِحٌ مُسْتَبِينُهَا
 وله في مدح عبد الملك بن مروان :

أَحَاطَتْ يَدَاهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَا * أَرَادَ رِجَالُ آخِرُونَ اغْتِيَالَهَا
 فَمَا أَسْلَمُوهَا عَنُودَةً عَنْ مَوْدَةٍ * وَلَكِنْ يَحْدُ الْمَشْرِفِيُّ اسْتَقَالَهَا
 وَكُنْتُ إِذَا نَابَتْكَ يَوْمًا مَأْمَةً * نَبَلْتُ لَهَا أَبَا الْوَلِيدِ نِيَالَهَا^(٥)
 تَمَوَّتَ فَادْرَكْتَ الْعَلَاءَ وَإِنَّمَا * يُلْقَى عَايَاتِ الْعَلَاءِ مَنْ سَمَا لَهَا
 وَصَلَتْ فَنَالَتْ كَفْكَ الْمَجْدَ كُلَّهُ * وَلَمْ تَبْلُغِ الْأَيْدِي السَّوَامِي مَصَالَهَا

(١) خرق : جمع خرقاء . وهي التي لا تحسن العمل . وأبجانه : أوسعه . والبجيل الغليظ . يريد أنهم أغفلان الإشي وأدقق السير . (٢) النكباء : الرياح التي تهب بين مهدي زبحين . والجفول : التي تذهب التراب . (٣) طرور الشارب : نياته . (٤) القطنين : الخدم . (٥) نبلت : أعددت .

وله أيضا :

أهاجك برق آحر الليل وإصب * تضمته فرش الحبا فالمسارب
 يجرئ ويستأني نسا^(١) كأنه * بغيقة حاد ججل الصوت جالب
 تآلق وأحموى وخيم بالربا * أحم الذرى ذو هيدب متراكب
 اذا حركته الريح أزم^(٢) جانب * بلا هزق منه وأومض جانب
 كما أومضت بالعين ثم تسمت^(٣) * خريع بدا منها جبين وحاجب
 يمج الندى لا يذكر السير أهله * ولا يرجع الماشي به وهو جادب

وله أيضا :

سبهلك في الدنيا شفيق عليكم * اذا غاله من حادث الدهر غائله
 ويخفي لكم حبا شديدا ورهبة * وللناس أشغال وحبك شاغله
 وحبك ينسني من الشيء في يدي * ويذهلني عن كل شيء أزاوله
 كريم يميت السر حتى كأنه * اذا استبحثوه عن حديثك جاهله
 يود بان يمسي سقيما لعلها * اذا سمعت عنه بشكوى ترأسله
 ويرتاح للمعروف في طلب العلا * ليحمد يوما عند ليلى شمائله
 فلو كنت في كبل وبخت بلوعتي^(٤) * إليه لانت رحمة لي سلاسله

وله أيضا :

أقول لماء العين أمين لعله * بما لا يرى من غائب الوجد يشهد
 فلم أدر أن العين قبل فراقها * غداة الشبا من لاجع الوجد تجمد
 ولم أر مثل العين ضنت بمائها * على ولا مثلي على الدمع يحسد

(١) النسا : السحاب المرتفع بعضه فوق بعض . (٢) أزم : صوت . (٣) الهزق :
 شدة صوت الرعد . (٤) خريع : امرأة حسنة . (٥) كبل : قيد شديد .

وله أيضا :

تَسْمَعُ الرَّعْدَ فِي الْمُحِيلَةِ مِنْهَا * مِثْلَ هَزْمِ الْقُرُومِ فِي الْأَشْوَالِ ^(٢)
 وَتَرَى الْبَرْقَ عَارِضًا مُسْتَطِيرًا * مَرَحَ الْبَلْقِ جُلْنَ فِي الْأَجْلَالِ
 أَوْ مَصَابِيحَ رَاهِبٍ فِي يَفَاعٍ * سَغَمَ الزَّيْتِ سَاطِعَاتِ الذُّبَالِ

وله أيضا :

فِيَا عَزَّ إِنِّ وَايْشَ وَشَى بِي عِنْدَكُمْ * فَلَا تُكْرِمِيهِ أَنْ تَقُولِي لَهُ أَهْلَا
 كَمَا لَوْ وَشَى وَايْشَ بَعْرَةَ عِنْدَنَا * لَقُلْنَا تَرَحَّزِحَ لَا قَرِيْبًا وَلَا سَهْلًا

(١) القروم : الفحول التي أغفيت من الحمل عليها وتركت للفحلة .

(٢) الأشوال : الإبل التي مضى على حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لها .

(د) الغزل القصصي

١ - أخبار قيس بن الملوّح (المجنون)^(١)

قال الأصفهاني عن محدّثيه عن ابن دأب قال : قلت لرجل من بني عامر : أتعرف المجنون وتروى من شعره شيئاً؟ قال : أوقد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروى أشعار المجانين ! إنهم لكثيرٌ ! فقلت : ليس هؤلاء أعني ، إنما أعني مجنونَ بني عامر الشاعر الذي قتله العشق ، فقال : هيات ! بنو عامر أغلظُّ أجاداً من ذلك ، إنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعافِ قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصعلة^(٢) رؤوسها ، فأما نزارُ فلا .

وقال الرّياشيُّ سمعت الأصمعيّ يقول : رجلا ن ما عرّفنا في الدنيا قطُّ إلا بالاسم : مجنونُ بني عامر ، وابنُ القريّة^(٣) ، وإنما وضعهما الرواةُ .

وقال المدائني : المجنونُ المشهورُ بالشعر عند الناس صاحبُ ليلى قيس بن معاذ من بني عامر ، ثم من بني عُقيل ، أحد بني مُيمر بن عامر بن عُقيل ، قال : ومنهم رجل آخر يقال له : مهديّ بن الملوّح من بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وقال ابن الكلبي : حدّثتُ أن حديثَ المجنونِ وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى أبنّة عم له ، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديثَ المجنون وقال الأشعار التي يرويها الناسُ للمجنون ونسبها إليه .

(١) هو قيس بن الملوّح ، ويقال : ابن معاذ بن مزاحم من بني عامر بن صعصعة ، ويعرف بمجنون ليلى ، نسبة إلى ليلى التي كان يتعشقها وهو مشهور ، ولكن بعض أهل النقد من علماء الشعريون أن قصته موضوعة ، وضعها رجل من بني أمية كان يحب أبنّة عم له ويكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديثَ المجنون وقال الأشعار التي يظنها الناس للمجنون ، وقد زاد الناس فيه بعدئذ . ويؤيد ذلك أن كثيراً مما ينسب إليه من الأشعار رويت لغيره ، فقصته إذا من قبيل الشعر التمثيلي (درام) الذي يراد به تمثيل بعض الفضائل . وهي تمثل العشق مع التعفف ، أو لعل لها أصلاً قليلاً وزاد فيه الرواة كما فعلوا بقصة عنترة التي تمثل الشجاعة والعشق ، وعلى كل حال فإن بين الأشعار المنسوبة إلى المجنون طائفة تمثل شعائر المحبين كما هي على طبيعتها . وأخبار المجنون في الأغاني (ج ١ ص ١٦٧) والشعر والشعراء (ص ٣٥٥) ونزاهة الأدب (ج ٣ ص ١٧٠) . (٢) الصعلة : صغر الرأس . (٣) هو أيوب ابن زيد بن قيس والقزوية أمه قتله الهجاج لانتهامه بالميل لابن الأشعث .

وعن حماد بن طلوت بن عباد : أنه سأل الأصمعي عنه ، فقال : لم يكن مجنوناً ، بل كانت به لؤنةٌ أحدثها العشقُ فيه ، كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها ليلى ، وأسمه قيسُ ابنُ معاذ .

وذَكَرَ عمرو بن أبي عمرو الشَّيباني عن أبيه أن اسمه قيسُ بن معاذ .
وذَكَرَ شُعَيْبُ بن السَّكَن عن يونس النَّحْوِي أن اسمه قيسُ بن الملوِّح ، قال أبو عمرو الشَّيباني : وحدثني رجل من أهل اليمن أنه رآه ولقيته وسأله عن اسمه ونسبه ، فذكر أنه قيسُ بن الملوِّح .

وذَكَرَ هشام بن محمد الكَلْبِي أنه قيسُ بن الملوِّح ، وحدث أن أباه مات قبل اختلاطه ،^(١)
فَعَقَرَ على قبره ناقته وقال في ذلك :

عقرتُ على قبر الملوِّح ناقتي * بذى السَّرحِ لما أن جفاه الأفرابُ
وقلتُ لها كوني عَقِيراً فإني * غداً راجلٌ أمشي وبالأمس راکبُ
فلا يُبعدنك اللهُ يا بنَ مزراحيم * فكلُّ بكأس الموت لاشكَّ شاربُ

وقال الأصمعي : سألتُ أعرابياً من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العامري فقال :
عن أيهم تسألني ؟ فقد كان فينا جماعةٌ رموا بالجنون ، فعن أيهم تسأل ؟ فقلت : عن الذي
كان يُسبَّب بليلى ، فقال : كلُّهم كان يُسبَّب بليلى ، قلتُ : فأنشدني لبعضهم ، فأنشدني
لمزراحيم بن الحارث المجنون :

ألا أيها القلبُ الذي حجَّ هائمًا * بليلى وليدًا لم تقطعْ تائمًا
أفنى قد أفاق العاشقون وقد أنى * لك اليوم أن تلقى طيباً تلاميئةً
أجدك لا تُنسيك ليلى مائةً * تلم ولا عهد يطول تقادمه

(١) يقال : اختلط عقله إذا تغير وفسد .
(٢) ذو السرح : واد بارض نجد .
(٣) عقيراً ، أي معقورة ، وأصل العقر : قطع القوائم ثم أطلق بمعنى النحر . قال ابن الأثير : كانوا يعقرون الإبل على قبور الموتى أى يخرونها ويقولون : إن صاحب القبر كان يعقر لأمه أيام حياته فنكاته بمنزل صنعه بعد وفاته . وإنما أطلق العقر على النحر لأنهم كانوا إذا أرادوا نحر البعير عقروه ثلاثاً يتردد عنقه النحر اه من اللسان مادة عقر .
(٤) أنى : حان وقرب .

قلت : فَأَنْشِدُنِي لغيره منهم ، فَأَنْشِدُنِي لِمُعَاذِ بْنِ كَلْبٍ المَجْنُونِ :

أَلَا طَالَمَا لَاعَبْتُ لَيْلِي وَقَادَنِي * إِلَى اللَّهِو قَلْبٌ لِلْحِسَانِ تَبُوْعُ
وَطَالَ أَمْتْرَاءُ الشُّوقِ عَيْنِي كَلْمَا * نَزَفْتُ دُمُوعًا تَسْتَجِدُّ دُمُوعُ
فَقَدْ طَالَ إِمْسَاكِي عَلَى الكَيْدِ التِّي * بِهَا مِنْ هَوَى لَيْلِي الغَدَاةُ صُدُوعُ

قلتُ : فَأَنْشِدُنِي لغير هذين ممن ذَكَرْتَ ، فَأَنْشِدُنِي لِمَهْدِي بْنِ المَلُوحِ :

لَوْ أَنَّ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا عُدَّتْ بِهِ * سِوَاهَا وَلَيْسَ بَأَنَّ عَنْكَ بَيْنَهَا
لَكُنْتَ إِلَى لَيْسَى فَقِيرًا وَإِنَّمَا * يَقُودُ إِلَيْهَا وَدَّ نَفْسِكَ حَيْثُهَا

قلتُ له : فَأَنْشِدُنِي لِمَنْ يَبْقَى مِنْ هؤُلاءِ ، فَقَالَ : حَسْبُكَ ! فَوَاللَّهِ إِنَّ فِي وَاحِدٍ مِنْ هؤُلاءِ
لِمَنْ يُوزَنُ بِعُقُلَاتِكُمْ اليَوْمَ .

وقال الجاحظُ : مَا تَرَكَ النَّاسُ شِعْرًا مَجْهُولَ القَائِلِ قِيلَ فِي لَيْلَى إِلَّا نَسَبُوهُ إِلَى المَجْنُونِ ،
وَلَا شِعْرًا هَذِهِ سَبِيلُهُ قِيلَ فِي لَيْلَى إِلَّا نَسَبُوهُ إِلَى قَيْسِ بْنِ دَرِيْعٍ .

قال أبو الفرج : وَأَنَا أَذْكَرُ مَا وَقَعَ إِلَى مِنْ أَخْبَارِهِ جُمْلًا مُسْتَحْسَنَةً ، مُتَبَرِّئًا مِنَ العَهْدَةِ
فِيهَا ، فَإِنَّ أَكْثَرَ أَشْعَارِهِ المَذْكُورَةِ فِي أَخْبَارِهِ يَنْسُبُهَا بَعْضُ الرُّوَاةِ إِلَى غَيْرِهِ وَيَنْسُبُهَا مَنْ
حُكِيَتْ عَنْهُ إِلَيْهِ ، وَإِذَا قَدِمْتُ هَذِهِ الشَّرِيْطَةَ بَرْتُ مِنْ عَيْبِ طَاعِنٍ وَمُتَّبِعِ اللُّعُوبِ .

أخبرني بجزءه فِي شَفَعِهِ بِلَيْسَى جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّوَاةِ ، وَنَسَخْتُ مَا لَمْ أَسْمَعْهُ مِنَ الرُّوَايَاتِ
وَجَمَعْتُ ذَلِكَ فِي سِيِاقَةِ خَبَرِهِ مَا آتَسَّقَ وَلَمْ يَخْتَلِفْ ، فَإِذَا اِخْتَلَفَ نَسَبْتُ كُلَّ رِوَايَةٍ
إِلَى رَاوِيهَا .

فَمَنْ أَخْبَرَنِي بِجُزْءِهِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ الجَوْهَرِيُّ - وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ المَهَلَّبِيُّ - ، قَالَا :
حَدَّثَنَا عَمْرٌ بْنُ شَيْبَةَ عَنْ رِجَالِهِ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ ، وَنَسَخْتُ أَخْبَارَهُ مِنْ
رِوَايَةِ خَالِدِ بْنِ كَثُومٍ وَأَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ وَأَبْنِ دَأْبٍ وَهَشَامِ بْنِ مُحَمَّدِ الكَلْبِيِّ وَإِسْحَاقِ بْنِ
الجِصَّاصِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الرُّوَاةِ .

(١) الامتراء: الاستدرار . (٢) بينها هنا معناه وصلها لأنه من أسماء الأضداد ، يطلق على الوصل والفراق .

قال أبو عمرو الشيباني وأبو عبيدة: كان المجنون يهوى ليلي بنت مهدي بن سعد بن مهدي بن ربيعة بن الحارث بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وتكنى أم مالك، وهما حينئذ صبيان، فعلق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشي أهلها، فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه، قال: ويدل على ذلك قوله:

تعلقت ليلي وهي ذات ذؤابة^(١) * ولم يبد للأتراب من ثديها حيم
صغيرين نرعى بهم ياليت أننا * إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر بهم

وقال ابن الكلبي: كان سبب عشق المجنون ليلي، أنه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمة وعليه حلتان من حلل الملوكة، فتر بأمرأة من قومه يقال لها: كريمة، وعندها جماعة نسوة يتحدثن، فهين ليلي، فأعجبته جماله وكأله، فدعونه إلى التزول والحديث، فنزل وجعل يتحدثن وأمر عبداً له كان معه فعقرهن ناقته، وظل يتحدثن بقية يومه، فبينا هو كذلك، إذ طلع عليهم قتي عليه بردة من برد الأعراب يقال له: "منازل" يسوق معزى له، فلما رأيته أقبلن عليه وتركن المجنون، فغضب ونرج من عندهن وأنشأ يقول:

أأعسر من جراً كريمة ناقتي * ووصل مفروش لوصول منازل
إذا جاء قعقن الحلي ولم أكن * إذا جئت أرضى صوت تلك الخلائل
متى ما أنتضلنا بالسهم فضلت^(٢) * وإن نر رشقا عندها فهو ناضل^(٣)

قال: فلما أصبح ليس حلتها وركب ناقة له أخرى ومضى متعرضاً لهن، فالتقى ليلي قاعدة بفناء بيتها وقد علق حبه بقلها وهويته، وعندها جويريات يتحدثن معها، فوقف بهن وسلم، فدعونه إلى التزول وقلن له: هل لك في محادثة من لا يسغله عنك منازل ولا غيره؟ فقال:

(١) الذؤابة: شعر الناصية.

(٢) أي من أجل، يقال: فعلت ذلك من جزالك أي من أجلك وبما أنشد على هذا:

أمن جراً بنى أسد غضبتهم * ولو شتمت لكان لكم جوار

(٣) أي ترامينا بالسهم، وفضله: غلبته. (٤) الرشق: رمى أهل النضال ما معهم من السهام

في جهة واحدة.

إلى لعمري ، فنزل وفعل مثل ما فعله بالأمس ، فأرادت أن تعلم ، هل لها عنده مثل ما له عندها ، فجعلت تُعرض عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتُحدث غيره ، وقد كان عابوً بقلبه مثل حبها إياه وشغفته وأستلحها ، فيبنا هي تُحدثه ، إذ أقبل فتى من الحلى فدعته وسارته سرارا طويلا ، ثم قالت له : انصرف ، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغير وأنشع لونه وشق عليه فعلها ، فأنشأت تقول :

كَلَانَا مُظْهِرٌ لِلنَّاسِ بَغْضًا * وَكُلُّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينٌ

تُبَلِّغُنَا الْعِيُونَ بِمَا أَرَدْنَا * وَفِي الْقَلْبَيْنِ ثَمَّ هَوَى دَفِينٌ

فلما سمع البيتين شفق شفقةً شديدةً وأغمى عليه ، فكث على ذلك ساعةً ، ونضحوا الماء على وجهه حتى أفاق وتمكن حبُّ كل واحد منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كل مبلغ .

وعن أبي الهيثم العقيلي قال : لما شُهر أمرُ المجنون ولبى وتناشد الناس شعره فيها ، خطبها وبذل لها خمسين ناقة حمراء ، وخطبها ورد بن محمد العقيلي وبذل لها عشرين من الإبل وراعيها ، فقال أهلها : نحن نحيروها بينكما ، فمن آخترت تزوجته ، ودخلوا إليها فقالوا : والله لئن لم تختاري وردًا لئنمشتن بك ، فقال المجنون :

أَلَا يَا أَيْلَ إِنْ مُلِكْتِ فِينَا * خِيَارِكَ فَانظُرِي لِمَنِ الْخِيَارُ

وَلَا تَسْتَبْدِلِي مَنِّي دَنِيًّا * وَلَا بَرْمًا إِذَا حُتَّ الْقَتَارُ^(٢)

يَهْرُولُ فِي الصَّغِيرِ إِذَا رَأَاهُ * وَتُعْجِزُهُ مُلِمَاتُ بَكَارُ

فَمَثَلُ تَأْيِيمٍ مِنْهُ نِكَاحٌ * وَمَثَلُ تَمَوُّبٍ مِنْهُ آفِتْقَارُ

فاختارت وردًا فتروجته على كرهٍ منها .

وقال :

أَيَاوَيْحَ مَنْ أَمْسَى تَحْلَسُ^(٣) عَقْلُهُ * فَاصْبِحْ مَذْهُوبًا بِهِ كُلِّ مَذْهَبٍ

خَلِيًّا مِنْ الْخِلَّانِ إِلَّا مُعْذِرًا^(٤) * يَضَاحِكُنِي مَنْ كَانَ يَهْوَى تَجَنُّبِي

(١) البرم : التعميل . (٢) القطار : ريح الهم المشوى . (٣) تحلس : سلب .

(٤) هو المقصر الذي لا عذره ولكنه يتكلف العذر ، ومنه قوله تعالى : (وجاء المذرون من الأعراب ليؤذن لهم) .

إذا ذُكِرْتُ ليلي عَقَلْتُ وراجعتُ * روائعُ عَقْلِي من هَوَى مُتَشَعِّبٍ
 وقالوا صحیحٌ ما به طيفُ جنّةٍ * ولا الهَمُّ إلا بافتراءِ التَكْذِيبِ
 وشاهدٌ وُجِدِي دمعُ عيني وحُبُّها * برى اللحمَ عن أحناءِ عظمي ومنكبي^(٢)
 تجنَّبَت ليلي أن يَلِجَ بك الهوى * وهياتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ
 ألا إتما غادرتِ يا أم مالكٍ * صدَى أينما تذهبُ به الريحُ يذهبُ^(٣)
 فلم أر ليلي بعد موقِفِ ساعةٍ * بحَيِّفٍ مِنِّي ترمي جمارَ المحصَّبِ
 ويُدِي الحصى منها إذا قذفتُ به * من البُردِ أطرافَ البنانِ المُخَضَّبِ
 فأصبحتُ من ليلي الغداةَ كناظِرٍ * مع الصبحِ في أعقابِ نجمٍ مغربٍ

قال أبو الفرج : أنشدني الأَخْفَشُ عن أبي سعيد السُّكْرِيِّ عن محمد بن حبيب

للجنون :

فواللهِ ثم اللهُ إِنِّي لدائبٌ * أفكرُ ما ذنبي إليها وأعجبُ
 وواللهِ ما أدري علامَ قتليني * وأىِّ أمورِي فيكَ ياليلَ أركبُ
 أقطعُ حبلَ الوصلِ فالموتُ دونه * أم آسَرُبُ رنقا منكم ليس يُشربُ
 أم آهَرُبُ حتى لا أرى لي مجاورا * أم أصنعُ ماذا أم أبوح فأغلبُ
 فأيهما ياليلَ ما ترتِضينه * فإني لمظلومٌ وإني لمعتبُ

وقال :

عَرَضْتُ على قلبي العزاءَ فقال لي * من الآنَ فإيا س لا أعزك من صبرِ
 إذا بانَ من تهوى وأصبحَ نائياً * فلا شيءَ أجدى من حلوك في القبرِ

(١) الروائع : جمع رائعة ، أى مرثاة . (٢) الأحناء : جمع حنو وهو كل شيء فيه أعوجاج كهضم
 الإحجاج (العظم الذى ينبت عليه الحاجب) والهي والصلع . (٣) الصدى : الجسد من الأذى بعد موته ،
 ويطلق على الرجل التحيف الجسد ، كما أنه يطلق على الصوت الذى يسمعه المصوت عقب صاحبه راجعا إليه من
 نحو الجبل والبناء المرتفع .

وداع دعا إذ نحن بالخيِّفِ من منى * فهيج أطراب الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليسى غيرها فكأتما * أطار بلبلى طائرا كان في صدرى
دعا باسم ليسى ضلل الله سعيه * وليسى بأرض عنه نازحة قفر

وقال :

أيا جبلى نعان بالله خليا * سبيل الصبا يخلص إلى نسيما
أجد ردها أو تشفى منى حرارة * على كعب لم يبق إلا صيما^(٢)
فان الصبا ربح إذا ما تسمت * على نفس محزون تجلت همومها

وقال :

أيا حرجات الحى حيث تجلوا * بذى سلم لا جادكن ربيع^(٤)
وحياتك اللاتي بمنعرج اللوى * يلين بلى لم تبلهن ربوع^(٢)
ندمت على ما كان منى ندامة * كما يندم المغبون حين يبيع^(٦)
فقدت من نفس شعاع فأنى^(٥) * نهيتك عن هذا وأنت جميع
فقرت لى غير القريب وأشرفت^(٧) * إلسك شايا ما هن طلوع^(٨)

وله :

يا صاحبي المأى بمترلة * قد مر حين عليها أيما حين
إنى أرى رجعات الحب تقننى * وكان فى بدنها ما كان يكفيني^(٩)
لا خير فى الحب ليست فيه قارعة * كأن صاحبها فى نزع موتون

- (١) الأطراب : جمع طرب وهو خفة تعترى الشخص من شدة الفرح أو الحزن . (٢) صيما : أصلها .
(٣) الحرجات : جمع حرجة وهى الغيضة ، وسميت بذلك لضيقها ، وقيل : الشجر الملتف ، وهى أيضا الشجرة
تكون بين الأشجار لا تصل إليها الآكلة وهى ما رعى من المال . (٤) ذو سلم : موضع بالحجاز .
(٥) يقال : نفس شعاع إذا انتشر رأيا فلم تنجحه لأمر جرم . (٦) الجميع : ضمة المنفرد .
(٧) أشرفت : ظهرت وأرتفعت . (٨) الشايا : جمع ثية وهى الطريقة فى الجبل ، وقيل : هى العقبة ،
وقيل : هى الطريق العالى فيه ، يريد أن الوصول إلى ليل صعب لا يستطيعه . (٩) الموتون : المضروب على
الوتين ، وهو عرق معلق بنياط القلب .

إن قال عدَّاهُ مهلاً فلانَ لهم * قال الهوى غير هذا القولِ يعنيني
ألقى من اليأس تاريتٍ فتقتلني * وللرجاء بشاشاتٍ فتُحِينِي

وله :

أُستقبِلِي نَفْحَ الصَّبَا ثم شائقي * يبردُ شَيَا أُمَّ حَسَانَ شائقي
كأنَّ على أنيابها انخمرَ شَجْهاً^(١) * بماء الندى من آخرِ الليلِ عَاتِقِ^(٢)
وما شئتُه إلا بعيني تفرسًا * كما شيم في أعلى السحابةِ بَارِقُ

وروى الأصمعي له قوله :

أخذت محاسن كل ما * صَدَّتْ محاسنه بحسنة
كاد الغزالُ يكونها * لولا الشوى ونُسُوزُ قرنه

قال : وهو القائل :

ولم أرَ ليليَ بعدَ موقِفِ ساعةٍ * بخيفِ مِنِّي ترمي جِمارَ المحصَّبِ
ويُبيدِي ألحصى منها إذا قَدَّفتُ به * من البُرْدِ أطرافَ البنانِ المخضَّبِ
فأصبحتُ من ليليَ الغدَاةَ ككاظيرٍ * مع الصبحِ في أعقابِ نجمِ مغربِ
ألا إتما غادرتِ يا أمَّ مالكٍ * صدَى أينما تذهبُ به الريحُ يذهبِ

وقال :

يقول أناسٌ علَّ مجنونَ عامرٍ * يرومُ سُلوًا قلتُ أني لما بيأ
وقد لامني في حبِّ ليلي أقاربي * أنحي وأبنُ عمي وأبنُ خالي وخاليأ
يقولون ليليَ أهلُ بيتِ عداوةٍ * بنفسي ليلي من عدوِّ وماليأ^(٣)
ولو كان في ليلي شداً من خصومةٍ * للويتُ أعناقَ الملقى الملاويأ

(١) شجها : مزجها . (٢) العاتق : البكر التي لم تبن عن أهلها، والظاهر أنها ليست مرادة

هنا وأن كلمة «عائق» محزنة عن «عائق» وهو الساق في الغبوق أي العشي .

(٣) الملاوي : جمع ملوى وهو مصدر ميمى من لوى بمعنى خلف .

وقال :

ألا ما ليلى لا ترى عند مضجعي * بليلى ولا يحيرى بذلك طائرُ
 بلى إن عجم الطير تجرى إذا جرت * بليلى ولكن ليس للطير زاجرُ
 أزلت عن العهد الذى كان بيننا * بذى الأئيل أم قد غيرتها المقادرُ
 فوالله ما فى القرب لى منك راحةٌ * ولا البعد يُسلينى ولا أنا صابرُ
 ووالله ما أدرى بأية حيلةٍ * وأى مرَامٍ أو خِطَارٍ أخاطرُ^(١)
 وتالله إن الدهر فى ذات بيننا * على لها فى كلِّ حالٍ لحائرُ
 فلو كنت إذ أزمعت هجرى تركتني * جميع القوى والعقل منى وافرُ^(٢)
 ولكن أيامى يحقل عنيزة^(٣) * وبالرزم أيام جناها التجاورُ
 وقد أصبح الود الذى كان بيننا * أمانى نفس والمؤمل حائرُ
 لعمري لقد رنقت يا أتم مالك * حياتى وساقفتني إليك المقادرُ^(٤)

وقال :

يا للرجال لهم بات يعرفونى * مستطرفٍ وقديم كان يعينى
 على غريم مليء غير ذى عدم^(٥) * أبى فيمطلى دبنى ويأوينى^(٧)
 لا يذكر البعض من دبنى فينكره * ولا يحدثنى أن سوف يقضينى
 وما كشكرى شكر لو يوافقنى * ولا منى كمنأه إذ يمنينى

(١) الخطار : مصدر من خاطر بمعنى راهن .

(٢) جميع : مجتمع . (٣) الحقل : المزرعة ويطلق على الموضع البكر الذى لم يزرع فيه قط .
 وعنيزة : موضع بين البصرة ومكة . والرزم : موضع على ستة أميال من زباله ، وزباله . منزل معروف بطريق
 مكة من الكوفة . (٤) رنقت : كدرت ، والترنق كما يطلق على التكدير يطلق على ضدّه الذى هو التصفية .
 (٥) مليء بالهمز أى ثقته غنى . قال صاحب اللسان : وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء .
 (٦) عدم أى فقر ومثله عدم بضم العين وسكون الدال . قال صاحب اللسان : اذا ضمت أوله خففت فقلت :
 عدم واذا فحمت أوله ثقلت فقلت : عدم . (٧) يلوينى : يمطلى ، يقال : لواه دينه وبدينه : مطله .

أطعته وعصيتُ الناسَ كُلَّهُمْ * في أمره ثم يَأبَى فهو يَعِصِينِي
خَيْرِي لمن يَتَنَجَّى خَيْرِي وَيَأْمَلُهُ * من دون شَرِّي وشَرِّي غيرُ مَأْمُونٍ
وما أَشَارِكُ في رأِي أَخَا ضَعِيفٍ * ولا أَقُولُ أُخِي مَنْ لا يُؤَاتِينِي^(٢)

وله :

ألا أَيُّهَا البَيْتُ الذي لا أَزُورُهُ * وإن حَلَّ شَخْصٌ إلى حَيْبُ
هَجْرَتِكَ إِشْفَاقًا وَزُرْتُكَ خَائِفًا * وفِيكَ على الدَّهْرِ مَنْكَ رَقِيبُ
سَأَسْتَعِيبُ الأَيَّامَ فِيكَ لَعْلَهَا * بيومِ سُرُورٍ في الزَّمانِ تَوْوَبُ

وبلغ المجنون أن أهل ليلي يريدون نقلها إلى التَّقْفِيّ فقال :

كَانَ القَلْبَ لَيْلَةَ قَبْلَ يُغَدِّي * بَلَيْلِ العَامِرِيَّةِ أَوْ يَرَّاحُ
قَطَاةً عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ * تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الجَنَاحُ

فلما نُقِلَتْ لَيْلِي إلى التَّقْفِيّ قال :

طَرِبْتَ وشَاقَتِكَ الحُمُولُ^(٣) الدَّوَابِعُ * غَدَاةُ دَعَا بِالْبَيْنِ أَسْفَعُ نَازِعُ^(٤)
شَحَا فَاهُ نَعْبًا بِالنِّزَاقِ كَأَنَّهُ * حَرِيبٌ سَلِيبٌ نَازِحُ الدَّارِ جَارِعُ^(٥)
فَقَلْتُ أَلَا قَدْ بَيَّنَّ الأَمْرُ فَانصَرِفْ * فَقَدْ رَاعَنَا بِالْبَيْنِ قَبْلَكَ رَائِعُ^(٦)
سُقِيَّتْ سُمُومًا مِنْ غَرَابٍ فَإِنِّي * تَبَيَّنْتُ مَا خَبَّرْتَ مَدَّ أَنْتَ وَاقِعُ

(١) الضعف هكذا بالتحريك : لئمة في الضعف بالفتح والسكون . ويستعمل في ضعف الرأي والعقل ،
وأشدد عليه ابن الأعرابي هذا البيت . ويستعمل في ضعف الجسم وأشدد عليه :
ومن يلق خيرا يغمز الدهر عظمه * على ضعف من حاله وفنور

(٢) يواتيني : يتأعدني .

(٣) الحمول في الأصل : الهودج واحدا حل ثم اتسع فيها وصارت تستعمل في الإبل التي عليها الهودج .
والدوابع : المتدفة في السير . (٤) كذا في أغلب النسخ وتر بين الأسواق . وفي ب ، سه :
« أسحم » والأسفع والأسحم معناهما واحد وهو الأسود . والنازع : المسرع . والمراد بالأسفع النازع « الغراب » .
(٥) شحافه يشحوه ويشحاه : فتحه . (٦) نعبا : صياحا وتصويتا . (٧) الحريب : من
سلب حريته وهي ماله الذي يقوم به أمره . (٨) بين بمعنى تبين ، ومنه المثل : « قد بين الصبح لذي عينين » .

ألم تَرَ أَنِّي لَا يُحِبُّ أَلْوَمُهُ * وَلَا يَسْدِيلُ بَعْدَهُمْ أَنَا قَانِعُ
 أَلَمْ تَرِدَارَ الْحَيِّ فِي رَوْنِقِ الضَّحَى * بَحِثُ أَمَحْنَتْ لِلهَضْبَتَيْنِ الْأَجَارِعُ^(١)
 وَقَدْ يَتَنَاءَى الْإِلْفُ مِنْ بَعْدِ أَلْفَةٍ * وَيَصْدَعُ مَا بَيْنَ الْخَلِيطَيْنِ صَادِعُ
 وَكَمْ مِنْ هَوَى أَوْ جِرِيَةٍ قَدْ أَلْفَتْهُمْ * زَمَانًا فَلَمْ يَمْنَعَهُمُ الْبَيْنَ مَانِعُ^(٢)
 كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ مَيَّتٌ جَوِيَةٌ * أَخُو ظَمًا سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَشَارِعُ^(٣)
 تَحَلَّسَ مِنْ أَوْشَالٍ مَاءٍ صَبَابَةٍ * فَلَا الشَّرْبُ مَبْدُولٌ وَلَا هُوَ نَاقِعُ^(٤)
 وَبَيْضٌ تَطَلَّى بِالْعَبِيرِ كَأَنَّهَا * نِعَاجُ الْمَلَا جَبِيَتْ عَلَيْهَا السَّبْرَاقُ^(٥)
 تَحْمَلَنَّ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ فَأَوْمَضَتْ * لَهَنَ بِأَطْرَافِ الْعَيُونِ الْمَدَامِعُ^(٦)
 فَمَا رَمَنَ رِبْعَ الدَّارِ حَتَّى تَشَابَهَتْ * هَجَائِئُهَا وَاجْجُونُ مِنْهَا الْخَوَاضِعُ^(٧)
 وَحَتَّى حَمَلَنَّ الْحَوْرَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * وَخَاضَتْ سُدُولَ الرَّقْمِ مِنْهَا الْأَكَارِعُ^(٨)^(٩)^(١٠)^(١١)^(١٢)^(١٣)^(١٤)^(١٥)

(١) الهضبتان : منى هضبة وهى الزابية أو الجبل المنبسط على الأرض أو الجبل المخلوق من صخرة واحدة ، والأجارع : جمع أجرع ، والأجرع كالجرعاء : الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل أو الزملة السهلة المستوية أو القطعة من الرمل لا تثبت شيئاً (انظر اللسان فى ما ذق هضب وجرع) . (٢) الهوى بمعنى المهوى وهو المحبوب ، ومنه قول الشاعر :

هَوَاىَ مَعَ الرِّكْبِ الْيَمَانِيْنَ مُصْعِدٌ * جَنِيْبٌ وَجُنَانِيٌّ بِمِصْكَةٍ مُوْتِقٌ

(٣) الجسوبة : فضاء أملس سهل بين أرضين . (٤) تحلس الشيء : اتبته وأخذه خلسة . (٥) الأوشال : جمع وشل وهو الماء القليل . والصبابة : بقية الماء تبقى فى الأناة والسقاء . (٦) هو من تقع بمعنى روى . (٧) الملا : الصحراء . (٨) أى قطعت . (٩) هو واد قرب مكة . (١٠) معناه ما يرحن . يقال : مارام المكان أى ما يرحه . (١١) الهجائن : الأبل البيضاء الكريمة واحدها هجان . والجون : جمع جون بفتح الجيم وهو الأسود المشرب بحمرة ، ويطلق على الأسود الجموى وعلى الأبيض فهو من أسماء الأضداد . (١٢) الخواضع : الأبل وإنما يقال لها خواضع لأنها تخضع أعناقها حين يجذبها السير ، قال جرير :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالْمَطَى خَوَاضِعٌ * وَكَأَنَّهِنَّ قَطَاً فَالَاةٌ مَجْمَلٌ

(١٣) الحور : جمع حوراء وهى البيضاء أو من فى عينها حور وهو شدة سواد المقلة فى شدة بياضها . (١٤) السدول : جمع سدبل وهو ما يجلل به الهودج من الثياب . (١٥) الأكارع : جمع أكرع والأكرع جمع كراع ، أو الأكارع كما يقول سيبويه جمع كراع على غير قياس . والكراع من الإنسان : ما دون الركبة الى الكعب ، ومن الدابة قوائمها مطلقاً .

فلما آستوت تحت الحدور وقد جرى * عسير ومسك بالعرانين رادع^(١)
 أشرن بأن حثوا الجمال فقد بدا * من الصيف يوم لائح الحر ماتع^(٢)
 فلما لحقنا بالحمول تباشرت * بنا مقصرات غاب عنها المطامع^(٣)
 يعرضن بالدلل المليح وإن يرد * جناهن مشغوف فهن موانع^(٤)
 فقلت لأصحابي ودمعي مسبل * وقد صدع الشمع المشتت صادع^(٥)
 أليلى بأبواب الحدور تعرضت * لعيني أم قرن من الشمس طالع^(٦)

وروى أن أبا المجنون حج به ليدعو الله عز وجل في الموقف أن يعافيه، فسار ومعه ابن عمه زياد بن كعب بن مزاحم، فمز بجمامة تدعو على أيكة فوقف بيكي، فقال له زياد: أي شيء هذا؟ ما يبكيك أيضا؟ سر بنا نلحق الرفقة، فقال:

أأن هتفت يوما بواد حمامة * بكيت ولم يعنك بالجهل عاذر^(٧)
 دعيت ساق حرب بعد ما علت الضحى * فهاج لك الأحران أن ناح طائر^(٨)
 تُغني الضحى والصبح في مرجحة^(٩) * كفاف الأعلى تحتها الماء حائر^(١٠)
 كأن لم يكن بالغيل أو بطن أيكة * أو الجزع من تول الأشاء حاضر^(١١)

(١) المراد بالرادع هنا المردوع به الجسد أو الثوب وهو العبير والمسك. وأصل الردع اللطخ بالطيب والزعفران، يقال: قبض رادع ومردوع أي فيه أثر الطيب والزعفران، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «لم يبه عن شيء من الأدوية الا عن المرعرة التي تردع الجلد» أي تنفض صبغها عليه. (٢) المانع: العويل. (٣) مقصرات: جمع مقصرة أي داخله في القصر وهو العشى، يقال: أتته قصرًا أي عشيًا، وأقصرنا أي دخلنا في قصر العشى، كما تقول أمسينا من المساء من أعصرت الجارية إذا بلغت عصر شبابها، أو من أعصرت أي دخلت في العصر (انظر لسان العرب مادة قصر). (٤) تدعو: تصوت وتوحد. (٥) ساق حر: أصله صوت الفهاري ويطلق على الذكر من الفهاري تسمية له باسم صوته وهو المراد هنا (انظر لسان مادق سوق وحر). (٦) المرجحة: المهترئة المتمايلة. (٧) حائر: متردد. (٨) الغيل: اسم لعدة مواضع والظاهر أن المراد هنا واد لبني جعدة وهم قوم المجنون. (٩) الأيكة: الغيضة المنتفة الأشجار ولم نجد في الكتب التي بأيدينا «أيكة» ولا «بطن أيكة» اسمًا لموضع خاص كما هو المناسب للسياق. (١٠) الجزع: منعطف الوادي ولعله هنا اسم لموضع خاص وقد يكون جزع بنى جواز وهو واد بالجمامة. (١١) الأشاء: موضع بالجمامة فيه نخيل. ولعل كلمة «تول» محذوفة عن «نال» والثالث: صغار النخل واحده نالة.

يقول زيادٌ إذ رأى الحىَّ هَجَرُوا^(١) * أرى الحىَّ قد ساروا فهل أنت سائرٌ
وإنى وإن غَالِ التَّقَادُمُ حاجتى * مُلِمٌّ على أوطانٍ لَيْسَى فَنَاطِرُ^(٢)

كان المحنونُ ولبى وهما صبيانِ يرعيانِ غنما لأهلها عند جبلٍ في بلادهما يقال له التوباد، فلما ذهب عقله وتوحش، كان ييحيى إلى ذلك الجبل فيقيمُ به، فإذا تذكر أيامَ كان يُطيف هو ولبى به جرع جزعاً شديداً وأستوحش فهم على وجهه حتى يأتى نواحي الشام، فإذا تاب إليه عقله رأى بلداً لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهم: أبى أتم، أين التوباد من أرض بنى عامر؟ فيقال له: وأين أنت من أرض بنى عامر! أنت بالشام عليك بنجم كذا فأمة، فيمضى على وجهه نحو ذلك النجم حتى يقع بأرض ائمن، فيرى بلاداً يُنكرها وقوماً لا يعرفهم فيسألهم عن التوباد وأرض بنى عامر، فيقولون: وأين أنت من أرض بنى عامر! عليك بنجم كذا وكذا، فلا يزال كذلك حتى يقع على التوباد، فإذا رآه قال في ذلك:

وأجهشتُ للتوبادِ حين رأيتُه * وكبَّرَ للرحمن حين رآنى
وأذريتُ دمعَ العين لما عرفته * ونادى بأعلى صوته فدعانى
فقلتُ له قد كان حولك جيرةٌ * وعهدى بذالك الصرم منذ زمانٍ
فقال مَضَوْا وأستودعُونى بلادهم * ومن ذا الذى سبقَ على الحدَّانِ
وإنى لأبكى اليومَ من حدري غداً * فِرَاقَكَ والحَيَّانِ مُجْتَمِعَانِ
سِجَالًا وَتَهْتَانًا وَوَبَلًا وَدِيمَةً * وَسِحًّا وَتَسْجَامًا إِلَى هَمَلَانِ^(٣)

- (١) هجروا: ساروا في وقت الهجرة . (٢) غال الشيء: ذهب به . (٣) التوباد (بالدال المهملة) وهو المواق لما في معجم ما أستعجم للبكري إذ قال في ضبطه: هو بفتح أوله وباء معجمة بواحدة ودال مهملة وأنشد عليه: * وأجهشت لتوباد حين رأيتُه * البيت .
وضبطه ياقوت بالدال المعجمة فقال في معجمه: «توباد» بالفتح ثم السكون والياء، موحد وأخره ذال معجمة: جبل بنجد . (٤) أجهشت: تهبأت للبيكاه . (٥) يقال: هنتت المياه تهنتت هنتا وتهتانا أى صبت . (٦) يقال: سجتت السحابة مطرها تسججا وتسجاما إذا صبت . (٧) الحملان: قبض العين بالدموع .

وكان المجنون يسير مع أصحابه فسمع صاحباً يصيح : يا ليلي في ليلته ظلماء أو تودهم ذلك ، فقال لبعض من معه : أما تسمع هذا الصوت ؟ فقال : ما سمعت شيئاً ، قال : بلى ، والله هاتف يهتف بليلى ، ثم أنشأ يقول :

أقول لأدنى صاحبي كليمه * أسرت من الأقصى أحب ذا المنادياً
إذا سرت في الأرض الفضاء رأيتني * أصانع رحي^(١) أن يميل حيالياً
يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن * شمالاً ينازعني الهوى عن شمالياً

خطب ليلى صاحبة المجنون جماعة من قومها فكرهتهم ، فخطبها رجل من تقيف مؤسراً فرضيته ، وكان جميلاً فتزوجها وخرج بها ، فقال المجنون في ذلك :

ألا إن ليلى كالمنيحة أصبحت * تقطع إلا من تقيف حبالها
فقد حبسوها بحبس البدن وأبتغى * بها الریح أقواماً تساحت^(٢) مالها
خاليت هل من حيلة تعلمانها * يدني لنا تكليم ليلى آحتيالها
فإن أتمما لم تعلمها فلستأ * بأول باغ حاجة لا ينالها
كأن مع الركب الذين آغندوا بها * غمامة صيف زعزعتها شمالها
نظرت بمفضى سيل جوشن إذ غدوا^(٤) * تحب بأطراف المخارم^(٥) آها
بشافية الأحران هيج شوقها * مجامعة الألاف ثم زيالها
إذا آلتفت من خلفها وهي آعتلى * بها العيس جلى عبرة العين حالها

(١) الرجل : ما يوضع على البعير للركوب ثم يعبر به عن البعير .

(٢) المنيحة في الأصل : الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلاً يشرب لبنها ثم يردها إذا انقطع اللبن ، ثم كثيراً استعمالها في كل موهوب . (٣) يقال آسحت ماله : استأصله وأفسده ، ومال مسحوت ومسحت أى مذهب . وآسحت تجارته : خبثت وحرمت ، ولم نجد في كتب اللغة « تساحت » على وزن تفاعل من هذه المادة

(٤) لم نجد في بلاد العرب ما يسمى جوشن إلا جبلا في غربي حلب . (٥) المخارم (بالراء المهملة) :

جمع مخرم وهو الطريق في الجبل أو الرمل .

وله :

وَأَحْسُ عِنِكَ النَّفْسَ وَالنَّفْسُ صَبَةٌ * بِذِكْرِكَ وَالْمَشَى إِلَيْكَ قَرِيبٌ
 خِيفَةَ أَنْ تَسْعَى الْوُشَاةُ بَظَنَّةٍ * وَأَحْسُكُمْ أَنْ يَسْتَرِيبَ مُرِيبٌ
 فَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي - وَأَنْتِ أَجْرَمْتَهُ * وَكُنْتِ أَعَزَّ النَّاسِ - عِنِكَ تَطِيبٌ
 فَلَوْ شِئْتَ لَمْ أَغْضَبْ عَلَيْكَ وَلَمْ يَزَلْ * لَكَ الدَّهْرَ مَنَى مَا حَيْثُ نَصِيبٌ
 أَمَا وَالَّذِي يَبْلُو السَّرَائِرَ كُلَّهَا * وَيَعْلَمُ مَا تُبْدِي بِهِ وَتَغِيبُ
 لَقَدْ كُنْتِ مَنِ تَصْطَفِي النَّفْسُ حُلَّةً * لَهَا دُونَ خُلَانِ الصَّفَاءِ حُجُوبُ

٢ - قيس بن ذريح^(١)

من شعر قيس :

يَقُولُونَ لُبْنَى فِتْنَةٌ كُنْتُ قَبْلَهَا * بِخَيْرٍ فَلَا تَسَدَّمْ عَلَيْهَا وَطَلِّقْ
 فِطَاوَعْتُ أَعْدَائِي وَعَاصَيْتُ نَاصِحِي * وَأَقْرَرْتُ عَيْنَ الشَّامِتِ الْمُتَخَلِّقِ
 وَدَدْتُ وَبَيْتِ اللَّهِ أَنِي عَصَيْتُهُمْ * وَحَمَلْتُ فِي رِضْوَانِهَا كُلَّ مُوَبِقِ
 وَكُلَّفْتُ خَوْضَ الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ زَانِحٌ * أَيْدِي عَلَى أَثْبَاجِ مَوْجٍ مَغْرَقِ

(١) هو قيس بن ذريح الكعبي من لبث بن بكر كان منزله قومه بظاهر المدينة . مر لبعض حاجته بخيام بن كعب بن خزاعة فرأى لبني بنت الحباب الكعبية ، وكانت فتاة جميلة ، فعلقها ، فعلقها ، فعلقها ، فعلقها من أبيه فنعها إياها لمكانه من الرزوة ، وكان يريد أن يزوجه من بنات عمومه حتى يحفظ ترانه في أهله ، فطار لب قيس وتقسمت نفسه وذهب ، فاستشفع بأخيه من الرضاع ، الحسين بن علي ، فوجد ما أحب وترزجها ومكأ زمنا ولم يعقبا ، وشغل قيسا حب لبني عن مواصلة أمه فاضطغنت على زوجها وسعت بها عند أبيه متخذة عدم الولد سلما ترقى به إلى شرها ، فطلب إليه أبوه أن يطلقها فأبى ، فما زال به بالوعد والوعيد حتى أجابه إلى طلبته ، وكان في ذلك القضاء الأخير على ما لقيس من حفظ وعقل في هذه الحياة ولم ينتفع بزوج غيره ، وطارت نفسه شعاعا وذهب على وجهه يتنعم أخبار لبني ويرغ خده في آثارها ، وبقى طول حياته يساقط من نفسه على شعره غير عابئ بشقاء بدنه وإهدار دمه حتى لفظ النفس الأخير . وأخبار قيس كثريرة في الأغاني (ج ٨ ص ١١٢) والشعر والشعراء (ص ٣٩٩) وله ديوان مشروح ، ومنه نسخة في مكتبة الاسكوريال وغيرها في برلين .

كأني أرى الناس المحبين بعدها * عصارة ماء الحنظل المتفاق
فنتكر عيني بعدها كل منظر * ويكره سمعي بعدها كل منطبق

وخرج قيس في فتية من قومه واعتل على أبيه بالصيد ، فأتى بلاد لبني ، فجعل يتوقع
أن يراها أو يرى من يرسل إليها ، فأشتغل الفتیان بالصيد ، فلما قضاوا وطَّروهم منه رجعوا إليه
وهو واقف ، فقالوا له : قد عرفنا ما أردت بإخراجنا معك وأنت لم ترد الصيد وإنما أردت
لقاء لبني وقد تعذَّر عليك ، فانصرف الآن ، فقال :

وما حائمت حُمن يوماً وليله * على الماء يغشَيْن العيصي حَوَانِي
عَوَافِي لا يصدُرَن عنه لوجهة * ولا هن من برد الحياض دَوَانِي
يرين حباب الماء والموتُ دونه * فهن لأصوات السقاة رَوَانِي
بأجهد مني حرَّ شوقٍ ولوعية * عليك ولكن العدو عدَانِي
خيلتي إني ميتٌ أو مكلمٌ * لبيني بسرِّي فأمضيا وذَرَانِي
أنل حاجتي وحدي وباربُ حاجة * قضيتُ على هولٍ وخوفِ جَنَانِي
فإني أحقُّ الناسِ ألا تُخاوراً * وتطرحا من لو يشاء شَفَانِي
ومن قادني للموت حتى إذا صفتُ * مشاربه السَّمِّ الذُفَانِي
فأقاموا معه حتى لقيها .

لما أُلحَّ ذريح على ابنه قيس في طلاق لبني فأبى ذلك قيس ، طرَحَ ذريح نفسه
في الرَّمضاء وقال : لا والله لا أريمُ هذا الموضع حتى أموت أو يُحَلِّيها ، فجاءه قومه من كل
ناحية فعظَّموا عليه الأمر وذكروه بالله وقالوا : أتفعل هذا بأبيك وأمك ! إن مات شيخك
على هذه الحال كنت مُعيناً عليه وشريكاً في قتله ، ففارق لبني على رغم أنه وقلة صبره
وبكاء منه حتى بكى لها من حضرها ، وأنشأ يقول :

أقول لخُلَّتِي في غير جُرْم * ألا لبيني ، بنفسى أنت ، لبني
فوالله العظيم لترعُ نفسي * وقطع الرجل مني واليمين

أحبُّ إلىَّ يا بُنَيَّ فِرَاقًا * فَبَكَى لِلْفِرَاقِ وَأَسْعَدَنِي
ظَلْمَتِكَ بِالطَّلَاقِ بغيرِ جُرْمٍ * فَقد أَذْهَبَتِ آخِرَتِي وَدِينِي

قال : فلما سمعت بذلك ليني بكت بكاء شديدا ، وأنشأت تقول :

رَحَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ بَلَدِي وَأَهْلِي * بِخَازَانِي جِزَاءَ الْخَائِنِينَ
فَمَنْ رَأَى فَلَا يَغْتَرَّ بَعْدِي * بِجُلُوقِ الْقَوْلِ أَوْ يَبْلُؤِ الدِّينِ

فلما آنقضت عِدَّتَهَا وأرادت الشخوصَ الى أهلها أُتيتُ بِراحلةٍ لُتَحْمَلَ عليها ، فلما رأى ذلك قيسٌ داخله أمرٌ عظيمٌ وأشدُّ لَهْفَه ، وأنشأ يقول :

بانتُ لُبْنِي فَأنتَ اليَوْمَ مَبْتُوْلٌ * وَإِنَّكَ اليَوْمَ بَعْدَ الْحَزْمِ مَجْبُوْلٌ
فَأصبَحْتُ عَنْكَ لَبْنِي اليَوْمَ نازِحَةً * وَدَلُّ لَبْنِي - لها الْخِيراتُ - مَعسُوْلٌ
هَلْ تُرْجِعُنَّ نَوَى لَبْنِي بِعاقِبَةٍ * كَمَا عَهدتُ لِيالي العَشْقِ مَقبُولٌ
وَقد أَرانى بَلْبِي حَقَّ مَقْتَنِيعٍ * وَالشَّمْلُ مَجْتَمِعٌ وَالجَبَلُ مَوْصُولٌ
فَصرْتُ مِنْ حَبِّ لَبْنِي حينَ أَذْكَرُها * الْقَلْبُ مَرَّتَهُنَّ وَالعَقْلُ مَدْخُولٌ
أصبَحْتُ مِنْ حَبِّ لَبْنِي بل تَذْكَرُها * فِي كُرْبِيَةِ ففؤادِي اليَوْمَ مَشغُولٌ
وَالجِسمَ مَسْنَى مَنهوكٌ لِفِرْقَتِها * يَبْرِيهَ طَوْلُ سَقامٍ فَهُوَ مَنحُولٌ
كَأَنَّني يَوْمَ وَلَّتْ ما تَكَلَّمَنِي * أَخو هَيْأَمٍ مِصابُ الْقَلْبِ مَسْلولٌ
أَسْتَوْدِعُ اللهَ لَبْنِي إِذْ تُفارقُنِي * عَن غيرِ طَويعٍ وَأَمْرٍ الشَّيخِ مَفْعُولٌ

ثم ارتحلت ليني ، فجعل قيس يقبل موضع رجلها من الأرض وحول خباثها ، فلما رأى ذلك قومه أقبلوا على أبيه بالعدل واللوم ، فقال ذريح لما رأى حاله تلك : قد جنبت عليك يا بُنَيَّ ؛ فقال له قيس : قد كنتُ أخبرك أني مجنون بها فلم ترص إلا بقتلى ، فالله حسبك وحسبُ أُمِّي . وأقبل قومه يعدلونه في تقبيل التراب ، فأنشأ يقول :

فما حُبِّي لِطِيبِ تِرابِ أَرْضِ * وَلَكِنْ حَبِّ مَنْ وَطِئَ التُّرابِ
فَهَذَا فَعَلَ شَيْخِنَا جَمِيعًا * أَراداً لِي البِلَّةَ وَالْعَذابِ

وله قصيدة طويلة في تطليقه لبنى يقول فيها :

فَوَاكَيْدِي وَعَاوَدَنِي رُدَايِي * وَكَانَ رَأْفُ لَبْنِي كَالْجَدَايِ (٢)
 تَكْتَفِنِي الْوُشَاةُ فَارْجَعُونِي * فَيَا لَيْتَهُ لِلْوَأَشِيِّ الْمُطَاعِ
 فَأَصْبَحْتُ الْغَدَاةَ الْوَمُ نَفْسِي * عَلَى شَيْءٍ وَليْسَ بِمُسْتَطَاعِ
 كَمَغْبُورٍ يَعْضُّ عَلَى يَدِيهِ * تَبَيَّنَ غَبْنَهُ بَعْدَ الْبِيَاعِ
 بَدَارَ مَضِيغَةٍ تَرَكُّكَ لُبْنِي * كَذَلِكَ الْحَيْنُ يُهْدِي لِلضَّاعِ
 وَقَدْ عَشْنَا نَلْدَ الْعَيْشِ حِينًا * لَوْ آتَ الدَّهْرَ لِلْإِنْسَانِ وَاعِي
 وَلَكِنَّ الْجَمِيعَ إِلَى آفْتِرَاقٍ * وَأَسْبَابَ الْحَتُوفِ لَهَا دَوَاعِي

واجتمع إليه نسوة فأطَنَّ الجلوس عنده وحادثته وهو ساهٍ عنهن، ثم نادى : يا لبنى،
 فقلن له : ما لك ويحك ؟ فقال : خَدِرْتُ رَجُلِي « ويقال : إن دعاء الانسان باسم أحبَّ
 الناس إليه يُذهِبُ خَدَرَ الرَّجُلِ ، فناديتها لذلك . وقال :

إِذَا خَدِرْتُ رَجُلِي تَذَكَّرْتُ مِنْهَا * فَنَادَيْتُ لُبْنِي بِأَسْمِهَا وَدَعَوْتُ
 دَعْوَتِ التِّي لَوْ أَنَّ نَفْسِي تُطِيعُنِي * لِفَارِقَتِهَا مِنْ حَبِّهَا وَقَضَيْتُ
 بَرَّتْ نَبْلَهَا لِلصَّيْدِ لُبْنِي وَرَيْسَتْ * وَرَيْسَتْ أُخْرَى مِثْلَهَا وَبَرَيْتُ
 فَلَمَّا رَمْتَنِي أَقْصَدْتَنِي بِسَهْمِهَا * وَأَخْطَأْتُهَا بِالسَّهْمِ حِينَ رَمَيْتُ
 وَفَارَقْتُ لُبْنِي ضَالَّةً فَكَأَنِّي * قَرُبْتُ إِلَى الْعَبُوقِ ثُمَّ هَوَيْتُ (٣)
 فَيَا لَيْتَ أَنِّي مِتُّ قَبْلَ فِرَاقِهَا * وَهَلْ تَرْجِعُنْ فَوْتَ الْقَضِيَّةِ لَيْتُ
 فَصُرْتُ وَشِخِي كَالَّذِي عَثَرْتُ بِهِ * غَدَاةَ الْوَعْيِ بَيْنَ الْعُدَاةِ كُمَيْتُ
 فَتَمَامْتُ وَلَمْ تَضُرَّرْ هُزْأًا سَوِيَّةً * وَفَارَسُهَا تَحْتَ السَّنَابِكِ مَيْتُ
 فَانْ يَكْ تَهَامِي بُلْبُسِي غَوَايَةً * فَفَسَدَ يَأْذِرِيحُ بِنَ الْحَبَابِ غَوَيْتُ

(١) الرذاع : الكس ، وهو رجوع المرض . (٢) الجداع : الموت . (٣) هو نجم أحمر مضيئ

في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

فلا أنت ما أملت في رأيتَه * ولا أنا لبني والحياة حويتُ
 فوطنٌ لهلكي منك نفساً فإني * كأنك بي قد يا ذريحُ قضيتُ
 ومرض قيسٌ ، فسأل أبوه فتياتِ الحى أن يعدنه ويحدثه أو يعلق بعضهن ، ففعلن
 ذلك ، ودخل إليه طبيب ليداويه والفتيات معه ، فلما اجتمعن عنده جعل يحدثه وأطلن
 السؤال عن سبب علته ، فقال :

تعلق رُوحى روحها قبل خلقنا * ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهيد
 فزاد كما زدنا فأصبح نامياً * وليس اذا متنا بمنصرم العهد
 ولكنه باق على كل حادثٍ * وزائرنا في ظلمة القبر والحيد

فقال له الطبيب : إن مما يسليك عنها أن نتذكر ما فيها من المساوى والمعائب ،
 فان النفس تنبو حينئذ وتسلو ويخف ما بها .

فلما طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن يزوجه امرأة جميلة فاعله يسلوبها
 عن لبني ، فدعاه الى ذلك فأباه وقال :

لقد خفتُ ألا تقنع النفس بعدها * بشيء من الدنيا وإن كان مقنعاً
 وأزجر عنها النفس اذ حيل دونها * وتأبى اليها النفس إلا تطاعاً

ولما تزوجت لبني بأخر أتى موضع خباؤها فنزل عن راحلته وجعل يتمك موضعها^(١)
 ويمزغ حده على ترابها ويبكى أحرّ بكاء ثم قال :

الى الله أشكو فقد لبني كما شكا * الى الله فقد والدين يتيم
 يتيمٌ جفاه الأقربون بجسمه * نحيلٌ وعهد والدين قديم
 بكت دارهم من نأيهم فتهللت * دموعي فأي الجازعين ألوم
 أمستعبريكي من الشوق والهوى * أم أحر بيكي شجوه ويهيم
 تهبضني من حب لبني علائق * وأصناف حب هوئهن عظيم

(١) يتمك : يتمزغ في التراب .

ومن يتعلّق حبُّ بُنَى فؤادِهِ * يمتُّ أو يعيش ماعاش وهو كليمٌ
فإني وإن أجمعتُ عنك تجلداً * على العهد فيما بيننا لمقيمٌ
وإن زمانا شتتَ الشمَلَ بيننا * وبينكم فيه العدا لمشومٌ
أفي الحق هذا أن قلبك فارغٌ * صحيحٌ وقلبي في هوائك سقيمٌ

وقال في رحيل بُنَى عن وطنها وانتقالها الى زوجها بالمدينة وهو مقيم في حبيها :

بانت بُنَى فهاج القلب من بانا * وكان ما وعدتُ مطلاً ولياناً^(١)
وأخلفتك مني قد كنت تأملها * فأصبح القلبُ بعد البين حيرانا
الله يدري وما يدري به أحدٌ * ماذا أجميم من ذكراك أحياناً
يا أكل الناس من قرنٍ الى قدم * وأحسن الناس ذا ثوب وعُرِياناً
نعم الضجيج بعيد النوم تجابهه * اليك ممتلئاً نوما ويقظاناً
لا بارك الله فيمن كان يحسبكم * إلا على العهد حتى كان ما كانا
حتى استفتقت أخيراً بعد ما نكحتُ * فبت للشوق أذرى الدمع تهناتنا
إن تصرمي الحبل أو تُمسي مفارقةً * فالدهر يُحدث للإنسان ألواناً
وما أرى مثلكم في الناس من بشير * فقد رأيتُ به حياً ونسواناً

وشكا أبو لبني معاوية تعرّض قيس لأبنته بعد طلاقها، فكتب معاوية الى الأمير
يهدر دمه إن ألم بها، وأن يشتد في ذلك، فكتب مروان في ذلك الى صاحب الماء الذي
يتزله أبو لبني كتاباً وكيداً، ووجهت لبني رسولا الى قيس تُعلمه ما جرى وتحدّره، وبلغ أباه
الخبر، فعاتبه وتجهّمه، وقال له : انتهى بك الأمر الى أن يهدر السلطان دمك، فقال :

فان يجبوها أو يحلّ دون وصلها * مقالةً وإش أو وعيدٌ أمير
فلن يمنعوا عيني من دائم البكا * ولن يذهبوا ما قد أجر ضميري
الى الله أشكو ما ألاقى من الهوى * ومن حرق تعادني وزفير

(١) الليان : التلي والمطل ، قال أبو الهيثم : لم يجئ من المصادر على فلان إلا ليان .

ومن حرقٍ لحبِّ في باطن الحشى * وليس طويل الحزن غير قصير
 سأبكي على نفسى بعين غزيرة * بكاء حزين في الوثاق أسير
 وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى * بأنعم حالي غبطة وسرور
 فما برح الواشون حتى بدت لهم * بطون الهوى مقلوبةً لظهور
 لقد كنت حسب النفس لودام وصلنا * ولكننا الدنيا متاع غرور
 وقال في إهدار معاوية دمه إن هو زارها :

إن تك لُبني قد أتى دون قربها * حجاب منيع ما إليه سبيل
 فإن نسيم الجوّ يجمع بيننا * ونُبصر قرن الشمس حين تزول
 وأرواحنا بالليل في الحى تلتقى * ونعلم أياً بالنهار نقيلاً
 وتجمعنا الأرض القرار وفوقنا * سماء نرى فيها النجوم تجول
 إلى أن يعود الدهر سائماً وتقتضى * ترات بغاها عندنا وذحول^(١)

ولما أنصرف الناس من الحج مرض قيس مرضاً شديداً فلم يأته رسولها عائداً، فقال :

ألبني لقد حلت عليك مصيبتى * غداة غداً إذ حل ما أتوقع
 ثمّ نيني نيلاً وتلويني قلى * فنفسى شوقاً كل يوم تقطع
 وقبلك قط لا يلين لما يرى * فواكيدى قد طال هذا التضرع
 ألومك في شأني وأنت مليمة * لعمرى وأجنى للحب وأقطع
 أخبرت أنى فيك ميت حسرتى * فما فاض من عينيك للوجد مدمع
 ولكن لعمرى قد بكيتك جاهدا * وإن كان دأى كله منك أجمع
 صبيحة جاء العائدات يعدتنى * فظلت على العائدات تفجع
 فقائلة جئنا إليه وقد قضى * وقائلة لا بل تركناه ينزع
 فما غشيت عينيك من ذلك عبرة * وعيني على ما بى بذكراك تدمع
 إذا أنت لم تبكى على جنازة * لديك فلا تبكى غدا حين أرفع

(١) ذحول : جمع ذحل وهو النار .

ومن شعره قوله :

أَتَبْكِي عَلَى لُبْنِي وَأَنْتِ تَرَكْتَهَا * وَكُنْتَ عَلَيْهَا بِالْمَلَا أَنْتِ أَقْدَرُ^(١)
 فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا بِلُبْنِي تَقَلَّبْتُ * عَلَى فَلَالدُّنْيَا بِطَوْنٍ وَأَظْهَرُ
 لَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلْأَمَانَةِ مَوْضِعٌ * وَلِلْكَفِّ مَرْتَادٌ وَلِلْعَيْنِ مَنْظَرُ
 وَلِلْحَائِمِ الْعَطْشَانِ رِيٌّ بِرِيقِهَا * وَلِلرِّيحِ الْمُخْتَالِ نَحْمَرٌ وَمُسْكِرُ
 كَأَنِّي لَهَا أَرْجُو حَوْحَةً بَيْنَ أَحْبَلٍ * إِذَا ذُكِرَتْ مِنْهَا عَلَى الْقَلْبِ تَحْطَرُ

وقوله :

لَقَدْ عَدَّ بَتِّي يَاحِبَّ لُبْنِي * فَفَقَعَ إِذَا بَمَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ
 فَإِنَّ الْمَوْتَ أَرْوَحُ مِنْ حَيَاةٍ * تَدُومُ عَلَى التَّبَاعُدِ وَالشَّتَاتِ
 وَقَالَ الْأَقْرَبُونَ تَعَزَّ عَنْهَا * فَقَلَّتْ لَهُمْ إِذَا حَانَتْ وَفَاتِي

وقالت له لبني : أنشدني ما قلت في علتك ، فأنسدها قوله :

أُعَالِجُ مِنْ نَفْسِي بَقَايَا حُشَاشِيَةِ * عَلَى رَمِيٍّ وَالْعَائِدَاتُ تَعُودُ
 فَإِنْ ذُكِرْتُ لِبْنِي هَشَشْتُ لَذِكْرَهَا * كَمَا هَشَّ لِلشَّدَى الدَّرُورُ وَلِيَدُ
 أُجِيبُ بِلُبْنِي مِنْ دَعَائِي تَجَلُّدًا * وَبِي زَقَرَاتٌ نَجْلٌ وَتَعُودُ
 تُعِيدُ إِلَى رُوحِي الْحَيَاةَ وَإِنِّي * بِنَفْسِي لَوْ عَايَنْتَنِي لِأَجُودُ

وفيها يقول :

أَلَا لَيْتَ أَيَّامًا مَضَيْنَ تَعُودُ * فَإِنْ عُدْنَ يَوْمًا إِنِّي لَسَعِيدُ
 سَقَى دَارَ لُبْنِي حَيْثُ حَلَّتْ وَخِيَمَتْ * مِنْ الْأَرْضِ مُنْهَلُ الْغَمَامِ رَعِيدُ
 عَلَى كُلِّ حَالٍ إِنْ دَنْتُ أَوْ تَبَاعَدْتُ * فَإِنْ تَدَنْتُ مِنْهَا فَالْدَتُّوْ مَزِيدُ
 فَلَا الْيَأْسُ يُسَلِّبُنِي وَلَا الْقُرْبُ نَافِعِي * وَلِبْنِي مِنْ مَنُوعٍ مَا تَكَادُ تَجُودُ
 كَأَنِّي مِنْ لُبْنِي سَلِيمٌ مَسْهَدٌ * يَظَلُّ عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ يَمِيدُ
 رَمَتْنِي لُبْنِي فِي الْفَوَادِ بِسَهْمِهَا * وَمَنْهُمْ لِبْنِي لِلْفَوَادِ صَيُودُ

(١) الملا : موضع .

سلا كل ذي شجوة علمت مكانه * وقلبي للبنى ما حيت ودود
وقائلة قد مات أو هو ميت * وللنفس مني أن تفيض رصيذ

وعاتبته على تزوجه، خلف أنه لم ينظر إليها ملء عينيه، ثم قال :

ولقد أردت الصبر عنك فعاقني * علق بقلبي من هوائك قديم
يبقى على حدّ الزمان ورّيه * وعلى جفائك إنه لكريم
فصرمته وصححت وهو يدائه * شتان بين مصحح وسقيم
وأرّيته زمنًا فعاد بحلمه * إن المحب عن الحبيب حلیم

فلم يزل معها يحدثها ويشكو إليها حتى أمسى، فانصرفت ووعدته الرجوع إليه من غد

فلم ترجع، وشاع خبره، فلم ترسل إليه رسولاً، فكتب هذين البيتين :

بنفسي من قلبي له الدهر ذاكر * ومن هو عني معرض القلب صابر
ومن جبه يزداد عندي جدّة * وحيّ لديه مخلّق العهد دائر

وقال ابن أبي عتيق لقيس يوماً : أنشدني أحراً ما قلت في لبي؛ فأنشده :

وأني لأهوى النوم في غير حينه * لعل لقاء في المنام يكون
تحدثني الأحلام أني أراكم * فياليت أحلام المنام يقين
شهدت بأني لم أحل عن مودة * وأني بكم لو تعلمين ضنين
وأن فؤادي لا يابن إلى هوى * سواك وإن قالوا بلى سيلين

وقال عبد الملك بن عبد العزيز : أنشدت أبا السائب المخزومي قول قيس :

أحبك أصنافاً من الحب لم أجد * لها مثلاً في سائر الناس يوصف
فمنهن حبّ للحبيب ورحمة * بمعرفتي منه بما يتكلف
ومنهن ألا يعرض الدهر ذكرها * على القلب إلا كادت النفس تتلف
وحبّ بدا بالجسم واللون ظاهر * وحبّ لدى نفسي من الروح الطف

(١) وقصيدة قيس العينية من جيد شعره وهي :

عَفَا سِرْفٌ مِنْ أَهْلِهِ فُسْرَاوِعٌ * بَخْبَبَا أَرِيكَ فَالتَّلَاعُ الدُّوَاعُ^(٢)
 فَعِيقَةٌ فَالْأَخْيَافُ أَخْيَافُ طَبِيبَةٍ * بِهَا مِنْ لَبِينِي مَحْرَفٌ وَمَرَايِعُ^(٣)
 لَعَلَّ لَبِينِي أَنْ يُجَمَّ لِقَاؤُهَا * بِبَعْضِ الْبِلَادِ إِنْ مَا حَمَّ وَاقِعُ^(٤)
 بِجَزَعٍ مِنَ الْوَادِي خَلَاءَ أَنْيُسِهِ * عَفَا وَتَحَطَّتْ الْعَيُونُ الْخِوَادِعُ^(٥)
 وَلَمَّا بَدَأَ مِنْهَا الْفِرَاقُ كَمَا بَدَأَ * بَطَّهَرَ الصَّفَا الصَّلْدَ الشَّقِيقُ الشَّوَائِعُ^(٦)
 تَمَنَيْتَ أَنْ تَلْقَى لَبِينَاكَ ، وَالْمَنَى * تُعَاصِيكَ أَحْيَانًا وَحِينًا تُطَاوِعُ
 وَمَا مِنْ حَبِيبٍ وَامِقٍ لِحَبِيبِهِ * وَلَا ذِي هَوَى إِلَّا لَهُ الدَّهْرُ فَاجِعُ
 وَطَارَ غِرَابُ الْبَيْنِ وَأَنْشَقَّتِ الْعَصَا^(٧) * بَيِّنٍ كَمَا شَقَّ الْأَدِيمَ الصَّوَانِعُ
 أَلَا يَا غِرَابَ الْبَيْنِ قَدِ طَرَبْتَ بِالذِي * أَحَازِرُ مِنْ لَبْنِي فَهَلْ أَنْتَ وَاقِعُ
 وَإِنْكَ لَوْ أَبْلَعْتَهَا قَيْلِكَ اسْلَمِي * طَوْتُ حَزَنًا وَأَرَفَضُ مِنْهَا الْمَدَامِعُ^(٨)
 أَتَبَكِي عَلَى لَبْنِي وَأَنْتَ تَرْكُتَهَا * وَكُنْتَ كَأَيِّ غَيْبِهِ وَهُوَ طَائِعُ
 فَلَا تَبْكِينَ فِي إِثْرِيءِ نَدَامَةٍ * إِذَا نَزَعْتَهُ مِنْ يَدَيْكَ النِّوَاذِعُ
 فَلَيْسَ لِأَمْرٍ حَاوَلَ اللَّهُ جَمْعَهُ * مُشْتٌ وَلَا مَا فَزَقَ اللَّهُ جَامِعُ^(٩)
 كَأَنَّكَ لَمْ تَغْنَهُ إِذَا لَمْ تُلَاقِهَا * وَإِنْ تَلَقَّهَا فَالْقَلْبُ رَاضٍ وَقَانِعُ

- (١) وردت هذه القصيدة برمتها في كتاب الأمل لأبي علي القسالي (ج ٢ ص ٣١٤ - ٣١٨ طبعة دار الكتب المصرية) .
 (٢) سرف وسراوع وأريك : مواضع . والتلاع واحدها تلة وهي مسيل ما ارتفع من الأرض الى بطن الوادي . والدواع : جمع دافعة وهي التي تدفع الماء .
 (٣) أخيف : موضع . والمحرف : المنزل الذي يقام فيه في الخريف . والمرايع : جمع مربع وهو الموضع الذي يقام فيه في الربيع . (٤) حم : قدر . (٥) جزع الوادي : منعطفه . وعفا : درس . والخوادع واحدها خادعة وهي التي لا تنام ، يقال : خدعت عنه تخدع إذا لم تنم ، وأتيناهم بعد ما خدعت العين .
 (٦) الصفا : الصخر . والصلد : الصلب الذي إذا أصابه شيء صلد أي صوت . والشوائع : جمع شائعة وهي الظاهرة . (٧) أي تفرقت الجماعة . (٨) ارفض : سال ولا يكون إلا سيال مع تفرق .
 (٩) مشت : مفرق .

فيا قلبُ خَبْرِي، إذا شَطَطَ النوى ^(١) * بُلْبُنِي وصدت عنك، ما أنت صانع
 أتصبر للبين المشت مع الجوى * أم أنت أمرؤ ناسي الحياء بفازع
 فما أنا إن بانت لبني بهاجع * إذا ما استقلت بالنيام المضاجع
 وكيف ينام المرء مستشعر الجوى * ضجيج الأسي فيه نكاس روادع ^(٢)
 فلا خير في الدنيا إذا لم تواتنا * لبني ولم يجمع لنا الشمل جامع
 أليست لبني تحت سقيف يكتها * وإياي هذا إن نأت لي نافع
 ويلبسنا الليل اللبهم إذا دجا ^(٣) * ونبصر ضوء الصبح والفجر ساطع
 تطأ تحت رجلها بساطاً وبعضه ^(٤) * أطاه برجلي ليس يطويه مانع
 وأفرح إن تمسى بخير وإن يكن * بها الحدت العادي ترغى الروائع
 كأنك يدع لم تر الناس قبلها * ولم يطالعك الدهر فيمن يطالع
 فقد كنت أبكى والنوى مطمئنة * بنا وبكم من علم ما بين صانع
 وأهجر كم هجر البغيض وحبكم * على كبدى منه كلوم صوادع
 وأعجل للإشفاق حتى يسفنى * مخافة شحط الدار والشمّل جامع
 وأعمد للأرض التي من ورائكم * ليرجعني يوماً عليك الروائع
 فيا قلب صبراً وأعتافاً لما ترى ^(٥) * وياحبها قع بالذي أنت واقع
 لعمري لمن أمتى وأنت ضجيعه * من الناس ما اختيرت عليه المضاجع
 ألا تلك لبني قد ترأى مزارها * وللبين غم ما يزال ينازع
 إذا لم يكن إلا الجوى فكفني به * جوى حرق قد صممتها الأضالع
 أبائنة لبني ولم تقطع المدى * بوصلي ولا صرم فيأمن طامع

(١) شطت: بدت . (٢) المستشعر: الذي لبس الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد . والجوى :
 الهوى الباطن . والأسي : الحزن . ونكاس: جمع نكس بالضم . وروادع: جمع رادعة وهي التي تردعه عن الحركة
 والتصرف . (٣) دجا: ألبس بظلمته كل شيء . (٤) البساط: ما بسط من الفرش .
 (٥) ترغى: تغزى . (٦) اعترف: ذل وانقاد .

يَظُلُّ نَهَارَ الْوَالِهِينَ نَهَارُهُ * وَتَهْدِيهِ^(١) فِي النَّائِمِينَ الْمُضَاجِعُ
 سِوَايَ فَلْيَلِيْ مِنْ نَهَارِي وَإِنَّمَا * تُقَسِّمُ بَيْنَ الْهَالِكِينَ الْمَصَارِعُ
 وَلَوْلَا رَجَاءُ الْقَلْبِ أَنْ تَعْطِفَ النَّوَى * لَمَا حَمَلْتَهُ بَيْنَهُنَّ الْأَصْبَاعُ
 لَهُ وَجَبَاتٌ^(٢) لِثَرْبُوبِي كَأَنَّهَا * شَقَائِقُ بَرَقِي فِي السَّحَابِ لَوَاعِ
 نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا دَجَا * لِي اللَّيْلُ هَزَّتَنِي إِلَيْكَ الْمُضَاجِعُ
 أَقْضَى نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمَنَى * وَيَجْعَلُنِي بِاللَّيْلِ وَالْهَمِّ جَامِعُ
 وَقَدْ نَشَأْتُ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَوَدَّةً * كَمَا نَشَأْتُ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصْبَاعُ
 أَبِي اللَّهِ أَنْ يَلْقَى الرَّشَادَ مَتِيماً * أَلَّا كُلُّ أَمْرٍ حَمٌّ لَا بَدَّ وَاقِعُ
 هُمَا بَرَحَا بِي مُعْوَلَيْنِ كِلَاهُمَا * فَوَادُّ وَعَيْنٌ مَأْقَاهَا الدَّهْرَ دَامِعُ
 إِذَا نَحْنُ أَنْفَدْنَا الْبِكَاءَ عَشِيَّةً * فَمَوْعِدُنَا قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ طَالِعُ
 وَلِلْجِبِّ آيَاتٌ تَتَيَّنُ بِالْفَسْتَى * تُشْحَبُ وَتَعْرَى مِنْ يَدَيْهِ الْأَشْجَاعُ^(٣)
 وَمَا كُلُّ مَا مَتَّكَ نَفْسُكَ خَالِيًا * تَلَاقِي وَلَا كُلُّ الْهَوَى أَنْتَ تَابِعُ^(٤)
 تَدَاعَتْ لَهُ الْأَحْزَانُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ * فَحَنٌّ كَمَا حَنَّ الطُّؤَارُ السَّوَابِعُ
 وَجَانِبَ قُرْبِ النَّاسِ يَخْلُو بِهِمَهُ * وَعَاوَدَهُ فِيهَا هَيْأَمٌ مُرَاجِعُ
 أَرَاكَ اجْتَنَبْتَ الْحَيَّ مِنْ غَيْرِ بَغِيضَةٍ * وَلَوْ شِئْتَ لَمْ تَجْنَحِ إِلَيْكَ الْأَصْبَاعُ
 كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ مَا لَمْ تَكُنْ بِهَا * وَإِنْ كَانَ فِيهَا الْخَلْقُ قَفْرًا بِلَاقِعُ
 أَلَا إِنَّمَا أَبْكَى لِمَا هُوَ وَاقِعٌ * وَهَلْ جَزَعٌ مِنْ وَشَكِّ بَيْنِكَ نَافِعُ
 أَحَالَ عَلَى الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * وَدَامَتْ وَلَمْ تُقْلِعِ عَلَى الْفَوَاجِعُ
 فَمَنْ كَانَ مَحْزُونًا غَدًا لِفِرَاقِنَا * فَمَلَّانِ فَلْيَبْكِي لِمَا هُوَ وَاقِعُ

(١) تهدى : تسكنه . (٢) وجبات : خفقات . (٣) المأق من العين : الجانب الذى يلي

الأضف . (٤) الأشجاع : عروق ظاهر الكف . (٥) الطؤار : جمع طؤ وهو التى عطفت على

ولد غيرها . والسوابع : جمع سابعة وهى التى تمد حينها على جهة واحدة .

الشعر السياسي

أوضحنا لك في المجلد الأول ما لاستعمال الشعر من أثر في كثير من الحركات السياسية وأستحداث العزّات وإنهاض الهمم في الانقلابات الاجتماعية، وبتنا ميّزة أستعمال الشعر في الأغراض السياسية في عصر الدولة الأموية، وذكرنا عدّة أمثلة تبين ما وصل إليه هذا النوع الطريف، ووجدناك بذكر قصيدة النعمان بن بشير في هذا الباب . وها هي ذى :

النُّعْمَانُ بنُ بَشِيرٍ^(١)

قال أبو الفرج الأصفهاني :

لما كثرت الهجاء بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي وتفاخشا، كتب معاوية إلى سعيد بن العاصي، وهو عامله على المدينة، أن يجلد كل واحد منهما مائة سوط، وكان ابن حسان صديقاً لسعيد وما مدح أحداً غيره قط، فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمه، فأمسك عنهما؛ ثم ولي مروان، فلما قدم أخذ ابن حسان فضربه مائة سوط ولم يضرب أخاه، فكتب ابن حسان إلى النعمان بن بشير وهو بالشام، وكان كبيراً أثيراً^(٢) ميكياً عند معاوية، قال :

(١) هو النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري، من الخزرج أهل يثرب، لكنه ساير معاوية، فكان معه في واقعة صفين، ولم يكن مع معاوية في تلك الواقعة من الأنصار سواه . وقد اجتذبه بسخائه ودهائه وكان يراعى جانبه، وكثيراً ما سمع توسطه للأنصار عنده . وعاش النعمان المذكور إلى خلافة مروان بن الحكم، وكان يتولى حمص، فلما أفضت الخلافة إلى مروان دعا إلى ابن الزبير وخالف على مروان بعد قتل الضحاك، فلم يجبه أهل حمص إلى ذلك، فهرب منهم فتهو وأدركوه وقتلوه . وكان على مسأيرته بن أمية شديد التعصب للأنصار، ولذلك عند ما علم بقصيدة الأخطل في الطعن عليهم رد عليه . والنعمان بن بشير من العريقين في الشعر خلفاً عن سلف فإن جده وأباه وعمه وأولاده وأحفاده كلهم شعراء . وهو أول مولود ولد في الإسلام من الأنصار، وآخر من ولي الكوفة لمعاوية بن أبي سفيان . وله ديوان مطبوع في الهند . توفي سنة ٦٥ هـ . وترى أخبار النعمان بن بشير في الأغاني (ج ١٤ ص ١١٩) وأمالى القالى (ج ٣ ص ٨) والعقد الفريد (ج ٣ ص ١١٢ طبع مصر سنة ١٣٠٥ هـ) وفي سيرة ابن هشام وابن خلكان وابن الأثير وغيرها . (٢) أثيراً : مكرماً .

لَيْتَ شِعْرِي أَغَابْتُ أَنْتَ بِالشَّا * مَ خَلَيْتِي أُمَ رَاقِدٌ نَعْمَانُ
 أَيَّةٌ مَا يَكُنْ فَفَقَدْ يَرْجِعُ الغَا * نُبُ يَوْمًا وَيُوقِظُ الوَسَّانُ
 إِنِّ عَمْرًا وَعَامرًا أَبُوينَا * وَحَرَامًا قَدَمًا عَلَى العَهْدِ كَانُوا
 أَفْهَمُ مَا نَعُوكَ أُمَ قَلَّةُ الكُتَّابِ * أُمَ أَنْتَ عَاتِبَ غَضِبَانِ
 أُمَ جَفَاءً أُمَ أَعُوذَتِكَ القَرَاطِي * سُسُ أُمَ أَمْرِي بِهِ عَلَيْكَ هَوَانُ
 يَسُومُ أَنْبَتَ أَنْ سَاقِي رُضْتُ * وَأَتَتَّكُمْ بِذَلِكَ الرُّبَّانِ
 ثَمَ قَالُوا إِنِّ ابْنَ عَمِّكَ فِي بَلَدِي * أُمُورِي أَتَى بِهَا الحَدَثَانِ
 فَنَسِيتَ الأَرْحَامَ وَالوُدَّ وَالصُّحْبَةَ * فِيمَا أَنْتَ بِهِ الأَزْمَانِ
 إِنَّمَا الرَّحْمُ فَاعْلَمَنَّ قَنَاءَةً * أَوْ كَبُضَ العِيدَانِ لَوْلَا السَّنَانِ
 قال أبو الفرج الأصبهاني :

دخل النعمان بن بشير على معاوية لما هجا الأخطل الأنصار، فلما مثل بين يديه
 أنشأ يقول :

مَعَاوِيَ إِلَّا تُعْطِنَا الحَقَّ تَعْتَرِفُ * لِحَيِّ الأَزْدِ مَشْدُودًا عَلَيْهَا العَائِمُ
 أَيَسْتَمُنَّا عِبْدُ الأَرَاقِمِ ضَالَّةً^(١) * وَمَاذَا الَّذِي تُجْدِي عَلَيْكَ الأَرَاقِمُ
 فَمَا لِي نَارُ دُونَ قَطْعِ لِسَانِهِ * فَدُونِكَ مِنْ يُرْضِيهِ عَنكَ الدَّرَاهِمُ
 وَرَاعٍ رُوَيْدًا لَا تُسْمِنَا دَنِيَّةً * لَعَلَّكَ فِي غِيبِ الحَوَادِثِ نَادِمُ
 مَتَى تَلْقَ مِنْهَا عُصْبَةَ خَزْرَجِيَّةً * أَوْ الأَوْسَ يَوْمًا تُحْتَرِمُكَ المَحَارِمُ
 وَتَلْقَاكَ خَيْلٌ كَالقَطَا مُسْتَطِيرَةً * شَمَاطِيطُ^(٢) أَرْسَالٍ عَلَيْهَا الشُّكَاثِمُ^(٣)
 يُسُومُهَا العَمْرَانُ : عَمْرُ بْنُ عَامِرٍ * وَعِمْرَانُ حَتَّى تُسْتَبَاحَ المَحَارِمِ
 وَيَبْدُو مِنَ الخُودِ العَزِيْزَةَ جِجْلَهَا * وَتَبْيَضُّ مِنَ هَوْلِ السِيُوفِ المَقَادِمِ
 فَطَطَّبَ شَعْبَ الصَّدْعِ بَعْدَ التَّيَامِهِ * فَتَغْرِيهِ فَالآنَ وَالأَمْرُ سَالِمُ

(١) الأرقام : حى من بنى تغلب .

(٢) شماطيط : متفرقة .

(٣) الشكائم : جمع

شكيمة وهي الخديعة المعارضة في فم الفرس .

وَإِلَّا فَتَوْبِي لَأَمَّةٌ تَبِعِيَّةٌ * تَوَارِيثُ آبَائِي وَأَبْيَضُ صَارِمٍ
 وَأَسْمَرُ خَطِّي كَأَنَّ كُؤُوبَهُ * تَوَى الْقَسْبَ فِيهَا لَهْدَمِي خُنَارِمٍ
 فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَشْهَدْ بِبَدْرِ وَقِيعَةً * أَذَلَّتْ قُرَيْشًا وَالْأَسُوفُ رَوَاغِمٍ
 فَسَائِلُ بِنَا حَيِّي لُوَيْيَ بْنِ غَالِبٍ * وَأَنْتَ بِمَا يُخْفَى مِنَ الْأَمْرِ عَالِمٍ
 أَلَمْ تَبْدُرْ يَوْمَ بَدْرٍ سَيُوفُنَا * وَلَيْلُكَ عَمَّا نَابَ قَوْمَكَ قَاتِمٍ
 ضَرَبْنَاكُمْ حَتَّى تَفْتَرَقَ جُمُعُكُمْ * وَطَارَتْ أَكُفٌّ مِنْكُمْ وَجَاهِمٍ
 وَعَاذْتَ عَلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَرَّاسُ * وَأَنْتَ عَلَى خَوْفٍ عَلَيْكَ التَّمَّاسُ
 وَعَضَّتْ قُرَيْشٌ بِالْأَنَامِلِ بَغْضَةً * وَمِنْ قَبْلِ مَا عَضَّتْ عَلَيْكَ الْأَدَاهِمُ
 فَكُنَّا لَهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ نَكِيدُهُ * مَكَانَ الشَّجَا وَالْأَمْرِ فِيهِ تَفَاقُمُ
 فَمَا إِنْ رَمَى رَائِمٌ فَأَوْهَى صَفَاتِنَا * وَلَا ضَامِنًا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ ضَائِمِ
 وَإِنِّي لِأَغْضَى عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ * سَتَرْتَنِي بِهَا يَوْمًا إِلَيْكَ السَّلَامُ
 أَصَانِعَ فِيهَا عَبْدَ شَمْسٍ وَإِنِّي * لِنُتْلِكَ السُّتَى فِي النَّفْسِ مِنْهُ أُكَاتِمُ
 فَمَا أَنْتَ وَالْأَمْرَ الَّذِي لَسْتَ أَهْلُهُ * وَلَكِنْ وَلِيُّ الْحَقِّ وَالْأَمْرِ هَائِمُ
 إِلَيْهِمْ يَصِيرُ الْأَمْرُ بَعْدَ شَتَاتِهِ * فَمَنْ لَكَ بِالْأَمْرِ الَّذِي هُوَ لِأَزِمِ
 بِهِمْ شَرَعَ اللَّهُ الْهُدَى فَأَهْتَدَى بِهِمْ * وَمِنْهُمْ لَهُ هَادٍ إِمَامٌ وَخَاتِمُ

فلما بلغت القصيدة معاوية أمر بدفع الأخطل إليه ليقطع لسانه، فاستجار يزيد

ابن معاوية، فمنعه منه، وأرضى النعمان حتى كف عنه .

وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه : لما ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن

ابن حسان الحدد ، ولم يضرب أخاه حين مهاجبا وتقاذفا ، كتب عبد الرحمن الى النعمان

ابن بشير يشكو اليه ، فدخل الى معاوية ، وأنشأ يقول :

يَا بَنَ أَبِي سُفْيَانَ مَا مِثْلُنَا * جَارَ عَلَيْهِ مَلِكٌ أَوْ أَمِيرِ

أَذْكَرُ بِنَا مُقَدِّمَ أَفْرَاسِنَا * بِالْحِنُوِ إِذْ أَنْتَ الْيَنَا فَقِيرِ

واذا كر غداة الساعدي الذي * آترككم بالأمر فيها بشير
 فاحذر عليهم مثل بدر وقد * مرة بكم يوم بيد عمير
 إن ابن حسان له نائر * فأعطه الحق تصح الصدور
 ومثل أيام لنا شئت * ملكا لكم أمرك فيها صغير
 أما ترى الأزد وأشياءها * تجول نخرًا كاظمات تزيير
 يصول حولي منهم معشر * إن صلت صالوا وهم لي نصير
 يابى لنا الضيم فلا يعلى * عز منيع وعدي كثير
 وعنصر في عز جرثومة * عادية تنقل عنها الصخور

مُلْحَقَاتُ

الكتاب الثاني

باب المنشور

شرحنا لك في المجلد الأول ما كانت عليه الكتابة في عصر العباسيين من جودة اللفظ، ومثانة الأسلوب، وجلاء المعنى، ووضوح القصد وبساطته. ووعدناك بذكر طرف من رسائل القوم في ذلك العصر الزاهي الزاهر، وإليك ما وعدناك به :

١ - مُشَاوَرَةُ المَهْدِيِّ لِأَهْلِ بَيْتِهِ فِي حَرْبِ خُرَّاسَانَ

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد :

هذا ما تراجع فيه المهدي ووزرائه وما دار بينهم من تدبير الرأي في حرب خراسان أيام تحاملت عليهم العمال وأغنت، وخملتهم الدالة وما تقدم لهم من المكانة على أن نكثوا بيعتهم، وتقضوا موثقتهم، وطردوا العمال، والتووا بما عليهم من الخراج، وحمل المهدي ما يجب من مصلحتهم ويكره من عننتهم على أن أقال عشرتهم، وأغتفر زلتهم، وأحتمل دآلتهم، تطولا بالفضل وآتساعا بالعفو، وأخذنا بالهجة ورفقا بالسياسة، ولذلك لم يزل مدحمله الله أعباء الخلافة وقلده أمور الرعية ريفقا بمدار سلطانه، بصيرا بأهل زمانه، باسطا للعدلة في رعيته، تسكن الى كنفه وتأنس بعفوه وتميق بحماه، فإذا وقعت الأقضية اللازمة والحقوق الواجبة، فليس عنده

هَوَادَةٌ وَلَا إِغْضَاءَ وَلَا مُدَاهَنَةَ ، أَثَرَةً لِلْحَقِّ وَقِيَامًا بِالْعَدْلِ وَأَخْذًا بِالْحَزْمِ ؛ فَدَعَا أَهْلَ خِرَاسَانَ
 الْأَعْتَرَارُ بِجَاهِهِ وَالثَّقَّةُ بَعْفُوهُ أَنْ كَسَرُوا الْخِرَاجَ وَطَرَدُوا الْعَمَالَ وَسَأَلُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ ،
 ثُمَّ خَلَطُوا أَحْتِجَاجًا بِاعْتِدَارِ ، وَخِصُومَةً بِإِقْرَارِ ، وَتَتَّصُلًا بِاعْتِلَالِ ؛ فَلَمَّا آتَيْتَهُ ذَلِكَ إِلَى الْمَهْدِيِّ
 خَرَجَ إِلَى مَجْلِسِ خَلَاتِهِ وَبَعَثَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ مُنْتَهَى وَوَزَرَائِهِ ، فَأَعْلَمَهُمُ الْحَالَ وَأَسْتَنْصَحَهُمْ
 لِلرَّعِيَّةِ ، ثُمَّ أَمَرَ الْمَوَالِي بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَقَالَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ : أَيَّ عَمٍّ تَعَقَّبُ قَوْلَنَا وَكُنْ حَكِيمًا
 بَيْنَنَا ؛ وَأَرْسَلَ إِلَى وَلَدَيْهِ مُوسَى وَهَارُونَ ، فَأَحْضَرَهُمَا الْأَمْرَ وَشَارَكَهُمَا فِي الرَّأْيِ ، وَأَمَرَ
 مُحَمَّدَ بْنَ اللَّيْثِ بِحِفْظِ مَرَاجِعِهِمْ ، وَإِثْبَاتِ مَقَالَتِهِمْ فِي كِتَابٍ .

فَقَالَ سَلَامٌ صَاحِبُ الْمِظَالِمِ (٣) :

أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ ، إِنَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ غَايَةَ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ صِنَاعَةً ؛ أَسْتَفْرَعَتْ رَأْيَهُمْ ، وَأَسْتَفْرَعَتْ
 أَشْغَالَهُمْ ، وَأَسْتَفْنَدْتُ أَعْمَارَهُمْ ، وَذَهَبُوا بِهَا وَذَهَبَتْ بِهِمْ ، وَعُرِفُوا بِهَا وَعُرِفَتْ بِهِمْ ؛ وَهَذِهِ
 الْأُمُورُ الَّتِي جَعَلْتَنَا فِيهَا غَايَةَ ، وَطَلَبْتَ مَعُونَتَنَا عَلَيْهَا أَقْوَامٌ مِنْ أُنْبَاءِ الْحَرْبِ وَسَاسَةِ الْأُمُورِ
 وَقَادَةِ الْجُنُودِ وَفُرْسَانِ الْهَزَائِرِ (٤) وَإِخْوَانِ التَّجَارِبِ ، وَأَبْطَالِ الْوَقَائِعِ ؛ الَّذِينَ رَشَّحْتَهُمْ سِجَالَهَا ،
 وَفِيَاتِهِمْ ظِلَالَهَا ، وَعَضَّتْهُمْ شِدَائِدُهَا ، وَقَرَّمَتْهُمْ نَوَاجِدُهَا ؛ فَلَوْ عَجَمْتَ مَا قَبْلَهُمْ ، وَكَشَفْتَ
 مَا عِنْدَهُمْ ؛ لَوَجَدْتَ نِظَائِرَ تَوْيْدِ أَمْرِكَ ، وَتِجَارِبَ تَوَافِقِ نَظْرِكَ ، وَأَحَادِيثَ تَقْوَى قَلْبِكَ ؛
 فَأَمَا نَحْنُ مَعَاشِرُ عُمَّالِكَ ، وَأَصْحَابُ دَوَاوِينِكَ ، فَحَسَنٌ بِنَا وَكَثِيرٌ مِمَّنْ أَنْ تَقُومَ بِثِقَلِ مَا حَمَلْتَنَا
 مِنْ عَمَلِكَ ، وَأَسْتَوْدِعْتَنَا مِنْ أَمَانَتِكَ ، وَشَغَلْتَنَا بِهِ مِنْ إِمْضَاءِ عَدْلِكَ ، وَإِنْفَازِ حُكْمِكَ ،
 وَإِظْهَارِ حَقِّكَ .

فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ : إِنَّ فِي كُلِّ قَوْمٍ حِكْمَةً ، وَلِكُلِّ زَمَانٍ سِيَاسَةً ، وَفِي كُلِّ حَالٍ تَدْبِيرًا
 يَبْطُلُ الْآخِرُ الْأَوَّلَ ، وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِزَمَانِنَا وَتَدْبِيرِ سُلْطَانِنَا .

(١) كَسَرُوا الْخِرَاجَ أَيَّ كَفَرُوا عَنْ أَدَائِهِ . (٢) هُوَ ابْنُ اللَّيْثِ بْنِ نَصْرِ بْنِ سِيَارٍ . وَكَانَ أُرْسَلَ
 الْمَهْدِيُّ أَبَاهُ اللَّيْثَ لِمُحَارَبَةِ الْمُقْتَعِ فَلَمْ يَتِمَّكَ مِنْهُ . وَكَانَ أَبْنَهُ مُحَمَّدٌ هَذَا مِنْ كِتَابِ الْمَهْدِيِّ وَلَمْ تَعْرِفْ سَنَةَ وَفَاتِهِ .
 (٣) هُوَ سَلَامُ بْنُ الْأَبْرَشِ ، أَسْتَعْمَلَهُ الْمَنْصُورُ ثُمَّ تَوَلَّى الْعُقُوبَاتَ فِي أَيَّامِ الْمَهْدِيِّ . (٤) الْهَزَائِرُ :
 تَحْرِيكُ الْبَلَايَا وَالْحُرُوبِ فِي النَّاسِ .

قال : نعم أيها المهديّ، أنت مُتَّبِعُ الرَّأْيِ، وَشَيْقُ الْعُقْدَةِ، قَوِيّ الْمُنَّةِ^(١)، بَلِغُ الْفِطْنَةِ، مَعْصُومُ النَّيْسَةِ، مَحْضُورُ الرَّوِيَّةِ، مُؤَيَّدُ الْبَدِيهِةِ، مُوَفَّقُ الْعَزِيْمَةِ، مُعَانٌ بِالظَّفَرِ، مَهْدِيّ إِلَى الْخَيْرِ؛ إِنْ هَمَمْتَ فَتَى عَزْمُكَ مَوَاقِعَ الظَّنِّ، وَإِنْ أَجْتَمَعَتْ صَدَعُ فِعْلِكَ مُلْتَبِسَ الشَّكِّ؛ فَاعْزِمِ يَهْدِ اللَّهِ إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ، وَقُلْ يُنْطِقُ اللَّهُ بِالْحَقِّ لِسَانَكَ؛ فَإِنَّ جَنُودَكَ جَمَّةٌ، وَخِزَانَتَكَ عَامِرَةٌ، وَنَفْسَكَ سَخِيَّةٌ، وَأَمْرَكَ نَافِذٌ.

فأجابه المهديّ : إِنَّ الْمَشَاوِرَةَ وَالْمُنَازِرَةَ بَابًا رَحْمَةً، وَمِفْتَاحًا بَرَكَةً؛ لَا يَهْلِكُ عَلَيْهِمَا رَأْيٌ، وَلَا يَتَّغِيلُ^(٢) مَعَهُمَا حَزْمٌ، فَأَشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ، وَقُولُوا بِمَا يَحْضُرُكُمْ؛ فَإِنِّي مِنْ وِرَائِكُمْ، وَتَوْفِيقُ اللَّهِ مِنْ وِرَاءِ ذَلِكَ.

قال الربيع :

أيها المهديّ، إِنْ تَصَارَيْفُ وَجُوهِ الرَّأْيِ كَثِيرَةٌ، وَإِنْ الْإِشَارَةُ بِيَعُضِ مَعَارِيضِ^(٣) الْقَوْلِ يَسِيرَةٌ؛ وَلَكِنْ خِرَاسَانُ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ الْمَسَافَةِ، مُتْرَاخِيَةِ الشُّقَّةِ، مُتَفَاوِتَةِ السَّبِيلِ؛ فَإِذَا أَرْتَأَيْتَ مِنْ مُحْكَمِ التَّدْيِيرِ، وَمُبْرَمِ التَّقْدِيرِ، وَبَابِ الصَّوَابِ، رَأْيًا قَدْ أَحْكَمَهُ نَظْرُكَ، وَقَلْبَهُ تَدْيِيرُكَ، فَلَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ طَاعِنٌ، وَلَا دُونَهُ مَعْلَقٌ لَخِصُومَةٍ عَائِبٌ؛ ثُمَّ أَجَبْتَ الْبُرْدَ بِهِ، وَأَنْطَوْتَ الرِّسْلَ عَلَيْهِ، كَانَ بِالْحَرَى أَلَّا يَصِلَ إِلَيْهِمْ مُحْكَمُكَ إِلَّا وَقَدْ حَدِثَ مِنْهُمْ مَا يَنْقُضُهُ؛ فَمَا أَيْسَرَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْكَ الرِّسْلَ، وَتَرُدَّ عَلَيْكَ الْكُتُبَ بِحَقَائِقِ أَخْبَارِهِمْ، وَشُورَادِ آثَارِهِمْ، وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ؛ فَتُحَدِّثَ رَأْيًا غَيْرَهُ وَتَبْتَدِعَ تَدْيِيرًا سِوَاهُ؛ وَقَدْ أَنْفَرَجْتَ الْحَلْقَ، وَتَحَلَّلْتَ الْعُقْدَةَ، وَأَسْتَرَنْحَى الْحِقَابَ^(٤)، وَأَمْتَدَّ الزَّمَانُ، ثُمَّ لَعَلَّمَا مَوْقِعَ الْآخِرَةِ كَمَصْدَرِ الْأُولَى؛ وَلَكِنْ الرَّأْيُ لَكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ — وَفَقَّكَ اللَّهُ — أَنْ تَصْرِفَ إِجَالَةَ النَّظَرِ، وَتَقْلِبَ الْفِكْرَ، فِيمَا جَمَعْتَنَا لَهُ، وَأَسْتَشْرَتْنَا فِيهِ مِنَ التَّدْيِيرِ لِحَرْبِهِمْ، وَالْحَيْلِ فِي أَمْرِهِمْ، إِلَى الطَّلَبِ لِرَجُلٍ ذِي دِينٍ

(١) المنسة : القوة . (٢) لا يتغيل : لا يضعف . (٣) معاريض الكلام ما عرض يد ولم يصرح وهي التورية بالشيء عن الشيء . (٤) الحقاب : شئ، تلخذه المرأة تعلق به معاليق الحلى تشده على وسطها .

فاضل، وعقل كامل، وورع واسع، ليس موصوفاً بهوى في سواك، ولا متهماً في أثره عليك، ولا ظنيناً على دُخْلَةٍ مَكْرُوهَةٍ، ولا منسوباً الى بدعة محدورة؛ فَيَقْدَحَ في مُلْكِكَ، وَيُرْبِضُ الْأُمُورَ لِغَيْرِكَ؛ ثم تُسْنِدُ اليه أُمُورَهُمْ، وتفوض اليه حربهم، وتأمره في عهدك ووصيتك إياه بلزوم أمرك ما لزمه الحزم، وخلاف نهيك اذا خالفه الرأي عند استحالة الأمور، وأشداد الأحوال التي يَنْقُضُ أمر الغائب عنها، ويثبت رأى الشاهد لها؛ فإنه اذا فعل ذلك فَوَاقِبَ أمرهم من قريب، وسقط عنه ما يأتي من بعيد، تمت الحيلة وقويت المكيده، ونفذ العمل وأحد النظر، إن شاء الله .

قال الفضل بن العباس :

أيها المهدي، إن وليّ الأمور وسائس الحروب ربما نَحَى جنوده، وفترق أمواله في غير ماضيق أمرٍ حَرَبِهِ، ولا ضَغْطَةِ حالٍ أَضْطَرَّتْهُ؛ فيَقْعُدُ عند الحاجة إليها، وبعد التفرقة لها عديماً منها فاقدًا لها، لا يثق بقوة، ولا يصول بَعْدَهُ، ولا يفزع الى ثقة؛ فالرأى لك أيها المهدي - وفقسك الله - أن تُعْغِي خرائتك من الإنفاق للاموال، وجنودك من مكابدة الأسفار، ومقارعة الأخطار، وتغريب القتال، ولا تُسْرِعَ للقوم في الإجابة الى ما يطلبون، والعطاء لما يسألون؛ فيفسد عليك أديهم، وتُجْرِي من رعيّتك غيرهم؛ ولكن اغزهم بالحيلة، وقاتلهم بالمكيده، وصارعهم باللين، وخاتلهم بالرفق، وأبرق لهم بالقول، وأرعد نحوهم بالفعل؛ وأبعث البعوث^(٤)، وجند الجنود، وكتب الكتاب، وأعد الألوية، وأنصب الرايات، وأظهر أنك موجه اليهم الجيوش مع أحنق قوادك عليهم، وأسويهم أثراً فيهم؛ ثم أدسس الرسل، وأبثت الكتب، وضع بعضهم على طمع من وعدك، وبعضاً على خوف

(١) ظنيناً : متهما . ودخلة مكرهه : أى نية سيئة . (٢) ربه أى أثبته .

(٣) أبرق وأرعد بمعنى تهدد وتوعد . (٤) البعث : الجيوش .

من وعيدك؛ وأوقد بذلك وأشباهه نيرانَ التحاسد فيهم ، وأغرس أشجار التنافس بينهم ، حتى تملأ القلوب من الوحشة ، وتنطوى الصدور على البغضة ، ويدخل كلاً من كلاً الحذر والهيبه ؛ فإن مرام الظفر بالغيبة ، والقتال بالحيلة ، والمناسبة بالكتب ، والمكايده بالرسل ، والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل في القلوب ، القوى الموقع من النفوس ، المعقود بالتحجج ، الموصول بالحيل ، المبنى على اللين الذي يستميل القلوب ؛ ويستترق العقول والآراء ، ويستميل الأهواء ، ويستدعي المواتاة ، أنفد من القتال بظبات السيوف وأسنة الرماح ؛ كما أن الوالى الذى يستنزى طاعة رعيته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوه بالمكايده ، أحكم عملاً وأطف منظرًا وأحسن سياسة من الذى لا ينال ذلك إلا بالقتال ، والإتلاف للأموال والتفريز والخطار^(١) .

وليعلم المهدي أنه إن وجه لقتالهم رجلا لم يسر لقتالهم إلا بجنود كثيفة ، تخرج عن حال شديدة ، وتقدم على أسفار ضيقة ، وأموال متفرقة ، وقواد غششة ؛ إن آمنتم أستنفدوا ماله ، وإن استنص بهم كانوا عليه لاله .

قال المهدي : هذا رأى قد أسفر نوره ، وأبرق ضوؤه ، وتمثل صوابه للعيون ، ومجد حقه في القلوب ، ولكن فوق كل ذى علم عليم ؛ ثم نظر الى آبه على فقال : ما تقول ؟
قال على :

أيها المهدي ، إن أهل خراسان لم يتألوا عن طاعتك ، ولم ينصبوا من دونك أحداً يقدح في تفسير ملكك ، ويربض الأمور لفساد دولتك ؛ ولو فعلوا لكان الخطب أيسر ، والشأن أصغر والحال أدل ، لأن الله مع حقه الذى لا يتخذله ، وعند مواعده الذى لا يخلقه ، ولكنهم قوم من رعيته ، وطائفة من شيعته الذين جعلك الله عليهم والياً ، وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً ، طلبوا حقاً ، وسألوا إنصافاً ، فإن أجبت الى دعوتهم ونفست عنهم^(٢)

(١) الخطار : الاشراف على هلكة .

(٢) نفست عنهم : فرجت عنهم .

(١) قبل أن يتَلاحمَ منهم حال ، أو يحدث من عندهم فتق ، أظمت أمر الرب ، وأطفأت نائرة الحرب ، ووقرت خزائن المال ، وطرحت تغرير القتال ، وحمل الناس تحمل ذلك على طبيعة جودك ، وسجية حاكمك ، وإسباح خليقتك ، ومعادلة نظرك ، فأميت أن تُنسب إلى ضعف ، وأن يكون ذلك فيما بقي دُرْبَة ؛ وإن منعتهم ما طلبوا ولم تُجِبهم إلى ما سألوا ، اعتدلت بك وبهم الحال ، وساويتهم في ميدان الخطاب ؛ فما أرب المهدي أن يعيد إلى طائفة من رعيتيه ، مقرين بمملكته ، مدعين لطاعته ، لا يُخرجون أنفسهم عن قدرته ، ولا يُرثونها من عبوديته ، فيملكهم أنفسهم ويخلع نفسه عنهم ، ويقف على الحيل معهم ، ثم يجازيهم سوء في حد المنازعة ومضمار المخاطرة ؛ أريد المهدي - وفقه الله - الأموال ؟ فلمرى لا ينالها ولا يظفر بها إلا بإنفاق أكثر منها ، مما يطلب منهم وأضعاف ما يدعى قبلهم ، ولو نالها فحملت إليه ، أو وضعت بخرايطها بين يديه ، ثم تجافى لهم عنها وطال عليهم بها ، لكان مما إليه يُنسب وبه يُعرف من الجود الذي طبعه الله عليه ، وجعل قرة عينه ونهمة نفسه فيه ؛ فإن قال المهدي : هذا رأى مستقيم سديد في أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا ، وتحامل ولاتنا ؛ فأما الجنود الذين تقضوا مواثيق اليهود ، وأنطقوا لسان الإرجاف وفتحوا باب المعصية ، وكسروا قيد الفتنة ، فقد ينبغي لهم أن أجعلهم نكالا لغيرهم وعظة لسواهم ؛ فيعلم المهدي أنه لو أتى بهم مغلولين في الحديد ، مقرنين في الأصفاد ؛ ثم أتسع لحقن دماهم عفو ، وإقالة عثرتهم صفح ، وأستبقاهم لما هم فيه من حزبه ، أو لمن يلزائم من عدوه ، لما كان يدعا من رأيه ، ولا مُستنكرا من نظره ، لقد علمت العرب أنه أعظم الخلفاء والملوك عفوا ، وأشدّها وقعا ، وأصدقها صولة ؛ وأنه لا يتعاطمه عفوا ،

(١) نائرة الحرب : ما اشتعل واتقد منها .

(٢) الإسباح : مصدر أصبح الوالى . اذا أحسن العفو .

(٣) الخريطة : وعاء من آدم وغيره .

(٤) الارجاف : مصدر أرحف القوم اذا خاضوا في أخبار الفتن على أن يوقعوا في الناس الاضطراب من غير أن

(١) ولا يتكأده صفح ، وإن عظم الذنب وجل الخطب ، فالرأى للمهدى - وفقه الله تعالى - أن يَحُلَّ عُقْدَةَ الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم ، وأن يذكر أُولَى حالاتهم وضيعة عيالاتهم ، برأ بهم وتوسعاً لهم ؛ فإنهم إخوان دولته ، وأركان دعوته ، وأساس حقه الذين بعزتهم يصول ، وبجحتهم يقول ؛ وإنما مثلهم فيما دخلوا فيه من مسأخطة ، وتعرضوا له من معاصيه ، وأنطوا فيه عن إجابته ، ومثله في قلة ما غير ذلك من رأيه فيهم ، أو ثقل من حاله لهم ، أو تغير من نعمته بهم ، كمثل رجلين أخوين متناصرين متآزرين ، أصاب أحدهما خبيل عارض ، وهو حادث ، فنهض الى أخيه بالأذى ، وتحمّل عليه بالمكروه ، فلم يزد أخوه إلا رقة له ولطفاً به ، وأحياناً لمدأوة مرضه ومراجعة حاله ؛ عطفاً عليه وبراً به ومرحمة له .

فقال المهدي : أما على فقد كوى سمّت اللبان ، وقصّ القلوب في أهل خراسان ، ولكل نبأ مستقر ، ثم زال : ما ترى يا أبا محمد ؟ يعنى موسى ابنه .

فقال موسى :

أيها المهدي ، لا تسكن الى حلاوة ما يجرى من القول على ألسنتهم ، وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم ؛ الحال من القوم ينادى بمضمرة شر ، وخفية حقد ؛ قد جعلوا المعاذير عليها ستر ، وأنخذوا العلل من دونها حجاً ؛ رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير ، والأموار بالتطويل ؛ فيكسروا حيل المهدي فيهم ، ويفنوا جنوده عنهم حتى يتلاحم أمرهم ، وتتلاحق مادتهم ، وتستفحل حربهم ، وتستمر الأمور بهم ؛ والمهدي من قوهم في حال غيرة ولباس أمانة ، قد فتر لها وأنس بها وسكن إليها ؛ ولولا ما اجتمعت به قلوبهم ، وبردت عليه جلودهم من المناصبة بالقتال ، والإضمار للقراع عن داعية ضلال ، أو شيطان فساد ، لرهبوا عواقب أخبار الولاية ، وغبّ سكون الأمور ؛ فليشد المهدي - وفقه الله -

(١) لا يتكأده : لا يشق عليه .

أزَّره لهم ويكْتَب كَاتِبَهُ نحوهم ، وليضَع الأمر على أشدِّ ما يحضُرهُ فيهم ، وليؤيِّس أنه لا يعطيهم خُطَّة يريد بها صلاحهم إلا كانت دُرْبَةً إلى فسادهم ، وقوَّة على معصيتهم ، وداعية إلى عودتهم ؛ وسبباً لفساد من بحضرتِهِ من الجنود ، ومن بابِهِ من الوفود ، الذين إن أقرَّهم وتلك العادة ، وأجرأهم على ذلك الأرب ، ولم يبرح في فتقٍ حادثٍ وخلافٍ حاضرٍ ؛ لا يصلح عليه دين ، ولا تستقيم به دنيا ؛ وإن طَلَب تغييره بعد استحكام العادة ، واستمرار الدربة ، لم يصل إلى ذلك إلا بالعقوبة المفرطة ، والمؤونة الشديدة ، والرأى للمهدى وفقه الله — ألا يقبل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم ، حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف ، ويستحجَّ^(١) بهم القتل ، ويحديق بهم الموت ، ويحيط بهم البلاء ، ويُطبق عليهم الذل ؛ فإن فعل المهدى بهم ذلك ، كان مقطعة لكل عادة سوءٍ فيهم ، وهزيمة لكل بادرة شرٍّ منهم ، واحتمال المهدى مؤونة غزواتهم هذه يَضَعُ عنه غزواتٍ كثيرة ، ونفقاتٍ عظيمة .

قال المهدى : قد قال القوم فأحك يا أبا الفضل .

فقال العباس بن محمد :

أيها المهدى :

أما الموالى فأخذوا بفروع الرأى ، وسلَكوا جنَّبات الصواب ، وتعدَّوا أمورا قصر بنظرهم عنها أنه لم تأت تجار بهم عليها .

وأما الفضل فأشار بالأموال ألا تُتفق ، والجنود ألا تفرق ، وبألا يعطى القوم ما طلبوا ، ولا يبدل لهم ما سألوا ، وجاء بأمرٍ بين ذلك استصغاراً لأمرهم واستهانةً بجرهم ؛ وإنما يبيع جسيمات الأمور صغارها .

(١) يستحج: يشند ويقوى .

وأما عليّ فأشار باللين وإفراط الرِّفق ، وإذا جرّد الوالى لمن تَحَمَط أمره وسفه حقه ،
 اللين بَحْتًا والخير مَحْضًا ، لم يَخْلطهما بشدةٍ تَعْطف القلوب عن لينه ، ولا يَسْرِّحهم إلى
 خيره ، فقد ملكهم انخَلَع لِعُدْرِهِمْ^(٢) ووسّع لهم الفُرْجَةَ لِنَيْ عُنَاقِهِمْ ، فإن أجابوا دعوته وقبلوا
 لينه من غير خوفٍ أضرطهم ولا شدةٍ ، فنزوة في رءوسهم يستدعون بها البلاء إلى أنفسهم ،
 ويستصرخون بها رأى المهديّ فيهم ؛ وإن لم يقبلوا دعوته ويُسرِعوا لإجابته باللين المَحْضِ
 وانخير الصُّراح ، فذلك ما عليه الظنّ بهم والرأى فيهم ، وما قد يُشبهه أن يكون من مثلهم ،
 لأن الله تعالى خالق الجنة وجعل فيها من النعيم المقيم والمُلك الكبير ما لا يَخْطُر على قلب
 بشر ولا تدركه الفِكر ولا تعلمه نفسٌ ؛ ثم دعا الناس إليها ورغّبهم فيها ، فلولا أنه خالق نارا
 جعلها لهم رحمة يسوقهم بها إلى الجنة ، لما أجابوا ولا قبلوا .

وأما موسى فأشار بأن يُعصبوا بشدةٍ لا لينَ فيها ، وأن يُرموا بشرًّا لا خير معه ، وإذا
 أضمر الوالى لمن فارق طاعته ، وخالف جماعته ، انخوف مُفردًا ، والشرُّ مجرّدًا ، ليس معهما
 طمع ولا لين يثنيهم ، أشتدت الأمور بهم ، وانقطعت الحلال منهم إلى أحد أمرين : إما أن
 تدخلهم الحمية من الشدة ، والأنفقة من الذلة ، والامتعاض من القهر ، فيدعوهم ذلك إلى
 التحدى في الخلاف ، والاستبسال في القتال ، والاستسلام للموت ؛ وإما أن يتقادوا بالكثرة ،
 ويُدعِنوا بالقهر على بغضةٍ لازمة ، وعداوة باقية ، تُورث النفاق وتُعقب الشقاق ؛ فإذا
 أمكنتهم فرصة ، أو ثابت لهم قدرة ، أو قويت لهم حال ؛ عاد أمرهم إلى أصعب وأغلظ
 وأشدّ مما كان .

(١) غمط الأمر : ازدراه . وسفه حقه : امتهه وبخسه .

(٢) العُدْرَةُ : عذار .

(٣) النزوة : الوثوب إلى الشر .

(٤) عصب الشيء : لواه وشده .

وقال في قول الفضل :

أيها المهديّ، أكفني دليل، وأوضح برهان، وأبين خبر بان، قد أجمع رأيه وحزم نظره
على الإرشاد ببعثة الجيوش اليهم، وتوجيه البعث نحوهم، مع إعطائهم مأسألو من الحق،
وإجابتهم الى ما سألوه من العدل .

قال المهديّ : ذلك رأي .

قال هارون :

ما خلطت الشدة أيها المهديّ باللين، وانتظم أمر الدنيا بالدين، فصارت الشدة أمر^(١)
فطام لما تكوه، وعاد اللين أهدي قائد الى ما تحبب؛ ولكن أرى غير ذلك .

قال المهديّ :

لقد قلت قولاً بديعاً، خالفت فيه أهل بيتك جميعاً، والمرء مؤتمن بما قال، وظنين^(٢)
بما ادعى حتى يأتي بيينة عادلة، وحجة ظاهرة، فأخرج عما قلت .

قال هارون :

أيها المهديّ، إن الحرب خدعة، والأعاجم قوم مكره؛ وربما اعتدلت الحال بهم،
وآتفتت الأهواء منهم؛ فكان باطن ما يُسرون على ظاهر ما يُعلنون، وربما آفرت
الحالان، وخالف القلب اللسان، فأنطوى القلب على محجوبة تبطان، وأستسر بمدخولة^(٣)
لا تُعلن، والطبيب الرفيق بطنه، البصير بأمره، العالم بمقدم يده وموضع ميسمه؛ لا يتعجل^(٤)
بالدواء، حتى يقع على معرفة الداء، فالرأي للمهديّ - وفقه الله - أن يفز باطن أمرهم
فتر المسنة، ويخصّ ظاهر حالهم مخصّ السقاء بمتابعة الكتب، ومظاهرة الرسل، وموالاته

(١) الفطام هنا : القطع والاستئصال .

(٢) ظنين بما ادعى : متهم بدعواه .

(٣) الميسم : المكواة يوسم بها الحيوان .

(٤) فتر الدابة : فتح فاهها وكشف عن أسنانها ينظر ما سنها . والمس من الدواب ما دخل في التامة .

العيون ، حتى مُتَّكَ حجبُ عيونهم ، وتُكشَفُ أَعْطِيَةُ أمورهم ؛ فإنْ أُنْفِرَجَتِ الحالُ ، وأُفْضِيَتِ الأمورُ بهِ الى تغييرِ حالٍ أو دَاعِيَةِ ضَلالٍ ، أَشْتَمَلَتِ الأهواءُ عليه ، وأنقادِ الرجالِ اليه ، وأمتدَّتِ الأعناقُ نحوهِ بدينِ يعتقدونه ، وإثمُ يَسْتَحِلُّونَهُ ، عَصَبَهُمْ بِشَدَّةِ لاِئِنَ فيها ، ورمَاهم بعقوبة لا عفو معها ، وإنْ أُنْفِرَجَتِ العيونُ ، وأهْتَصِرَتِ السُّتورُ ، ورُفِعَتِ الحُجُبُ ، والحالُ فيهم مَرِيعةٌ ، والأُمورُ بهم معتدلةٌ في أرزاقِ يَطْلُبُونَهَا ، وأعمالِ يُنْكَرُونَهَا ، وظُلَاماتِ يَدْعُونَهَا ، وحقوقِ يَسْأَلُونَهَا ، بِمَنَّةٍ سَابِقَتِهِمْ ، ودَالَّةٍ مَنَّاخَتِهِمْ ؛ فالرأى للمهدى - وقفه الله - أن يَتَسَّعَ لهم بما طلبوا ، وَيَتَجَانَفَى لهم عما كرهوا ، وَيَسْتَعَبَ من أمرهم ما صدعوا ، ويرتق من فَتَقِهِمْ ما قطعوا ، ويؤلَّى عليهم من أحبوا ؛ ويداوى بذلك مرضَ قلوبهم ، وفسادِ أمورهم ؛ فإنما المهديّ وأمتُهُ ، وسوادُ أهلِ مملكته ، بمنزلةِ الطَّيِّبِ الرقيقِ ، والوالدِ الشفيقِ ، والرأى المحزَّبِ الذي يَحْتالُ لمراضِ غنمه ، وضوَالِ رعيته ، حتى يُبرئَ المريضةَ من داءِ علتها ويردَّ الصحيحةَ الى أنسِ جماعتها ؛ ثم إن خراسانَ بِخَاصَّةِ الدينِ لهم دَالَّةٌ مَحْمُولَةٌ ، وماتَةٌ مقبولةٌ ، ووسيلةٌ معروفةٌ ، وحقوقٌ واجبةٌ ؛ لأنهم أيدى دولته ، وسيوفُ دعوته ، وأنصارُ حقِّه ، وأعوانُ عدله ؛ فليس من شأنِ المهديّ الأَضْطِغَانُ عليهم ، ولا المُواخَذَةُ لهم ، ولا التُوْغِيرُ بهم ، ولا المكافأةُ بِإِسَاءَتِهِمْ ، لأنَّ مبادرةَ حَسَمِ الأمورِ ضعيفةٌ قبل أن تَقْوَى ، ومحاولةُ قَطْعِ الأصولِ ضئيلةٌ قبل أن تَغْلُظَ ، أحزَمُ في الرأى ، وأصحُّ في التدبيرِ من التأخيرِ لها والتهاونِ بها ، حتى يَأْتَمَّ قَلِيلُهَا بكثيرها ، وتَجْتَمِعَ أطرافُها الى جُمُهورها .

قال المهديّ : ما زال هارونُ يَقَعُ وقعَ الحَيَّا حتى خرج خروجَ القُدْحِ من الماءِ ، وأنسَلَ أنسلالَ السيفِ فيما ادَّعى ، فدَعُوا ما سبقَ موسى فيه أنه هو الرأى ، وثنى بعده هارونُ ، ولكن من لَأَعْتَسَةَ الخيلِ وسياسةِ الحربِ وقادةِ الناسِ إن أمعن بهم الجَّجَّجُ ، وأفرطتْ بهم الدالَّةُ ؟ .

(١) المسألة : الحرمة والوسيلة .

(٢) التوغير بهم : التشديد عليهم .

قال صالح :

لسنا نبلغ أيها المهديّ بدوام البحث وطول الفكر أدنى فِرَاسَةِ رَأْيِكَ ، وبعضَ لِحَظَّاتٍ نظرك ؛ وليس يَنْفِضُ عنك من بيوتات العرب ورجال العجم ذو دين فاضل ، ورأى كامل ، وتدير قوى ؛ تقسده حربك ، وتستودعه جندك ، من يَحْتَمِلُ الأمانةَ العظيمةَ ، ويضطلع بالأعباء الثقيلة ؛ وأنت بحمد الله ميمونٌ النقيبة^(١) ، مبارك العزيمة ، محبوبُ التجارب ، محمود العواقب ، معصوم العزم ، فليس يقع اختيارك ، ولا يقف نظرك على أحدٍ تولّيه أمرك ، وتُسند إليه ثغرك ، إلا أراك الله ما تحب ، وجمع لك منه ما تريد .

قال المهديّ : إني لأرجو ذلك لتقديم عادة الله فيه ، وحسين معونته عليه ؛ ولكن أحب الموافقة على الرأي ، والأعتبار للشاورة في الأمر المهم .

قال محمد بن الليث :

أهل خراسان أيها المهديّ ، قوم ذوّ عرّة ومنعة ، وشياطين خدعة ؛ زُرُوع الحمية فيهم نابتة ، وملايس الأنفة عليهم ظاهرة ؛ فالروية عنهم عازبة ، والعجلة فيهم حاضرة ؛ تسبق سيولهم مطرهم ، وسيوفهم عدلهم ، لأنهم بين سفلة لا يعدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم ، وبين رؤساء لا يُلجَمون إلا بشدة ، ولا يفظمُون إلا بالمرء ؛ وإن ولى المهديّ عليهم وضيعا لم تنقد له العطاء ، وإن ولى أمرهم شريفاً تحامل على الضعفاء ؛ وإن أحر المهديّ أمرهم ، ودافع حربهم ، حتى يُصيب لنفسه من حشمة ومواليه ، أو بنى عمه أو بنى أبيه ؛ ناصحا يتفق عليه أمرهم ، وثقة تجتمع له أملاؤهم بلا أنفة تلزمهم ، ولا حمية تدخلهم ، ولا مصيبة تنفرهم ؛ تنفست الأيام بهم ، وتراخت الحلال بأمرهم ؛ فدخل بذلك من الفساد الكبير ، والضياع العظيم ، ما لا يتلافاه صاحب هذه الصفة وإن جدّ ، ولا يستصاحه وإن جهّد ،

(١) ميمون النقيبة : أى مبارك النفس ينجح فيما يحاول . ومحبور التجارب : خير بها .

(٢) العازب : الغائب .

(٣) العذل : اسم مصدر من العذل بمعنى اللوم ومنه المثل "سبق السيف العذل" يضرب لما قد فات .

إلا بعد دهر طويل وشركبير؛ وليس المهدي - وفقه الله - فاطماً عاداتهم، ولا قاربا صفاتهم، بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما، ولا عدل في ذلك بهما :

أحدهما لسانٌ ناطقٌ موصولٌ بسمعك، ويدٌ ممثلةٌ لعينك، وصخرةٌ لا تُزعزعُ، وبهمةٌ لا يُتني؛ وبازلٌ لا يُفزعُه صوتُ الجُلجل، نقيّ العِرض، نزيه النفس، جليل الخطر، قد آتضعت الدنيا عن قدره، وسمّا نحو الآخرة بهمته، بجعل الغرض الأقصى لعينه نصباً، والغرض الأدنى لقدمه مؤطناً؛ فليس يقبل عملاً، ولا يتعدى أملاً؛ وهو رأس مواليك، وأنصح بنى أبيك؛ رجل قد غُدّي بلطف كرامتك، ونبت في ظل دولتك، ونشأ على قوائم أدبك؛ فإن قلدته أمرهم، وحمّته نقلهم، وأسندت إليه ثغرهم؛ كان قفلاً فتحة أمرك، وباباً أغلقه نهبك؛ بجعل العدل عليه وعليم أميرا، والإنصاف بينه وبينهم حاكماً؛ وإذا حكم النصفه وسلّك المعدلة، فأعطاهم ما لهم وأخذ منهم ما عليهم، غرس في الذي لك بين صدورهم، وأسكن لك في السويداء داخل قلوبهم، طاعة راضخة العروق، بأسقة الفروع، مماثلة في حواشي عوامهم، متمكنة من قلوب خواصهم؛ فلا يبقى فيهم ريب إلا نفوه، ولا يلزمهم حق إلا أدوه؛ وهذا أحدهما .

والآخر عودٌ من غيظتك؛ ونبعة من أرومتك، فتي السن كهل الحلم راجح العقل محمود الصرامة مأمون الخلاف؛ يجرد فيهم سيفه، ويسيطر عليهم خيره بقدر ما يستحقون، وعلى حسب ما يستوجبون؛ وهو فلان أيها المهدي، فسَلطه - أعزك الله - عليهم، ووجهه بالجوش اليهم، ولا تمنع ضراعة^(١) سنه، وحدائث مولده؛ فإن الحلم والثقة مع الحدائث، خير من الشك والجهل مع الكهولة؛ وإنما أحداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه، وأختصكم به من مكارم الأخلاق، ومحامد الفعال، ومحاسن الأمور، وصواب التدبير، وصرامة الأنفس؛ كفراخ عناق الطير^(٢) المحكّمة لأخذ الصيد بلا تدريب، والعارفة

(١) ضراعة سنه : شبابه وحدائثه .

(٢) عناق الطير : كرام الطير .

لوجوه النفع بلا تأديب؛ فالعلم والعزم والحزم والجلود والتؤدة والرفق ثابت في صدوركم،
مزروع في قلوبكم، مستحکم لكم، متكامل عندكم، بطابع لازمة، وغلرائر ثابتة .

قال معاوية بن عبد الله :

إفتاء أهل بيتك أيها المهدي في الحلم على ما ذكر . وأهل خراسان في حال عز على
ما وُصف، ولكن إن ولي المهدي عليهم رجلا ليس بقديم الذكر في الجنود، ولا بنبيه
الصوت في الحروب، ولا بطويل التجربة للأمر، ولا بمعروف السياسة للجيش والهيبة
في الأعداء؛ دخل ذلك أمران عظيمان وخطران مهولان، أحدهما : أن الأعداء يفتنونها
منه ويحتقرونها فيه ، ويمجثون بها عليه في النهوض به والمقارعة له ، والخلاف عليه، قبل
الاختبار لأمره، والتكشّف لحاله والعلم بطباعه . والأمر الآخر : أن الجنود التي يقود
والجيش التي يسوس إذا لم يحتثوا منه بالبأس والنجدة، ولم يعرفوه بالصيت والهيبة ،
أنكسرت شجاعتهم ، وماتت نجاتهم ، وأستأخرت طاعتهم الى حين اختبارهم ، ووقوع
معرفتهم؛ وربما وقع البوار قبل الاختبار؛ وبياب المهدي - وفقه الله - رجل مهيب
نبيه حنيك صيت؛ له نسب زالك وصوت عال، قد قاد الجيوش وساس الحروب، وتألف
أهل خراسان، واجتمعوا عليه بالحق، ووثقوا به كل الثقة؛ فلو ولاه المهدي أمرهم،
لكفاه الله شرهم .

قال المهدي : جانبت قصد الرمية، وأبئت إلا عصية؛ إذ رأيت الحدّث من أهل
بيتنا، كراى عشرة حُمام من غيرنا؛ ولكن أين تركتم ولي العهد .

قالوا :

لم يمنعنا من ذكره إلا كونه شبيه جدّه، ونسيج وحده؛ ومن الدين وأهله، بحيث يقصّر
القول عن أدنى فضله؛ ولكن وجدنا الله عز وجل حجب عن خلقه، وستر من دون عباده
علم ما يختلّف به الأيام، ومعرفة ما تجرى عليه المقادير، من حوادث الأمور ورئيب المنون

الْمُخْتَرِمَةَ لِحَوَالِي الْقُرُونِ وَمَوَاضِي الْمُلُوكِ ، فَكَرِهْنَا سُتُوعَهُ عَنِ سَحْلَةِ الْمَلِكِ وَدَارِ السُّلْطَانِ وَمَقَرِّ
 الْإِمَامَةِ وَالْوِلَايَةِ وَمَوْضِعِ الْمَدَائِنِ وَالخَزَائِنِ ، وَمَسْتَقَرِّ الْجُنُودِ وَمَعْدِنِ الْجُودِ ؛ وَجَمْعِ الْأَمْوَالِ
 الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ قُطْبًا لِدَارِ الْمَلِكِ وَمِصِيدَةً لِقُلُوبِ النَّاسِ وَمَثَابَةً لِإِخْوَانِ الطَّمَعِ وَتُورِ الْفِتَنِ ،
 وَدَوَاعِي الْبِدْعِ وَفِرْسَانَ الضَّلَالِ وَأَبْنَاءَ الْمَوْتِ . وَقُلْنَا : إِنْ وَجَّهَ الْمَهْدِيُّ وَلِيَّ عَهْدِهِ فَحَدَّثَ
 فِي جَبُوشِهِ وَجُنُودِهِ مَا قَدْ حَدَّثَ بِجُنُودِ الرَّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ ، لَمْ يَسْتَطِعِ الْمَهْدِيُّ أَنْ يُعَقِّبَهُمْ
 بغيرِهِ إِلَّا أَنْ يَنْهَدَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ ؛ وَهَذَا خَطَرٌ عَظِيمٌ وَهَوْلٌ شَدِيدٌ ، إِنْ تَنَفَّسَتِ الْأَيَّامُ بِمَقَامِهِ ،
 وَأَسْتَدَارَتِ الْحَالُ بِإِمَامِهِ ، حَتَّى يَقَعَ عَوْضٌ لَا يُسْتَعْفَى عَنْهُ ، أَوْ يَحْدُثَ أَمْرٌ لَا بَدَّ مِنْهُ ،
 صَارَ مَا بَعْدَهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ هَوْلًا وَأَجَلٌ خَطَرًا لَهُ تَبَعًا وَبِهِ مُتَّصِلًا .

قال المهدي :

الْخَطْبُ أَيْسَرُ مِمَّا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ ، وَعَلَى غَيْرِ مَا تَصِفُونَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ ؛ نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ
 نَجْرِي مِنْ أَسْبَابِ الْقَضَايَا وَمَوَاقِعِ الْأُمُورِ ، عَلَى سَابِقِ مِنَ الْعِلْمِ وَمَحْتَمٍ مِنَ الْأَمْرِ ؛ قَدْ
 أَنْبَأَتْ بِهِ الْكُتُبُ ، وَنَبَأَتْ عَلَيْهِ الرَّسُلُ ؛ وَقَدْ تَنَاهَى ذَلِكَ بِأَجْمَعِهِ الْبِنَاءُ وَتَكَامُلَ بِحَذَائِرِهِ
 عِنْدَنَا ؛ فِيهِ نُدَبَرُ وَعَلَى اللَّهِ تَتَوَكَّلُ . إِنَّهُ لَا بَدَّ لَوْلَى عَهْدِي وَلَوْلَى عَهْدِ عَقْبِي بَعْدِي أَنْ يَقُودَ
 إِلَى خِرَاسَانَ الْبُعُوثِ ، وَيَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا بِالْجُنُودِ .

أَمَّا الْأَوَّلُ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ إِلَيْهِمْ رِسْلَهُ ، وَيُعْمَلُ فِيهِمْ حَيْلَهُ ؛ ثُمَّ يُخْرِجُ نَشِيطًا إِلَيْهِمْ حَقِيقًا
 عَلَيْهِمْ ، يُرِيدُ أَلَّا يَدْعَ أَحَدًا مِنْ إِخْوَانِ الْفِتَنِ وَدَوَاعِي الْبِدْعِ وَفِرْسَانَ الضَّلَالِ ، إِلَّا تَوَطَّأَهُ
 بِحَزِّ الْقَتْلِ ، وَأَلْبَسَهُ قِنَاعَ الْقَهْرِ ، وَقَلَّدَهُ طَوْقَ الذَّلِّ ؛ وَلَا أَحَدًا مِنَ الَّذِينَ عَمِلُوا فِي قِصِّ
 جَنَاحِ الْفِتْنَةِ ، وَإِحْمَادِ نَارِ الْبِدْعَةِ ، وَنُصْرَةِ وِلَاةِ الْحَقِّ ، إِلَّا أُجْرِيَ عَلَيْهِمْ دِيمٌ فَضْلُهُ ، وَجَدَاوِلُ
 نَهْلِهِ ؛ فَإِذَا خَرَجَ مُزْمِعًا بِهِ جُمُعًا عَلَيْهِ ، لَمْ يَسِرْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تَأْتِيَهُ أَنْ قَدْ عَمِلَتْ حَيْلَهُ ،
 وَكَدَحَتْ كُتْبُهُ وَنَفَذَتْ مَكَايِدَهُ ؛ فَهَدَأَتْ نَافِرَةَ الْقُلُوبِ ، وَوَقَعَتْ طَائِرَةُ الْأَهْوَاءِ ، وَاجْتَمَعَ

(١) شوعه : ابتعاده .

(٢) سعت ودأبت حتى أثرت .

(٣) وقعت طائفة الأهواء : نهد غضبها وسكن روعها .

عليه المختلِفون بالرضا ، فيميل نظراً لهم ، ورياً بهم ، وتعطفاً عليهم ، الى عدو قد أخاف سبيلهم ، وقطع طريقهم ، ومنع حُجاجهم بيتَ الله الحرام ، وسلب تُجارهم رِزقَ الله الحلال .

وأما الآخر فإنه يوجه اليهم ، ثم تُعتقد له الحجَّة عليهم ، باعطاء ما يطلبون ، وبذل ما يسألون ؛ فاذا سمحت الفرق بقراباتها له ، وجنح أهل النواحي بأعناقهم نحوه ؛ فأصغت اليه الأئدة ، وأجتمعت له الكلمة ؛ وقدمت عليه الوفودُ فصد لأول ناحية تجعت بطاعتها وألفت بأزماتها ؛ فالبسها جناح نعمته ، وأنزلها ظل كرامته ، وخصها بعظيم حباتها ؛ ثم عم الجماعة بالمعدلة ، وتعطف عليهم بالرحمة ؛ فلا تبقى فيهم ناحية دانية ولا فرقة قاصية ، إلا دخلت عليها بركته ، ووصلت اليها منفعته ؛ فأغنى فقيرها ، وجبر كسيرها ، ورفع ضيعها ، وزاد ربيعها ما خلا ناحيتين ؛ ناحية يغلب عليها الشقاء ، وتسميهم الأهواء ، فتستخف بدعوتها ، وتبطل عن إجابته ، وتناقض عن حقه ، فتكون آخر من يبعث وأبطأ من يوجه ؛ فيضطل عليها موجدة ويتغنى لها علة ، لا يلبث أن يبد بحق يلزمهم وأمر يجب عليهم ، فتستلحمهم الجيوش ، وتأكلهم السيوف ، ويستحز بهم القتل ، ويحيط بهم الأسر ، ويفنيهم التبع ؛ حتى يخرب البلاد ، ويؤتم الأولاد ؛ وناحية لا يسط لهم أمانا ، ولا يقبل لهم عهدا ولا يجعل لهم ذمة ؛ لأنهم أول من فتح باب الفرقة ، وتدرع جلباب الفتنة ، ورض في شق العصا ؛ ولكنه يقتل أعلامهم ، ويأسر قوادهم ؛ ويطلب هُرَّابهم في لجج البحار ، وقُلل الجبال ، وتحمل الأودية ، وبتون الأرض ، تقتيلا وتغليلا وتنكيلا ؛ حتى يدع الديار خرابا ، والنساء أيامي ؛ وهذا أمر لا نعرف له في كُتُبنا وقتا ، ولا نصحح منه غير ما قلنا نفسيرا .

وأما موسى ولى عهدى فهذا أوان توجهه الى خراسان ، وحلوله بجرجان ؛ وما قضى الله له من الشخوص اليها ، والمقام فيها ، خير للمسلمين مغبة ، وله بإذن الله عاقبة من المقام ، بحيث يغمر في لجج بحورنا ، ومدافع سيولنا ، ومجامع أمواجنا ؛ فيتصاغر عظيم فضله ،

ويَتَذَابُ^(١) مشرق نوره، ويتقلل كثير ما هو كائن منه؛ فمن يصحبه من الوزراء ويُختار له من الناس .

قال محمد بن الليث :

أيها المهدي : إن ولي عهدك أصبح لأمتك وأهل ملتك عالماً ، قد تثنت نحوه أعناقها ، ومدت سمته أبصارها ؛ وقد كان لقرب داره منك ، ومحل جواره لك ، عطل الحال غفل الأمر واسع العُدْر ؛ فأما إذا انفرد بنفسه وخلا بنظره وصار الى تديره ، فإن من شأن العامة أن تتفقد مخارج رأيه^(٢) ، وتسننصت لمواقع آثاره ، وتسأل عن حوادث أحواله في بره ومرحمته وإقساطه ومعدلته وتديره وسياسته ووزرائه وأصحابه ؛ ثم يكون ما يسبق اليهم أغلب الأشياء عليهم وأملك الأمور بهم^(٣) ، وأشدّها أسئلةً لرأيهم وعطفاً لأهوائهم ؛ فلا يفتأ المهدي - وفقه الله - ناظراً له فيما يقوى عمده مملكته ، ويسدد أركان ولايته ، ويستجمع رضا أمته بأمر هو أزين لحاله وأظهر لجماله ، وأفضل مغبة لأمره ؛ وأجل موقعاً في قلوب رعيته ، وأحمد حالاً في نفوس أهل ملته ؛ ولا أدفع مع ذلك باستجماع الأهواء له ، وأبلغ في استعطاف القلوب عليه ، من مرحمة تظهر من فعله ، ومعدلة تنتشر عن أثره ومحبة للخير وأهله ، وأن يختار المهدي - وفقه الله - من خيار أهل كل بلدة ، وفقهاء أهل كل مضر ؛ أقواماً تسكن اليهم العامة إذا ذكروا ، وتأنس الرعية بهم إذا وُصفوا ؛ ثم تسهل لهم عمارة سبل الإحسان وفتح باب المعروف ، كما قد كان فتح له وسهل عليه .

قال المهدي : صدقت ونصحت ، ثم بعث في ابنه موسى فقال :

أي بني ، إنك قد أصبحت لسمت^(٤) وجوه العامة نصيباً ، ولشئ أعطاف الرعية غايه ؛ فحسنتك شاملة ، وإساءتك نائية ، وأمرك ظاهر ؛ فعليك بتقوى الله وطاعته ، فاحتمل

(١) يتذاب : يجت . (٢) تتفقد مخارج رأيه : أي تفحص عن وجوه رأيه وتديره . (٣) أملك

الأمور : أضيها . (٤) سمت : المذهب والقصد . (٥) الأعطاف : جمع عطف وهو الجانب .

سُخِّطَ النَّاسَ فِيهِمَا ، وَلَا تَطْلُبُ رِضَاهُمَا بِخِلَافِهِمَا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَافِيكَ مَنْ أَسَخَّطَهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَاهُ ، وَلَيْسَ بِكَافِيكَ مَنْ يُسَخِّطُهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَا مَنْ سِوَاهُ . ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ فِتْرَةً مِنْ رُسُلِهِ ، وَبَقَايَا مِنْ صَفْوَةِ خَلْقِهِ وَخَبَايَا لِنُصْرَةِ حَقِّهِ ، يَجْتَدِدُ حِجْلَ الْإِسْلَامِ بِدَعْوَاهُمْ ، وَيَسَيِّدُ أَرْكَانَ الدِّينِ بِنُصْرَتِهِمْ ؛ وَيَتَّخِذُ لِأَوْلِيَاءِ دِينِهِ أَنْصَارًا ، وَعَلَى إِقَامَةِ عَدْلِهِ أَعْوَانًا ؛ يَسْتَدُونَ انْخِلَالَ وَيَقِيمُونَ الْمَيْلَ ، وَيُدْفَعُونَ عَنِ الْأَرْضِ الْفَسَادَ ؛ وَإِنِ أَهْلُ خِرَاسَانَ أَصْبَحُوا أَيْدِي دَوْلَتِنَا ، وَسَيْوْفُ دَعْوَتِنَا الَّذِينَ نَسْتَدْفِعُ الْمَكَارِهِ بِطَاعَتِهِمْ ، وَنَسْتَصْرِيفُ زَوْلِ الْعِظَائِمِ بِمَنَاصِحَتِهِمْ ؛ وَنُدَافِعُ رَيْبَ الزَّمَانِ بِعِزَائِمِهِمْ ، وَنُزَاحِمُ رُكْنَ الدَّهْرِ بِبِصَائِرِهِمْ ؛ فَهَمَّ عِمَادُ الْأَرْضِ إِذَا أُرْجِفَتْ كُنْفُهَا ^(١) ، وَخَوْفُ الْأَعْدَاءِ إِذَا بَرَزَتْ صَفْحَتُهَا ، وَحِصُونُ الرَّعِيَةِ إِذَا تَضَايَقَتْ الْحَالَ بِهَا ؛ قَدْ مَضَتْ لَهُمْ وَقَائِعُ صَادِقَاتٍ ، وَمَوَاطِنُ صَالِحَاتٍ ؛ أُنْحَدَتْ نِيرَانُ الْفِتَنِ ، وَقَسَمَتْ دَوَاعِي الْبِدْعِ ، وَأَذَلَّتْ رِقَابَ الْجَبَّارِينَ وَلَمْ يَنْفَكُوا كَذَلِكَ مَا جَرَوْا مَعَ رِيحِ دَوْلَتِنَا ، وَأَقَامُوا فِي ظِلِّ دَعْوَتِنَا ، وَأَعْتَصَمُوا بِحِجْلِ طَاعَتِنَا ؛ التِّي أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا ذَلَّتْهُمْ وَرَفَعَ بِهَا صَعَّتْهُمْ ؛ وَجَعَلَهُمْ بِهَا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، وَمَلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ بَعْدَ لِبَاسِ الذَّلِّ ، وَقِنَاعِ الْخَوْفِ ، وَإِطْبَاقِ الْبِئْسَاءِ وَمُحَالِفَةِ الْأَسَى ، وَجَهْدِ الْبَاسِ وَالضَّرِّ ؛ فَظَاهِرٌ عَلَيْهِمْ لِبَاسُ كِرَامَتِكَ ، وَأَنْزَلَهُمْ فِي حُدَائِقِ نِعْمَتِكَ ؛ ثُمَّ أَعْرِفْ لَهُمْ حَقَّ طَاعَتِهِمْ ، وَوَسِيلَةَ دَالَّتِهِمْ ، وَمَائَةَ سَابِقَتِهِمْ ، وَحُرْمَةَ مَنَاصِحَتِهِمْ ؛ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِمْ ، وَالإِثَابَةِ لِحُسْنِهِمْ ، وَالإِقَالَةَ لِمُسِيئَتِهِمْ .

أَيُّ بُحْتِي ، ثُمَّ عَلَيْكَ الْعَاقِبَةُ فَاسْتَدْعِ رِضَاهَا بِالْعَدْلِ عَلَيْهَا ، وَاسْتَجْلِبْ مَوَدَّتَهَا بِالْإِنْصَافِ لَهَا ؛ وَتَحَسَّنْ بِذَلِكَ لِرَبِّكَ ، وَتَوَثَّقْ بِهِ فِي عَيْنِ رِعْيَتِكَ ، وَاجْعَلْ عَمَالَ الْعُدْرِ وَوَلَاةَ الْحُجَّجِ مَقْدَمَةً بَيْنَ عَمَلِكَ ، وَنَصَفَةً مِنْكَ لِرِعْيَتِكَ ، وَذَلِكَ أَنْ تَأْمُرَ قَاضِيَ كُلِّ بَلَدٍ ، وَخِيَارَ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ ، أَنْ يَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ رِجَالًا تَوَلَّيَهُ أَمْرَهُمْ ، وَتَجْعَلَ الْعَدْلَ حَاكِمًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ؛ فَإِنِ أَحْسَنَ حُدُوتَ ، وَإِنِ أَسَاءَ عُذْرَتَ . هَؤُلَاءِ عَمَالَ الْعُدْرِ وَوَلَاةَ الْحُجَّجِ ، فَلَا يَسْقُطَنَّ عَلَيْكَ

(١) الكنف : جمع كنف وهو الجانب . وأرجفت : زلزلت .

ما في ذلك اذا أنتشر في الآفاق ، وسبق الى الأسماع ، من آنعقاد ألسنة المرّجفين ، وكبت
 قلوب الحاسدين ، وإطفاء نيران الحروب ، وسلامة عواقب الأمور ؛ ولا ينفكّن في ظلّ
 كرامتك نازلا ، وبِعراً حبلك متعلّقاً رجّالان : أحدهما كريمة^(١) من كرائم رجالات العرب ،
 وأعلام بيوتات الشرف ؛ له أدبٌ فاضل ، وحلم راجح ، ودين صحيح . والآخر له دين غير
 مغموز ، وموضع غير مدخول ، بصير بتقليب الكلام وتصريف الرأي وأخفاء العرب ووضع^(٢)
 الكتب ، عالم بحالات الحروب وتصاريف الخطوب ؛ يضع آداباً نافعة وآثاراً باقية ، من
 محاسنك وتحسين أمرك وتخليّة ذكرك ؛ فستشيرُهُ في حربك ، وتُدخِله في أمرك ؛ فرجُلٌ
 أصبته كذلك فهو يأوى الى محلّي ، ويرعى في خُصرة جناني ؛ ولا تدع أن تختار لك من
 فقهاء البُلدان ، وخيار الأمصار ، أقواما يكونون جيرانك وسُمارك ، وأهل مُشاورتك فيما
 تُورد ، وأصحاب مناظرتك فيما تُصدِر . فسِر على بركة الله ، أصحبك الله من عونه وتوفيقه
 دليلاً يهدى الى الصواب قلبك ، وهادياً يُنطق بانخيل لسانك . وكتب في شهر ربيع الآخر
 سنة سبعين ومائة ببغداد .

(١) الكريمة : صاحب الكرم . وكرائم الرجال : أخاير رجال العرب وأحسنهم . (٢) غير مغموز :
 غير مطعون : وغير مدخول : لا يداخله فساد .

٢ - رسالة أبي الربيع محمد بن الليث التي كتبها للرشيد

الى قُسطنطين ملك الروم

من عبد الله هارون أمير المؤمنين الى قسطنطين عظيم الروم: سلام على من أتبع الهدى ،
فإني أحمد الله الذي لا شريك معه ، ولا ولد له ، ولا إله غيره ، الذي تعالى عن شبه
المخدودين بهظمته ، واحتجب دون المخلوقين بعزته ، فليست الأبصار بمدركة له ، ولا
الأوهام بواقعة عليه ، انفراداً عن الأشياء أن يُشبهها ، وتعالى أن يشبهه شيء منها ، وهو
الواحد القهار ، الذي ارتفع عن مبالغ صفات القائلين ، ومذاهب لغات العالمين ، وفكر
الملائكة المقربين ، فليس كمثل شيء ، وله كل شيء ، وهو على كل شيء قدير .

أما بعد ، فإن الله جل ثناؤه وتباركت أسماؤه ، قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فيما أنزل
من آيات الوحي اليه : ﴿ اُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ . فرأى
أمير المؤمنين من أحسن قوله وأفضل فعله ، أن يكون الى سبيل ربه داعياً ، وبرسوله
صلى الله عليه وسلم متأسياً ، ولقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ
إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ موافقاً . وكنت من كتب الله المنزلة ، وآياته المفصلة ، وخلق الكثیر
بحيث رجا أمير المؤمنين استماعك لموعظته ، وانتفاعك بمجادلته انتفاع بشير كثير وخلق
عظيم قد بُوت بأوزارهم مع وزيرك ، واحتملت من آتامهم الى إثمك ، فأحب أن يدعوك
ومن رجا أن يتفع بدعوته معك ، الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نُشرك به
شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ؛ فإن توليتم عن ذلك رغبة عنه ،
أو تركتموه زهادة فيه ، فأشهدوا بأننا مسلمون . واستمعوا ما أمير المؤمنين واصف لكم ،
ومحتاج به إن شاء الله عليكم ، بقلوب شاهدة وآذان واعية ، ثم آتبعوا أحسن ما تسمعون .
ولا قوة إلا بالله .

فإن الله عز وجل يقول فيما أنزل من كتابه وأفتص على عباده : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ . إن الله تبارك اسمه وتعالى جدّه ، وصرف فيما أنزل من آياته ، وشرح من بيناته ، الأمم الماضية ، والقرون الخالية ، والملل المنفرقة ، الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى لا برهان لهم بها ، ولا حجة لهم فيها ، فقال : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ الْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا إِنَّ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ .

قالت العرب الذين يعبدون الملائكة وأهل الكتاب الذين يقولون ثالث ثلاثة بأئمتنا آية يا محمد تزعم أن الله إله واحد ، فأنزل الله عز وجل في ذلك آية تشهد لها العقول ، وتؤمن بها القلوب ، وتعرفها الأبواب ، فلا تستطيع لها ردا ، ولا تطيق لها تجحدا ، ذكر فيها اتصال خلقه واتفاق صنعه ، ليوقن الجاهلون من العرب ، والضالون من أهل الكتاب ، أن إله السماء والأرض ، وما بينهما من الهواء والخلق ، واحد لا شريك له ، خالق لا شيء ، معه ، فقال : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ مِمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ . فتفكر في تفسير هذه الآية من كلام الرب عز وجل ، وما أوضح فيها من بيان الخلق ، فإنه ما من مفكر ينظر فيما ذكر الله فيها مما بين السماء والأرض ، إلا رأى من اتصال بعض ذلك ببعض ، مثل ما رأى في تديره نفسه ، وعرف من اتصال خلقه ، فيما بين ذوائب شؤون رأسه الى أطراف أنامل قدمه . وفي ذلك أوضح آية وأبين دلالة ، على أن الذي خلقه وصنعه إله واحد لا إله معه ، ولا من شيء ابتدعه ، ولا على مثال صنعه . قد ترون بعيونكم وتعلمون بعقولكم ، أن الله عز وجل خلق للانام الأرض ، وجعلها موصولة بالخلق ، فليس يدحوها إلا لهم ، ولا يديمها إلا معهم ، وجعل ذلك الخلق متصلا

بالتبُّت، لا يقوم إلا به، ولا يصلح إلا عليه . وجعل ذلك التبت الذي جعله متاعاً لكم ومعاملاً لأنعامكم، متصلاً بالماء الذي ينزل من السماء بقدر معلوم، لمعاش مقسوم، فليس ينجم التبت إلا به ولا يحيا إلا عنه . وجعل السحاب الذي يسطه كيف يشاء متصلاً بالرياح المسخرة في جو السماء تثيره من حيث لا تعلمون، وتسوقه وأتم تنظرون، كما قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَاهُ إِلَىٰ بَدِيٍّ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ ووصل الرياح التي يصرفها في جو السماء بما يؤثري خلق الهواء من الأزمنة التي لا تثبت الهواجر إلا بنباتها، ولا يزول عنه برد إلا بزوالها؛ ولولا ذلك لظلل راكدا بالحر المميت، أو ماتلا بالبرد القاتل . ووصل الأزمنة التي جعلها متصرفة متلونة بمسير الشمس والقمر الدائنين لكم المختلفين بالليل والنهار عليكم . وجعل مسيرهما الذي لا تعرفون عدد السنين إلا به، ولا مواقع الحساب إلا من قبسه، متصلاً بدوران الفلك الذي فيه يسبحان، وبه يافلان؛ ووصل مسير الفلك بالسماء للناظرين سواء . فهذا خلق الله عز وجل، ما فيه تباين ولا ترايل ولا تفاوت؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ . ولو كان لله شريك أو معه ظهير عليه، يمسك منه ما يرسل، ويرسل منه ما يمسك، أو يؤخر شيئاً من ذلك عن وقت زمانه، أو يعجله قبل نجيء إبانته، لتفاوت الخلق، ولتباين الصنع، ولفسدت السموات والأرض، ولذهب كل إله بما خلق، كما قال عز وجل — وكذب المبطلين —: ﴿بَلِ آتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ .

والعجب: كيف يصف مخلوق ربه، أو يجعل معه إلها غيره، وهو يرى فيما ذكر الله من هذه الأشياء صنعة ظاهرة، وحكمة بالغة، وتأليفا متفقا، وتديرا متصلا، من السماء والأرض، لا يقوم بعضه إلا ببعض، متجلياً بين يديه، مائلاً نصب عينيه، يناديه إلى صانعه، ويأله على خالقه، ويشهد له على وحدانيته، ويهديه إلى ربوبيته، ﴿فَقَعَّالَىٰ اللَّهُ

عَمَّا يُشْرِكُونَ أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١﴾ . حقاً ما كرر هؤلاء الجاهلون
بربهم الضالون عن أنفسهم ، في خلق الله النظر ، ولا رجعوا كما قال الله عز وجل
الفكر . ولو أعمسوا فكركم وأجهدوا نظرهم ، فيما تسمع آذانهم وترى أبصارهم ، من
حوادث حالات الخلق ، وعجائب طبقات الصنع ، لوجدوا في أقرب ما يرون بأعينهم :
من التأليف لتركيب خلقهم ، والأثر في التدبير بصنعهم ، ما يدلهم على توحيد ربهم ،
ويقف بهم على انفرادة بخلقهم . فانهم يرون في أنفسهم بأعينهم ويجدون بقلوبهم ، أنها مخلوقة
صنعة بعد صنعة ، ومحولة طبقة عن طبقة ، ومنقولة حالاً إلى حال : سلاله من طين ، ثم
نطفة من ماء مهين ، ثم علقه ، ثم مضغته ، ثم عظامه ، كساه الله عز وجل لحماً ، ونفخ فيه روحاً ،
فإذا هو خلق آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، الذي خلق في قرار مكيين ، من ماء قليل
ضعيف ذليل ، خلقاً صورته بتخطيطه ، وقدره بتركيبه ، وألغسه بأجزاء متفقه ، وأعضاء
متصلة ، من قديم إلى ساق إلى نخد إلى ما فوق ذلك : من مفاصل ما يُعِين أو عجائب
ما يُبَيِّن ، ليعلم الجاهلون ويوقن الجاحدون ، أن الذي صنع ذلك وخلقه ودبره وقدره
وهياً ظاهره وباطنه إله واحد لا شريك معه . فلا يذهبن ذكر هذا صفحاً عنكم ، ولا تسقط
حكمته جهلاً به عليكم ، وفكروا في آيات الرسل وبيّنات النذر ، فإن في ذلك فكراً للبصيرين ،
وبصراً للمعتبرين ، وذكري للعابدين ، والحمد لله رب العالمين .

وأمر المؤمنين واصف لكم ، ومقتص من ذلك إن شاء الله عليكم ، ما فيه شهادات
واضحات ، وعلامات بيّنات ، ومبتدئ بذكر آيات نبينا صلى الله عليه وسلم فيما أنزل الله
منها في الوحي إليه ، فإنه ما أحد يقرع آيات النبوة قلبه ، ويحصن بيّنات الهدى عقله ، إلا
فادته حتى يؤمن بحمد صلى الله عليه وسلم ، لا يجد إلى إنكار ما جاء به من الحق سبيلاً .
فأردت أن تكونوا على علم ومعرفة ويقين وثقة من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وحقه ،
وما أنزل إليه من ربه عز وجل . فأحضر كتاب أمير المؤمنين فهّمك ، وألق إلى ما هو واصف
إن شاء الله سمعك . إن الله عز وجل أصطفى الإسلام لنفسه ، وأختار له رسلاً من خلقه ،
وأبعث كل رسول بلسان قومه ، ليبين لهم ما يتبعون ، ويعلمهم ما يجهلون : من توحيد

الرب وشرائع الحق ((لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً)).
 فلم تزل رسل الله قائمة بأمره ، متواليصة على حقه ، في مواضي الدهور ، وخوالي القرون ،
 وطبقات الزمان ، يصدق آخرهم بنبوته أولهم ، ويصدق أولهم قول آخرهم ، ومفاتح دعوتهم
 واحدة لا تختلف ، وبجامع ملتهم ملتزمة لا تفترق ، حتى تناهت الولاية والوراثة التي بنى
 عيسى عليه السلام عليها ، وبشرها ، الى النبي الأُمِّي الذي انتخبه الله لوحيه ، واختاره بعلمه ؛
 فلم يزل ينقله بالآباء الأخيار ، والأمهات الطواهر ، أمة فامة ، وقرنا فقرنا ، حتى استخرجه
 الله في خير أوان ، وأفضل زمان ، من أثبت محادثة أرومات البرية أصلا ، وأعلى ذوايب نبيات
 العرب فرعا ، وأطيب منابت أعياص قريش مغرسا ، وأرفع ذرى مجد بنى هاشم سمكا :
 محمد صلى الله عليه وسلم خيرها عند الله وخلقها نفسا ، على حين أوحشت الأرض من أهل
 الإسلام والإيمان ، وأمتلات الآفاق من عبدة الأصنام والأوثان ، وأشتعلت يدع الدين ،
 وأطبقت الظلم على الناس أجمعين ؛ وصار الحق رسما عافيا ، خلقا باليا ، ميتا وسط أموات ،
 ما إن يحسون للهدى صوتا يسمعونه ، ولا للدين أثرا يتبعونه . فلم يزل صلى الله عليه وسلم
 قائما بأمر الله الذي أنزل إليه ، يدعوهم الى توحيد الرب عز وجل ، ويحذرهم عقوبات
 الشرك ، ويحادلهم بنور البرهان ، وآيات القرآن ، وعلامات الإسلام ، صابرا على الأذى ،
 محتملا للكره ؛ قد ألهمه الله عز وجل أنه مظهر دينه ، ومِعزُ تمكينه ، وعاصمه ومستخلفه
 في الأرض ، فليس يثنيه ريب ، ولا يلويه هيب ، ولا يعنيه أذى ؛ حتى اذا قهرت البيئات
 ألبابهم ، وبهرت الآيات أبصارهم ، وخصم نور الحق حججهم ، فلم تمتنع القلوب من المعرفة
 بدون صدقه ، ولم تجد العقول سبيلا الى دفع حقه . وهم على ذلك مكذبون بأفواههم ،
 وجاحدون بأقوالهم ؛ كما قال الله عز وجل العليم بما يسرون ، الخابر بما يعلنون : ((فلأنهم
 لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يخحدون)) بغيا وعداوة ، وحسدا وبلحاجة ، افترض

(١) محادثة : جمع محند ، وهو الأصل . (٢) أرومات : جمع أرومة ، وهي الأصل .
 (٣) نبيات : أصول كريمة . (٤) أعياص قريش : أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ، وهم : العاص
 وأبو العاص والعيص وأبو العيص والعويص . (٥) في الأصل : "فلا" .

الله عليه قاتلهم ، وأمره أن يجرد السيف لهم ، وهم في عصابة يسيرة ، وعدة قليلة ، مستضعفين مستذلين ، يخافون أن يخطفهم العرب ، وتداعى عليهم الأمم ، ^(١) وتستحملهم ^(٢) الحروب ، فأوهم في كنفه ، وأيدهم بنصره ، وأذرهم بمقدمة من الرعب ، ومشغلة من الحق ، وجنود من الملائكة ، حتى هزم كثيرا من المشركين بقاتلهم ، وغلب قوة الجنود بضعفهم ، إنجازا لوعده ، وتصديقا لقوله : **(وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)** فأحسن النظر وقلب الفكر في حالات النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي قائما لله ، لتجد لمذاهب فكره وتصاريف نظرك ، مضطربا واسعا ، ومعتمدا نافعا ، وشعوبا جمة ، كلها خير يدعوك الى نفسه ، وبيان يتكشف لك عن محضه . وأخير أمير المؤمنين ما كنت قائلا لو لم تكن البعثة للنبي - صلى الله عليه وسلم - بلغتك ، ولم تكن الأنبياء بأموره تقزرت قبلك ، ثم قامت الحجّة بالاجتماع عندك ، وقالت الجماعة المختلفة لك : إنه نجم بين ظهرائي مثل هذه الضلالات المستاصلة ، والجماعات المستأسدة ، ^(٣) التي ذكر أمير المؤمنين : من قبائل العرب ، وجماهير الأمم ، وصناديد الملوك ، ناجم قد نصب لها وغرى بها ، يجهل أحلامها ، ويكفر أسلافها ، ويفرق الأفعال ، ويلعن آباءها ، ويضلل أديانها ، وينادي بشهاب الحق بينها ، ويجهز بكلمة الإخلاص الى من تراخى عنها ، حتى حميت العرب ، وأنفت العجم ، وغضبت الملوك ، وهو على حال ندائه بالحق ودعائه اليه ، وحيدا فريدا ، لا يحفل بهم غضبا ، ولا يرهب عنتا ، يقول الله عز وجل : **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)** أكنت تقول فيما تجرى الأقاويل به وتقع الآراء عليه ، إلا أنه أحد رجلين : إما كاذب يجهل ما يفعل ويعمى عما يقول ، وقد دعا الحنف الى نفسه ، وأذن الله لقومه في قتله ، فليست الأيام باداة ولا الحال بنابذة له إلا ريمًا تستلجمه أسبابهم ، ^(٤) وينهض به حملاتهم ، غضبا لرئبهم ، وأنفة لدينهم ، وحمية لأصنامهم ، وحسدا من عند أنفسهم . وإما صادق

(١) أصله تداعى لحذفت إحدى تاءيه ، ومعناه يجتمعون عليهم ويتالبون بالعداوة .

(٢) تستحملهم : تلقى عليهم حملها وعباها . (٣) المستأسدة : القوية . (٤) تستلجمه :

تعلق به وتشب .

بصير بموضع قدمه ومرمى نبهه ، قد تكفل الله عز وجل بحفظه ، وصحبه بعزه ، وجعله في حرزه ، وعصمه من الخلق ، فليست الوحشة بواصلية مع صحبة الله اليه ، ولا الهيبة بداخلة مع عصمة الله عليه ، ولا سيوف الأعداء بمأذون لها فيه . ثم إن آيتكم يا أهل الكتاب لو قيل لكم : إن الرجل الذي يدعى العصمة وينتحل المنعة ، قد نجت الأمور به على ما قال ، وسلمت الحال له فيما آدعى ، حتى نصب لعمارات العرب ، وجماعات الأمم ، يقاتل بمن طأوعه من خالفه ، وبمن تابعه من عانده ، جادا مشمرا ، محسبا واتقا بموعد الله ونصره ، لا تأخذه لومة لائم في ربه ، ولا يوجد لديه غميرة^(٣) في دينه ، ولا يلفته خذلان خاذل عن حقه ، حتى أعز الله دينه ، وأظهر تمكينه ، وأنقادت الأهواء له ، واجتمعت الفرق عليه ، ألم يكن ذلك يزيد حقه يقينا عندكم ، ودعوته ثبوتا فيكم ، حتى تقول الجماعة من حامائكم وأهل الحنكة من ذوى آرائكم : ما كان الرجل ، إذ كان وحيدا فريدا قليلا ضعيفا ذليلا معروفا بالعقل منسوبا الى الفضل ، ليجتري أن يقول : إن الله عز وجل أوحى اليه فيما أنزل من الكتاب عليه أن يعصمه من العرب جميعا ويمنعه من الأمم طرا ، حتى يبلغ رسالات ربه ، ويظهره على الدين كله ، ويدخل الناس أفواجا في دينه ، إلا وهو على ثقة من أمره ، ويقين من حاله .

فسبحان الله ! يا أهل الكتاب ما آيين حق النبي صلى الله عليه وسلم لمن طلبه ، وأسئله لمن قصد له . وأستعملوا في طلبه ألبابكم ، وأرفعوا ... أبصاركم ، تنظروا بعون الله اليه ، وتقفوا إن شاء الله عليه ؛ فإن علامات نبوته وآيات رسالته ، ظاهرة لا تخفى على من طلبها ، جملة لا يحصى عددها ، منها خواص تعرفها العرب ، وعوام لا تدفعها الأمم ؛ فأما الخواص المعروفة لدينا ، المعلومة عندنا ، التي أخذتها الأبناء عن الآباء ، وقيلها الأتباع عن الأسلاف ، فأمر قد كثرت البيئات فيها ، وتداولت الشهادات عليها ، وثبتت الحجج بها ، وتراخت الأيام ببعضها ، حتى رأينا عيانا ، وقيلناه إيقانا ؛ فهي أظهر فينا من الشمس ،

(١) كذا في الأصل . (٢) عمارات العرب : أحيائها العظيمة . (٣) غميرة : مظن .

(٤) بياض في الأصل بمقدار كلمة .

وأين لدينا من النهار، ولكن غيبت الأزمان عنكم أمرها، ولم ينقل الآباء اليكم علمها، وما لا يدرك إلا بالسمع موضوع انجحة عن العقل، فليس أمير المؤمنين مُجَاجٍ لكم، ولا قاصد اليكم من قبيلها. وأما الآيات العوام والدلالات الظاهرة في آفاق الأرضين، القاطعة مُجَجِّجِ المُبْطِلِينَ، التي لا تنكر عقول الأمم وجوب حَقِّها، ولا تدفع ألباب الأعداء صحَّة أمرها، فسُيُوجِّهها أمير المؤمنين مسالك أسماكم، ويُعيد بها حجة الله في أعناقكم، من وجوه جمَّة وأبواب كثيرة، إن شاء الله: منها أنه لم تزل الشياطين، فيما خلا من فترات الرسل وندرات النذر، تصعدُ الى سماء الدنيا، وتُنصِتُ للآلِ الأعلَى فستترق السمع وتحتفظ العلم، وتزل به الى كُلِّ أَفَّاكٍ أَنِيمٍ، يَبْنُونَ أَكَاذِبَهُمْ عَلَى وَاضِحِ صَدْقِهِ، وَيُتَّقُونَ أَبَاطِلَهُمْ بِحَسَبِ حَقِّهِ، خَلَطًا لِلْبَاطِلِ فِيهِ، وَسُوءًا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ. فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل آيات القرآن اليه، حُرِسَتِ السَّمَاءُ بِالنُّجُومِ، وَرُمِيَتِ الشَّيَاطِينُ بِالشُّهُبِ، وَأَنْقَطَعَتِ الأَبَاطِيلُ، وَأَضْمَحَّتِ الأَكَاذِيبُ، وَخَلَصَ الوَحْيُ، فَبَطَلَتِ الكُفَّهَانُ، وَضَلَّتِ السُّحَارُ، وَكَذَّبَتِ الأَحْلَامُ، وَتَحَيَّرَتِ الشَّيَاطِينُ، فَكَانَتِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ، وَعَلَامَةٌ وَاضِحَةٌ، وَحُجَّةٌ بَالِغَةٌ، تَهَبِّرُ قَرَائِحَ العُقُولِ، وَتَحْرِقُ مَجْجِبَ الغُيُوبِ، فَلَا يَقُومُ مَعَ ضِيَائِهَا ظُلْمَةٌ، وَلَا يَبُتُّ عِنْدَ مُحْكَمِهَا شُبُهَةٌ، وَلَا يُقِيمُ مَعَهَا فِي مَحَدِ صَلي الله عليه وسلم شكٌّ، لَا مِنْ أَصْحَابِهِ خَاصَّةً وَلَا مِنْ جَاءِ بَعْدِهِ عَامَةً. وَإِنَّمَا جَعَلَهَا اللهُ عِزًّا وَجَلَّ آيَةٌ بَاقِيَةٌ فِي الغَائِرِينَ، وَحِرَاسَةٌ ثَابِتَةٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ، لِأَنَّ اللهُ جَلَّ وَعَلَا جَعَلَ نَبِيَنَا صَلي الله عليه وسلم آخِرَ النَّبِيِّينَ؛ فَلَيْسَ بَاعْتَابًا بَعْدَهُ نَبِيًّا يَكْذِبُ أَقَاوِيلَ الكَهَنَةِ، وَيَقْطَعُ أَخَايِرَ الجِنَّةِ.

وستقول، فيما يذهب اليه الظن ويقع عليه الرأي، أنت ومن عقل من أمتك وأهل ملك: هذه آية حاسمة وحجة قاطعة بينة قائمة، مستعلية لأمرها، مستغنية بنفسها، لا تحتاج الى ما قبلها، ولا يتشكل على ما بعدها، إن أقرت العقول بما تقول، أو قامت البينة على ما تدعى، بلى؛ ثم تقول: وأنت لك بالبينة، ولسنا نقر بكناك، ولا تؤمن برسولك،

ولا تقبل قولك فيما قد سبقنا وإياك زمانه، وحجبت الغيوب عنا وعنك علمه؛ فأرجع اليكم إن قلتم ذلك؛ فإن وجدان القضاة قبل طلب البيئات.

وليس يجعل أمير المؤمنين فيما ينازعك ويحتاجك فيه حاكماً غير عقلك، ولا قاضياً سوى نفسك؛ ولكنه يذكرك الله الذي إليه معادك وعليه حسابك، لما جعلت التفهم لمسأله من بالك، وركبت حدودها في جوابك، عادلاً بالقسط، قاضياً بالحق، قائلاً بالصدق ولو على نفسك، ناظراً بالآثرة لدينك؛ فلقد وفق الله لك آية، وأهدى اليك بينة، لا تستطيع دفعها لخبثها عن عقلك، ولا حجاباً لنورها دون بصرك، فلا تدفع الآية بقولك، والبيضة بلسانك، بحدنا بقطع وصول الحجج اليك، ويد تغلق أبواب الفهم عنك؛ فإن اللسان لك مداول حيث شئت، ومنقاد تصرفه فيما هويت؛ ولكن أنصب نفسك للفهم وأنت شهيد، وأرد الحق وقبوله فيما تريد. فاذا تصورت البيئات مجسدة في قلبك، وتبينت الحجج ممثلة لنظرك، قد أضاء صوابها لك وقرع حقائق قلبك، فاجعل القول بها شعاراً للسان به متصلاً. وأفهم المسئلة فهمك الله الحق، وجنبت الخمد، ما تقول أنت ومن قبلك في رجل كان يتياً ضعيفاً أجيراً ساهياً لاهياً عائلاً خاملاً، لم يتل كتاباً، ولم يتعلم خطاً، ولم يك في محلة علم، ولا إرث ملك، ولا معدن أدب، ولا بيت نبوة، فتراقبت الأيام به، واتصلت الخال بأمره، حتى خرج الى العرب عامة والقبائل كافة، وحيدا طريدا شريدا، مخذولا مجهولا، مجفواً مرمياً بالعقوق لآلهم، مقدوفاً بالكذب على أصنامهم، منسوباً الى الهجر لأديانهم، وهم مجمعون على دعوة العصبية، وحمية الجاهلية، متعادون متباغون، مختلفه أهواؤهم، متفرقة أملاؤهم، يتسافكون الدماء، ويتناوحن النساء، ويستحلون الحرم، لا تمتنعهم ألفة، ولا تعصمهم دعوة، [ولا] يحجزهم بر، فألف قلوبها، وجمع شبيبتها، حتى تناصرت القلوب، وتواصلت النفوس، وترافدت الأيدي؛ ثم اجتمعت الكلمة، واتفقت الافئدة، حتى صار غاية الملقى رحالم، ونهاية المستجع

(١) لعله: ولا تغلق. (٢) في الأصل: لا.

أسفارهم ، وصاروا له حزبا متفقين ، وجندا مطيعين ، بلا دنيا بسطها لهم ، ولا أموال أفاضها
 بينهم ، ولا سلطان له عليهم ، ولا ملك سلف لأبائهم فيهم ، ولا نباهة كانت له بين ظهرانيهم .
 أقول إنه [ما] قال ذلك كله إلا بوحي عظيم ، وتنزيل كريم ، وحكمة بالغة ! فإن قلت ذلك فقد
 أقررت أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول ، وتركت ما كنت تقول إنه لم يدركه ولم يبلغه
 إلا بعقل سديد ، ونظر بعيد ، ورفق لطيف ، ورأى وثيق ، استبى به عقول الرجال ،
 وأستمال عليه أفئدة العوام . فإن قلت ذلك فانا سائلكم بالهكم الذي تعبدون ، ودينكم الذي
 تتحلون ، لما صدقتم أنفسكم وتجنبت الهوى عنكم : أتؤمن قلوبكم ، وتقر عقولكم ،
 ويحتمل نظركم ، أن محمدا صلى الله عليه وسلم الذي وصفتموه بكال العقل ، وبيان الفضل ،
 ورفق التدبير ، كان يقول لرجال العرب ، وجماعات الأمم ، [و] دُعاة قريش : إن من
 آيات نبوتى ، ودلائل رسالتى ، وعلامات زمانى ، أن الشياطين تُرمى بنجوم السماء ، ولم تك
 تُرمى بها فيما خلا ، ثم يجعل ذلك كتابا يُقرأ ، وقرآنا يُتلى ، وهو كاذب فيما تلا ، ومبطل فيما
 ادعى ، إبطالا تدركه عيون الناظرين ، وكذبا يظهر لجميع العالمين ! سبحان الله ! أرايتم
 أن لو كان فيما قال من الكاذبين ، وعلى ما ادعى من الآثمين ، ثم حاول إبعاد القلوب ،
 وإتغال الصدور ، وإفكار النفوس ، وتفريق الجموع ، أكان يزيد على ذلك !

فيا أهل الكتاب لا يجلنكم الإلث لدينكم على اللعب بتوحيدكم ! فلعمركم الله لئن
 تداركتم أنفسكم وناصحتم نظركم لتعلمن أن محمدا صلى الله عليه وسلم لو حاول الكذب
 أوراام الإفك ، لما كان يترك جميع الأرض ، وما يغيب عن بعض الخلق ويظهر لبعض ،
 ويقصد للسماء المتصلة بالبصر ، البارزة للنظر ، التي لا تخفى على بشر ، ولا تغيب عن
 أحد ، فيدعى فيها كذبا ظاهرا ، وإفكا بارزا مكشوفاً ، لا يبقى صغير ولا كبير ولا ذكر
 ولا أنثى ، إلا عرف أنه إفك وزور ، وكذب وغرور ، ولا سيما إذا كان يلقي ذلك الى
 أقوام أكثرهم أعراب ، ليس بينهم وبين السماء حجاب ، إنما يرأعون الكواكب ويتفقدون
 الغيوم ، فأبعد عهد آخرهم بها تفقده لها ونظره إليها ، ساعة أو ساعتين ، أو ليلة أو ليلتين .

لعمرك الله لو عثرت العرب من أمر النبي صلى الله عليه وسلم على كذب لكان أول من يُؤايبه به ويُجادله فيه أعداؤه من قريش عامة ، وحُسادُه من حيرته خاصة ، ونظراؤه من أهل بيته دنيَّة الذين كانوا يستعبرونه لكلِّ طريق ،^(١) ويقعدون له على كل سبيل ، ويتساءلون من أمره عن كل ذى حادث ، فيتعلقون بالحروف المشكِّلة ، والآيات المشتبهة ، جدلاً وخصومة بها ، وطعناً وإلحاداً ومنازعة فيها ، حتى لقد وصفهم الله بفعلهم ، وأخبر عن ذلك من أمرهم ، فقال عز وجل : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ وما كان الله عز وجل ليقول ذلك ولا لأحد أن يقوله على الله في أمرهم إلا عن خصومةٍ شديدة ، ومنازعةٍ بليغة ، ومجادلةٍ معروفة . فأحسن النظر لنفسك ، ولا تهلكن شفقةً على مُلكك ، فأيم الله لئن قلت إن النجوم شىء كانت العرب تراه بعيونها وتعرفه بقلوبها ، فما كان مجد صلى الله عليه وسلم ، وهو عارف بها غير جاهل لها ، ليقول فيها إلا حقاً ، وينتحل فيها إلا صدقاً ، لقد ثبتت فروع كلامك فيها على أسسه ، ووصلت آخر قولك له بأوله ، ثبوتاً على ما ذكرت من عقده ، ولزوماً لما قرطت من نظره ، ولكك لا تجدد مع الإقرار بذلك بدءاً من التصديق برسالته ، ولا مذهبا عن الإيمان بنبوته .

ولئن زعمت أنه ادعى أمر النجوم كذباً وانتحلها باطلاً ، عارفاً كان بها أم جاهلاً ، لقد نسبته من الخطأ الذى لا يعنى عن بصره الى ما يخطئ فيه بشرٌ ، فأكذبت نفسك ، وتركت قولك : إنه لم يكن التأليف لقلوب العرب والجمع لشتيت القبائل ، إلا برأى سديد ، وعقل أصيل ، ورفق بالغ ، الى أحد أمرين لا تجد لكلامك وجهاً تذهب اليه غيرهما ، ولا تمجلاً تضعه عليه سواهما : إما أن تقول : إنه آلف قلوب العرب ، وفتق جموع الأمم بتزليل الوحي ، فتؤمن أنه نبي ، وإما أن تقول : فعل ذلك بجهل ، وهذا قول لا يقبل . كيف يصفه أحد من الجاحدين به المكذِّبين له بغاوة ، أو يرمونه بجهالة ، وهم يجوزون به حدود الأنبياء ، ويرفعونه فوق أمور العلماء ، ويتخطون به مراتب الحكماء ، ومنازل الناس

(١) كذا في الأصل .

تكثر علمه ، وتسديداً لعقله ، وتثباتاً لفضله ، فيما لا يقدر الخلق عليه ولا تهتدى الألسن إليه ؛ حتى لقد نحلوه فعل الرب الذي لا يقدر عليه الخلق في وجوه كثيرة وأنحاء جملة : من ذلك أنه اذا قالت البقايا من أمنا : كان عهد صلى الله عليه وسلم يُخبرنا بالغيوب قبل ظهورها ، ويصفُ الأمور قبل حلولها ، ويتجاوز [ما يكون] في زمانه من ذلك الى ما يكون في زماننا غيباً أطلعه الله عز وجل عليه ، أضافوا ذلك علماً اليه ، فقالوا : كان أعلم الناس بمواقع النجوم ، وأبصرهم بمنازل البروج ، وأنظرهم في دقائق الحساب . كيف ولم يكن المحجاز دار نجوم ولا محل حساب ولا معدن أدب ! بل كيف والمنجم يقبس ويخطئ ، ويشك فيما يدعى ، وهو أخو صواب لا شك فيه ، وفارس صدق لا قياس معه .

ومن ذلك أنه اذا قالت العلماء من المسلمين : كان نبينا صلى الله عليه وسلم [علماً] بباطن أخبار النبيين ، وخفي قصص القرون الأولين ، قالوا : كان أحيا الناس قلباً ، وأوسعهم سرباً ، وأسرعهم أخذاً ، يتبع ذلك ويحبه ، وقد رواه وعلمه . سبحان الله ! أولاً يعلمون أن المتعلم معروف المعلم ، متفاوت الحالات ، متنقل الطبقات ، وأنه ما أحد يؤدب صغيراً أو يطلب العلم كبيراً ، إلا وله درجات في علمه ، وتارات في أخذه ، ومنازل في تعلمه ، تارة تلميذ ، وتارة مقارب ، وأخرى حاذق ، وبكل ذلك موصوف من أهله ، معروف عند قومه ، ظاهر لخيرته ، مستفيض في عشيرته ، لا يجهل أمره ، ولا يخفى ذكره ، ولا ينسى عند مواضع الحاجة اليه ، وتارات الاحتجاج به عليه . ولو كان ذلك معروفاً فيهم ، أو موجوداً لديهم ، أو ظاهراً عندهم ، لما أمره الله عز وجل أن يحتج عليهم ويقول في ذلك لهم : لقد لبثت فيكم عمراً من قبله ، لا أتلو قرآناً ، ولا أدعي وحياً ، أفلا تعقلون !

وأيم الله ! لو كانوا يعقلون أو ينظرون ، لعلموا أن معلمه على غير الملة التي يعرفون ، لأنه لهم من المخالفين ، وعليهم من الطاعنين ، يذكر فضائح قولهم ، ومعائب أمرهم ، ومخازي أسلافهم ، وعوائل أديانهم ؛ وإنه لو كان معلمه نصرانياً لدعاها الى النصرانية ، أو يهودياً

لدعاه إلى اليهودية ، أو مجوسياً لدعاه إلى المجوسية . ولو لم يكن له معلّم لمّا وقع على الحقيقة هدايةً من تنقاء نفسه ومعرفةً بقوة عقله . ولو كان معلمه الشيطان لمّا دعاه إلى عبادة الرحمن ، ولا أمره بهجر الأوثان ، وكسر الأصنام ، وصللة الأرحام ، والإصلاح في الأرض ؛ كيف [و] كان الشيطان يصدّ الناس عن سبيله ، ويُرْهِدُهُمْ فِي دِينِهِ ، وَيُنْهَاهُمْ عَنِ طَاعَتِهِ ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ عِبَادَتِهِ ، وَيُدْخِلُهُمْ فِي مَسَآخِطِهِ ، وَيَجْهَلُهُمْ عَلَى مَعَاصِيهِ ! إِنَّهُ إِذَا لَرَحِيمٌ بِهِمْ ، نَاطَرَ لَهُمْ ، شَفِيقٌ عَلَيْهِمْ ، كَأَنَّهُ هُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَيْهِمْ ، كَلَا ! مَا كَانَ لِيُنْقِذَهُمْ مِنْ حَبَائِلِهِ ، وَيُخَلِّصَهُمْ مِنْ مَصَائِدِهِ ، وَيُخْرِجَهُمْ مِنْ وِلَايَتِهِ وَطَاعَتِهِ وَسُلْطَانِهِ وَخُدَعَتِهِ وَقَتْنَتِهِ وَحَزْبِهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ . وَمَا كَانَ لِيُنْهِيَ الْعَرَبَ أَنْ يَقْتُلُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَيَتَنَاقَضُوا حُرْمَهُمْ ، وَيُؤْذُوا ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَلَا يَقُولَ لَهُمْ : لِمَ تَعْبُدُونَ تَحِيَّتَ الْجَمْرَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لَكُمْ عَارًا ، وَتَدْرُونَ عِبَادَةَ الرَّبِّ الَّذِي خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ! هِيَهَاتَ ! لَقَدْ ذَهَبْتُمْ بِالشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ، فَقَلَّمْ قَوْلًا تُنْكِرُهُ الْعُقُولُ ، وَتُدْفَعُهُ الْقُلُوبُ ، وَتَسْتَوْحِشُّ مِنْهُ النَّفُوسُ . أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴾ فَمَا كَانَ الشَّيْطَانُ لِيَرْضَى لِلْعَرَبِ بِاللْعَنَةِ وَالْبُكْمِ وَالْعَمَى وَالصَّمِّ ؛ فَاتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ .

ومنها أنه إذا قالت الفقهاء والحكماء : أئانا محمد - صلى الله عليه وسلم - بكلام لم تسمع الأذان بمثله ، ولم تقع القلوب على لُغَتِهِ ، لَهُ رَوْنَقٌ حَبَابُ الْمَاءِ ، وَزِيْرُجٌ يعلو ولا يُعلَى وعجائب لا تبلى ولا تفتى ، وجِدَّةٌ لا تتغير ، [قالوا] : كان محمد - صلى الله عليه وسلم - أبلغهم قولاً ، وأحسنهم وصفاً . فيا سبحان الله ! ألا يعلمون أن لو كان القرآن كلاماً للعباد لما أقرت الأعداء من^(١) بفضله ، ولا تجزّت القبائل طراً عن مثله ، وهو يناديهم في الكتاب ويتحدّاهم في الوحي ، بصوت رفيع ، ونداء سميع ، فيقول : هَاتُوا سُورَةً مِنْ مِثْلِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، وهم فرسان الكلام ، وإخوان البلاغة ، وأبناء الخطب ، وأهل عداوة له وبغى

(١) يياض في الأصل بمقدار كلمة .

عليه ، فستحسر الأبصار ، وتثقل الأسماع ، وتثقل الألسن ، وتخرس الخطباء ، وتعجز
 البلغاء ، وتحر الشعراء ، وتستسلم الكهّان . ثم لقد قايست البصراء بالكلام والعلماء بالمنطق ،
 بين ما بأيدينا من كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به من كلام الوحي ، فاذا بينهما
 بون بعيد وتفاوت شديد ، ليس يشبه له ولا مدان ولا قريب . وكذلك ينبغي لكلام
 الرب عز وجل أن يعلو كلام الخلق ، وألا يشبه قول العباد في تأليفه وأحاديثه ومعانيه
 وجميع ما فيه ؛ لأن الله عز وجل لا يشبهه شيء من ذلك أنه إذا قال المسلمون : كان
 محمد - صلى الله عليه وسلم - يرى ماضي أسلافنا وصالح آباؤنا من العجائب العظام ،
 والآيات الجبار ، ما هو جديد عندنا ، بين قلوبنا فلم يعف أثره ، ولم يدرس خبره ، ولم يتقدم
 عهدُه : من شجرة ناداها فأقبلت ثم أمرها فرجعت ، ومن نحو بعير تظلم ، وذئب تكلم ،
 وأشباه ذلك كثيرة ، ونظائر له عجيبة ، قالوا : كان محمد - صلى الله عليه وسلم - كاهنا
 حاذقاً ، وساحراً ماهراً ، يُسبّه بالخيال ، يأخذ بالأبصار . كيف والجموع الكثيرة تصدرون
 الأظعمة السيرة والمياه القليلة ، شباعاً رواء ، أيكون ذلك والسحر سواء ! والأخذ بالعيون
 لا يجرى في البطون ! ولو كانوا ينظرون لدينهم وينصفون من أنفسهم ، لعلموا أن أمر
 الساحر يدور على إفك وغرور ، وأن لمحمد - صلى الله عليه وسلم - آثاراً قائمة ، ومنافع
 دائمة . ثم لو كانت الكهانة والسحر يبلغان مثل هذا من الأمر ، لبطلت آيات الكتب ،
 وعلامات الرسل ، ولعلت الشبهة ، وسقطت الحجّة ، وكذبت النبوة ، وبطل ما كان [يفعله]^(١)
 عيسى عليه السلام : من إبرائه الأكمة والأبرص وإحيائه الموق . فلا يكون التقليد للرجال
 مبلغ علمك ، ولا القبول لدعواهم بلا بينة .

ومن ذلك [أنه] إذا قالت البصراء من أمتنا والعلماء بملتنا : كان النبي - صلى الله
 عليه وسلم - أمياً لا يحسن الكتاب وحافظاً لا ينسى القرآن ، وقلمها يجتمع العقل السديد
 والحفظ السريع والنسيان البطيء ، قالوا : كان أخط الناس يداً ، وأذكاهم حفظاً ، كان
 يكتب بالنهار ، ويدرس بالليل .

(١) زيادة يقتضيها السياق .

ولعمري الله أن لو كانت الحال كما يقولون والأمر كما يصفون ، لما خفيت الصحف له ، ولا أكتسبت الدراسة عليه ، ولما كان يطبق سترها عن أهله ، ولا يجابهها دون قومه . وكيف تؤمن القلوب وتقرّ العقول أن رجلا كبيرا حمل علما كثيرا وحكما جمًا : من آيات متشابهة ، وسور متوالية ، وهو صاحب أسفار مترامية ، وأخو حربٍ دائمة ، لا يطيع لفظه ، ولا يسقط حفظه ! لولا أن الله عز وجل كفاه أن يحرك به لسانه ، وصن له جمعه وقُرَّانه ، فقال عز وجل : ﴿ سَتَقِرُّكَ فَلَا تَلْسَى ﴾ فلم يكن يسقط واوًا ولا ألفًا ، ولا ينسى كلمة ولا حرفًا . ما أئين هذا وأعجبه ! وأعجب منه المنكر له .

وأما قولهم في الخط وإتكارهم في الكتاب ، فإن الله عز وجل جعله أميًا لئيب حجته ، ويصدق مقالته ، ولئلا يسكّ المبطون في أمره ، ويقولون : تعلمه من غيره ، فإنه قد قال ذلك بطائن من منافسة العرب وطوائف من كفرة العجم ، فنطقت [به] الأعداء من جبرته ، والحسدة من عشيرته ، الذين بلغوا [ما بلغوا] من مجادلة حقه ، ومخاصمة ربه ، كفاة لمن قرب ، ووكلاء لمن بعد ، فيما لم تكن العرب واقعة عليه ، ولا الأئم مهتدية إليه ، لأنهم قد أحاطوا من علم خبره ، وخفي أثره ، بما كان عن غيرهم محتجبا ، ومن سواهم مكتما . وقالوا : لو كان محمد صلى الله عليه وسلم يتعلم من بشر أو يختلف إلى أحد ، لما خفي عنا ولسقط علينا . وحقا لو كان محمد صلى الله عليه وسلم يختلف إلى أحد صغيرا ، أو يتعلم من بشر كبير ، لعرف ذلك أترابه المختلفون معه ورفقاؤه والمقتدون ، ولما جهل ذلك من حوله من جبرته نصره ، ولا من معه من أهل بيته دنية ، الذين عليهم يورد ومن قبلهم يُصدِر ، ولكان شائعا عند حشم معلمه وجيرة موضعه الذين كان يختلف اليهم ، ويتأذب بين ظهرانيهم . ولو كانوا بذلك عالمين ، أو فيه من أمره شاكين ، ثم بلغتهم وتقرر قبلهم أنه يقول : إن الله عز وجل أوحى إليه ، فيما أنزل من الكتاب عليه : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحِطُّهُ بِمِثْلِكَ إِذَا لَأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ لخاصمه منهم من كفر ،

(١) في الأصل : « متراخية » . (٢) في الأصل : « ... ولا يسقط حقه ولولا أن ... الخ » .

(٣) زيادة يتلها الكلام . (٤) في الأصل : « إلا أنهم ... » . (٥) في الأصل « ولا سقط » .

ولكفر به منهم من آمن . ثم يدعى ذلك قرآنا ، ويتخله وحيا ؟ أما كان يهَبُّ أن يتشرَّ
 في الأقربين ، ويخرَج إلى الأبعدين ، فتبطل حجَّتُه ، وتنتقض دعوته ، وتسقط نبوته ،
 وينفِر أصحابه الذين لم يَصِرُوا معه في المجاهدة أنفسهم ، ويبدلوا عند الشدائد مهجهم ،
 وينفقوا فيه على الحاجة أموالهم ، مُنَاصِبِينَ لأهل الشرق والغرب والعجم وكل الأمم ،
 وهم قليلون مُسْتَضْعَفُونَ عائلون جائعون ، لا طلباً لدنيا ولا طمَعاً في منال ، إلا لما تَعَقَّبُوا
 من قوله ، وعَرَفُوا من صدقه . ولولا أنه أخبرهم ووعدهم أن يغلب كسرى وقيصر لهم ،
 فصَدَّقُوا بقوله ، وآمنوا بوعده ، حتى قَوِيَت البصائر ، وصَرُمَت العزائم ، وقويَت النيات ،
 فَنَشِطَت النفوس ، وَتَجَمَّعَت القلوب ، وحملت الأبدان ، لَمَّا وَقَعَ لهم طمع فيه ، ولا ذهب
 لهم وهل إليه . فكن من ذلك على يقين لا يخلجه شك ، ومعرفة لا يخالطها ريب ،
 إن شاء الله .

ومن ذلك أنه اذا قال المسلمون : ما من فعَالٍ محمود ، ولا مقالٍ معروف ، ولا خُلُقٍ
 كريم ، ولا أدبٍ فاضل ، إلا وقد أدب الله عز وجل به محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزله
 في الكتاب إليه ، فكان يأمر بالمكارم ، ويحض على المحامد ، ويعمل بالمحاسن التي ليس فيها
 مدخل لشبهة طاعن ، ولا مَعَلَّقٌ لحجة قائل ، ولا مغمزٌ لبصيرة عائب ، ولا موضعٌ لخصومة
 بشر ، في وعد أو عهد ، أو حلٍّ أو عقد ، أو مقالٍ أو فعَالٍ ، أو غير ذلك من الأمور —
 قالوا : أمور حَمَلَ عليها نفسه ، ودعاها إليها عقله ، وصبر عليها ، لَمَّا أَقْبَلَ ورجا فيها .
 سبحان الله ! وما أقبل بها وآرتجى منها ؟ إن قالوا : الدنيا ، فلقد أ كذبهم إداره عنها ،
 حيث أمكنته القدرة منها ، وأعثرته الحال عليها . وإن قالوا : حبُّ الأثرة ، فقد جعل
 نفسه للمسلمين أسوة : في سبأهم وقصاصهم ، وحُدودهم وحقوقهم ، وغير ذلك من
 أمورهم . وإن قالوا : المُلْكُ ، فلقد كان أشدَّ الناس لربه تواضعا ، وأعظمهم في جنبه
 تصاعرا ، ما إن أكل متكئا قط إلا مرة ، ثم قعد كهيئة الفرع لها النادم عليها ، فقال :

(١) صبرته : حسبها . (٢) وهل : فرع .

”اللهم إني عبدك ورسولك“ . وإن قالوا : النعيم ، فمن كان أيس منه معاشاً ، وأخشن ريشاً ، وأغلظ ما كلاً ! وكيف يذوق العيش أو يجسد لذيق النعيم ، من حرم السكر والخمر ، ونهى عن الديباج والقز ، وكان أكثر دهره صاعماً ، وأطول ليله قائماً ! فإن قالوا : طلب الصوت ورجب في الدين ، فذلك ما لم يطلبه أحدٌ في حب الصوت والتمس الخمد لما صبر مغاضب قومه ، وملاوم أهله ، وشتائم العرب وتوعد العجم ، وأستهزاء قريش ؛ يرمونه بالعقوق ، ويقذفونه بالخنون ، ويبهتونه بالسحر ، وليس يدري ما يهجم به الأمر .^(١)

أم يقولون طلب تائيل الملك لقومه ، وأراد توطئة الولاية لأقاربه فكيف يطلب لقومه ما قد زهد فيه لنفسه ! أم كيف يطلب لهم عز الملك وقد أوطاهم الذل ثم القتل . لعمر الله أن لو أراد الملك لأقاربه ، وأراد طلب السلطان لذوى رحمه ، لو كد لهم عقداً لا يُحل ، ولا يرم لهم أمراً لا يُنقض ، ولا تُل لهم في عُنْفوان أمره ملكاً لا يخرج من أيديهم ، ولا يبرح أبداً فيهم ، امتثالاً لصديعكم واحتذاءً على مثالكم ؛ مع أقاويل جمّة ونظائر كثيرة ، لا يستقيم لهم معها أن يقولوا إن محمداً صلى الله عليه وسلم غلب العرب وقهر العجم ؛ أو قال في أمر السلطان والنجوم بكذب .

فإن قلتم إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان في قوة عقله وبيان فضله ، على ما قلنا وقلتم وصدّقنا به نحن وأتم ، ولكن هفت العلماء وزلت الحكماء وأخطأت القلوب ؛ فقد يعلم أمير المؤمنين - وأتم بذلك من العالمين - أن خطأ قلوب العلماء تخطأ دائرة الرّحا ، ليست العلماء بخطئة إلا المزة والثنتين ، كما لا تخطئ الرّحا إلا الحبة والحبتين . ومثل الذي نسبتم إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ عندكم والجهل في أنفسكم ، كثير لا يُحصيه أحد ، ولا يبلغه عدد . وأمير المؤمنين واصف بعضه لكم ، ومورد ما حضر كتابه إن شاء الله لكم . وآيم الله على ذلك لو قالت العلماء من المسلمين هبوا محمداً صلى الله عليه وسلم كان

(١) الصوت : الذكر الحسن كالصيت . (٢) كذا وردت هذه الجملة في الأصل وهي مضطربة .

(٣) في الأصل : ”ولا ينوح ...“ .

في أمر النجوم من المخطئين ، فكيف أخطأت العرب وهفت الأمم في ترك مجادلته ورفض
 منازعته ، وكيف لم تنقل العلماء من إفاة والحكماء من حكمائهم ، توبيخاً منهم له ، وتعييراً لمن
 آمن معه : هذا أمرٌ من أوضع الأكاذيب وأبطل الأباطيل ، فلا يثبت مع قولهم إيماناً ،
 ولا يُقيم على شرحهم إنسان . فإن قلت : فلعل ذلك قد كان ، ولكنه درج على طول
 الأزمان ، فكيف إذا صدقت العربُ بنبوته ، ولم تكفر القبائل برسالته ، وهم يسمعون كذباً
 لا ينفع معه صدقُ كان قبله ، وباطلاً لا يعصم معه حقٌ حدث بعده . وإن قلت : أدخلهم
 بالقهر وضبطهم بالقتل وأكرههم بالسيف ، فما بال القليل من المسلمين الذين قهرهم
 الكثير من المشركين ، ما بالهم آمنوا وصدقوا ، وصبروا وصابروا ، وجدوا وجاهدوا ، كيف
 لم تنكسر عزائمهم ، وتهن بصائرهم ، ويرجعوا إلى دينهم ، ويهربوا عن توحيدهم ! كلا !
 لو كان الأمر على ما تقول ، لأرفض القوم عن الرسول ، ولكان صلى الله عليه وسلم أوّل
 مقتولٍ أو مخذول . فأحسن النظر فيما تذهب الأهواء برأيك إليه من آيات النبي صلى الله عليه
 وسلم . وإن جمحت الدعوى بكم ، فقاتل : فدالت به الأهواء في الباطل ، فقال : إنه
 إلا يكن الأنبياء ذكرت النجوم في صحفها بينت الحكماء منها ذكراً في كتبها ، فجعلت
 المنقضى من الكواكب بين الأعوام ، دليلاً على أمر يحدث تلك الأيام ، ولا ما هذا
 الاختلاق يلط به الجاهل للفساق . ما ان وضعت الحكماء ذلك في الكتب ، إلا لىالى
 ملئت السماء من الشهب . والله لو ادعيتم غير ذلك فكان حقاً ، وكانت القالة منكم صدقا ،
 لما كانت الدعوى بناقضية لآية النجوم حجة ، ولا مدخلة على أحد فيها شبهة ، لأن رميا
 يقع قرط السنين من الكواكب ، لا يُبطل رجماً قد ملأ السماء من كل جانب . ثم لو لم تكن
 النجوم آية دامغة ، وحجة بالغة ، ودلالة قاهرة ، وعلامة باهرة ، وأمارة ظاهرة ، وشهادة
 قاطعة ، وبينة عادلة ، وداعية قائمة ، تُبطل أظانين المشركين ، وتردع أقاويل المناققين ،
 لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعظم أمرها ، ولا ليكرر في آى القرآن ذكرها ، رهبة

(١) كذا في الأصل . (٢) في هذا الموضع اضطراب . (٣) في الأصل "دافعة ..."

لمناهضة أحياء العرب ، ومعرفةً بمجادلة إخوان الكتب ، الذين لو وجدوا فيما كتبَ به اليك أمير المؤمنين من أمر النجوم وأحتج [به] عليك من ذكر الرجوم ، موقعا لظن أو معامبا بطعن أو مغمزا لقول ، لناصبوه اذا بالمجادلة ، وكاشفوه بالمنازعة ، وجاهره بالقول الذي لا يستطيع له ردًا ، ولا يطيق له سجداً ، ولكنها آية ملأت الأقطار كثرةً ، وحسرت الأبصار قوة ، قد وجلت العقول ، ووهَّهت القلوب ، وملأت النفوس جزعا ووجعا ، وفزعاً شغلهم عن الأولاد ، وأذهلهم عن البلاد ، حتى بلغ أمير المؤمنين وتقرر عند فقهاء المسلمين أن الله عز وجل ، لما ملأ السماء حرساً ، وأحدث لها رصداً ، وخلق فيها شهباً ، ذكرت العقلاء من العرب ، وقعات الله عز وجل في الكتب ، يقوم نوح وعاد وشمود ، وأشبايهم من مؤلفي تلك الجنود ، الذين كانوا أشدَّ بطشاً ، وأكثر جمعاً ، فانفجرت أيديهم عن كرائم أموالهم ، وأرسلت أنفسهم متآثرين عقدهم . وإن أهل الطائف لما فعلوا ذلك بأموالهم ، وأجمعوا فيه الخروج الى قرائهم ، قام فيهم رجلٌ منهم ذوسين وعقل فقال :

يامعشر العرب ، لانتهلِكُوا أنفسكم قبل أن تهلكُوا ، ولا تخرجوا من أموالكم قبل أن تخرجوا ، تفقدوا مواقع نجوم السماء ، وكواكب بدور الدجى ، فإن كانت النجوم التي حدث الرمي بها والنجوم التي أخليت الأموال لها ، هي لبروج الشمس والقمر ومسالك الحيوان والشجر ، فهي جوائح الاستئصال ، المتلفعة الأنفيس والأموال ؛ وإن كانت النجوم التي حدث القذف بها ، إنما هي نجوم خلقت اليوم ، فليست المعرفة بواقعة على مبتدأها ، ولا الأبصار بلا حقة منهاها ، فامسكوا العقد عليكم والأموال ، فإنه أمر يحدث في إحدى هذه الليال .

فإن قلت : وكيف وقعت الأمور في هذا الرجل كالعيان ، وصارت المقالة منه كوعي الآذان ، أنباك أمير المؤمنين أن أوعية الفقه من المسلمين ، الذين حملوا الينا سنن الدين ، هم

(١) كذا في الأصل . (٢) العقد : جمع عقدة وهي الضيقة أو العقار الذي اقتناه صاحبه .

أدوا ذلك الينا، وأبقوه نغراً...^(١) علينا، فما إن ينفك منهم مفتخر يقول: أبونا الذي حبس على العرب الأموال والعقد، فما إن يدفع القول في ذلك منا أحد. هيات ما كانت العرب لتقر عند الفخار، إلا بطول هو أئين فيها من ضوء النهار. فافهم ما كتب به أمير المؤمنين في هذا اليك، ولا يكن التعلل فيها بالشبهات أوثق ما لديك، فإنه قل حجة إلا وإلى جنبها شبهة تخيل للعقول، وتعرض للقلوب، وتجلجل في الصدور؛ فلا يثبت مع تخيلها، ولا يُقيم لتعرضها بئر إلا من وزن الحق والباطل بيزان عادل، لا يميل الى تفسيره، ولا يخطئ في تفصير. وقد جعل الله عز وجل العقول موازين للأمر، فزونا ما سمعتم من حجج كلام الرب عز وجل بما تتفون به الشبهة عن الحق، ولا تميلوا للسان، فتخسروا الميزان. وسيعلل أمير المؤمنين إن شاء الله بما جاء عن ذكر ما كتب به اليكم من أمر النجوم والرجوم والشهب في القرآن والرواية والكتب؛ فالظفوا النظر في صحة معانيه، ونحو الهوى عن شبهة ما وقعت فيه: قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ وقال: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاطِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ وقال: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا زِينَةَ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾. وإن شطب عن الحق شاطب، أو ذهب الى الباطل ذاهب، لا يعرف مذاهب كلام العرب، ولا وجوه معاني الكتب، ولا تفسير آي القرآن، فقال: إنما جعلت الكواكب والمصابيح حفظاً من الله عز وجل للسماء، ورجوما للشياطين من قبل أن يبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالدين.

فإن في آيات القرآن ما فيه بيان مما يبطل دعواه التي لا بينة عليها، وبكذب مقالته التي لا شهود لها؛ فقالت الجن - بفعل الله تبارك وتعالى قولها وحياً - وبه منها صدقاً: ﴿وَأَنَا لِمَسْمَا السَّمَاءِ فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً﴾. ألا ترون أنها كانت الجن لمست السماء فلم تجدها مائت حرساً شديداً وشهباً، وقعدت الشياطين منها مقاعد للسمع

(١) بياض بالأصل بمقدار كلمة . (٢) في الأصل « عن شبهة إنما الخ » .

فلم تجد شهباً ولا رصداً، أو لا يسمعون إلى ما يحقق ذلك ويسدده ويصدقه ويشهد له من قول الله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ مع قول الجن أيام حُرست السماء ورُميت الشياطين: ﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ يَمُنُّ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾. فاذا أعملتم في ذلك فكركم، وقلبتهم فيه نظركم، فكنتم على برهان يقين، ونور مستبين، من استطاعة الجن للاستماع، وقدرة الشياطين على الاستراق، وإمكان السماء للعود في تلك الحال الأولى، ففكروا في الحال الأخرى حيث حرست الآيات أن تعارض باطلاً بحق، ومنعت الشياطين أن تنزل بصدق، وأمتنعت السماء أن يصعد إليها شيطان؛ فقال الله عز وجل: ﴿ وَمَا تَنَزَّلُ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَظِيلُونَ إِيَّاهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَّعُوا نُورًا ﴾ . قَالَتِ الْجِنُّ : ﴿ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا ﴾ إن في قولهم الآن لأعظم نور وبيان . وأين من ذلك لكم وأصح لمن عقل إن شاء الله منكم ، إخبار الله عز وجل حين جعلت الكواكب حفظاً من كل شيطان مارد، أنهم ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ مع إخباره في الحال الأولى أنهم يسمعون ويقعدون ويتلون ويستطيعون ويتلون على ملك سليمان، فكان لهذا من الحافظين، وفيه من المفكرين .

ومن آيات النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما نفرت القبائل من أعلام الشرك بجوعها، وتداعت القادة من صنديد الكفر باتباعها حذراً على غير لها أقبلت من الشام بصنوف رغائب أموال عظام، فكانت العير والنفير طائفتين : طائفة ذات عُدّة كثيرة وشوكة شديدة، وطائفة ذات أموال رغبية ورجال قليلة وفرصة ممكنة، أخرج الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ووعده ومن معه من المساهمين إحداهما، فكره المؤمنون جموع المشركين، وأراد الله عز وجل أن يقطع دابر الكافرين، ويشيد بذلك أركان الدين، فلما تراءت الفئتان، وتناوشت الفرسان، وتلاقى الناس، وقبل ذلك ما قال الله عز وجل :

(١) كذا وردت هذه الجملة في الأصل وهي غير واضحة .

﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّقُ الدُّبْرَ ﴾ قبض النبي صلى الله عليه وسلم قبضةً [من تراب] حثَّاهَا في وجوههم ، فلم يتناه دون مناخرهم وعيونهم ، فانصرفوا منهزمين بلا كثير قتال من المسلمين . يا أهل الكتاب ، فأيتما آية أعظم حجة وأوضح بيّنة وأقهر غلبةً من هذه التي لو صدرت الأمور بلا تحقيق لها ، لانقضت الجموع من المسلمين كفارا بها . أبطارة الله المسلمين بإمداد الملائكة المقترين ، وهزيمة نفير المشركين ، التي نجمت الأمور عليها ، وتاهت الحال بهم اليها . أم قبضةً من تراب يسير ، ما ملأ المناخر من عدد كثير .

فلئن قلتم : إن هذه آيات بيّنات ، وعلامات واضحات ، ولكنا [لا] نقدر لكم بها ولا تؤمن بقولكم فيها .

أفتؤمنون أن محمدا صلى الله عليه وسلم مع ما نسبتموه من الفضل اليه ، كان يخلقها كذبا من تلقاء نفسه ، ثم يدعيها حيا من عند ربه ، وهو لا يدري لعل الأمور [تقع] بخلاف ما يقول ، فيظهر كذبه ، ويرفض تبعه . وإن تزعم أن أصحابه كانوا كثيرا أقوياء ، نساطا جلداء ، فكان على معرفة بقوتهم ويقين من غلبتهم ، فقد قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ فَرِيقًا من الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ . ولم يكن الرسول ولا غيره ليُخبر أصحابه من أمورهم بما يجهلون من أنفسهم ، ثم يدعي ذلك تنزيلا من ربه . هذا لا تقبله الآراء ، ولا تقر به الحكماء ، ولا يحده النظر .

أم تقولون : إنما أراد محمد صلى الله عليه وسلم بشارته لهم وإخباره ما أخبرهم من هزيمة الله عدوهم ، أن يشجع جبنهم ويقوى ضعفهم ، فكيف إذا لم يبق لما كان يرى من كثرة المشركين وقوتهم ، وضعف المسلمين وقتهم ، بظهور الأنبياء على خلاف قوله ، وأن محال الخبر على غير ظنه ، فيقع ظفر يكذب نبوته ، ويقطع حجته ، ويكون له ما بعده ! وكيف إذا لم ينسب الأمر الى نفسه ويحمي الخبر عن ربه ، ليكون الخطر أصغر والشأن أيسر ، إن جرت الأقدار بما يحذر ، أو وقعت الأمور على ما يكره . ولكنه أثبتته في كتاب

(١) في الأصل « ويزعم أن أصحابه ... » والكلام عليه غير واضح . (٢) هكذا في الأصل .

مسطور، ورق منشور . فعَلَّ لعمر الله يدل على النبوة التي كان بها وانقفا، ويهدي الى الوحي الذي كان اليه ساكنا .

وإن عَرَضَ لنظرك، أو وقع في خلدك، أن الله عز وجل عود محمدا صلى الله عليه وسلم الغلبة وأجراه على المنعة، فكان يجري على عادة قد عَرَفَهَا، ويسلك عادة قد خَبَرَهَا، فلقد كانت الهزيمة في أول وقعة أوقعها الله، ثم لقد دالت الحرب فيما بعد سجالاً فيما بينه وبينهم : تارة عليه لهم، وأخرى له عليهم . فناصحوا الله عز وجل في نظركم، وقلبوا فيما يقول أمير المؤمنين فكرم . فاعمر الله ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لمملوك المشركين : إن الله هزَمَكُم بِرَمِيَةٍ مِنْ تَرَابٍ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ عِنْدَهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ . فأحضر كتابي هذا فهَمَكُم، وأصبر له وإن خَصَمَكُم، فإن هذه آية عظيمة، وحجة بليغة، وبينة عجيبية، في غلبة العرب . وأعجب من هذه والطف، وأكثر منها وأعظم، الآية في غلبة العجم . وأستمع : أمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يقول للمؤمنين - وكانوا كما قال الله عز وجل قليلا مستضعفين - : إن قبائل العرب ستحزب عليكم، وإن الله سيهزمهم لكم، وحيأ أنزله في الكتاب، فقال : ﴿ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴾ ؛ فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما نزل هذا القول عليه بدهور طويلة وستين كثيرة، محبوسين محصورين في حومة الموت وعسكر الخوف وخندق القهر وذل الحصر، سوادهم الأعم وجلهم الأعظم حفاة عرأة عالة، إخوان دير، وأصحاب وبر، لا قوة بهم، ولا منعة لهم، ولا أسلحة عندهم، ولا عدة معهم، قد أحذقت العرب بعسكرهم وأحاطت القبائل بخندقهم، وسالت الأحزاب تصديقا لحتم الله عليهم، تريد أن تزلزل أقدامهم وتُهريق دماءهم؛ فكان المؤمنون كما وصف الله عز وجل من سوء الحال، وضيق المال، وشدة الكفَاط، فإن الله قد وصف لهم حالهم، وأذكرهم فعلهم؛ ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليصف لهم عن الله ما يجهلون، ولا ليزكرهم من أمره ما لا يعرفون؛ حذرا أن تتكسر

(١) في الأصل : "فيها بعد ...". (٢) الكفَاط : التعب والشدة .

عزائمهم وتغير بصائرهم ، فتنهزم أفئدتهم وتموت نجدتهم ، وتختلف كلمتهم ؛ فقال الله عز وجل : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ قَوْفِكُمْ مِنْ أَسْفَلِ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا . هُنَا لِكَ آتَى الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ حتى قالت طائفة منهم لأهل المدينة : ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾ وقالت طائفة أخرى : يا رسول الله ، إن بيوتنا عورة ، فأذن لنا . يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا هِيَ بِعُورَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ . فيبناهم على تلك الحال قد أجمعت العرب بتفريقهم في الجبال ، وتقسيمهم بالقداح ، وأخذهم بالأيدي ، إذ قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما ينبئهم به من علم الغيوب ، ويشهرهم به من أمر الفتوح : " إن الله سينصركم على جمع الروم ويغلب لكم جنود فارس فيهمزكم لهم جنودهم ويورثكم قصورهم ويستخلفكم في الأرض من بعدهم ويبدلكم من بعد خوفكم أمناً " . وعدا صدقه الكتاب ، وإشارة نطق بها الوحي ، فقال : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ . فقال أقوام وأناس آرتابوا حين تضايقت الحال ، وتزلزلت الأقدام ، وطارت القلوب ، ودارت العيون ، وأشرف الموت : مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا أَعِدْنَا هَزِيمَةً جُمُوعِ الْأَحْزَابِ ، وَفَتَحَ قُصُورِ الشَّامِ ، وَغَلَبَةَ جُنُودِ كَسْرَى ، وَقَدْ سَأَلَتِ الْقَبَائِلُ عَلَيْنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَأَحْدَقَ الْمَوْتُ بِنَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَبَقِينَا فِي مَسْغَبَةٍ مِنْ الْجُوعِ ، وَبِجَهْدَةٍ مِنَ الْخَوْفِ ، وَضَنْكٍ مِنَ الْحَالِ ، مَقْهُورِينَ مَقْمُوعِينَ . وقالت الخاصة من المؤمنين حين عاينوا الجموع من المشركين ، وذكروا ما خبرهم الله من تحزبهم عليهم ومسيرهم اليهم : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ . فبينما أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مضايق تلك الحال ، وشدة ذلك الخصال ، وعموم تلك البلايا الباهظة ، والأمور الفادحة ، التي قد أخذ بأنفاسهم عمها ، وبلغ

مجهودهم كرمها ، رافعين الى الله عز وجل أيديهم ، يقبلون في السماء أعينهم ، إذ أرسل الله على تلك الجنود الكثيفة والجموع العظيمة والأحزاب المقتدرة ، ريحاً من الأرض وجنوداً من السماء ، فقطعت الأبنية ، وطيرت الأمتعة ، وسفت التراب في العيون ، وقذفت الرعب في القلوب ، فولوا مُدبرين ، وخرجوا منهزمين ، لا يلوي والد على ولد ، ولا مولود على أحد . أمر صدق الله فيه قوله ، وأنجز به وعده ، وهزم الأحزاب وحده ، وذكر المؤمنين نعمته فيهم ، وعرفهم منته بهم ، فقال : ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴾ . وقال عز وجل : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ ما كان الله عز وجل ليقصص على المساميين في أنفسهم ، إلا ما قد رأوه بأعينهم .

لولا أن هذا ما لا ينكره عقلك ولا يدفعه نظرك ، لما جادتك بالكاب ، ولا نازعتك بالترجيل . وإني لأترك من آيات النبي صلى الله عليه وسلم وعلامات الوحي ، ما هو أعظم من هذا وأبين وأجل وأوضح . ولكن ليس لي أن أحاجك من آيات القرآن ، إلا بما عليه شاهد من برهان ، ومخبر من بيان ؛ لا يستطيع عقلك رداً له ولا قلبك سجداً له . وكيف ينسبط لسانك أو يجترئ قلبك أن يقول : إن محمداً صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه بالكذب وهم يعلمون ، فاقصص عليهم من أمورهم ما لا يعرفون ! لا ! ما يسوع لك ولا يجمل بك ، ولا يقبل منك أن محمداً صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقاء نفسه ؛ كيف ! أما كان يخاف أن يكذبه أصحابه ، وتنتقل أحواله ، وتنقص أموره ! لعمر الله لو وصفت بهذا من لا يعرف بفضل ولا ينسب الى عقل ، لما كان سائفاً لك ولا جائزاً منك ، فكيف تصف به من يرفع عن الناس قدره ، ويفضل عليهم عقله ! وتقر أنك لم ترفي الدنيا أحداً صنع [ما صنع] وبلغ ما بلغ ! فأيتنا آية فيما اقتص عليك أمير المؤمنين أعظم أو بينة أعجب : أما كان يتلى على المؤمنين في الكاب من اجتماع قبائل الأحزاب بجنود عظيمة قبل اجتماعهم بسنين

كثيرة ، أم ما كان يُنادى به القرآن من الهزيمة لهم وينطق به الوحي من الفتح عليهم ، أم قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ” إن الله عز وجل يؤمن خوفكم ويُعز نصركم على الأمم “ وهو على تلك الحال ثم نجت الأمور على ما قال ، أم عسكران مطابقان وجيشان متقابلان ، باتت الرياح تحوس أحدهما حتى انهزموا ، وبات الآخرون منها في عافية وغفلة حتى أصبحوا ؟ فأحسن النظر في أمرك ، والتثبت في دينك إن شاء الله .

وأعلم أن من أعظم الآيات وأبين الدلالات ، على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحقه ، وأن ليس يتقول شيئا من تلقاء نفسه ، أنه قال في عتفوان أمره : ” إن الله عز وجل سَيُظْهِرُ دِينِي عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ “ وجاء مع ذلك بأثره عن ربه ، في كتاب مخطوط وتزليل محفوظ . فأى أمرية لك أدل ، أو أيهما عندك أعجب ، إذ كنت بذنوبه مصدقا ، ولرسالته محققا : الخبر الذي أخبره ، أم الفعل الذي صدقه ؟ لئن نظرت بعقلك وقلت في نفسك : كيف ترقّت الى هذا نيته وأرتفعت نحوه همته ، أم كيف امتدت إليه طمته وقويت عليه رويته ؟ بل كيف دعت إليه نفسه ، وشجعه عليه قلبه ، ودخل فيه طمعه ، وطاوعة فيه لسانه ، وهو يذكر جنود كسرى ، وجموع الروم ، وملوك الترك ، وملوك الشرك ، وقبول اليمن ، وصناديد الأمم ؟ إن هذا لعجب ، ولا سيما إذا لم يكن في إرث ملك قاهر ، ولا كيف عزّ غالب ، ولا معيد علم سالف .

ولئن أعدت النظر وكررت ، فقلت : كيف وافق خبره أثره ، وكيف صدق فعله قوله ، حتى غلب الشرق والغرب ! إن هذا لعجب ! وأعجب من هذا أمر يدلك أمير المؤمنين عليه ، ويهديك إن شاء الله إليه : لو قلت لأهل مملكتك ومن قبلك من أمتك : هل بلغكم أو تقزّر قبلكم ، أنه كان في الدهر الأول ، والعصر الخالي ، أحد مثل محمد - صلى الله عليه وسلم - بدأت الأمور به مثل حاله من الوحدة والضعف والذلة والقلة ، وصدرت الحُلُ به كفعاله في الغلبة والمنعة ، والقهر والظهور ، وغير ذلك ؟ فقالوا لا .

(١) في الأصل : « أما كان ... » . (٢) تحوس أحدهما : تغشاه وتبيته . وفي الأصل « تحوش .. » بالشين المعجمة وهو تحريف . (٣) في الأصل : « فأى أمر بذلك ... » .

ثم أنت لا تؤمن بمقامته، ولا تُقرّ برسالته، إلفاً لدينك، وضناً بملكك، وطمعاً في قليل من الدنيا قد نَعَاه الله اليك، ورغبةً في صُبابَةِ عَيْشٍ غيرِ باقيةٍ في يديك، فهذا عَجَبٌ .
وأعجبٌ من هذا أمرٌ يَقْفُكُ أميرُ المؤمنين على نورِ حقِّه، ويوضح لك إن شاء الله بيانَ أمره : أصبحت العربُ طُراً والأُممُ جميعاً في مجدِ صلي الله عليه وسلم ثلاثةً لا رابعَ لهم ولا مخرَجَ للحق من بينهم : رجلٌ مصدِّقٌ به من المؤمنين، ورجلٌ مكذِّبٌ به من الكافرين، ورجلٌ شاكٌّ فيه من المنافقين .

فأما الشاكُّ فلما قيل له : أخرجتَ نفسَك من الحق، وأبرأتها من الصواب، وأقررتَ عليها بالخطأ، تقولك : لا بد أن يكون الحق في التصديق أو التكذيب، ولست على واحدٍ منهما، اعترل عنها .

وأما المكذِّب فلما قيل له : أنت مُنكِرُ والمنكِر ليس بمدَّعٍ، ومن لم يدَّع لم يلزمه بينةٌ ولا يسأل عن حجة، اتبع صاحبه . وأيمُ الله على ذلك، لو سُئِلَ هذا المدَّعي عن بيّنته وكشِفَ حُجَّتُه، فقيل له : من أين عَرَفَ قلبك، وأيقنتَ نفسك إيقاناً لا يخالجه شكٌّ، ومعرفةٌ لا يشوبها ريبٌ ولا ينازعها شُبُهَةٌ، أن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس برسول، لمَّا دَرَى ما يقول؛ لأنه لا يستطيع أن يتقول على الرسل، ولا أن يتكذَّب على الكتب، فيقول : قد أخبر الله فيها أنه لا يبعث نبياً، ولا يُنزِلُ وحياً في كتابٍ مسطورٍ، بعد التوراة والإنجيل والزبور . بل قد يجد أهلُ الكتاب في أقوالِ رسلهم وأخبارِ كتبهم، أن الله تبارك وتعالى يُنزِلُ كتاباً جديداً أو كلاماً حديثاً، بعد خراب بيت المقدس في آخر الزمان، ولم يُنزَلْ بعد ذلك كتاباً إلا القرآن .

وأما الرجل المصدِّق بمحمد صلى الله عليه وسلم فقيل له : أما أنت فقد أدَّعيتَ، والمدَّعي يُسأل عن الحجة ويُقبل منه البيّنة، فما بيّنتك ومن يشهد لك؟ فقال : ألم تقولوا : إن الحق لا يخرج من بيننا، ولا بد أن يكون مع بعضنا؟ قالوا بلى! قال : فأية بيّنة أحق وأعدل، وأي شهودٍ أزكى وأفضل من شهادتكم بسقوط صاحبي وثبوت

الحق من بعدهما في يدي؟ قالوا : إن الأمرَ لكما تقول، ولكنَّ البيِّنَةَ أشفَى للصدور، فأقام بيِّنَةً من الكتاب، وشهوداً من الوحي، وآياتٍ سوى ذلك عظاماً، وبيِّناتٍ عوامَّ، من كلامٍ لا يقدر عليه الخلق، وصدقٍ لا يكون إلا من قبَل الرب، شبيهاً بما أورده أمير المؤمنين عليكم، وكتبَ به في صدر كتابه هذا اليكم، مما قد تشهدُ له قلوبُ الأمم، ويزكِّيه فعَالُ العرب .

فلما أقام بيِّنَتَه، وثبتَّ حجَّتَه، ووجَّهَ حقُّه، وقضىَ به له، قيل له : وكيف توسعت الأمور عليك، وضاعت المقالة لك، أن تقول : إن الله لا يبعث نبياً بعد محمد — صلى الله عليه وسلم — ولا وحياً ينزل غير القرآن، فأبطلت الكتب المحدثه، وأكذبت الوثيقة، ولم تترك وحياً غير القرآن، ولم يجز للنصارى أن تقول : لا نبيَّ بعد عيسى عليه السلام، ولا كتاب خلف الإنجيل؛ وعن ذلك من أخبار الكتب ما قلنا كل متنبئ^(١) بعد نبينا كذاب، فشاعت وجازت الحجَّة، ووضح العذر . وأما النصارى فيجدون في أواخر كتبهم، وأقاويل رسلهم، أن الله عز وجل، يبعث نبياً حديثاً، وينزل كتاباً جديداً، فليس لهم أن يكذبوا نبينا — صلى الله عليه وسلم — ولا أن يردوا كتابنا .

فهؤلاء الثلاثة . أما الشاك فسقط، وأما المنكر فبطل، وأما المصدق فثبت ثبوتاً ليس فيه مدخل شبهة، ولا موضع لجة، ولا معلق لمنازعة . وذلك أن المنكر لوجوب حقه، والشاك في ثبوت صدقه، لا يجد بداً من أن يُنحى الصدق عن الخلق، ويحل الدنيا من الحق، وهذا قول المكذبين بربهم، الشاكين في بعثهم، فأحسن النظر في معانيه ينكشف لك عما فيه، إن شاء الله .

ومن أبين آياته وأدلِّ علاماته — صلى الله عليه وسلم — ووسع له فيما صدر إليه : أنه لما أخبرت النصارى واليهود أنهم لم يجدوا محمداً — صلى الله عليه وسلم — في التوراة والإنجيل موصوفاً مكتوباً، تجعَّت العلماء منهم، وتدارست الكتب فيما بينهم، فلما نظروا

(١) في هذه الجملة غموض لم نوفق الى كشف سببه وان كان المراد منها واضحا .

الى اسمه وعائنه بنعته ، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ويستفتحون بذكره على من سواهم ، [كفرت] طائفة حسدا من عند انفسها ، وسجدا من بعد ما تبين لها ، وامنت طائفة ، تصديقا بكتابها ، وخوفا من ربها .

فلعمرو الله لو [لا] أن الذين آمنوا بحقه وصدقوا بأمره ، رأوا صفته عيانا ، وقبلوا نعتة إيقانا ، لما فارقوا أديانهم ، ولا جادلوا إخوانهم ، حتى وقفهم على اسمه ونسبه ، وصفته وعلامته ، وهم علماء بني إسرائيل ، وحملة الإنجيل : من أهل الكتاب الذين احتج الله عز وجل بهم على العرب ، فقال عز وجل : ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ . ولعمرو الله إنها آية عظيمة ، وحجة بليغة ، ذكرها الله في كتابه ، وجعلها على العرب من بيناته ، فقال لهم : ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ . يقولون : وعدنا أن يرسل رسولا ، فقد أرسله ، وحقق قوله ، وصدق وعده . واحتج النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وذكره . ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليُجادل ويحتج في أمرهم بكذب وباطل ، ولم يكن ليقول للنصارى واليهود ، فيما ذكر الله من صدق الموعود : إنه في التوراة والإنجيل مكتوب موجود ، إلا وهو من ذلك على حق يقين ، ونور مستبين . وكيف كان يستشهد من التوراة والإنجيل بكذب ، ويتقول عليهم الباطل ، مع حرصه على تصديق أهل الكتاب ليستدعى به إيمان أحياء العرب . أما كان يعلم أنه إذا قال لهم : إنه موجود في مثاني كتبهم ، وسُمي على أفواه رسلهم ، فلم يجدوا خبره يقينا ، ولا وصفه مستبيناً ، أنهم سيُدبرون عنه إجابا ، تزداد به العرب نفارا ، إلا أن يقولوا خطأ من علمه ، وهواء من خبره ، فكيف لم يخط إدا في كتبهم حرفا غيره ، ولم يخالف منها شيئا سواه ، سبحان الله ! لقد أكثر المؤمنون العجب من ذهاب الأساقفة بكم ، فاتم إن تنكر ما يقولون لكم ، مما ليس لدى لب أن يأذن له أن يؤمن به ، ولا أن ينهد اليه

(١) سمعه ، يقولون : إن أنبياء الله ورسله ، المبعوثين بالرحمة الى خلقه ، لطفت النبوة منهم ، ووقعت الأخبار المتزلة عليهم ، على صغائر الأمور ، وغوامض الخطوب ، فسار الناس عليها ، وأشاروا لهم الى طلبها ، فهي مكررة في مثنى كتبهم ، وبطون صحفهم ، وأقويل رسلهم ، وتركوا من كلام الله النبا العظيم ، والأمر الكبير ، والذكر الحكيم ، الذي ملك آفاق الأرضين ، وأستفاض على جميع العالمين ، لم يذكروه بخير يأترون به ، ولا بشرى يتنون عنه ؛ كلا ! ما ترك الله على هذا خلقه ، ولا بهذا وصّف تبارك وتعالى نفسه ؛ إنه لأرحم الراحمين ، وأحكم الحاكمين .

ولئن رجعت الى قلبك ، لتقولن في نفسك : لعمر الله لو كان هذا الأمر الذي طلع طلوع الشمس ، وأمتد أمتداد النهار فبلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وسهول الآفاق وحزوتها ، حقاً وصدقاً وعدلاً ، لبشرت الكتب به ، وتنبأت الرسل عليه ، ودعت النذر اليه ، تريننا له وترغيباً فيه ، وأمرأ به . ولو كان ضلالةً وجهالةً وعمايةً ، لتقدموا في التحذير منه ، والترهيد فيه ، والتثبيط عنه ؛ فيدعو ذلك الى أن تنظروا الى كتب الأنبياء وأقويل الرسل . فأيُّ الله لئن طلبت لتجدن ، ولئن آجتهدت لتوفقن . وما الصواب بممنوع ، ولا الخير بمحذور . ولقد كانت العلماء بالكتب والبصراء بالتأويل تجده ، ولكنها كانت تكتمه بتحريف كلام الكتب عن مواضعه ، وصرف تأويل الحكم الى أشباهه ، حسداً من عند أنفسهم وبعياً بعد ما تبين لهم . ثم لقد آقتديتم بهمم وجرّيتم معهم وأخذتم عنهم ، بلا حجة لكم ، ولا قوة معكم إلا الاقتداء بالآباء والأتباع للآثار . فاتق الله في نفسك ، وآتهم الرجال على دينك ، ولا تجعل النظر الى غيرك من ذوى الشك في القلوب ، والفسخ في ... والآتهم في التعطيل ، الذين لعلهم يعرض لآرائهم ويقع في أوهامهم أن يقولوا : ففعل ما يتلوه عليكم أمير المؤمنين من آيات القرآن ، ويقرع لكم من حجج الوحي شئاً زيد

(١) هكذا في الأصل . (٢) في الأصل «أن ينظروا...» بياء الغيبة . (٣) كذا في الأصل .

وظاهر أن كلمة بعد «في» سقطت من النسخ مبها .

في المصاحف بعد النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا ما لا يحتمله عقل صحيح ولا نظر قوى ،
وذلك الشاك في شهادات الرجال ، متفقه من بلدان وأمصار مختلفة ، وشعوب وقبائل متفرقة ،
ليس يدعوهم الى ما شهدوا ديناً ، ولا يجملهم على ما آتفقوا عليه دنياً ، لا يستقيم له أن يؤمن^(١)
بما لم تدركه جوارحه وتُحيط به حواسه ؛ لإسقاطه حجة الإجماع وإبطاله شهادة العوام .
وآتفاق المختلفين دلالة واضحة . فهو سائلكم عن الحجّة في الإنجيل والبيّنة على التوراة ، شكّاً
في الرب وتكذيباً بالرسول ، فما كنت قائله له أو يجيبه به في كتابكم ، فأجبه بمثله في كتابنا وإن
كانت الأحوال منها غير معتدلة ولا مؤتلفة ولا مرتفقة ولا واحدة ، تعتدل حالاهما ،
ويتفق أمرهما ، من كتابكم ما لم تنزل به الملائكة وحيا كالقرآن ، ولم يشافهه المسيح به
أصحابه باللسان ، إنما كان فعلاً أثبت من بعده ، ولم يكن الفعال موضوعاً بعده . وليس^(٢)
يكتب أمير المؤمنين بهذا اليكم شكّاً فيه ، ولا يورده عليكم مربية به .

ولقد علم أمير المؤمنين أن كُتِبَ الله عز وجل محفوظة ، وأن حُججه مخزونة ، لا يُزاد
فيها على تقادم عهد ، ولا يُنقص منها على تقارب دهر ، وأن ذلك ثبت في الإنجيل من
بعد عيسى عليه السلام ، وأنه قال لمن اجتمع اليه من الحواريين : " بالوحى أكلّمكم ،
والأمثال أضرب لكم " . فأمثاله المضروبة كلام ، وكلامه الرائع وحى . ولكن ما بال الشك
يُنْفَى عن كتابكم ، بحجة الاجتماع عليه عندهم ، وهو على ما وصّف أمير المؤمنين لكم ،
وسيان في تنزيل كتابنا ، وقد أدرك شهادة دينه ، إما ما قرباً من عهده ومعانسة وحيه^(٢)
وآجتاع على حفظه ، هذا حكم مختلف .

فقل للذين يشكون فيه ويرتابون به : أوقعوا أوهامكم على حالات الأوقات التي^(٣)
تعرفون وعضوها بطبقات الرجال الذين يتهمون .

فإن قالوا : أما طبقات الرجال التابعين ، وحالات زمان أمير المؤمنين ، فذلك
ما لا يسوغ الأفاويل فيه ، ولا تدخلُ الشبهة عليه ، لأنّ انتشار القرآن وامتداد الزمان ،

(١) في الأصل : « لا يستقيم له أن يؤمن له بما ... » . بزيادة " له " . وهي قلقة في موضعها فلمها
زيدت من التامخ . (٢) في هذا الموضع اضطراب في الكلمات ، والمراد واضح . (٣) كذا في الأصل .

وكثرة الحَمَلَة لآياته فيهم ، والحَفَظَة للسانهم ؛ ولكن الدين الذى نزل به القرآن ، وقبض النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم . وكيف بوقوع تهمة أو دخول شبهة ، على أقوام [لبث] النبي صلى الله عليه وسلم عشرين حِجَّةً فيهم يتلو كتابَ الله عز وجل فى كل عام عليهم ، حتى حَمَلوه فى صدورهم ، وحَفِظوه فى قلوبهم ، وكُرِّرَ فى آذانهم مسموعاً ، وأمرَ على أبصارهم مكتوباً ، وجرى على ألسنتهم متلوّاً ، وجمعه كثيرٌ منهم محفوظاً ؛ ثم توارثوه فيهم وتداولوه فيما بينهم ، حتى أدوه البنا ، وأوفوا به عندنا ، من مواضع متفاوتة ، وأصناف وأجناس متباينة ، على كلمة واحدة ! .

فإن قالوا : اتفقت الرجال على الزيادة فيه وأمكنتم الحَال من الحمل عليه ، فليعاملوا أن المؤمنين المخاصين ليسوا فى الزيادة متهمين ، وأن المنافقين الملحدين ليسوا على ذلك بقادرين . وكيف يقدر القليل من المنافقين على مخالفة الجمع من المؤمنين ، بعد ما حَفِظَتْهُ قلوبهم ، ووعته أسماعهم ، ثم تكتّم القدرة لهم وتُستتر الزيادة منهم ! هذا ما لا يقدر عليه منافق ، ولا يطيقه مشرك ولا فاسق . وأيم الله أن لو قدرت اليهود على الزيادة فى الإنجيل ، لأفسدوا كتابكم وغيروا دينكم ؛ ولو جعل الله المنافقين على الزيادة فى كتابه قادرين ، لبدلوا ديننا وغيروا حالنا . ولو كانوا لذلك مُقرّنين وعلى ذلك مقتدرين ، لكان الذى كتب به أمير المؤمنين اليكم ، وأورده من حجج الله عليكم ، أولى ما تلقون ، ورأس ما تقرّفون . فلا تُلقين الى ما قاله [المضل] سمعك ، ولا تُنصتِ الدهرَ اليه ذهنك ، فإنه آتخذ الشكّ فى كتابنا ذريعةً الى الإخلال بكتابك ، وسُماً الى الشكّ فى دينك وعلّةً فى الطعن على ملكك ؛ ولكن قل ياولى الشيطان : أتى وقع لك إيمان بأنك من ولد فلان ؟ أتقول : شهدت الحيرة ، واجتمعت العشيّة ، واتفق المختلفون ، فذهب الشك ، وزال الريب ، ووقع الإيقان ، من غير العيان ؟ صدقت . فما بال الشكّ فيما آجتمعت العائمة على القول به ، واتفقت الجماعة فى الشهادة عليه من آيات الكتب وبيّنات الرسل ! وإن ذهب بهذا عن أمره ، وباعده

(١) فى الأصل " فى دينه ... " . (٢) كذا بالأصل .

عن شبهه ، فتؤمن أنه من نطفة خُلق ، ومن رَحِمٍ نَحْرَج ، فإن جحدوا بي ألا يؤمن بما لا يرى ، فقل : أرايت لو كنت سميعاً أعمى ، أكنت تؤمن بشيء مما في الدنيا : من سماء أو هواء ، أو بحر أو سبع ، أو أرض أو جبل ، أو شبه ذلك مما لم يدركه العيان ولم يقبله إلا عن الناس ؟ فإن قال نعم ، فقل : فهل لك إلا بالاجتماع الكفر بالرب^(١) ، وما لدائه دواء غير الصلب . فاتق الله إذ كنت إماماً وقائداً لأهل ملكك ، لا تقدمهم إلى النار فتحمل أوزارهم مع وزرك .

فإن من آيين آيات الوحي ، وأدلّ علامات النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يتدع في الدين أمراً من تلقاء نفسه ، ولا يتقدم في الأمور بين يدي ربه . والله أظهر فيما أنزل من الكتاب أموراً كان يحسبها صلى الله عليه وسلم مستورة ، فقال تأديباً له ، وإخباراً لمن آمن من بعده : **(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ)** . وقال : **(عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِي أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَا مِنْ آسْتَفْتَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا الْيَزَكِي وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ)** . وقال تعالى : **(وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ لِأَيْمِهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَادَّ قُنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا)** . وقال له حين صرف قلبه عن بيت المقدس إلى البلد الحرام حين سكنت القلوب إليها ، وأنست النفوس بها : **(وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)** . وكانت القبلة التي صرفه الله إليها وأمره بها عظيمة على المنافقين واقعة بخلاف الكافرين ، كبيرة^(٢) إلا على الذين هدى الله من المؤمنين ؛ فإنهم قالوا : إذا اختلفت القبلتان وافتقرت الجهتان ، كانت الطاعة فيهما واحدة لا اختلاف فيها ولا افتراق عليها . وكيف تختلف الطاعة من رجل يخى بأمر الله عز وجل ثم هدم بوحي الله .

(١) كذا في الأصل . (٢) في الأصل : "لن آمن من بعده إذ يقول ... " وظاهر أن كلمة

" إذ يقول " غير مفيدة هنا . فلعلها زيدت مهوا من النسخ . (٣) في الأصل : " كثيرة ... "

فإن قلت : إن الله حَوَّلَهُ عن أفضل القبليتين وأقوم الجهتين ، فلا سواء في الفضل
الْبَيْنِ والخير السرّ : قبلة سَأَط الله عليها الكافرين ولم يَمْنَعها من الظالمين ، وقبلة مَنَعها بجنود
من عنده ، وعَصَمها بغير ما حَوَّل من خَلْقهِ ولا حَرَمَةٍ يَدْعِيها أَحَدٌ من فيها ، فأرسل طيراً
أبَابِيلَ تَرْمِي الأعداءَ بِحِجَارَةٍ من سِجِّيلٍ ، فجعلهم كعَصْفٍ مَأْكُولٍ . فإن تقل : هذا خبرٌ
نُكِرَهُ ، وقول لا نعرفه ، فبأى حديث بعد هذا تؤمن ، وتشهد لله عز وجل أنه من قِبَلِهِ ،
وأتم تعلمون أنه أنزل الله عز وجل سورة الفيل على قوم أدركه منهم بشر كثير .

فإن قلت : إن محمداً صلى الله عليه وسلم خَبَرَهُم بما عاينوه وأدركوا خلافه ، نقل :
إنه أراد أن يفرِّقهم عنه ويوحشهم منه ، وأحب أن يرموه بالكذب ، ويقذفوه بالحق ،
ويصمونه بالجنون ، ويظنون به الظنون ، كلا ! ما كان نبي ولا غير نبي ليُجاهد أوقاما بخلاف
ما رأت أبصارهم وشاهدت آباؤهم ، فيخبرهم بخلاف ما شهدوا ، وتكذب ما عاينوا . فلا
تكون في هذا من المتمرين ، ولا بأمر الفيل من المكذبين .

فلعمراً لو كان من أمر النبي صلى الله عليه وسلم ما تُجِد أنت وقومك إليه
لما قام معه رجلا ولا آخلف فيه سيفان . وإن فيما صنَع الله عز وجل بالفيل
وأتباعه ، دلالة على قبلة الله وأنيائه . فأتق الله ! فقد شرح أمير المؤمنين علامات النبي
صلى الله عليه وسلم وكشَف الأغطية لك عن النور بآيات الوحي . فإن مالت الأهواءُ
بك ، وغلبت الأساقفةُ عليك ، وحضرك الرؤساءُ الذين يجعلون مع الله آلهةً أُخرى بلا حجةٍ
عندهم ، ولا سلطانٍ أتاهاهم فقل : أنبؤني عما آجتمعت عليه النَّصْرانية وذهبت إليه بهم
المعاني من تشبيح الكلام وتصريف الكتب : أحروفتُ تتعسّفونها ، أم لغةٌ تعرفونها ؟
فإن قالوا : إنهم بغير لغةٍ يتكلمون ، فهم إذا قوم يلعبون . وإن قالوا : إنهم يتكلمون
بالغةٍ معروفةٍ ومعاني معلومةٍ ، فقل : أخبروني عن قولكم : أب وأبن ، أهما ما تعترف
العقول من المنطق ويقع في القلوب من المعنى أم لا ؟ فإن قالوا : لا ، ليس ذلك بالذي
(١) كذا بالأصل .

تذهب أوهام العباد إليه، ولا بالذى تقع الحقائق فى الآباء والأبناء عليه، إنما هو كقول الله عز وجل فى التوراة لإسرائيل: "بكرى" لا يعنى ولادة الرحم؛ وكقول المسيح عليه السلام للحواريين: "أتم إخوانى" لا يعنى أخوة النسب. فذلك قول لا يجدون معه بدءاً من أن ينسبوا عيسى عليه السلام عبداً. وإن قالوا: بل هو ما تجرى به ألسن العباد، ويقع فى قلوب الخلق من الولادة المعروفة والأبوة المعلومة، فليخبرونا متى كان الأب والدا، والآبَنُ مولودا: أقبيل الولادة أم بعدها؟ فإن قالوا: قبلها، رجعوا عن القول الأول بتثبيت الأبوة. إلا أن ذلك ليس بالشىء الذى تذهب إليه الأوهام، ولا بالمعنى الذى يقع فى قلوب الأنام.

ولا بد إذا سقطت الولادة المعروفة وبطلت الأبوة الموجودة، أن يقولوا: إن الأب والآبَنُ آسمان عُلِّقا على غير معنى، وتَسْبَانُ أضيفا إلى غير حق؛ فيفترون أن عيسى عليه السلام خُلِقَ مثلهم، وأنهم يتكلمون بغير لغة أحد منهم.

وإن قالوا: إنما كان الآبَنُ مولودا والأب والدا بعد الولادة، فقد أقرروا بأن الآبَنُ حَدَثٌ مخلوق وعبد مربوب، لقولهم إنه لم يكن حتى وُلِدَ، ولم يُولد حتى خُلِقَ. وقيل لمن يقول الزور العظيم، ويقذف بالإفك المبين: أليس الأبُ أباً على حياله ولم يزل، والآبَنُ أبنا يُحِلُّ، وروح القدس كذلك؟ فإن قالوا: نعم، فقد أقرروا بأنهم ثلاثة متباينة، وقعت عليهم ثلاثة أسماء متفاوتة، وتركوا قولهم: إنهم ثلاثة أصلهم واحد.

وإن قالوا: الأب والآبَنُ وروح القدس واحد، ولكن بعضه أبٌ وبعضه ابن وبعضه روح القدس، فقد دخلوا فى التحديد الذى هو عيب عندهم، وقالوا فى التبعض بما هو كفرٌ قبلهم. وإن قالوا: ليس مُبعضاً، ولا مجزأً، ولا محدوداً، ولا ثلاثة متباينين، فإذا هم قوم يلعبون: يقولون: الأبُ ابنٌ، والابنُ أبٌ، والوالد مولود، والمولود والد، والكبير صغير، والصغير كبير، والقليل كثير، والكثير قليل. وهذا من أبين المحال وأخلف المقال. وليس من المنطق ما لا يوجد فى لغة عرب ولا عجم، ولا لسان أمة من الأمم. وإنما

أرسل الله عز وجل كل نبي بلسان قومه ليبيّن لهم ، فيُضِلُّ الله الظالمين . ولولا ذلك لَمَا فَهَمَّت الأُممُ مذاهبَ أقاويلِ الرسل ولا معانيَ أحاديثِ الكتب . فلا تُطِيعُ الذين يَلْعَبُونَ بأنفسهم ، ويتكلمون بغير لغتهم ، ويقولون : الثلاثةُ واحدٌ ، والواحدُ ثلاثةٌ ؛ وهذا محالٌ في مجازي المقال ، ومعاني الفِعال .

لعمركم الله لئن آتَمَّتْ عَقُولُ الأَسَافَةِ على دِينِكَ ، وآهَتَمَّتْ بالنظرِ في توحيدِكَ ، لتَعَلَمَنَّ أن الواحدَ لا يكونُ ثلاثةً وأن الثلاثةَ لا تكونُ واحداً ، إلا على وجهِ ماله ثابِتٌ يقولُ به ، ولا منه مَخْرُجٌ تستريحُ إليه . فألقِ نَحْوَهُ سَمْعَكَ ، وَأَنْصِتْ إليه فَهَمَكَ ؛ فإن أمير المؤمنين واصِفُهُ لك ، وليس واقعاً إلا على المخلوقين ، ولا لازماً غيرَ المحدودين ، ولا داخلاً على رب العالمين : وهو أن يكون الشيءُ أصلهُ واحدٌ وأجزاؤه كثيرةً ، من نحو الإنسان ، وهو أصلُ يجمعُه اسمٌ ، وله أجزاءٌ تلزمها أسماءٌ ؛ فليس الجزءُ بالأصل ، ولا الأصلُ بالجزء ، ولكن الجزءُ بعضُ الأصلِ . فإذا أردتَ الجزءَ ، قلت يد الإنسان وسَمِعَ الإنسان . ولولا أنه محدودٌ مخلوقٌ مجزأٌ مبعُضٌ لما جاز هذا القولُ فيه ولا دخل هذا المثلُ عليه ؛ وكذلك الشمسُ : الأصلُ واحدٌ ، وهي شمسٌ ، والأجزاءُ كثيرةٌ وهو عينُ الشمسِ وضوءُ الشمسِ وشُعاعُ الشمسِ ودقيقُها وغلِيظُها وحرورها وأعلاها وأسفلها وأشباها ذلك .

فلئن قلت : سَمَّيْتُ كُلَّ جزءٍ من الأجزاءِ على حِباله إنساناً ، وكلَّ جزءٍ من الشمسِ دون أصله شمساً ، ونَسَبْتُ فَعَلَ الأصلِ إلى بعضِ أجزاءه ، وتركتُ أن تُنسَبَ الأصلُ فاعلاً ببعضِ الأجزاءِ ، كما تقولُ : بَسَطَ الإنسانُ يديه ، ومَشَى برجله ، ونَظَرَ بعينه ، ثم ضربتَ ذلكَ اللهُ عز وجلَ مثلاً وجعلتَ اللهُ له قِياساً ، فقلتُ : الأصلُ واحدٌ ، وهو اللهُ عز وجلُ ، والأجزاءُ كثيرةٌ وهي أبٌ وآبٌ وروحُ القدس ، وكلُّ جزءٍ منها اللهُ على حِباله وربُّ دون غيره ، لم تجِدْ بُدْءاً أن تُلْحِقَ اليَدَ والعَيْنَ والنفسَ بالأب والآبِ وروحَ القدس ، فَكثُرَ آهَتَكَ ، وتحدَّدَ ربُّك ، وتركتَ قولك : إن اللهُ ليسَ محدوداً ولا مجزأً ولا مبعُضاً ؛ إلا أن يكونَ إنما تريدُ مذاهبَ الأسماءِ فتقولُ : المعنى واحدٌ ، وهو اللهُ عز وجلُ ، والأسماءُ أبٌ وآبٌ وروحُ القدس .

فإن كنت تقول هذا وكنت إنما تعبد أسماء، فما تجد بدا من أن تعبد الأسماء كلها وتقول: إنها آلهة على حيالها، حتى تقول باسم أرحمني، وبثان اغفر لي. فأتقوا الله يا أهل الكتاب، فإن الله عز وجل ليس بأب ولا ابن ولا أسم، ولكن له الأسماء الحسنى فأدعوه بها، وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون.

فإن أشارت الأساقفة إلى بعض الإنسان باليد والرجل وأشباه ذلك وقالوا ليس إنساناً، فقل لا، ولكنه للإنسان، وقل هو إنسان بكالهِ. وكذلك إن أشاروا إلى بعض الشمس فقالوا: أليس هذا الشمس طالعا، فقل لا، ولكنه بعضها، ولو كانت الأسماء التي تقع أبصاركم عليها وتشير أيديكم إليها من الشمس والسماء والهواء شمساً وهواءً وسماءً لكانت الشمس والهواء والسماء أكثر مما يبلغه الإحصاء. ولو قصدت بالإجابة لمسالك هذه الأودية، لبطلت المجمع الداحضة وأنقطعت الأقاويل المتناقضة. وسل من قبلك من أساقف أمك وشماسة أهل ملتك الذين يزعمون أن عيسى المسيح، ويرفعونه أن يكون عبداً: على أي شيء وقع اسم المسيح من عيسى: على الروح أم الجسد أم على كليهما؟ فإن قالوا: وقع على الروح نفسه، لأن الروح إله دون غيره، فقد أقرروا بأن إلههم يأكل ويشرب، ويمشي ويركب، لأنهم يجدون ذلك من فعل عيسى مبيناً قبلهم، موصوفاً عندهم. فإن قالوا: وقع اسم المسيح على الجسد بعينه، فكان الجسد هو المسيح إذا دون غيره، والمسيح إذا مخلوق عندهم، والإله إنساناً إذا مثلهم، فلم يعبُدون المخلوق ويدعون من خلقه ورآه. وإن قالوا: وقع الاسم على الروح والجسد جميعاً، فلن يجدوا مخرجا ولا بداً ولا محيصاً، إذا أوقعوا الاسم عليهما، من أن يضيفوا الأعمال إليهما، فيقولوا: إن الجسد المخلوق هو خلقهم، وإن الروح الخالقة قد ماتت قبلهم، وذلك لما يجدون من ذكر موت عيسى عليه السلام في الكتب عندهم وفي الإنجيل الذي قبلهم. وسل من قبلك عن الأب والآب، فقل أيهما أعظم وأيهما أصغر، فإن قالوا: الأب أعظم والآب أصغر، فقد جعلوهما متباينين. وإن قالوا: هما واحد وكلاهما عظيم، وليس الأب بأعظم من الآب،

ولا الابن بأصغر من الأب، فقد نُقِضَ حينئذ جوابهم، وأكذب المسيح عليه السلام كلامهم، حيث يقول: ^(١) «لو كنتم تحبوني لفرحتم حيث أذهب الى الهى فإن الهى أعظم منى» فلم يقل أعظم منى، إلا وهو مقرباً بأنه أصغر منه. وسلهم عن قول المسيح: ^(٢) «أنا أذهب الى الهى والهى أكبر منى»، فقل: من هذا الإله الذى ذهب عيسى اليه صلى الله عليه وسلم: إله فى السماء متباين منه منقطع عنه؟ فهما اذا اثنان متباينان، أم إله كان به متصلاً وكانا جميعاً واحداً؟ فكيف اذاً يجوز له أن يقول اذاً أذهب اليه! إلا أن يقولوا: إن بعضه ذهب الى بعض! وهذا مما لا يجوز عندهم فى صفة الرب عز وجل.

وسأل من قبلك: أخرج المسيح من بطن أمه مريم بكاله حتى كان البطن منه فارغاً وكان هو منه بكاله خارجاً؟ فإن قالوا: نعم، فقد أنكسر قولهم: إن الله بكل مكان. وإن قالوا: لم يخرج المسيح ولم يخل البطن، فقد كذبوا اذاً فى قولهم: إنه قد خرج، وأقروا أنه قد ولد. فتعالى الله عما يصفون، وتزه عما يشركون. وسلهم لم يهبط عيسى الى بطن مريم، وتجسد باللحم والدم؟ فإن قالوا: ليمحق الخطايا من الأرض ويربط الشيطان عن الخلق، فقل: كيف اذاً لم يربطه عن نفسه! وكيف جلاباه من اليهود بصلبه! ولم سلط على أهل دينه يتبعون فى كل شعب ويقتلون بكل واد!

وقل للذين يقولون: إن الخالق فى كل مكان من السماء والأرض وغير ذلك: أيها أعظم: المحيط المشتمل، أم المحاط المشتمل عليه كما يقولون؟ تعالى الله عما يشركون. فإن قالوا: إنما ألجم بعضه دون بعض، فقد حدوا وبعضوا وتقصوا وأنتقصوا، وإما قالوا فإن يحدوا بدأ من أن يقولوا: إن بعض المسيح الذى جعلوه ربهم، وهو إله عندهم، ميت بعضه جيفة، وإن بعضه حتى طيب، لأنهم زعموا أنه ألجم يجسد حتى فيه

(١) الوارد فى إنجيل يوحنا (فصل ١٤ آية ٢٨ ج ٣ ص ١٨٦ من الكتاب المقدس طبعة بيروت سنة ١٨٨٢م):

«فلو كنتم تحبوني لكنتم تفرحون بأنى ماض الى الأب لأن الأب هو أعظم منى».

(٢) الوارد فى إنجيل يوحنا (فصل ٢٠ آية ١٧ ج ٣ ص ١٩٦ من الكتاب المقدس): «بأنى صاعد الى

أبى وأبيكم والهى والهى أكبر منى» (٣) كذا بالأصل.

رُوح، فلا بدّ إذاً أن يدخل عليه ما يدخل على الأجسام الحية من الخوف والفرح والعتش وأشباه ذلك، وهو عندهم كفر عظيم وإفكٌ مبين، فاتقِ عقوبةَ الله ربك، ولا تمسَّ مُجْأً على وجهك، ولكن أطلبْ وأتمسَّ وأبحثْ، فقد قال عيسى عليه السلام في الإنجيل: ^(١) «مَنْ سَأَلَ أُعْطِيَ وَمَنْ طَلَبَ وَجَدَ وَمَنْ اسْتَفْتَحَ فَتُحَّحَ لَهُ» .

اجمع العلماء والبصراء [الذين] عندك، والأساقفة والرهبان الذين قبلك، فقل: لأى شيء تَسبِّمُ المسيحَ إلهاً وجعلتموه رباً؟ ونجد الله سماه في الكتاب ابناً، وقد تجدونه قال: «إني أذهب إلى أبي وأبيكم، إلهي وإلهكم أيضاً». وهذا كلامٌ يحتمل وجهين أحدهما أولى به، وقولٌ لا يحتمل إلا وجهاً وهو الربوبية. أم كيف تنظرون إلى كلامه: «أذهب إلى أبي وأبيكم». فتفردونها في نفسه وقد قالها فيه وفي غيره!

فاتقِ الله وكن من القائمين بالحق، الموحدين للرب. إن أمير المؤمنين قد ضرب لك أمثالا بحمة، وصرف إليك مسائل كثيرة، وبين لك من آيات النبي صلى الله عليه وسلم وعلامات الوحي قليلاً من كثير، واضحاً من تفسير، لا تمتنع العقول من التصديق به، ولا القلوب من الإقرار به.

وسيدك لك أمير المؤمنين من علامات النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، ما يكتفى به، إن شاء الله، وباليسير منه؛ لأن كتب الله عز وجل محفوظة، ومُحجَّجه محروسة، لا يزداد فيها ولا ينقص منها. وإذا وجدت فيها كلمة تدلُّك على حق وتريدك إلى رُشد، فاست واجداً أخرى تُصدِّقُ عنه وتشكِّكُ فيه، إذا تلى ذلك بالحق ووضع على الصدق. ولكن ضلَّت اليهود والنصارى بتحريف تأويل الكلام، وتحريف تفسير الكتب. وأمير المؤمنين يسأل الله العِصمة والتوفيق.

(١) الوارد في إنجيل متى (فصل ٥ آية ٤٢ ج ٣ من الكتاب المقدس): «من سألك فأعطه». ومن أراد أن يفترض منك فلا تمتنع». والوارد في إنجيل لوقا (فصل ١١ آية ١٠ ج ٣ من الكتاب المقدس): «من يسأل يعطى ومن يطلب يجد ومن يفرح بفتح له».

من ذلك ما قد شهد به عيسى عليه السلام عندكم وبينه في الإنجيل لكم ، إذ قال للحواريين : ^(١) "أنا أذهبُ وسيأتيكم البار قليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه إنما يقول كما يقال له ، وهو يشهد على وأنتم تشهدون لأنكم معي من قبل الناس بالخطيئة ، وكل شيء أعد الله لكم يخبركم به" . وترجمة البار قليط : أحمد . هذا ما لا شك ولا مرية فيه ، وهو الذي يُخبر بما وعد الله المؤمنين وصالحى الحواريين في القرآن ؛ ولستم تجدون ذلك في التوراة ولا في الإنجيل .

ومن ذلك قول أشعيا النبي عليه السلام : ^(٢) "قيل لى : اقم بطارا ما ترى بخبرى؟ قال : ^(٣) أرى راكين بعيرين مقبلين أحدهما يقول لصاحبه : سقطت بابل وأصنامها المنحوتة" . ^(٤) ولسنا نعلم نيا ركب بعد موسى صلى الله عليه وسلم بعيرا إلا محمدا صلى الله عليه وسلم كثيرا . ومن ذلك قول داود عليه السلام : ^(٥) "اللهم ابعث جاعل السنة كي يعلم الناس أنهم بشر" يقول : كي يتبين الناس أن عيسى عليه السلام إنسان . ولسنا نعلم نيا وضع سنة تُنسب إليه إلا محمدا صلى الله عليه وسلم . أما عيسى فإنه نصّب سنة موسى عليه السلام .

ومن ذلك قول حبقوق النبي ^(٦) في زمان دانيال : ^(٧) "جاء الله من السماء والقديس من جبال فاران ، وأملاّت السماء من تجميد أحمد وتقديسه ، ومسح الأرض بيمينه ، وملك رقاب الأمم" . وقال أيضا : ^(٨) "تضىء لنوره الأرض ، وتحمّل خيله في البحر" . فالى من

(١) راجع إنجيل يوحنا (فصل ١٤ آية ٢٦ وفصل ١٥ آية ٢٦ وفصل ١٦ آية ١٣ ج ٣ ص ١٨٨ من الكتاب المقدس) .

(٢) راجع نبوءة أشعيا (فصل ٢١ آية ٩ ج ٢ ص ٣٤٨ من الكتاب المقدس) . (٣) كذا بالأصل ، ولم نوفق الى تصحيحه . (٤) فى الأصل : « المنجرة » وقد استأنسا فى اثبات ما أثبتناه بالكتاب المقدس .

(٥) راجع سفر الزامير (فصل ٩ آية ٢١ ج ٢ ص ٥٢ من الكتاب المقدس) . (٦) راجع نبوءة

حبقوق (فصل ٣ آية ١٥ ج ٢ ص ٧٠٩ من الكتاب المقدس) . (٧) فى الأصل : "من السماء ..." .

(٨) راجع نبوءة حبقوق (فصل ٣ آية ١٥ ج ٢ ص ٧٠٩ من الكتاب المقدس) .

ينحو هذا القول، والى أين يذهب بهذا المعنى؟ لئن ذهبَ به إلى غير الذي [تحمّل] خيله^(١) في البحر، وبدأ من جبال فاران أمره، وغلب على الأرض ومسحها، ومَلَكَ رقاب الأمم كلها، لقد تركتم الحق وأنتم تعلمون.

ومن ذلك قول داود عليه السلام في الزبور^(٢): ”صَدَّقُوا وَسَبَّحُوا الرَّبَّ تَسْبِيحًا حَدِيثًا سَبَّحُوا الَّذِي هَلَّلَهُ الصَّالِحُونَ. ليفرح إسرائيلُ بخالفه ويتوب صمبون من أجل أن الله اصطفى له أمته، وأعطاه النصر وسَدَّد الصالحين بالكرامة، يسبحونه على مضاجعهم، ويكبرون الله بأصواتٍ عالية، بأيديهم سيوف ذات شَفْرَتين، لينتقم الله من الأمم الذين لا يعبدونه، ثم يقيد ملوكهم بالقيود وأشرفهم بالأغلال“. فإتما أمة يكبرون الله بأصواتٍ وأذان الصلوات الدائمة وعلى كل شرفٍ وعند كل حرب، وإتما أمة كانت سيوفها ذات شَفْرَتين إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم!

ومن ذلك قول أشعيا^(٥): ”سَبَّحُوا الرَّبَّ تَسْبِيحًا حَدِيثًا، ويسبِّحه من آفاق الأرض فرح يكون في بني فيار“. وبنو فيار قريش أهل فاران الذي نزل فيه القرآن. وإتما أمة تسبح من آفاق الأرض إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم. عدى أكدى^(٧).

ومن ذلك قول أشعيا^(٨): ”عبدى الذى وجب به حجبى الذى بشرت به نفسى أفيض عليه رُوحى، يُوصى الأمم بالوصايا، لا يضحك ولا يُسمع صوته في الأسواق، ويفتح العيون العور، ويُسمع الآذان الصم، ويُنحى القلوب الغلغ، وما أعطيه لا أعطى غيره، أحمد يحمّد الله حمدًا حديثًا، تهليله يأتى من أقصى الأرض، يجوز الماء بشدة أمواجه، ويصرح وكورها، سكانها يحمّدون الله على كل شرف، ويكبرونه على كل رابية“.

(١) زيادة يدل عليها ما قبلها . (٢) في الأصل: ”ومنها...“ . (٣) راجع سفر المزامير (فصل ١٤٩ آية ١ — ج ٢ ص ١٥٧ من الكتاب المقدس). (٤) في الأصل ”هلكه الصالحون...“ (٥) راجع نبوءة أشعيا (فصل ٤٢ آية ١٠ ج ٢ ص ٣٧٦ من الكتاب المقدس). (٦) كذا في الأصل، ولعله محرف عن «فوج». والفوج: الجماعة من الناس. (٧) كذا بالأصل، ولم ندر لفظين الكنتين ولا لذكرهما معنى. (٨) راجع نبوءة أشعيا (فصل ٤٢ آية ١ — ج ٢ ص ٣٧٦ من الكتاب المقدس). (٩) كذا بالأصل.

(١) ومن ذلك قول داود عليه السلام في المزمور الخامس والأربعين ، يقول الله عز وجل
 لحمد في الزبور : ” انصبت رحمتي على شفقتك من أجل ذلك باركتك الدهر ، تقلد^(٢)
 السيف على الأمم ، أيها الجبار على الأمم بالقتل والأسر والسبأ بهاك وحمدك أحمد نعل
 الرمنك كلمة الحق وذلك لك الأشياء سيفك محسمة يمينك ونبالك مسمومة وسقط
 عند الأمم “ . فأى نبي كان على الأمم جبارا ولهم بإذن الله قتالا إلا نبينا صلى الله عليه وسلم .

(٤) ومن ذلك في آخر التوراة : ” جاء الله تبارك وتعالى من سيناء وأشرف من ساعير
 واستبان واستعلن من جبال فاران ، وجاء عن يمينه ربوات القديسين “ . وتفسير هذا
 أن الله عز وجل أنزل التوراة على موسى في طور سيناء ، وأنزل الإنجيل على عيسى عليه
 السلام في جبل ساعير وهو جبل بالشام ، وأنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في جبال
 فاران وهي بلاد مكة . وأتم تجدون ذلك في كتبكم مكررا وتعرفونه جميعا بلغتكم .

(٥) ومن ذلك قول الله عز وجل لموسى عليه السلام « سَأَقِيمُ لَهِمْ مِنْ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ أَجْعَلْ
 كَلَامِي عَلَى فِهْمِهِ وَلَا يَتَكَلَّمْ إِلَّا بِمَا أَمَرُهُ بِهِ » . فَمَنْ إِخْوَةٌ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا بَنُو إِسْمَاعِيلَ !
 أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ لَوْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْزِي أَحَدًا مِنْهُمْ لَقَالَ لَهُمْ : أَقِيمْ لَكُمْ نَبِيًّا مِنْكُمْ ! .

فإن قلتم إنما قال من إخوانكم ، وهو يريد من أنفسكم ، فهب أمير المؤمنين قيل هذا
 الخلف منكم ووسع في هذا المجال لكم ، فكيف تصنعون بقول الله عز وجل في التوراة :
 ” مثل موسى في بني إسرائيل لا يقوم “ فهل تجدون من هذا محرجا ، ومن الإيمان أن المعنى
 وقع على محمد صلى الله عليه وسلم بدأ .

(١) راجع سفر المزامير (فصل ٤٤ : « وفي بعض النسخ ٤٥ » آية ٣ — ٨ ج ٢ ص ٧٩ من الكتاب
 المقدس) . (٢) في الأصل : « في خمسة وأربعين زمورا » . (٣) في الأصل : « من
 أجل ذلك باركك الدهر . واستعنا في تصحيحها بالكتاب المقدس الذي وردت فيه الجملة هكذا : « وقد انسكبت
 النعمة على شفقتك فلذلك باركك الله إلى الأبد » . أما الباقي فلم نوفق إلى تصحيحه فأثبتناه كما وردت بالأصل .

(٤) راجع سفر تثنية الاشتراع (فصل ٣٣ آية ٢ ج ١ ص ٤٤٣ من الكتاب المقدس) .

(٥) راجع سفر تثنية الاشتراع (فصل ١٨ آية ١٥ ج ١ ص ٣١٨ من الكتاب المقدس) .

ألا تسمع قول الله عز وجل : " أَجْعَلْ كَلِمَتِي عَلَىٰ فَمِّهِ كَمَا يُعْنَىٰ بِهِ ، أُمَّيُّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ " .

أوليس قد أمر عيسى عليه السلام حَوَارِيَّهٖ أَنْ يَقُولُوا فِي صَلَوَاتِهِمْ : « يَا أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ » . كيف صار عيسى دونهم ابنا ، وصار له دونهم أباً ، وهم يقولون : يَا أَبَانَا ! أم كيف لم يُجْعَلْ سَلِيحًا بِنِ دَاوُدَ إِلهًا وَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِدَاوُدَ : « يُؤَلِّدُكَ غُلَامًا يُسَمِّي لِي وَأُسَمِّي لَهُ » ! ولم لا يجعلون إسرائيل إلهًا وقد قال الله عز وجل له : « أَنْتَ يَكْرَهُ » ! بل لم لا يُسَمُّونَ الْمُؤْمِنِينَ عَامَّةً وَالْحَوَارِيَّيْنَ خَاصَّةً [آلهة] ، وقد قال المسيح للحواريين : أُنْتُمْ إِخْوَتِي ، وَقَدْ قَالَ فِي الْإِنْجِيلِ : « أُعْطِيَ كُلُّ مَنْ آمَنَ بِي سُلْطَانًا يُدْعَىٰ لَهُ » . وإن كان هؤلاء كلهم للمسيح إخوة أفلا تجعلونهم كلهم آلهة ! وكيف يقولون : إن عيسى ابن الله ، وهو يقول في مواضع جمة وأما كن كثيرة إنه ابن الانسان ! فكيف يكون ابن الانسان ابن الله ؟ ومتى كان ذلك ؟ لئن قالوا : إن عيسى لم يزل ابن الانسان ، لقد جعلوا مع الله إنساناً قديماً وجعلوا الله إنساناً حديثاً ، وجعلوا المسيح ابن الله لم يزل ، وابن الإنسان فيما حدث . وهذه أمور متناقضة ، وحجج داحضة ، وأقوال فاحشة .

فإن قالوا : إنما نعبد المسيح لأنه رُحَّ إلى السماء ، فليعبدوا الملائكة فإنهم في السماء قبله ، وإدريس فقد رفعه الله وغيره . وإن كانوا يعبدون المسيح لأنه لم يُخْلَقْ من ذكر ، فأدَمُ وَحْوَاهُ لَمْ يُخْلَقَا مِنْ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى ، وَلَمْ يَقَعَا مِنْ غَمِّ الرَّحْمِ وَضَيْقِ الْبَطْنِ وَحَالِ الصَّبَا فِيهَا [وقع] فِيهِ الْمَسِيحُ .

وإن قالوا : إنما نعبد عيسى لأنه أحيا الموتي ، فما أحيا حزقيل أكثر ، وما كان من اليسع تلميذ إلياس أعجب ؛ لأنه أحيا الموتي بعد مئتين من السنين . وإن طلبتم ذلك في سِيرِ الْمَلُوكِ عِنْدَ قِصَّةِ الْيَسْعِ أَصْبَتُمُوهُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ .

(١) راجع إنجيل متى (فصل ٦ آية ٩ ج ٣ ص ١٠ من الكتاب المقدس) . (٢) في الأصل : « وصار دونه أباً ... » . (٣) لم نجد هذا في الإنجيل . (٤) حزقيل نبى به الله تعالى إلى بنى إسرائيل ، وهو الذى أحيا الله . القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فأحياهم الله تعالى بعد موتهم بدعوته . وهو ما يشير إليه قوله تعالى : (ألم ترالى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) الآية .

وإن كانوا إنما يعبدون المسيح من أجل الأسقام التي أبرأ والعجائب التي أرى ،
 فعجائب موسى أعجب وآياته أعظم . أين ما ذكرت لك من [عجائب] عيسى من عجائب
 موسى : من انقلاب البحر له ، وسلوك الجيش معه ! أم أين ذلك من حجر يضربه فينفجر
 بيون الماء ، ويحمله معه حيث شاء ! بل أين تلك وهذه وغير هذه من الآيات من حبس
 يوشع الشمس ثلاث ساعات^(١) وكل ما صنع موسى وعيسى وغيرهما بإذن الله وأمره وقدره
 وقضائه . فاتق الله وكن من القائلين بالحق ، الموحددين للرب ، ولا تقل على عيسى ما لم
 يقل ، فإنكم لا تجدونه قال لكم في شيء من كتبكم : اعبدوني فإني ربكم . تعالى الله عما يقول
 الظالمون ، ويذهب إليه الجاحدون .

وإن أمير المؤمنين قد أحب أن ينصح لك ، في أولي داريك بك وأهم شأنيك لك ،
 فدعاك الى الإسلام وأمرك بالإيمان الذي به تدخل الجنة وتنجو من النار . فإن قبلت
 حفظك أصبت ، ونفسك أحرزت ، ولك ما للسامين ، وعليك ما عليهم . وإن رددت
 نصيحة أمير المؤمنين فيما فيه الخط في آخرتك ، فإن أمير المؤمنين ينصح لك فيما فيه الصلاح
 في عاجلتك : من إعطاء الجزية التي يحقن الله بها دماءكم ويحرم بها سباءكم ، ويجعلها قواماً
 لمعاشكم ، وصلاًحاً لبلادكم ، وتوفيراً لأموالكم ، وأماناً لجنابكم ، وسعةً ليربكم^(٢) ، وبركةً على
 فقرائكم ، وغنى لأهل الحاجة والفاقة والمسكنة منكم .

وان يذكر أمير المؤمنين في الجزية لكم من حلول الأمن فيكم ، وعموم العافية إياكم ،
 وأستقامة البركة عليكم ، وكف أيدي المسلمين عنكم ، وبسطها على الأعداء منكم ، شيئاً إلا
 وفي قليل ما كان من أشباه ذلك أيام تلك الفدية التي كان الله أجرى نعمتها لكم على يده ،
 وفتح بركتها عليكم من قبله ، ما يدللكم على صدق أمير المؤمنين فيما يذكر ، ويشهد له على
 حقه فيما يقول ان شاء الله . فقد تعلمون أن الله قد أدخل على كل طرف من أطرافكم ،

(١) إشارة الى قصة يوشع بن نون قتي موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس ؛ فقد روى أن يوشع قاتل
 الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه ،
 فدعا الله تعالى ، فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم . (٢) الدرب : الطريق .

وصنّف من أصنافكم، بتلك الفدية، أمورًا عظيمة البركة، واسعة المنفعة، في أمور غير واحدة:

منها: أن قادة جنودكم وساسة حربكم، كانوا بعد وقوع أمرها وأستحكام عقدها، فراغًا لمحاربة أعدائكم ومناصبية من ناوأكم، بين أن يستعجموهم في بلادهم وينزلوا عليهم في ديارهم، ولا يرهبون تَعَقَّبَ بِشَيْرِ إِنْ سَارُوا فِي أَرْضِهِمْ، ولا يتخوفون طرادًا إن اجتمعوا لقتالهم أن يقيموا في خَفِضٍ وَدَعَةٍ، وأمنٍ وَسَعَةٍ، مع الأزواج والأولاد والعيال والأوطان والرباع والمحال، وهم اليوم يترقبون الجيوش من كل شِعْبٍ ويتخوفون الختوف في كل وقت، لا يهدأ لهم جَأَشٌ، ولا يسكن لهم فَرَجٌ، ولا ينام لهم لَيْلٌ، ولا يأمن فيهم حال، قد قَطَعَتْ ^(١) الهوم دابرتهم، وأضمرت المخاوف جُنُوبَهُمْ، وأستأصلت الجنود أموالهم.

ومنها: أن أهل الحِرَاثَةِ وإخوان العارة، في بلادك وأطراف أرضك، كانوا سرعًا إلى عمارة أرضهم وإصلاح ما تحت أيديهم، فيما لا قِوَامَ لَهُمْ ولا معاشهم إلا به، ولا بقاء لدينهم إلا معه، قد أمنوا الجيوش ومعرتهم، والجنود وبادرتهم، وأنشروا للعارة، وأبتكروا في الزراعة، فارقوا رءوس الجبال وإقحام الغياض، وراحوا في أوساط أوطانهم وظلال محالهم، يشققون الأنهار، ويفرسون الأشجار، ويهجررون العيون، حتى تمت الأموال، وأخضرت الحال، وأخصب الجناب، وأصبحوا اليوم عن الزراعة ممسكين، وللحراثة تاركين، وبغيرها مشتغلين في إصلاح آلات الحرب، وإحراز العيال في الحصون، ورَمَّ القلاع للجلاء، وتحريش الحصون للبلاء، قد أنتقلوا عن منابت البر وكرائم الأرض، ومجارى المياه، إلى أوशल الجبال، وأشجار الغياض، وبطون الأودية، فليس يبلغون من عمارة بلادهم، ولزوم أوطانهم، [و] من تناول ثمارهم وقوام معاشهم مثل ما كانوا يبلغون، ولا ينالون من خفض العيش وطيب الأمن ولذة الدعة، قريبًا مما كانوا ينالون.

(١) كذا في الأصل . (٢) في الأصل: «لا سكن لهم الخ» .

ومنها : أن إخوان التجارات ، وأصحاب الأُمُوال وأهل الظَّنْف والحافر ، كانوا يتناولون ما شارفهم من بلادنا وما قاربهم من أسواقنا ، فينتفون تجارتهم ويُغفلون بضائعهم ، فتعظم الأرباح وتضمف الأثمان . وكانت الباعة من تجار المساميين وغيرهم من الذميين ، يتناولونهم للبيع لهم ويتناولونهم للشراء منهم ، فعمت البركة ومنهات المنفعة ، حتى نالت الرعاء في جبالها واماها ، والنساء في غزولهن وعمل أيديهن فضلا عن غيرهن .

ومنها : أنك ومن قبلك من ذوى العبادة والزهادة والتأله والنسك والنيات ، كنتم على عافية من أيام الرضا بالحرب ، وسلامة من أوزار الخص على قتال الخوف ، قد تجوتهم من معصية المسيح في الدنيا التي نهاكم عنها ، والأُمُور التي أمركم بها ، من نحو قوله : ” من لطم خذك الأيمن فامكنه من الأيسر ، ومن آتزع قيصك فأعطه كساءك ، ومن لطمك فاغفر له ، ومن شتمك فأعرض عنه “ .

ومنها : أن من بأقاصى بلادك ونواحي حوزتك ، قد ذاقوا تلك الأيام من لذة الخفض ، ودعة الحال ، وحلاوة الأمن ، ورقاهية العيش ، وسعة العافية من سبأ أزواجهم ، وهبض أولادهم ، وحطم معاشهم ، وأسر رجالهم ، وغنيمة بقرهم وغنمهم ، وإفساد شجرهم وثمارهم ، وإجلاء عن مساكنهم وأوطانهم ، ما لم يكن لهم رأى يعرفه ، ولا ظن يبلغه ، ولا طمع يقاربه ، ولا أمل يذهب اليه . وما قد عرفت الخاصة من بطارتكم ، والعاممة من أهل ملتكم به : من رأفتكم بهم ، ورحمتكم لهم ، وشققتم عليهم ، وأثرتكم إياهم ، وبركة ولايتكم ملكهم ، ومنفعة سياستكم أمرهم ، ما قد ازدادوا لكم به محبة ، وفي بقائكم رغبة ، ولأمركم طاعة ، وعلى ملككم شفقة ، وفيما نابكم نصيحة ، مع ما قد آزددتم بذلك من الهيبة في صدور الأعداء ، والشرف في قلوب النظراء ، والمظم في عيون الأمم ، حتى أقروا لكم بقوة عزائم العقول ، وفضل سياسة الأمور ، وصحة تدبير الملك ، وصدق النية ، ولطف الحيلة التي

(١) في الأصل : ” من بلادهم ... “ . (٢) كذا في الأصل . (٣) راجع إنجيل متى

(فصل ٥ آية ٣٩ ج ٣ ص ٩ من الكتاب المقدس) .

جعلوا نسبة عملكم بها ، ومحل رأيكم فيها ؛ على أنكم نظرتم لضعفائكم حتى قووا ، ولفقرائكم حتى استغنوا ، ولقرائكم حتى بسوا وحيو وفووا المسلمين من أيام الحروب وأوزار القتال ، ومعصية المسيح عليه السلام ، ولأعدائكم الأبعدين وجيرتكم الأقربين ، حتى كنتم من فراغكم لحم ، وأشتغالكم من أمركم بها ما أوطأتموه لحر بحر القتل ، وذل الأسر وغلبة القهر ، والإذعان والاستسلام . وإما كيف تمومهم بالصلح ، وأستوثقتم منهم بالرهن .

فاذا ذكرت ما كان من هذا وأشباهه وأمثاله في القديّة ، فاعلموا أن أمثاله وأضعافه مقيم معكم في الجزية ، فلا يكون لك رأى غيرها ولا أمر سواها ؛ فلقد أكثر أمير المؤمنين العجب من أمركم ، وأطال تغليب الفكرة في بعضكم ، فظن أن إخراجكم من جميع ما كنتم فيه الى خلافه مما أصبحتم عليه من انتظار وقعات الحروب ، وصولات الجنود وأكل الحدود ، وتوقع الجلاء والسبأ والقتل ، والأسر والحصر ، شيئا آخذتكم الله عز وجل فيه عن أنفسكم وكيداً أستدركم به لما علم من قلوبكم .

ألا إن أعجب عذرکم وأفضعه كان عند أمير المؤمنين إذ بلغه جرأتكم على الله عز وجل في نقض عهده ، وأستخفافكم بحقه في حفر ذمته ، وتهاونكم بما كان منكم ، وأتمتعتم تعلمون أن مواثيق العهود ونذور الأيمان الذي وضعه الله عز وجل حرماً بين ظهراني خلقه ، وأماناً أفاضه في عبادته ، لتسكنن اليه نفوسهم ، وتطمئنن به قلوبهم ، وليتعاملوا به فيما بينهم ، ويقموا به من دنياهم ودينهم ؛ فما من ملك من الملوك ولا أمة من الأمم ، تبيح حمى الله عز وجل ، وتهاونا به وجرأة عليه ، إلا أجرى الله عليهم دائرة من دول الأعداء ، وأنزل عليهم عذاباً من السماء . وقد رجا أمير المؤمنين أن يُجرى الله نقمته منكم بأيدي المسلمين ، بعد إذ كان آخذتكم عهدكم ، وأخذ ميثاقكم بالأيمان المغلظة ، والعهود الموكدة ، التي قد اعتقدها في رقابكم ، وحملها على ظهوركم ، فأشهدتم الله بها على أنفسكم ، وتسامع بها من حولكم ، وحكم بها بطارقكم وأساقفتكم . فلا الله آتيتم ، ولا من الناس آستحيتم ، نكثاً للعهد ، وبغضاً للمسلمين ،

وَحَرًّا بِالْأَمَانَةِ، وَإِبَاحَةً لِلْعَمَى . فتوقعوا العقوبة، وانتظروا الغيب؛ فلقد وثق أمير المؤمنين أن من عذاب الله ما هو حال إن شاء الله بكم .

ومن أسباب ما يريد الله من الانتقام منكم، ما قد أزمع أمير المؤمنين وعزم عليه، وقذف الله في قلبه: من الإرادة والنية والرغبة في إيطاء الجيوش بلادكم، واستبَاء المقاتلة أرضكم، والتفرغ لكم من كل شغل، والإيثار لجهادكم على كل عمل، حتى تؤمنوا بالله وأتم طائعون أو كارهون، وتؤدوا الجزية عن يد وأتم صاغرون. فكونوا على عدة من الجزية، ويقين من الانتجاع الذي لا طاقة لكم إن شاء الله به، ولا صبر لكم بإذن الله عليه؛ فان جنود أمير المؤمنين فارغة كثيرة، ونزائنه عامرة وافرة، ونفسه سخية بالإنفاق، ويده مطلقة بالبذل، والمسلمون نسايط اليكم، منقلبون عليكم، قد عودهم الله في لقاءكم عادة يرجون آنتظار مثلها، وأبلاهم في قتالكم بلاء من أمثالها، إن شاء الله .

وكتاب أمير المؤمنين نذيره بين يدي جنوده، ومقدمه إن شاء الله من جيوشه، إلا أن تؤدوا الجزية عن التي دعاك أمير المؤمنين إليها، وحداك ومن قبلك عليها، رحمة للضعفاء الذين لا ترحمهم، وتوجعا للمساكين مما لا توجع منه لهم من الجلاء والسبأ والقتل والأسر والتهر، وقساوة من قلوبكم، وأثرة لأنفسكم، واعتصاما بخواصكم، وإجلاء لعوامكم الضعفاء الفقراء المساكين الذين لا تمنعونهم بقوة، ولا تدفعون عنهم بحيلة، ولا تراقبون في الرحمة لهم والتعطف عليهم، أدب المسيح إياكم، وقوله في الكتاب لكم: "طوبى للذين يرحمون الناس؛ فإن أولئك أصفياء الله ونور بني آدم".

وأيم الله لو يعلم من قبلك من المساكين والزراعيين والفقراء والضعفاء والعالة بأيديهم، ما لهم عند أمير المؤمنين لتحذروا عليه وأقبلوا إليه، من إيوائهم، وإنزالهم الأرض الواسعة، وإمكانهم من مسابيل المياه السائحة، والعدل عليهم بما لا يتباغى أنت ولا تقار به، رفقا بهم ونظرا لهم وإحسانا إليهم، مع تخليته إياهم وأديانهم، لا يكربهم على خلافها ولا يجبرهم على

(١) راجع إنجيل متى (فصل ٥ آية ٧ ج ٣ ص ٧ من الكتاب المقدس).

غيرها ، لأختاروا قرب أمير المؤمنين على قربك ، وجواره على جوارك ، ولأنقذوا أنفسهم^(١) وأموالهم وأولادهم وأزواجهم وعيالاتهم ، مما يحل بهم في كل عام ويلقون من كل غزاة . فاتفق الله وأقبل ما عُرِض عليك من الجزية ، ولا يمتنعك ما فيه الحظ لك ولأهل مملكك . ونحن على رجاء أن الله لا يؤخر ذلك منكم ويدفعه عنكم ، إلا ليجعله على يد أهل بيت النبوة والرحمة ، ولأهل الورثة فيهم للكتاب والحكمة ، الذين لا يدخل عليكم في الإذعان [لهم] وأداء الجزية اليهم حميةً ولا تقيصة ولا عار ، والذين يقون لكم بما يعقدون ، ويتبعون فعلهم ما يقولون .

ثم أمير المؤمنين بما جعل الله عليه رأيه وفيه نظره من البر والرحمة والإقسط والوفاء بالعقود والعهود والشروط ، نظراً لدينه وخوفاً من ربه ، ولما قذف الله في قلبه وقلوب المسلمين من المحبة والطاعة والأثرة ، ولما جعلهم الله عليه من آجتاع الكلمة ، واتفاق الأفتدة ، والنصائح في السر والعلانية ، وما عوّده الله ممن نصب له يجاذبه ورماه بمكيدة ، وعراه بحيلة : من النصر العزيز ، والفتح القريب ، والظفر المبين . فأبذل من الجزية ما شئت ، وسمّ منها ماهويت . وأعلم أن أمير المؤمنين ليس يحدوك عليها لحاجة به إليها ولا للمسلمين ، ولكن طاعة لربه وأثرة لحقه ، وليجعلها سبباً لما يريد أن يجري فيما بينه وبينكم . وإنه إنما كان قبول المهدي — رحمه الله — الفدية منكم ، بطلبه أمير المؤمنين كانت إليه ، والحاجة كانت فيها عليه ؛ ولم يكن من رغبة فيها ، ولا حاجة إليها ، ولا استعظام لها ، ولقد كان يعطى في المجلس الواحد مراراً أمثالها ، ولكن ذلك كان رأى أمير المؤمنين يومئذ فيكم . فأما اليوم إذ استبان له غدركم وتقضكم ونكثكم وأستخفافكم بدينكم وجرأتكم على ربكم ، فليس بين أمير المؤمنين وبينكم : إلا الاسلام أو الحرب المجلية ، إن شاء الله . ولا حول بأمر المؤمنين ولا قوة إلا بالله ؛ عليه يتوكل وبه يثق وإياه يستعين . والسلام على من أتبع الهدى .

(١) في الأصل : "ولأبذلوا ... " . (٢) كذا في الأصل وهو غير واضح ولعل أصل الجملة "ولا يمتنعك ما فيه ... الخ" فسقط هذا أو نحوه سهواً من النسخ . (٣) كذا في الأصل .

٣ - رسالة يحيى بن زياد في تقرير الرشيد

أما بعد، فإني أسأل الله لأمر المؤمنين في غير أمورهم، أحسن ما عودته في سالفها من السلامة التي حرسه بها من المكاره، والعز الذي قهر له به الأعداء، والنصر الذي مكّن له في البلاد، والهدى الذي وهب له به المحبة، والرفق الذي أدّر له به الحلب، والاستصلاح الذي آتت له به الرعية، حتى يكون بما أعطاه من ذلك، وما هو مستقبل به منه، أبعده خلفائه في الخير ذكراً، وأبقاهم في العدل أثراً، وأطوّلهم في العمر مدّة، وأحسنهم في المعاد منقلباً.

ثم نحمد الله الذي جعل نعمته على أمير المؤمنين شواهد منه على منزلته منه ومكانه عنده، لا يحتاج معها إلى شهادات المثنيين، ولا صفات المقرّبين، ثم جعل ذكر نعمته على أمير المؤمنين ومناصحتها والمجاهدة لمن كادها فريضة أوجبها على العباد، ومحبة امتحانهم بها، وفرقنا ميزه بينهم، فمن أصبح من رعيته أكثر شغله أن يستعمل لسانه في صفته، وذكّر محاسنه وفضائله، ووجوب حقه وطاعته، فقد أصبح أثراً أولى الأمور وأحسنها مغبّة في دنياه ودينه، ومن بدل ذلك عن قدرة عليه، ودفعه بعد معرفة، فلم يدعه إلا عن خذلان حاق به، أو بدعة آتت له، كانت حجة الله لأمر المؤمنين عليه هي الكافية لمؤنته. وقد كان علماء الناس وجّهاتهم يسوّون في عام المعرفة بفضل أمير المؤمنين، فأما الخاص فلاهل الفضل فيه فضلهم، غير أنه مها كان من ذلك فقد أصبحوا وهم فيه على منازل ثلاث: حاسد حجب الحسد بصره عن مواقع الصواب أن يراه، والنعمة أن يشكرها، والحق أن يؤدبه، وكانت معرفته عليه وبألا، وحسده إلى الضربة قائداً. أو ذو هوى قاده الهوى إلى البدعة وأخرجته الضلالة من الجماعة، فهو عرضة لسوء الأدب أو سيف النكال، لم يوحش الله أحداً بفقده، ولم يعزر أحداً بموالاته. وموقف معصوم استنقذه [الله]

(١) في الأصل: «الغير». (٢) في الأصل: موقف معصوم ثم استنقذه بمولاه الخ.

بمؤالاة أمير المؤمنين من غل الحسد وبدع الآراء وجبله على صحّة الهوى ، فهو إن نظّر فبعينه ينظر ، وإن قال فبلسانه يقول ، لا يأمن حتى يعلم أن أمير المؤمنين قد استوّطاً مهاداً الخفّض ، ولا يزال له طليعة رأي^(١) تُوفي على خُطة حرم وغامض فطنة ، تغلغل إلى لطيف منفعتة [تكون] سهم مكيدة نحو عروة ، قد علم أن يوم أمير المؤمنين يومه ، وأن غده غده ، فهو وإن تعرّض لأداء الحقّ في نصيحته ينظر لنفسه نظر من لا يأمل السلامة إلا بسلامته ، ولا البقاء إلا ببقائه . وقد رجوت بالتقراية التي جعلها الله لي به ، والواجب الذي عرفته من حقه ، والعظيم الذي حملته من معرفته ، ألا يكون أحد ينظر إليه بعين الإشفاق أقوم ما جعله الله أهله مني ، فإن أباع الذي أردت فتوفيق الله ، وإن أقصر فعن مثل ما حاولت قصر المجتهد .

فأقول ما أنا ذا كره من فضله : أن الله قدم له الصنع في سابق علمه ، بفعل محتده خير المحاند عنصراً ، ثم آختر له أباً فأباً لا ينقله من أب إلى أب إلا تقل معه وإليه فضيلة العنصر الذي هو منه حتى صيره بعد فضائل آبائه إلى أفضل بدنة ، فكان خير خليف من خير سلف ، وأفضل ولد من أفضل أبوة ، وأرضى إمام من أزكى أئمة ، ثم آختر له مكارم الأخلاق ، وألبسه جمال الصورة ، فلا نعلم نحن ولا آباؤنا خليفة أبعد في حلمه من ذلك ، ولا في هيئته من تجرّب ، ولا في شدّته من عنف ، ولا في لينه من وهن ، ولا في أناته من غفلة ، ولا في آقتصاده من بخل ، ولا في بذله من إضاعة ، ولا أرق وجهاً عند لقاء ، ولا أحسن بشراً عند تحية ، ولا أغزر دمعاً عند موعظة ، ولا ألين قياداً عند تذكير بالله منه .

(٢) ثم أفضت إليه الخلافة وفي المال ما فيه من القلّة ، وفي الناس ما فيهم من الإحراج ، فما دقع عن مال يُعطيه عن قلّة ، ولا قطع عادة توسّعة على رعيته ، ثم استدرّ الحلب برفقه ، فكلمّا دزّله منه شخب فوّقه طائفة من جنّده حتى سقاهم بعد التفويق رياً ، وبعد النهل

(١) في الأصل : "عورة" . (٢) الإحراج : الضيق وفي الأصل . "الاستخراج" .

(٣) الشخب (بالضم) : ما خرج من تحت يد الحالب عند كل غمزة وعصرة للضرع . (٤) فوّقه الشيء : أعطاه إياه قليلاً قليلاً .

عَلَّابًا، ثم ساس رعيته بألين السياسة فعفا عن مذنبها ولو شاء لعاقب، وأمن خائفها ولو
 طب لأدرَك، ودفع بالحسنة السيئة ولو كافيًا لقدّر، فما برح صنع الله له يفرض جموع
 الضلالة بلا قتال، ويُعزله النَّصْر بلا مكاترة، حتى فرغ بشُّغله من كان لا يفرغ من الوزراء،
 ونام بسهره من كان لا ينام من العامة، وأطمأنت بما آتته للأسفار دار من كان لا ينال
 الخفض من الجنود حتى استوطئوا مركب الأمن فكلهم ضنين بمفارقتهم. أما ذو النية فركب
 إلى النقص. وأما من لا يبدله ففعل ما كان يؤخذ به من الاستكراه. وأما الحشر من الجند
 والرَاع فغلبت عليهم عادة الهوينا، حتى لو رأيناه يجذبه الأمر فما يجد له الأمر غناءً عنده
 ولا نشاطًا ولا حدا إن وكله إلى قوته، وقواه بماله. (٢)

فلما رأى ما رأى من تحاذل العاقبة، وتواكل الجنود، وتزور الفئء، وجمود الحلب،
 وأستكلاب العمال على الخيانة، وبجراة الرعية على منع الحق، ومال الفراغ بكثير من الناس
 عن الفصد، فتحزكت الأهواء، وأستعرت نيران العصبية، وجاشت صدور الحسدة
 وأشياءهم بالأمانى، وظنوا أن لا شدة معه، وأن عفوه لا تكبر بعده، وأمير المؤمنين
 يرمقهم بعين بصيرة، وأذن مِصْبِخَة، وقلب يقظان، وقد وفر الحلم أن يخف لأقول بوادر
 السفهاء، فهو ينتظر بالمُدبر أن يقبل، وبالمسائد أن يعتدل، وبالمغلوب على رأيه أن يتذكر
 فيبصر، ثم في إثرهم تسمير من قدم الروية قبل العجلة، والعفو قبل العقوبة، والنهت
 قبل الإقدام، فاتخذ روابط أتعها على الجسد والنشاط، ليست لهم سوايق تدعوهم إلى
 الإدلال، وتسمع بهم إلى كثير لم ينالوه، إنما همهم أن يتفاضلوا في النجدة، ويستوجبوا
 بالغناء، ثم ترفههم على خواص خدمه، فإذا أراد أن يتناول بهم فرصة ممكنة، أو عدوا غاط،
 أو رائق فتق قبل الساعة، يغمس يديه إلى أيهم أراد، فينفذ لأمره ولم يشركه فيه مستير،
 ولم يخرج به توقع، ولم يخص فيه عاقبة، ولم يطلع منه على مكيدة، فلم نعلم أننا رأينا جندا

(١) في الأصل : « بمفا آه » . (٢) في الأصل : « إن وكله إلى قوته ولا نشاطًا ولا حدا وقواه

بماله » . (٣) غاط : دخل .

أسرع نهضةً إذا مروا ، وأحسن إجابةً إذا دُعوا ، وأفضل غناءً إذا استكفوا من جنده .
ثم قصّد بنفسه حتى مثل بين النواحي الى أهمها له فسأداً في البيضة ، وانتقاصاً من
الأطراف ، فأتى ناحية الشام فوطئها وطأة جمع الله بها لهم شتات الفرقة ، وأحمد بها بينهم
نار الفتنة .

وأما الجزيرة فإنه ألناها وهي كالجرح النغل ، فاستأصل الله به منها سافة الداء ، وأطفأ به
عنها بوادر السفهاء ، وخير أمير المؤمنين من منزله الذي هو به منزلاً جمع من بسطته
في الموضع ، ورفاهيته في المعاش ، أنه حامل للجنود ، جامع للرافق ، فباشراً أمره أمراً ،
حتى إذا استدبر له منها مبرم ، استقبل بعده جسماً منقضىً ، وإذا أشحن من ثغوره نغراً
لم يرض حتى يفتح من حصون أعدائه حصناً ، وإذا قضى الله عنه حجة ، وصل خطوه
منها عزاً ، ثم رأينا ما عزم الله به عليه من ترك الصوائف مراقباً للذي كان من غموظ
أهل الشام لما كانوا فيه من النعمة ، فلم تتشكك في أنه توفيق من الله له وافق تخطأ
عليهم حتى استباحوا الحرم ، وتسافكوا الدماء ، ونقضوا ما بينهم من مبرم جبل الإسلام .

ومن ذلك أن أرمينية كانت فيها جنود تخرج عليهم أطاع تحمل اليها ، بعد اعترافهم
بإخراجهم الأموال من كور الشام ، فلما رأى ذلك فعل كذا وكذا ، فلم يتوكل على الله في أمر
فوكله الى نفسه ، ولم يكتف به في حفظ طرف أو قاصية نغراً إلا كفاه مؤنته ، وعلم أن
ما يدخل ممن أضعاف العافية من عوارض العلل ، إنما هو بتقدير من الله لا يمتنع بعدد ،
ولا يستطيع دفعه بحيلة ، يصيب فيه أقواماً بالبلايا والتحصيص ، ويقسم فيه لأقوام الأجر
والجهاد والسعادة ، فرأى أن في عاجل ما يرفع عن أهل أرمينية من ضرر مؤنتهم
وتعطيلهم نفعاً للردعية ، وإجمالاً للقي ، ورفقاً بالعامة مع اقتصاده في الأبواب على أكاف
سجيتها ، وفي سائر أرمينية على المقاتلة من أهلها ، ولم يزل منذ أراه الله ذلك ، يكفيه مؤونة
ذاك الثغر ، ويكف عنه بوائقه ، حتى كأنه في هدوء الأحداث عنه ، وسكون الأفتدة من

(١) الصوائف : جمع صائفة وهي الغزوة في الصيف .

رَوَعَاتِهِ مِصْرٌ مِنَ الْأَمْصَارِ ، وَإِسْطُ الْحَمَلَةِ مَأْمُونُ النَّائِرَةِ . فَلَمَّا آغْنَمَ حَاقَانَ مَا آغْنَمَ ، وَآتَهَزَ الْفُرْصَةَ مُبَادِرًا ، لِمَا قَدْ آيَقَنَ مِنْ مَعَالِجَةِ الْمُؤْمِنِينَ إِيَّاهُ ، فَكَأَنَّهُ حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْ إِعْظَامِهِ إِيَّاهُ بِسَبَبِهِ لَهُ ، وَمَا أَنْصَبَ فِيهِ مِنْ بَدَنِهِ ، وَأَسْهَرَ فِيهِ مِنْ لَيْلِهِ ، وَأَنْصَبَ فِيهِ مِنْ نَهَارِهِ ، لَمْ يَعْلَمْ الَّذِي يَكُونُ مِنْ أَشْتَبَاهِهِ فِي الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ قَبْلَهُ ، وَأَنَّهُ بِذَلِكَ لِحُدُوثِ عَالَمٍ ، غَيْرَ أَنْ حَمِيَّتِهِ لِلْإِسْلَامِ وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِ وَآمْتَعَاظِهِ مِنْ أَنْ يُتَنَاوَلَ شَيْءٌ مِنْ أَطْرَافِهِ ، قَدْ زَادَ ذَلِكَ عِنْدَهُ قَدْرًا فِي الْعِظَمِ ، وَتَفَاقُمًا فِي الْخَطْبِ ، حَتَّى أَكْمَلَ الْبَعْثَ بِأَكْثَرِ الْعَدَدِ ، وَأَكْمَلَ الْعُدَّةَ ، وَأَسْتَقْبَلَ أَهْلَ الْكُورِ وَالْأَمْصَارِ ، وَنَدَبَ لَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مَنْ لَمْ يَتْرِكْ بَعْدَهُ نَهَابَهُ فِي التَّخْيِيرِ ، وَكَانَ قَدْ صَرَفَ بِاللَّهِ إِلَى هَذَيْنِ الثَّغْرَيْنِ مِنَ الْخَزَرِ وَالرُّومِ ، وَإِلَى هَذَيْنِ الْعَسَدَيْنِ الْمَحَارِبَيْنِ لَهُ مِنْ الْمَارِقَةِ الْمُتَعَصِّبَةِ .

فَلَمَّا بَلَغَ اللَّهُ فِي إِحْكَامِ أَمْرِهِمَا مَا بَلَغَ ، لَمْ يَسْتَعْنِ عَنْ إِعَادَةِ النَّظَرِ فِي أَمْرٍ غَيْرِهِمَا مِنْ نَوَاحِيهِ لِيَسْتَبْرِيَّ بِهِ ، وَإِرَادَتِهِ فِي أَقْوَامٍ يُدَافِعُ ظُنُونَهُمْ بِهِ فِي أُخْرَى ، وَعَلِمَ غَيْرَهُمَا أَنَّ مَا شَبِهَ مَنْ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ مِنَ الْأَمْنِ وَالْفِرَاقِ نَتِيجَةُ مَكْرُوهُةٍ ، فَشَخَّصَ عَنْهَا لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ مُؤَثَّرًا لِأَبْغَضِ وَطَنِيهِ عَلَى أَحَبِّهِمَا وَأَحْسَنَ عَيْشِيهِ عَلَى أَلْيَنِيهِمَا ؛ فَلَمَّا ظَهَرَتْ لَهُ الْعَوْرَةُ أَقْدَمَ إِقْدَامَ ذِي الْحِجَّةِ ، فَلَمْ يَرْمِلْهَا نَارًا حَبَّتْ ، وَبِحَابَةِ أَقْشَعَتْ ، لَمْ يَسْفِكْ بِهَا دَمَ أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ صَبْرًا ، وَلَمْ يَتَّكِفْ فِيهَا حُرْمَةَ مَحْرَمٍ إِبَاحَةً .

وَذَلِكَ أَنَّهُ بَسَطَ يَدَهُ بَسْطًا مِنْ يُرِيدُ الْأَسْتِصْلَاحَ لَا مِنْ يُرِيدُ الْإِنْتِقَامَ ، فَلَمْ يَلْبَثِ الظَّالِعُ أَنْ رَجَعَ عَنْ ظَلْعِهِ ، وَالنَّاطِقُ أَنْ صَمَّتْ عَنْ يَدْعَتِهِ ، وَالنَّاكِتُ أَنْ رَجَعَ إِلَى قَصْدِهِ ، وَأَزْدَادُ الْبَرِّ ، عَلَى الْبِرَاءَةِ فَرِحُوا ، وَالسَّلَامُ بِالسَّلَامَةِ آغْتَبَاطًا ، وَلَمْ تَزَمَّ مَثَلَهُ فِيمَا أَفْضَى اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ مِنْ خِلَافَتِهِ ، وَحَمَلَهُ مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ ؛ أَمَا لَيْلُهُ بِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ فِيهَا وَاسْتِعَانَتِهِ إِيَّاهُ عَلَيْهَا فَسَاهِرٌ ؛ وَأَمَا نَهَارُهُ فِي حَلَبٍ فِيهَا وَإِحْكَامِ أُمُورِهَا فَتَعَبٌ ؛ وَأَمَا صَدَقَاتُهُ عَلَى فَقَرَائِهَا وَأَهْلِ الْحَاجَةِ بِخَارِيَّتِهِ ؛ وَأَمَا مَجْلِسُهُ مِنْ فُقَهَائِهَا وَصُلَحَائِهَا فَعَاصٍ ؛ وَأَمَا غَلْظَتُهُ عَلَى ظَالِمِهَا فَعَتِيدَةٌ ؛ وَأَمَا أَفْضَالُهُ لِمَظْلُومِهَا فَمَبْسُوطَةٌ ؛ وَلَئِنْ كَانَ الْحَقُّ أَلْزَمَ أَقْوَامًا اسْتَوْجَبُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ،

إننا لنعلم أن ما ترك أكثر، وأنه لولا ما خفف من الوطأة على أقوام حمل الواحد منهم مثل الذي حمّله للجميع، ولكنه رضى بالعفو، وبتخا نفساً عن الاستقصاء، فأوجب أن يبسط يداً بغلظة ويتبعها أخرى بلين؛ فكان من ذلك نظره في هذه البقايا التي هي في المسلمين ومال الله، غير أن الله جعله قيمة فيه، وفي أخذه وصرفه في وجوهه؛ فلما رأى ضراوة العمال بها ومصانعتهم دونها، وأن قد صارت كالتسنة اللازمة لا يدعها عفيفهم تورعاً، ولا شريفهم تزهاً، أحب مع توفيره للمسلمين فيهم، أن يحدث لهم أدباً يقطع به عنهم أهل الضراوة، ويعرف به ذؤو الاستخفاف بالأمانة، والأمر للتبعة؛ أن عليهم من تفقده وأدبه عيناً ترمق، ويداً تقبض، ولو أنه حين هم بأخذ تلك البقايا حمل على المؤسّر بقدر يساره، وأخذ المُعسر بطاعته، كان قد أنصف، كلاً! ولكنه أحب أن يستبق قوة، ولا يبلغ من المكثّر جهداً، واقتصر بهم على العشر من ذلك، كرمًا في القدرة حين رأى موضع الرفق، وتجاقياً عن العلة حين عرف مكان القدرة؛ فأى نعمة أعظم، وأى بلاء أحسن من هذه البقايا! كانت في أيديهم جُمَاماً، فلما أطلع طلعمها، وأخذ ما أخذ، وترك ما ترك، محلاً مع ما جعل الله في ذلك من [كلمات] ^(٣) المقصّر من العمال المؤذية التي لم تكن تعدو أفواههم، فليس منهم أحدٌ إلا وكان منه له واعظ ألا يكسر شيئاً من الخراج تضييعاً، أو يأخذ غلواً ^(٤) أو ينفقه إسرافاً، أو يتركه إرهاباً.

فلما تفرغ من علاج الداء الخوف وأستأصله، ومن النوى المتفرقة بجمعه، ومن الأمور المعظلة فأحكّمها، أستخلف على القيام بذلك من يحويه عقله عن حذر، ولا إضاعة عن حفظ، ولا لين عن تشدد، ولا يستحل الأكل عن نقض ما أبرم، ولا مزاولة ما أحكم، ولا فتح ما أغلق، ولا إغلاق ما فتح، فلان خيرة أبويه، ومخ بيضته، وجوهر أرومته، الفأيت سبباً، اللين عدواً، الراسخ عرفاً، المنفجر بحراً، الحمود أمراً، القائل فصلاً،

(١) الضراوة: اللهج بالثني والإغراء به. (٢) في الأصل: «لهم» والسياق يقتضى ما أثبتناه.

(٣) وضعنا هذه الكلمة لأنها تنفق والسياق، ومكانها في الأصل يابض. (٤) الغلول: الطعام أو الشراب

الذي يدخل في الجوف.

الحاكم عدلاً، ثم أنصرف بما أفاده الله من الأجر إلى جناحه الذي كان مده على من خلف من الأهل والأموال والرعايا والجنود، فلان سليله صلبه، وثمرة قلبه، المحتك مع فتاة سنه عقلاً، والمأمون مع شدة شكيمة حملاً، والمحصد مع لينه وتعطفه أمراً، الشبيه بأمر المؤمنين إن نطق نطقاً، وإن نظر لحظاً، وإن سئل جوداً، وإن اهتصر عوداً، وإن ساس رفقا، وإن غضب حملاً، وإن وصف علماً، وإن كلم فهماً، وإن قدر عفواً، وإن لقي بشراً، وإن نازع قلباً، وإن قارع ظفراً، فكان عند ظنه به، رعاية للحُرمة، وحرماً في المكيدة، وحلباً للفتي، وحياطة للغائب، ومباشرة للشاهد؛ هذا قليل من كثير. مما جعلك الله أهله، وإنما اقتصرْتُ عليه لاني رأيت المتكلمين من الخطباء تركوه، وأن ما سمعت من الكتب المقروءة لم تنظمه، فأحببتُ أن يعلم أمير المؤمنين أن له في كل أمرٍ عمل به في رعيته حجة واضحة، وعذراً معروفاً، إن قام به متكلم في خاصة حسن موقعه، وإن قُرئ به كتاب في عاقبة، قويت به حجته .

والحمد لله الذي جعله وذريته أولياء هذه النعم، والمخصوصين بهذه الفضائل، ونسأله أن يُقيمه وإياهم للدين الذي سد بهم عورته، والحق الذي أقر بهم جادته، والعدل الذي أوضح بهم أعلامه، حتى يكونوا ورثة هذه الأمة وخلفاءها في غابر الدهر، وباقيات الأيام؛ مستقلين بالعدل، موقنين للسداد، معصومين من الشبهات، مستوجبين مع فضائل الدنيا لأفضل كرامات المعاد . والسلام .^(١)

(١) هذه الرسالة ورسالة أبي الربيع محمد بن الليث السابقة من كتاب اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور .

كتب الرشيد

١ - كِتَابُ عَهْدِ الْبَيْعَةِ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه محمد بن هارون أمير المؤمنين في صحبة من عقله ، وجواز من أمره ، طائعا غير مكره ، إن أمير المؤمنين ولاني العهد من بعده ، وصير البيعة لي في رقاب المسلمين جميعا ، وولي عبد الله بن هارون أمير المؤمنين العهد والخلافة ، وجميع أمور المسلمين بعدى ، برضا منى وتسلم ، طائعا غير مكره . وولاه خراسان وثغورها ، وكورها وحربها ، وجندتها وخراجها ، وطرازها وبريدها ، وبيوت أموالها وصدقاتها ، وعشرها وعشورها ، وجميع أعمالها في حياته وبعده ، وشرطت لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، برضا منى وطيب نفس ، أن لأخى عبد الله بن هارون على الوفاء بما عقد له هارون أمير المؤمنين : من العهد والولاية والخلافة ، وأمور المسلمين جميعا بعدى ، وتسليم ذلك له وما جعل له من ولاية خراسان وأعمالها كلها ، وما أقطعه أمير المؤمنين من قطيعة ، أو جعل له من عقدة أو ضيعة من ضياعه ، أو اتباع من الضياع والعقد ، وما أعطاه في حياته وصحته من مال ، أو حلي أو جوهر ، أو متاع أو كسوة ، أو متز أو دواب ، أو قليل أو كثير ، فهو لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، موقرا عليه مسلما له . وقد عرفت ذلك كله شيئا شيئا ، فإن حدثت بأمر المؤمنين حدث الموت ، وأفضت الخلافة الى محمد بن أمير المؤمنين ، فعلى محمد إنفاذ ما أمره به هارون أمير المؤمنين ، في تولية عبد الله بن هارون أمير المؤمنين خراسان وثغورها ، ومن ضم إليه من أهل بيت أمير المؤمنين بقرماسين^(٢) ، وأن يمضى عبد الله بن أمير المؤمنين الى خراسان والرّي ، والكور

(١) هذا العهد ورد في تاريخ البعقوبي (ج ٢ ص ٥٠٢ طبعة ليدن) وفيه عبارات تخالف ما أثبتناه هنا

عن الطبرى . (٢) قرماسين : موضع بين الزبيدية ومكة .

التي سماها أمير المؤمنين حيث كان عبد الله ابن أمير المؤمنين من معسكر أمير المؤمنين وغيره ، من سلطان أمير المؤمنين ، وجميع من ضم إليه أمير المؤمنين حيث أحب من لدن الرى الى أقصى عمل خراسان ، ليس لمحمد ابن أمير المؤمنين أن يحول عنه قائداً ولا مقوداً ولا رجلاً واحداً من ضم إليه من أصحابه الذين ضمهم إليه أمير المؤمنين ؛ ولا يحول عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولايته التي ولأه إياها هارون أمير المؤمنين : من ثغور خراسان وأعمالها كلها ، ما بين عمل الرى مما يلي همدان الى أقصى خراسان ، وثغورها وبلادها ، وما هو منسوب إليها ولا شخصه إليه ؛ ولا يفرق أحداً من أصحابه وقواده عنه ، ولا يؤتى عليه أحداً ، ولا يبعث عليه ولا على أحد من عماله وولاة أموره ^(١) بنداراً ولا محاسباً ولا عاملاً ، ولا يدخل عليه في صغير من أمره ولا كبير ضرراً ، ولا يحول بينه وبين العمل في ذلك كله برأيه وتديره ، ولا يعرض لأحد من ضم إليه أمير المؤمنين من أهل بيته وصحابته ، وقضاته وعماله ، وكتابه وقواده ، وخدمه ومواليه وجنده ، بما يلمس إدخال الضرر والمكروه عليهم في أنفسهم ، ولا قراباتهم ولا مواليتهم ، ولا أحد يتنسل منهم ؛ ولا في دمايتهم ولا في أموالهم ، ولا في ضياعهم ودورهم ، ورباعهم وأمتعتهم ، ورقيقهم ودوابهم ، شيئاً من ذلك صغيراً ولا كبيراً ، ولا أحد من الناس بأمره ورأيه وهواه ، وبترخيص له في ذلك ، وإدهان منه فيه لأحد من ولد آدم ، ولا يحكم في أمرهم ، ولا أحد من قضاته ومن عماله ، ومن كان بسبب منه ، بغير حكم عبد الله ابن أمير المؤمنين ورأيه ورأى قضاته ؛ وإن تزع إليه أحد ممن ضم أمير المؤمنين الى عبد الله ابن أمير المؤمنين ، من أهل بيت أمير المؤمنين وصحابته ، وقواده وعماله وكتابه وخدمه ، ومواليه وجنده ، ورفض أسمه ومكتبه ومكانه مع عبد الله ابن أمير المؤمنين ، عاصياً له ، أو مخالفاً عليه ، فعلى محمد ابن أمير المؤمنين رده الى عبد الله ابن أمير المؤمنين ، بصغير له وقماء ^(٢) ، حتى ينفذ فيه رأيه وأمره ؛ فإن أراد محمد ابن أمير المؤمنين خلع عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية العهد من بعده ، أو عزل عبد الله ابن أمير المؤمنين

(١) البندار : الحافظ . (٢) القماء : الذل والخضوع .

عن ولاية خراسان ، وثغورها وأعمالها ، والذي من حدّ عملها مما يلي همدان ، والكُور التي سماها أمير المؤمنين في كتابه هذا ، أو صرّف أحد من قواده الذين ضمّهم أمير المؤمنين إليه ، ممن قدّم قَرَمَاسين ، أو أن يَنْقِصَه قليلا أو كثيرا ، مما جعله أمير المؤمنين له ، بوجه من الوجوه ، أو بحيلةٍ من الحيل ، صَغُرَتْ أو كَبُرَتْ ، فإِعبَد الله بن هارون أمير المؤمنين الخِلافةُ بعد أمير المؤمنين ، وهو المُقَدَّم على محمد بن أمير المؤمنين ، وهو وليُّ الأمر من بعد أمير المؤمنين ، والطَّاعةُ من جميع قواد أمير المؤمنين هارون ، من أهل خراسان وأهل العطاء ؛ وجميع المسلمين في جميع الأجناد والأمصارع لعبد الله بن أمير المؤمنين والقيامُ معه ، والمُجاهدةُ لمن خالفه ، والنَّصرُ له والدَّبُّ عنه ، ما كانت الحياةُ في أبدانهم ، وليس لأحدٍ منهم جميعا من كانوا أو حيث كانوا أن يخالفه ولا يعصيه ، ولا يخرج من طاعته ؛ ولا يطيع محمد بن أمير المؤمنين في خلع عبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، وصرّف العهد عنه من بعده إلى غيره ، أو تنقصه شيئا مما جعله له أمير المؤمنين هارون ، في حياته وصحته ؛ وأشترط في كتابه الذي كتبه عليه في البيت الحرام ، وفي هذا الكتاب ؛ وعبد الله بن أمير المؤمنين المصدّق في قوله ، وأتم في حلّ من البيعة التي في أعناقكم لمحمد بن أمير المؤمنين هارون ، إن نقص شيئا مما جعله له أمير المؤمنين هارون ، وعلى محمد بن هارون أمير المؤمنين أن ينقاد لعبد الله ابن أمير المؤمنين هارون ، ويُسلم له الخِلافةُ ؛ وليس لمحمد بن أمير المؤمنين هارون ، ولا لعبد الله بن أمير المؤمنين ، أن يتخلعا القاسم بن أمير المؤمنين هارون ، ولا يقدّما عليه أحدا من أولادهما وقرباتهما ، ولا غيرهم من جميع البرية ؛ فإذا أفضت الخِلافةُ إلى عبد الله بن أمير المؤمنين ، فالأمرُ إليه في إمضاء ما جعله أمير المؤمنين من العهد للقاسم بعده ، أو صرّف ذلك عنه إلى من رأى من ولده وإخوته ، وتقديم من أراد أن يقدّم قبله ، وتصيير القاسم بن أمير المؤمنين بعد من يقدم قبله ، يحكم في ذلك بما أحبّ ورأى ؛ فعليكم معشر المسلمين إنفاذ ما كتب به أمير المؤمنين في كتابه هذا ، وشرط عليهم وأمر به ؛ وعليكم السمع والطاعةُ لأمر المؤمنين فيما ألزمكم وأوجب عليكم لعبد الله بن أمير المؤمنين ؛

وعهدُ الله وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذم المسلمين ، والعهود والمواثيق التي أخذ الله على الملائكة المُقَرَّبِينَ والنبيين والمرسلين ، ووَكَّدها في أعناق المؤمنين والمسلمين ، لَتَفَنَّ لعبد الله أمير المؤمنين بما سَمَّى ، ولمحمد وعبد الله والقاسم بنى أمير المؤمنين بما سَمَّى ، وكتب في كتابه هذا وأشترط عليكم ، وأقررتم به على أنفسكم ؛ فإن أتم بدلتم من ذلك شيئا ، أو غيرتم أو نكحتم ، أو خالفتم ما أمركم به أمير المؤمنين ، وأشترط عليكم في كتابه هذا ، فبرئت منكم ذمة الله ، وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وذم المؤمنين والمسلمين ، وكلُّ مالٍ هو اليوم لكل رجل منكم ، أو يستفيده إلى خمسين سنة فهو صدقةٌ على المساكين ، وعلى كلِّ رجل منكم المثنى إلى بيت الله الحرام الذى بمكة خمسين حجة ، نذرا واجبا ، لا يقبل الله منه إلا الوفاء بذلك ؛ وكلُّ مملوك لأحد منكم ، أو يملكه فيما يستقبل إلى خمسين سنة حرًّا ، وكلُّ امرأة له فهي طالق ثلاثا البتة ، طلاق الحرج لا مثنوية فيها ، والله عليكم بذلك كفيلاً وراعٍ ، وكفى بالله حسيبا .

٢ - نسخة الشرط الذى كتب عبد الله بن أمير المؤمنين

بخط يده فى الكعبة

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه له عبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، فى صحبة من عقله ، وجوازٍ من أمره ، وصدق نية فيما كتب فى كتابه هذا ؛ ومعرفة بما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين .

إن أمير المؤمنين هارون ولانى العهد والخلافة ، وجميع أمور المسلمين فى سلطانه ، بعد أخى محمد بن هارون ؛ وولانى فى حياته ثغور خراسان وكورها وجميع أعمالها ، وشرط على محمد بن هارون الوفاء بما عقد لى من الخلافة ، وولاية أمور العباد والبلاد بعده ، وولاية خراسان وجميع أعمالها ، ولا يعرض لى فى شىء مما أقطعتنى أمير المؤمنين ، وأبتاع لى من الضياع والعقد والرابع ، وأبتعت منه من ذلك ، وما أعطانى أمير المؤمنين من الأموال ، والجواهر والكساء ، والمتاع والدواب ، والرقيق وغير ذلك ؛ ولا يعرض لى ولا لأحد من

عَمَّالِي وَكُتَّابِي بِسَبَبِ مَحَاسِبَةٍ، وَلَا يَتَّبِعْ لِي فِي ذَلِكَ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَبَدًا؛ وَلَا يُدْخِلْ عَلَيَّ وَلَا عَلَيْهِمْ، وَلَا عَلَيَّ مِنْ كَانَ مَعِيَ؛ وَمَنْ أَسْتَعْنَتْ بِهِ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ مَكْرُوهًا فِي نَفْسٍ وَلَا دَمٍ وَلَا شَعْرٍ وَلَا بَشِيرٍ وَلَا مَالٍ، وَلَا صَغِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ وَلَا كَبِيرٍ، فَأُجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَأَقْرَبَهُ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا أَكَّدَ فِيهِ عَلَيَّ نَفْسَهُ، وَرَضِيَ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ، وَقَبِلَهُ وَعَرَفَ صِدْقَ نَيْتِهِ فِيهِ؛ فَشَرَطْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَعَلْتُ لَهُ عَلَيَّ نَفْسِي أَنْ أَسْمَعَ لِمُحَمَّدٍ، وَأَطِيعَ وَلَا أَعْصِيهِ؛ وَأَنْصَحَهُ وَلَا أَعْشَهُ، وَأُوفِيَ بَبَيْعَتِهِ وَوَلَايَتِهِ، وَلَا أَعْدِرُ وَلَا أُنْكُثُ، وَأَنْفِذُ كُتُبَهُ وَأَمُورَهُ، وَأُحْسِنُ مُؤَاظَرَتَهُ وَجِهَادَ عَدُوِّهِ فِي نَاحِيَّتِي؛ مَا وَفَّقَ لِي بِمَا شَرَطْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِي، وَسَمَّيْتُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبْتُهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَضِيَ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَتَّبِعْنِي بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَنْقُضْ أَمْرًا مِنْ الْأُمُورِ الَّتِي شَرَطْتُهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِي عَلَيْهِ؛ فَإِنْ أَحْتَاجُ مُحَمَّدَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى جُنْدٍ، وَكَتَبْتُ إِلَيْ يَأْمُرُنِي بِإِشْتِخَاصِهِ إِلَيْهِ، أَوْ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ النَّوَاحِي، أَوْ إِلَى عَدُوٍّ مِنْ أَعْدَائِهِ خَالَفَهُ، أَوْ أَرَادَ تَقْصُصَ شَيْءٍ مِنْ سُلْطَانِهِ أَوْ سُلْطَانِي الَّذِي أَسْنَدَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْنَا، وَوَلَّانَا إِيَّاهُ، فَعَلَيَّْ أَنْ أَنْفِذَ أَمْرَهُ، وَلَا أَخَالَفَهُ وَلَا أَقْصِرُ فِي شَيْءٍ، كَتَبْتُ بِهِ إِلَيْكَ؛ وَإِنْ أَرَادَ مُحَمَّدُ أَنْ يُوَلِّيَ رَجُلًا مِنْ وَلَدِهِ الْعَهْدَ وَالْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي، فَذَلِكَ لَهُ مَا وَفَّقَ لِي بِمَا جَعَلْتُهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ، وَأَشْرَطْتُهُ لِي عَلَيْهِ، وَشَرَطْتُ عَلَيَّ نَفْسِي فِي أَمْرِي؛ وَعَلَيَّْ إِنْفِذَ ذَلِكَ وَالْوَفَاءَ لَهُ بِهِ لَا أَنْقُصُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أُغَيِّرُهُ وَلَا أَبْتَدِلُهُ وَلَا أَقَدِّمُ قَبْلًا أَحَدًا مِنْ وَلَدِي وَلَا قَرِيبًا وَلَا بَعِيدًا مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ إِلَّا أَنْ يُوَلِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ أَحَدًا مِنْ وَلَدِهِ الْعَهْدَ مِنْ بَعْدِي، فَيُلْزِمُنِي وَمُحَمَّدًا الْوَفَاءَ لَهُ، وَجَعَلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُحَمَّدَ عَلَيَّ الْوَفَاءَ بِمَا شَرَطْتُ وَسَمَّيْتُ فِي كِتَابِي هَذَا، مَا وَفَّقَ لِي مُحَمَّدٌ بِجَمِيعِ مَا اشْتَرَطْتُ لِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِي، وَمَا أَعْطَانِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الْمُسَمَّاةِ فِي هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبْتُهُ لِي؛ وَعَلَيَّْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ، وَذِمَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَذِمَّتِي، وَذِمَّةُ آبَائِي وَذِمَّةُ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَأَشَدُّ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ مِنْ خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ، مِنْ عَهْدِهِ وَمَوَاقِيْعِهِ، وَالْإِيْمَانُ الْمَوْكَدَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ بِهَا، وَنَهَى عَنِ تَقْضِهَا وَتَبْسِئِهَا؛ فَإِنْ أَنَا تَقَضَّضْتُ شَيْئًا مِمَّا شَرَطْتُ

وسميت في كتابي هذا، أو غيرت أو بدلت أو نكثت أو غدرت، فبرئت من الله عز وجل، ومن ولايته ودينه، ومجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقيت الله يوم القيامة كافراً مشركاً؛ وكلّ امرأة هي لي اليوم، أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثاً البتة، طلاق الحرج؛ وكلّ مملوك هو لي اليوم، أو أملكه إلى ثلاثين سنة، أحرار لوجه الله؛ وعلى المشي إلى بيت الله الحرام الذي بمكة ثلاثين حجة، نذراً واجبا على في عني، حافياً راجلاً لا يقبل الله مني إلا الوفاء بذلك؛ وكلّ مال لي أو أملكه إلى ثلاثين سنة هدى بالغ الكعبة، وكلّ ما جعلت لأمر المؤمنين، وشرطت في كتابي هذا لأزمت لي، لا أضمر غيره، ولا أنوى غيره. وشهد سليمان بن أمير المؤمنين، وفلان وفلان. وكتب في ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائة.

٣ - نسخة كتاب الرشيد الى العمال

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فإن الله وليّ أمير المؤمنين ووليّ مآولاه، والحافظ لما آسترعاه، وأكرم به من خلفته وسلطانه، والصانع له فيما قدم وأخر من أموره، والمنعم عليه بالنصر والتأييد في مشارق الأرض ومغاربها، والكألى والحافظ والكافي من جميع خلقه، وهو المحمود على جميع آلائه، المستول تمام حسن ما أمضى من قضائه لأمر المؤمنين وعادته الجميلة عنده، وإلهام ما يرضى به ويوجب له عليه أحسن المزيد من فضله؛ وقد كان من نعمة الله عز وجل عند أمير المؤمنين وعندك وعند عوام المسلمين ما تولى الله من محمد وعبد الله آخى أمير المؤمنين من تبليغه بهما أحسن ما أملت الأمة ومدت اليه أعناقها، وقذف الله لها في قلوب العامة من المحبة والمودة والسكون اليهما والثقة بهما لعماد دينهم وقوام أمورهم وجمع ألفتهم وصلاح دهماتهم ودفع المحذور والمكروه من الشتات والفرقة عنهم حتى ألقوا اليهما أزمتهن، وأعطوهما بيعتهن، وصفقات أيمانهم بالعهود والمواثيق ووركيد الأيمان المغلظة عليهم؛ أراد الله فلم يكن له مرد، وأمضاه فلم يقدر أحد من العباد على نقضه ولا إزالته، ولا صرف له عن محبته ومشيئته، وما سبق في علمه منه؛ وأمير المؤمنين يرجو تمام النعمة

عليه وعليهما في ذلك، وعلى الأمة كافة لاعاقب لأمر الله ولا راداً لقضائه ولا معقب لحكمه؛ ولم يزل أمير المؤمنين منذ آجتمعت الأمة على عقد العهد لمحمد ابن أمير المؤمنين من بعد أمير المؤمنين، ولعبد الله ابن أمير المؤمنين من بعد محمد ابن أمير المؤمنين يُعْمَلُ فكره ورأيه ونظره ورويته، فيما فيه الصلاح لها ولجميع الرعية؛ واجتمع للكلمة، واللم للشت، والدفع للشتات والفرقة، والحسم لكيد أعداء النعم من أهل الكفر والنفاق، والغفل والشقاق، والقطع لآمالهم من كل فرصة يرجون إدراكها واتبازها، منهما بانتقاص حقهما، ويستخير الله أمير المؤمنين في ذلك ويسأله العزيمة له على ما فيه الخيرة لها، ولجميع الأمة والقوة في أمر الله وحقه وأتلاف أهوائهما، وصلاح ذات بينهما، وتحصينهما من كيد أعداء النعم، ورد حسدهم ومكرهم وبغيهم وسعيهم بالفساد بينهما، فعزم الله لأمر المؤمنين على الشخوص بهما الى بيت الله وأخذ البيعة منهما لأمر المؤمنين بالسمع والطاعة والإنفاذ لأمره، وأكتاب الشرط على كل واحد منهما لأمر المؤمنين ولها بأشد المواثيق والعهود، وأغلظ الأيمان والتوكيد، والأخذ لكل واحد منهما على صاحبه بما آتمس به أمير المؤمنين آجتاع ألفتها وموتتها وتواصلها ومؤازرتها ومكاتفتهما على حسن النظر لأنفسهما، ولرعية أمير المؤمنين التي آسترعاهما، والجماعة لدين الله عز وجل وكتابه وسنن نبيه صلى الله عليه وسلم، والجهاد لعدو المسلمين من كانوا وحيث كانوا وقطع طمع كل عدو مظهر للعداوة ومسر لها، وكل منافق ومارق، وأهل الأهواء الضلالة المضلة من فرقة تكيد بكيد توقعه بينهما، وبدحس يدحس به لها، وما يلتمس أعداء الله وأعداء النعم وأعداء دينه من الضرب بين الأمة والسعي بالفساد في الأرض، والدعاء الى البدع والضلالة، نظراً من أمير المؤمنين لدينه ورعيته، وأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ومناجحة لله ولجميع المسلمين، ودباً عن سلطان الله الذي قدره وتوحد فيه للذي حملة إياه؛ والاجتهاد في كل ما فيه قرينة الى الله، وما ينال به رضوانه والوسيلة عنده .

فلما قَدِمَ مَكَّةَ أَظْهَرَ لِمُحَمَّدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ وَمَا نَظَرَ فِيهِ لَهَا، فَقَبِلَا كُلَّ مَا دَعَاهُمَا إِلَيْهِ مِنَ التَّوَكُّيدِ عَلَى أَنْفُسِهِمَا بِقَبُولِهِ، وَكَتَبَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي بَطْنِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بِمَخْطُوطِ أَيْدِيهِمَا بِمُحَضَّرٍ مِنْ شَهِيدِ الْمَوْسِمِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَوَادِهِ، وَصَحَابَتِهِ وَقُضَاتِهِ، وَحُجَّجَةِ الْكَعْبَةِ وَشَهَادَاتِهِمْ عَلَيْهِمَا، كِتَابَيْنِ آسْتُودِعُهُمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَجْبُوعَ، وَأَمْرًا بِتَعْلِيْقِهِمَا فِي دَاخِلِ الْكَعْبَةِ؛ فَلَمَّا فَرَّغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ كَلَّمَهُ فِي دَاخِلِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَبَطْنِ الْكَعْبَةِ؛ أَمْرًا قُضَاتِهِ الَّذِينَ شَهِدُوا عَلَيْهِمَا وَحَضَرُوا كِتَابَهُمَا أَنْ يُعْلِمُوا جَمِيعَ مَنْ حَضَرَ الْمَوْسِمَ مِنَ الْحَاجِّ وَالْعُمَرَاءِ وَوَفُودِ الْأَمْصَارِ، مَا شَهِدُوا عَلَيْهِ مِنْ شَرْطِهِمَا وَكِتَابِهِمَا وَقِرَاءَةِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، لِيُفَهِّمُوهُ وَيَعُوهُ وَيَعْرِفُوهُ وَيَحْفَظُوهُ وَيُؤَدُّوهُ إِلَى إِخْوَانِهِمْ وَأَهْلِ بِلْدَانِهِمْ وَأَمْصَارِهِمْ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، وَقُرِئَ عَلَيْهِمُ الشَّرْطَانِ جَمِيعًا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ؛ فَانصَرَفُوا وَقَدْ آسْتَهَرُوا ذَلِكَ عِنْدَهُمْ، وَأَثْبَتُوا الشَّهَادَةَ عَلَيْهِ، وَعَرَفُوا نَظَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعِنَايَتَهُ بِصَلَاحِهِمْ، وَحَقَّقَ دِمَائِهِمْ وَلَمْ شَعَثَهُمْ، وَإِطْفَاءَ بَحْمَرَةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَاءِ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ عَنْهُمْ، وَأَظْهَرُوا الدُّعَاءَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالشُّكْرَ لِمَا كَانَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ نَسَخَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذِيكَ الشَّرْطَيْنِ اللَّذَيْنِ كَتَبَهُمَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ آبْنَاهُ مُحَمَّدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ فِي بَطْنِ الْكَعْبَةِ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ هَذَا؛ فَأَحْمَدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا صَنَعَ لِمُحَمَّدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ وَلِيِّيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا، وَأَشْكُرُهُ بِبِلَائِهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعِنْدَ وَلِيِّيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ وَعِنْدَكَ وَعِنْدَ جَمَاعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا؛ وَأَقْرَأُ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَنْ قَبَلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَفْهِمُهُمْ إِيَّاهُ، وَقُمْ بِهِ بَيْنَهُمْ وَأَثْبِتْهُ فِي الدِّيْوَانِ قَبْلَكَ، وَقَبَلِ قَوَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَعِيَّتِهِ قَبْلَكَ، وَأَكْتُبُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَبِهِ الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ وَالطَّوَلُ . كَتَبَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ صَبِيحٍ يَوْمَ السَّبْتِ لِسَبْعِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ .

باب المنظوم

صوّرنا لك بالمجلد الأول حالة الشعر في صدر الدولة العباسية وذكرنا لك جملةًصالحة من شعراء ذلك العصر ووعداك بذكر مختارات من شعرهم ، وإليك ما وعدناك به .

١ - بَشَّارُ بْنُ بُرْدِ الْعُقَيْلِيِّ^(١)

سأله المهدي لما دخل عليه فقال له : فيمن تُعَتِّدُ بِإِشَارٍ؟ فقال : أَمَا اللِّسَانُ وَالزُّبَى فَعَرِيَّانَ ، وَأَمَا الْأَصْلُ فَعَجَمِيٌّ ، كَمَا قُلْتُ فِي شِعْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

وَنَبَيْتٌ قَوْمًا بِهِمْ جَنَّةٌ * يَقُولُونَ مَنْ ذَا وَكُنْتُ الْعَلَمَ

أَلَا أَيُّهَا السَّائِلِيُّ جَاهِدًا * لِيَعْرِفَنِي أَنَا أَنْفُ الْكَرَمِ

(١) هو أبو معاذ بشار المرث بن برد ، أشعر نخصري الدولتين ، ورأس الشعراء المحدثين ، ومهد طريق الاختراع ، والبداع للفننين ، وأحد اللغاة المكفوفين . وأصله من فرس طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة ، ووقع ملك أبويه لبني عقيل بن كعب ، فنشأ بشار فيهم وترى في منازلهم ، واختلف إلى الأعراب الضاريين بالبصرة حتى خرج نابتة زمانه في الفصاحة والشعر . وكان أكرمهم مجدور الوجه ، قبيح المنظر ، مفرط الطول ، ضخم الجثة ، متوقد الذكاء ، صادق الحس ، لطيف الدراية ، شديد المحبوت والاستخفاف بالناس ، كثير الاستهتار بالدين ، قليل المبالاة للواقع فيه ، متهما بالزندقة شعوبيا ، متعصبا على العرب ، شديد التبرم بالناس ، نهاشا لأعراضهم ، لا يسلم من لسانه خليفة ولا سوقة ، وكان من سعادة الرجل من أهل البصرة ألا يعرف بشارا ولا بشار يعرفه ، فانه إن لم يصبه في عرضه أصابه في ماله . وقال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين ، وما بلغ الحلم إلا وهو تحشى معزة لسانه . وقد أجمع رواة الشعر وتقدمته على أن بشارا هو رأس المحدثين وأسبقهم إلى معاينة البديع ، وطرق أبواب المحبون والخلاعة والغزل الرقيق الحضري والهجاء المقذع .

وأنه أول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين ، وفتى عن المعاني الدقيقة ، والأخيلة اللطيفة ، حتى عد شعره برزخا بين الشعر القديم والحديث ، ومجازا يعبر عليه الشعر من مراحب البداوة إلى مقاصير الحضارة . وقد طرق كل باب من أبواب الشعر التي عرفت قبله وأربى عليها ، وظل عليه الهجاء والتشبيب بالنساء والخروج به عن الحد المألوف عند أهل زمنه ، حتى أنكزه عليه العلماء والمتورعون لما رأوا من سوء أثره في شبان البصرة . وقد نهاه المهدي عن التشبيب ، فكان إذا مالت له نفسه يذكره ما يشاء ، ويقول : إن الخليفة منعه من كذا وكذا وأنه له مطيع .

وضمن ذلك بعض قصائد مدح بها الخليفة ، فلم يزد على أن حرمه الجائزة ، وشجعه على ذلك وزيره يعقوب بن داود ، وكان متورعا ، فهجاهما ، فكان ذلك الزندقة سبب قتله . توفي سنة ١٦٧ هـ وقد تيف على التسعين . وتجد ترجمته في الأغاني (ج ٣ ص ١٩ وج ٦ ص ٧) وابن خلكان (ج ١ ص ٨٨) والشعر والشعراء (ص ٤٧٦) والفهرست (ص ١٥٩) .

نمت في الكرام بنى عامر * فروعى وأصلي قريش العجم
فإني لأغنى مقام الفتى * وأصبي الفتاة فما تعصم

وكان أبو دلامة حاضراً ، فقال : كلاً ! لوجهك أقبح من ذلك ، وجهي مع وجهك ،
فقال بشار : كلاً ! والله ما رأيت رجلاً أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منك ، والله
إني لطويل القامة ، عظيم الهامة ، تام الألواح ، أبيض الخدين ، ولرب مسترئى المزورين
للعين فيه مراد . ثم قال له المهدي : من أي العجم أصلك ؟ فقال : من أكثرها
في الفرسان وأشدّها على الأقران ، أهل طخارستان ؛ فقال بعض القوم : أولئك الصغد ،
فقال : لا ! الصغد تجار ؛ فلم يرد ذلك المهدي .

وكان بشار كثير التلون في ولائه ، شديد التشيع والتعصب للعجم ، مرة يقول يفتخر

بولائه في قيس :

أمنت مصرة الفحشاء إني * أرى قيساً تشب ولا تضار
كان الناس حين تغيب عنهم * نبات الأرض أخطاه القطار
وقد كانت بتدمر خيل قيس * فكان لتدمر فيها دمار
بحي من بني عيلان شومين * يسير الموت حيث يقال ساروا
وما نلقاهم إلا صدرنا * يرى منهم وهم حرار

ومرة يتبرأ من ولاء العرب فيقول :

أصبحت مولى ذى الجلال وبعضهم * مولى العريب بخد بفضلك فانغبر
مولاك أكرم من تميم كلها * أهل الفعال ومن قريش المشعر
فارجع الى مولاك غير مدافع * سبحان مولاك الأجل الأكبر

وقال يفتخر بولاء بنى عقيل :

أنتى من بنى عقيل بن كعب * موضع السيف من طلى الأعتاق

وولد بشار أعمى، فما نظر إلى الدنيا قط، وكان يشبه الأشياء بعضها ببعض في شعره،
 فيأتي بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله؛ فقليل له يوما وقد أنشد قوله :
 كأن مثار التّع فوق رعوستنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبهُ
 ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيئا فيها؟
 فقال : إن عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء،
 فيتوفر حسه وتذكو قريحته؛ ثم أنشدهم قوله :

عميت جنينا والذكاء من العمى * جئت عجيب الظن للعلم مؤثلا
 وغاص ضياء العين للعلم رافدا * بقلب اذا ضيع الناس حصلا
 وشعر كتنور الروض لاءمت بينه * بقول اذا ما أحرن الشعر أسهلا

وكان من أشد الناس تبرما بالناس . وكان يقول : الحمد لله الذي ذهب ببصرى .
 فقليل له : ولم يا أبا معاذ؟ قال : لثلا أرى ما أغض .

قال الأصمعي : بشار خاتمة الشعراء، والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم .
 وقيل لأبي عبيدة : أمرؤان أشعر أم بشار؟ فقال : حكم بشار لنفسه بالاستظهار،
 إنه قال ثلاثة عشر ألف بيت جيد، ولا يكون عدد الجيد من شعر شعراء الجاهلية
 والإسلام هذا العدد، وما أحسبهم برزوا في مثلها، ومروان أمدح للوك .

وسئل الأصمعي عن بشار ومروان أيهما أشعر؟ فقال : بشار؛ فسئل عن السبب لذلك؛
 فقال : لأن مروان سلك طريقا أكثر من يسلكه، فلم يلحق بمن تقدمه وشركه فيه من كان
 في عصره، وبشار سلك طريقا لم يسلكه وأحسن فيه وتفرد به، وهو أكثر تصرفا وفنون
 شعر، وأغزر وأوسع يدبعا، ومروان لم يتجاوز مذهب الأوائل .

وقيل لبشار : ليس لأحد من شعراء العرب شعرا إلا وقد قال فيه شيئا استنكرته العرب
 من ألفاظهم وشك فيه، وإنه ليس في شعرك ما يسلك فيه؛ قال : ومن أين يأتيني الخطأ؟
 وولدت ها هنا، ونشأت في مجور ثمانين شيخا من فصحاء بني عجيل ما فهم أحد يعرف كلمة

من الخطأ، وان دخلتُ الى نسائهم ففسأؤهم أفصح منهم، وأُيِّفَعْتُ فَأَبْدَيْتُ^(١) الى أن أدركتُ،
فمن أين يأتي الخطأ؟ .

كان جرير بن المنذر السدوسي يفاخر بشارا، فقال فيه بشار :

أمثل بني مضرٍ وإئيل * فقصدتُك من فاجرٍ ما أجنُّ

أفي النوم هذا أبا منذرٍ * فخيرا رأيت وخيرا يُمكنُّ

رأيتُك والفخر في مثلها * كعاجنة غير ما تطحُّ

كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة، فراسلها يسألها زيارته، فوعده بذلك ثم
أخلفته، وجعل ينتظرها ليلته حتى أصبح، فلما لم تأته أرسل اليها ليعاتبها فأعذرت بمرض
أصابها، فكتب اليها بهذه الأبيات :

يا ليلتي تزدادُ نُكُرا * من حُبِّ من أحببتُ يكرأ

حوراء ان نظرت الي * لك سقنتك بالعينين تحمرا

وكان رجع حديثها * قطع الرياض كسين زهرا

وكان تحت لسانها * هاروت ينقث فيه سخرا

وتخال ما جمعت علي * شيأها ذهباً وعظرا

وكانها برؤ الشرا * بصفاً وصادف منك فطرا

حينئذ إنسيبة * أو بين ذلك أجل أمرا

وكفالك أني لم أخط * بسكاة من أحببتُ خبرا

إلا مقالة زائير * تترت لي الأحران تبرا

متخشسا تحت الهوى * عشرا وتحت الموت عشرا

وكان إسحاق الموصلي لا يعتد بشار ويقول : هو كثير التخليط في نثره، وأشعاره مختلفة

لا يشبه بعضها بعضا، أليس هو القائل :

(١) أبدت أي أخرجت الى البادية .

إِنَّمَا عَظُمُ سُلَيْمَى حَتَّى * قَصَبُ السُّكَّرِ لَا عَظْمَ الْجَمَلِ

وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَلًا * غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ

لو قال : كلُّ شئءٍ جيد ثم أُضيف إليه هذا لزيَّفه . وكان يُقدِّم عليه مروانَ ويقول : هو أشدُّ استواءَ شعر منه ، وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها ، وكان لا يعبدُ أبانؤاس البتَّة ولا يرى فيه خيرا .

قال الجاحظ : كان بشار خطيبا صاحب منشور ومزدوج وسمَّج ورسائل ، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع ، المتفتنين في الشعر ، القائلين في أكثر أجناسه وضروبه . وقال الشعر في حياة جرير وتعترض له ، وحكى أنه قال : هجوتُ جريرا فأعرض عني ، ولو هاجاني لكنتُ أشعر الناس ، وكان يدين بالرجعة ، ويكفر جميع الأئمة ، ويصوب رأى إبليس في تقديم النار على الطين ، وذَكَرَ مثل ذلك في شعره فقال :

الأرضُ مُظلمةٌ والنارُ مُشْرِقةٌ * والنارُ معبودةٌ مُدْكَانتُ النارُ

وقال بعضُ الرواة لأبي عمرو : من أبداع الناس بيتا؟ قال الذي يقول :

لم يُطلِّ لَيْلى ولكن لم أنمَّ * ونفَى عَنِّي الكرى طَيْفُ أَلَمِّ

وَإِذَا قُلْتُ لَهَا جُودَى لَنَا * نَحَرْتُ بِالصَّمْتِ عَنِ لَا وَنَعَمَ

رَوْحِي يَا عَبْدَ عَنِّي وَأَعْلَمِي * أَنبِي يَا عَبْدَ مَنْ لَحْمٍ وَدَمِ

إِنِّ فِي بُرْدِي جَسْمًا نَاحِلًا * لَوْ تَوَكَّأْتُ عَلَيْهِ لَأَنْهَدَمَ

وهذه الأبيات لبشار .

قال : فمن أمدح الناس؟ قال الذي يقول :

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتغَى الْغِنَى * ولم أذِرْ أن الجُودَ من كَفِّهِ يُعْدِي

فلا أنا منه ما أفاد ذُوو الغنى * أفدْتُ وأعداني فأتلقتُ ما عندي

وهذه الأبيات لبشار .

ودخل بشارٌ على إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فأنشده قصيدةً يهجو فيها المنصورَ
ويشير عليه برأى يستعمله في أمره، فلما قُتِل إبراهيم خاف بشار، فقلب الكُنية وأظهر أنه
كان قالها في أبي مسلم، وحذف منها أبياتا، وأولها :

أبا جَعْفَرٍ ما طوُلُ عَيْشٍ بدائم * ولا سَالمٌ عَمَّا قَلِيلٍ بِسَالمِ
قَلْبَ هذا البيت فقال : أبا مسلم :

على الملك الجبار يفتحهم الردى * ويصرعه في المأزق المتلاحم
كأنك لم تسمع بقتل متوج * عظيم ولم تسمع بفتك الأعاجم
تقسم كسرى رهطه بسيوفهم * وأمسى أبو العباس أحلام نائم

يعنى الوليد بن يزيد

وقد كان لا يخشى انقلاب مكيدة * عليه ولا جرى النحوس الأشائم
مقيماً على اللذات حتى بت له * وجوه المنايا حاسرات العائم
وقد ترد الأيام غمراً وربما * وردن كلوحاً باديات الشكائم
ومروان قد دارت على رأسه الرجا * وكان لما أجمت نزر الجرائم
فأصبحت تجرى سادراً في طريقهم * ولا تنقى أشباه تلك النقايم
تجردت للإسلام تعفو سبيله * وتغرى مطاه^(١) ليوث الضراغم
فما زلت حتى استنصر الدين أهله * عليك فعادوا بالسيوف الصوارم
فرم وزراً ينجيك يا بن سلامة * فلست بناج من مضيم وضائم

جعل موضع "يا بن سلامة" "يا بن وشيكة" وهى أم أبي مسلم

لحاً الله قوما رأسوك عليهم * وما زلت مرءوسا خبيث المطاعيم
أقول لیسام عليه جلالة * غدا أريجياً عاشقاً للمكارم
من الفاطميين الدعاة الى الهدى * جهارا ومن يهديك مثل ابن فاطم

(١) مطاه : ظهره .

هذا البيتُ حذفه بشار من الأبيات :

سِرَاجٌ لَعِينٌ الْمُسْتَضِيءُ وَتَارَةٌ * يَكُونُ ظِلَامًا لِلْعَدْوِ الْمَزَاحِ
 إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِينُ * بِرَأْيِ نَصِيحَةٍ أَوْ نَصِيحَةِ حَازِمِ
 وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً ^(١) * فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ ^(٢)
 وَمَا خَيْرُكَفِّ أَمْسِكِ الْغُلَّ أَخْتَهَا ^(٣) * وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمِ
 وَخَلَّ الْهُوَيْنَا لِلضَّعِيفِ وَلَا تَكُنْ * نُوُومًا فَإِنَّ الْحَزْمَ لَيْسَ بِنَائِمِ
 وَحَارِبٌ إِذَا لَمْ تُعْطَ إِلَّا ظُلَامَةً * سُبَا الْحَرْبِ خَيْرٌ مِنْ قُبُولِ الْمَظَالِمِ ^(٤)
 وَأَذِنِ عَلَى الْقُرْبَى الْمُقَرَّبَ نَفْسَهُ * وَلَا تُشْهِدِ الشُّورَى أَمْرًا غَيْرَ كَاتِمِ
 فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِردُ الْهَمَّ بِالْمُنَى * وَلَا تَبْلُغُ الْعَلِيَا بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ
 إِذَا كُنْتَ قَرْدًا هَرَكَ الْقَوْمُ مُقْبِلًا * وَإِنْ كُنْتَ أذْنًا لَمْ تَنْفُزْ بِالْعِزَائِمِ
 وَمَا قَرَعَ الْأَقْوَامَ مِثْلُ مُشِيعٍ ^(٥) * أَرِيْبٌ وَلَا جَلَى الْعَمَى مِثْلُ عَالِمِ

قال أبو عبيدة : ميمية بشار هذه أحب إلى من ميمية جرير وانفردت . وقال الأصمعي لبشار : يا أبا معاذ ، إن الناس يُعجبون من أبياتك في المشورة ؛ فقال له : يا أبا سعيد ، إن المشاورين صواب يفوز بثمرته ، أو خطأ يُشارك في مكروهه ؛ فقال له : أنت في قولك هذا أشعر منك في شعرك .

توفى ابن لبشار بفزع عليه ، فقيل له : أجزق قدمته ، وفرط أقرطته ، وذخر أحرزته ؛ فقال : ولد دفنته ، وثكلت تعجلته ، وغيبت وعدته فانتظرت ، والله لئن لم أجزع للنقص لا أفرح للزيادة . وقال يرثيه :

(١) الغضاضة : المنقصة . (٢) الخوافي : الريشات الصغيرة التي في جناح الطائر إذا ضمها خفيت ، واحدها خافية ضد القوادم . (٣) الغل بالضم : الحديد التي تجمع بين يد الأسير وعقده وتسمى الجامعة . (٤) الشبا بالفتح جمع شباة وهي من كل شيء حده . (٥) المشيع : الشجاع .

أَجَارَتْنَا لَا تَجْزِعِي وَأَنْبِي * أَنَانِي مِنَ الْمَوْتِ الْمُطَّلِّ نَصِيبي
 بُحِّي عَلَى رَغْمِي وَسُخْطِي رُزْنَتُهُ * وَبُدِّلَ أَحْجَارًا وَجَالَ قَلْبِي (١)
 وَكَانَ كَرِيحَانِ الْعُرُوسِ تَخَالُهُ * ذَوِي بَعْدِ إِشْرَاقِ يَسْرٍ وَطِيبِ
 أَصْبَتْ بِهِ فِي حِينِ أَوْرَقِ غَصْنُهُ * وَأَلْقَى عَلَى الْهَمِّ كُلِّ قَرِيبِ
 عَجِبْتُ لِإِسْرَاعِ الْمَنِيَّةِ نَحْوَهُ * وَمَا كَانَ لَوْ مُلِّتَهُ بَعْجِيبِ

قيل لبشار : إنك لتجىء بالشيء الهجين المتفاوت ، قال : وما ذلك ؟ قيل : بينما تقول

شعرا يُثير النقع وتُخَلِّع به القلوب مثل قولك :

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضَبَةً مُضْهِرِيَّةً * هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تُمَطِّرَ الدَّمَآ
 إِذَا مَا أَعْرَنَّا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ * ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا

تقول :

رَبَابَةٌ رَبَّةُ الْبَيْتِ * تَصَّبَ الْخَلْلُ فِي الزَّيْتِ
 لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ * وَدِيكٌ حَسَنُ الصَّوْتِ

فقال : لكل وجه ، فالقول الأول جد ، وهذا قلته في ربابة جاريتي ، وأنا لا أأكل البيض من السوق ، وربابة لها عشر دجاجات وديك ، فهي تجمع لى البيض ، فهذا عندها أحسن من « قفانبيك » عندك . وسألته جارية مغنية لبعض ولد سليمان بن علي ، وكانت محسنة بارعة الظرف ، أن يذكرها في قصيدة ولا يذكر فيها اسمها ولا اسم سيدها ويكتب بها إليها ، فانصرف وكتب إليها :

وَذَاتِ دَلٍّ كَأَنَّ الْبَدْرَ صَوْرَتُهَا * بَاتَتْ تَغْنَى عَمِيْدَ الْقَلْبِ سَكْرَانَا
 « إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ * قَتَلْتَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا »
 فَقُلْتُ أَحْسَنْتِ يَا سُؤْلِي وَيَا أَمَلِي * فَأَسْمِعِينِي جَزَاكَ اللَّهُ إِحْسَانَا
 « يَا حَبْدًا جَبَلُ الرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ * وَحَبْدًا سَاكِنُ الرَّيَّانِ مَنْ كَانَا »
 قَالَتْ فَهَلَّا فَدَّتْكَ النَّفْسُ أَحْسَنُ مِنْ * هَذَا لِمَنْ كَانَ صَبَّ الْقَلْبِ حَيْرَانَا

« يا قوم أذني لبعض الحى عاشقة * والأذن تعشق قبل العين أحيانا »
 فقلت أحسنت أنت الشمس طالعة * أضرمت في القلب والأحشاء نيرانا
 فأسمعني صوتاً مطرباً هزجاً * يزيد صاباً محباً فيك أشجانا
 يا ليتني كنتُ تفاحاً مفلجاً * أو كنتُ من قصبِ الریحان ريحانا
 حتى إذا وجدتُ ريحى فأعجبها * ونحن في خلوةٍ مثلتُ لإنسانا
 فخركتُ عودها ثم آثنتُ طرباً * تشدو به ثم لا تخفيه كئيبانا
 « أصبحتُ أطوعَ خلقِ الله كلهم * لأكثر الخلق لي في الحب عصبانا »
 فقلتُ أطربتُنا يازين مجلسنا * فهاتِ إنك بالإحسان أولانا
 لو كنتُ أعلم أن الحب يقتلني * أعدتُ لي قبل أن ألقاك أكفانا
 فغنتُ الشرب صوتاً موقفاً رملاً * يُذكي السرور ويبيكي العين ألوانا
 « لا يقتل الله من دامت مودته * والله يقتل أهل الغدر أحيانا »

كان الزوار يُسمون في قديم الدهر الى أيام خالد بن برمك السؤال، فقال خالد : هذا والله اسم أستقبله لطلاب الخير، وأرفع قدر الكرم عن أن يُسمى به أمثال هؤلاء المؤمنين، لأن فيهم الأشراف والأحرار وأبناء النعم، ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدباً، ولكننا نسميهم الزوار، فقال بشار يمدحه بذلك :

حدًا خالد في فعله حدو برمك * فمجد له مستطرف وأصيل
 وكان ذوو الآمال يدعون قبله * بلفظ على الإعدام فيه دليل
 يسمون بالسؤال في كل موطن * وإن كان فيهم نايه وجليل
 فسماهم الزوار سترًا عليهم * فاستاره في المهتدين سدول

وقال بشار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلم خالد بهذا في أمر الزوار، فأعطاه لكل بيت ألف درهم .

دخل بشار على عُقْبَةَ بنِ سَلَمٍ فأَنشده بعض مدائحه فيه ، وعنده عُقْبَةُ بنِ رُوْبَةَ ينشده رَجَزًا يمدحه به ، فسمِعَه بشار وجعل يستحسن ما قاله الى أن فرغ ، ثم أقبل على بشار فقال : هذا طراز لا تُحْسِنُه أنت يا أبا معاذ ، فقال بشار : ألي يقال هذا ! أنا والله أرجز منك ومن أبيك وجدك ؛ فقال له : عُقْبَةُ أنا وأبي فَتَحْنَا للناس بابَ الغريب وبابَ الرَجَزِ ، وإني خَلِيقٌ أن أسدّه عليهم ؛ فقال بشار : أرحمهم رحِمَك اللهُ ، ولما كان من غدٍ غدا على عُقْبَةَ ابنِ سلمٍ وعنده عُقْبَةُ بنِ رُوْبَةَ ، فأَنشده أُرْجُوزته التي مدحه فيها :

يا طَلَلِ الحَيِّ بذات الصمِّدِ * بالله خَبَّرَ كيف كنتَ بعدى
أوحشتَ من دَعْدٍ وترَبِ دعد * سَقِيًّا لاسمَاءِ ابنة الأشدِّ
قامتَ تَرَأَى إذ رأيتني وحدي * كالشمس تحت الزُّبُرِجِ المُنْقَدِّ^(١)
صدتَ نَحْدَ وَجَلتَ عن حَدِّ * ثم انثنتُ كالنَّفسِ المُرْتَدِّ
عَهدي بها سَقِيًّا له من عَهْدِ * تُخَلِّفُ وعدا وتَنفِي بوعد
فنحن من جَهْدِ الهوى في جَهْدِ * وزاهر من سَبِطِ وجَعْدِ
أهدى له الدهرُ ولم يَسْتَهْدِ * أفوافِ نَورِ الحَبْرِ المَجْدِ
يلقى الضحى رِيحانه بسجْدِ * بَدَلتُ من ذاك بُكْيَ لا يُجْدِ
وافقَ حَظًّا من سَعَى بيجْدِ * ما ضَرَّ أهلَ النوكِ ضَعْفُ الجَدِّ
الحُرُّ يُلحَى والعصا للعبدِ * وليس للمُحِيفِ مثلُ الرَدِّ
والنَّصْفُ يكفيك من التعدى * وصاحبٍ كالدَّمَلِ المُنْدِ
حملته في رقعة من جِلْدِي * أَرُقُبُ منه مثلُ يومِ الوَرْدِ
حتى مضى غيرَ فقيدِ الفَقْدِ * وما دَرَى ما رَغِبني من زُهْدِ
إسلمَ وحيَّتَ أبا المُلْدِ * مَفْتاحِ بابِ الحَدَثِ المُنْسَدِ
مُشْتَرَكَ النَّيْلِ وَرَى الزَّنْدِ * أَغْرَى لِبَاسِ ثِيَابِ الحَمْدِ

(١) الزُّبُرِجُ : الزينة من ريش أو جواهر

ما كان مَنَى لك غير الوَدِّ * ثم شَاءَ مِثْلُ رِيحِ الْوَرْدِ
 نَسَجْتُهُ فِي مُحْكَمَاتِ النَّدِّ * فَالْبَسَ طِرَازِي غَيْرَ مُسْتَرَدِّ
 اللَّهُ أَيَامِكَ فِي مَعَدِّ * وَفِي بَنِي خَطَّانِ غَيْرَ عَدِّ
 يَوْمًا بَدَى طِحْفَةً عِنْدَ الْحَدِّ * وَمِثْلَهُ أَوْدَعَتْ أَرْضَ الْهِنْدِ
 بِالْمُرْهَقَاتِ وَالْحَدِيدِ السَّرْدِ * وَالْمُقَرَّبَاتِ الْمُبْعِدَاتِ الْجُرْدِ
 إِذَا الْحَيَا أُنْكِدَى بِهَا لَا تُكْدَى * تَلْحَمُ أُمْرًا وَأُمُورًا تُسْدَى
 وَأَبْنُ حَكِيمٍ إِنْ أَتَاكَ يَرْدَى * أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ صَوْتَ الرَّعْدِ
 حَيِّتَهُ بِتَعْنِيَةِ الْمُعْدِ * فَانْهَدَّ مِثْلَ الْجَبَلِ الْمُنْهَدِّ
 كُلُّ أَمْرِي رَهْنٌ بِمَا يُؤْدَى * وَرَبُّ ذِي تَاجٍ كَرِيمِ الْجَسَدِ
 كَالْكَسْرِيِّ وَكَالْبُرْدِ * أَنْكَبَ جَافٍ عَنِ سَبِيلِ الْقَصْدِ
 فَصَلَّتْهُ عَنِ مَالِهِ وَالْوُلْدِ *

فطرب عقبة بن سلم وأجزل صلته، وقام عقبة بن رؤبة فخرج عن المجلس بخزي وهرب
 من تحت ليلته فلم يعد إليه .

قال الجاحظ : فانظر الى سوء أدب عقبة بن رؤبة وقد أجمل بشار محضره وعشرته ،
 فقابله بهذه المقابلة القبيحة ، وكان أبوه أعلم خلق الله به ، لأنه قال له وقد فأخره بشعره :
 أنت يابني ذهبان الشعر ، اذا ماتت شعرك معك ، فلم يوجد من يرويه بعدك ، فكان
 كما قال له ، ما يعرف له بيت واحد ولا خبر غير هذا الخبر القبيح الإخبار عنه ، الدال على
 تخلفه وسقوطه وسوء أدبه .

وقال بشار في هوى له كانت بالبصرة ، ثم خرجت مع زوجها الى عمان :
 هوى صاحبي ريح الشمال اذا جرت * وأشفتني لقلبي أن تهب جنوب
 وما ذلك إلا أنها حين تتهى * تنأهى وفيها من سيده طيب

(١) طخفة : موضع بعد النجاج وبعد إمرة في طريق لبصرة الى مكة ، ومه يوم طخفة لبنى ربوع على قابوس

ابن المنذر بن ماء السماء . (٢) المقربات : الخيل التي يقرب مربطها ومعلقها لكرامتها .

عَذِيرِي مِنَ الْعُدَّالِ إِذْ يَعْدُونِي * سَفَاهًا وَمَا فِي الْعَاذِلِينَ لِيَب
 يَقُولُونَ لَوْ عَزَّيْتَ قَلْبَكَ لَأَرْعَوِي * فَقُلْتُ وَهَلْ لِلْعَاشِقِينَ قُلُوبٌ
 إِذَا نَطَقَ الْقَوْمُ الْجُلُوسُ فَإِنِّي * مُكِبٌّ كَأَنِّي فِي الْجَمِيعِ غَرِيبٌ
 جَاء أَبُو الشَّمَقْمَقِ إِلَى بَشَارٍ يَشْكُو إِلَيْهِ الضِّيقَ وَيَحْلِفُ لَهُ أَنَّهُ مَا عِنْدَهُ شَيْءٌ ، فَقَالَ لَهُ
 بَشَارٌ : وَاللَّهِ مَا عِنْدِي مَا يَفْنِيكَ ، وَلَكِنْ قُمْ مَعِيَ إِلَى عُقْبَةَ بْنِ سَلْمٍ ، فَقَامَ مَعَهُ ، فَذَكَرَ لَهُ
 أَبُو الشَّمَقْمَقِ وَقَالَ : هُوَ شَاعِرٌ وَلَهُ شُكْرٌ وَتَاءٌ ، فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِ مِائَةِ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ لَهُ بَشَارٌ :
 يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي * أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ
 لَوْ كَانَتْ مِثْلُكَ آخِرًا * مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَقِيرٌ

فَأَمَرَ لِبَشَارٍ بِأَلْفِي دِرْهَمٍ ، فَقَالَ أَبُو الشَّمَقْمَقِ : نَفَعْتَنَا وَضَعْنَاكَ يَا أَبَا مَعَاذٍ ، فَجَعَلَ
 بَشَارٌ يَضْحَكُ .

دَخَلَ زَيْدُ بْنُ مَنْصُورِ الْجَمِيرِيِّ عَلَى الْمَهْدِيِّ وَبَشَارٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يُنْشِدُهُ قَصِيدَةً أَمْتَدَحَهُ
 بِهَا ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ زَيْدٌ ، وَكَانَتْ فِيهِ غَفْلَةٌ ، فَقَالَ : يَا شَيْخَ ، مَا صَنَعْتُكَ ؟ فَقَالَ :
 أَتَقْبُّ اللَّوْلُؤَ ، فَضَحَكَ الْمَهْدِيُّ ، ثُمَّ قَالَ لِبَشَارٍ : أَغْرُبُ وَيْلَكَ ! أَتَنْتَادِرُ عَلَى خَالِي ؟
 فَقَالَ لَهُ : وَمَا أَصْنَعُ بِهِ ؟ يَرَى شَيْخًا أَعْمَى يُنْشِدُ الْخَلِيفَةَ شِعْرًا وَيَسْأَلُهُ عَنْ صِنَاعَتِهِ .
 وَقَفَّ عَلَى بَشَارٍ بَعْضُ الْحُجَّانِ ، وَهُوَ يُنْشِدُ شِعْرًا ، فَقَالَ لَهُ : أَسْتَرَّ شِعْرَكَ هَذَا كَمَا تَسْتَرُّ
 عَوْرَتَكَ ، فَصَفَّقَ بَشَارٌ بِيَدَيْهِ وَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ وَيْلَكَ ! قَالَ : أَنَا — أَعَزَّكَ اللَّهُ —
 رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةَ ، وَأَخْوَالِي سَلُولٌ ، وَأَصْهَارِي عُكْلٌ ، وَأَسْمَى كَلْبٌ ، وَمَوْلَدِي بِأَصَاخِ^(١) ،
 وَمَنْزَلِي بَظْفَرِ بِلَالٍ ، فَضَحَكَ بَشَارٌ ، ثُمَّ قَالَ : أَذْهَبُ وَيْلَكَ ! فَأَنْتَ عَتِيقُ لُؤْمِكَ ، قَدْ عَلِمَ اللَّهُ
 أَنَّكَ أَسْتَرْتَهُ مَنِّي بِحَصُونٍ مِنْ حَدِيدٍ .

مَرَّ بَشَارٌ بِرَجُلٍ قَدْ رَحِمَتْهُ بَغْلَةٌ وَهُوَ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا ، فَقَالَ لَهُ : بَشَارٌ أَسْتَرَدَّه يَزِدُّكَ .
 وَمَرَّ بِهِ قَوْمٌ يَجْمَلُونَ جِنَازَةً وَهُمْ يُسْرِعُونَ الْمَشَى بِهَا ، فَقَالَ : مَا لَكُمْ مَسْرِعِينَ ؟ أَتَرَاهُمْ سَرَقَوْهَ
 فَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ يُلْحَقُوا فَيُؤْخَذَ مِنْهُمْ .

(١) مِنْ قَرَى الْجَمَامَةِ لِبَنِي تَمِيمٍ .

رفع غلامٌ بشارٌ إليه في حساب نَفَقَتِهِ جِلاءَ مِرْآةِ عَشْرَةِ دِرَاهِمٍ ، فصاح به بشار وقال :
والله ما في الدنيا أعجب من جِلاءِ مِرْآةِ أَعْمَى بعشرة دراهم ، والله لو صَدَّتْ عَيْنُ الشَّمْسِ
حتى يَبْقَى الْعَالَمُ فِي ظُلْمَةٍ ما بَلَّغْتُ أَجْرَهُ من يَجْلُوها عَشْرَةَ دِرَاهِمٍ .

قال قُدَّامَةُ بن نُوحٍ : كان بشارٌ يَحْشُو شَعْرَهُ إِذا أُعْوزَتْهُ القَافِيسَةُ والمعنى بالأشياء التي
لا حَقِيقَةَ لها ؛ فمن ذلك أنه أنْشَدَ يوماً شِعْراً له فقال فيه : « غَنَى للغريص يا بن قنان »
فقيل له : من ابن قنان هذا ؟ لسنا نعرفه من مَعْنَى البَصْرَةِ ، قال : وما عليكم منه ؟ أَلَمْ قَبْلَهُ
دِينٌ فَتَطالَبُوهُ بِهِ ، أو ثَارُ تَرِيدُونَ أن تُدْرِكُوهُ ، أو كَفَلْتُ لَكُمْ بِهِ ، فإذا غاب طالبتُموني
بإحضاره ؛ قالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، وإنما أردنا أن نعرفه ، فقال : هو رجل
يعنني ولا يخرج من بيتي ، فقالوا له : إلى متى ؟ فقال : مذ يوم وُلِدَ وإلى أن يموت . وذَكَرَ
أيضاً في هذه القصيدة « البردان » فقيل له : يا أبا معاذ ، أين البردان هذا ؟ لسنا نعرفه
بالبصرة ، فقال : هو بَيْتٌ في بَيْتِي سَمِيَتْهُ بِالْبَرْدانِ ، أَفَعَلَيْكُمْ من تَسَمِيَتْ دَارِي وبِيوْتِها شيءٌ
فتسالوني عنه ؟ .

قالت امرأةٌ لبشارٍ : أرى رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس ، قال : أما علمت
أن بيض البُرَّةِ أشهر من سودِ الغِرْبانِ ؟ فقالت له : أما قولكُ حَسَنٌ في السَّمعِ ، ومن لك
بأن يحسن شَيْبُكَ في العين كما حسن قولكُ في السَّمعِ ؟ فكان بشارٌ يقول : ما أحمَنِي قَطُّ غير
هذه المرأة .

دعاه رجل إلى منزله فأكل وشرب ، ولما أراد الانصراف قامت جاريةً للرجل وأخذت
بيده ، فلما صار بالصَّحْنِ أو ما إليها لُقِبَها ، فأرسلت يدها من يده ، فجعل يجول في العَرِصَةِ
ويخرج مولى الجارية فقال : مالك يا أبا معاذ ؟ فقال : أذنبتُ ذَنْباً ولا أبرح أو أقول شعراً ،
فقال :

أَتُوبُ اليك من السَّيِّئاتِ * وأستغفرُ الله من فَعَلَتِي

تناولتُ ما لم أُردُ نَيْسَلَهُ * على جهلِ أَمْرِي وفي سَكْرَتِي

ووالله والله ما جئتُه * لِعَمْدٍ ولا كان من هَمَّتِي

وإلا قَتُّ إِذَا ضائعا * وَعَدْبِي اللهُ في مَيَّتِي

فمن نال خَيْرًا على قُبْلَةٍ * فلا بَارِك اللهُ في قُبْلَتِي

لما كثر استتار نساء البصرة وشبَّانها بشعر بشار، وقال سوار بن عبد الله ومالك بن دينار: ما شيء أَدْعَى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى، وما زالوا يعظانه وكان وإصل بن عطاء يقول: إن من أخذع حياثل الشيطان وأغواها لَكَلِمَاتِ هذا الأعمى المُلْحِد، فلما كثر ذلك وآتته خبره إلى المهديّ نهَّاه عن ذِكْرِ النساء وقول التشيب، وكان المهديّ من أشد الناس غيرة، فقال في ذلك:

يا مَنْظَرًا حَسَنًا رأيتُه * في وجه جارية فَدَيْتُه

بَعَثْتُ إلى تَسْوَمِي * ثَوْبَ الشَّبابِ وقد طَوَيْتُه

والله رَبِّ مُحَمَّدٍ * ما إن غَدَرْتُ ولا نَوَيْتُه

أَمَسَكْتُ عَنكَ وربما * عَرَّضَ البَلَاءُ وما آبَغَيْتُه

إن الخليفة قد أبى * واذا أبى شَيْئًا أبَيْتُه

وَمُحَضَّبِ رَحِصِ البَنَّا * نَبِيَّ عَلِيٍّ وما بَكَيْتُه

ويُسْوَقي بَيْتَ الحَبِيدِ * سَبِّ إِذَا آذَكَرْتُ وأين بَيْتُه

قام الخليفة دونَه * فَصَبَرْتُ عَنهُ وما قَلَيْتُه

ونَهاني المَلِكُ الهِما * مُعَنِ النِّساءِ وما عَصَيْتُه

لا بل وَفِيْتُ فلم أُضِعْ * عَهْدًا ولا رَأْيًا رأَيْتُه

وأنا المُطَّلَّ على العِدا * واذا غَلَا الحَمْدُ أَشْتَرَيْتُه

أُضْفِي الخليلَ إِذا دنا * واذا نَأَى عَنِي نَأَيْتُه

وأَمِيلُ في أُنْسِ النَّدِيدِ * سَمِّ مِنَ الحَياءِ وما أَشْتَهَيْتُه

وكان الخليل بن أحمد ينشد هذه الأبيات ويستحسنها ويعجب بها.

وكان لبشار خمسة ندماء، فمات منهم أربعة وبقى واحد يقال له : البراء، فركب في زورق يريد عبور دجلة العوراء فغرق، فكان بشار يقول : ماخير في الدنيا بعد الأصدقاء، ثم رثى أصدقاءه بقوله :

يا بن موسى ماذا يقول الإمام * في فتاة بالقلب منها أوام
 بت من حبها أوقر بالكأ * س ويهفو على فؤادي الهيام
 لم يكن بينها وبينى إلا * كُتِبَ العاشقين والأحلام
 يا بن موسى أسقني ودع عنك سلمى * إن سلمى حبي وفي أحشام
 رب كأس كالسلسبيل تعلق * بت بها والعيون عني نيام
 حُبست للشراة في بيت رأس^(١) * عتقت عائسا عليها الختام
 نَفَجَتْ نَفْحَةً فَهَزَّتْ نَدِيمِي * بنسيم وأنشقت عنها الزكام^(٢)
 وكان المعلول منها إذا را * ح شج في لسانه برسام
 صَدَمْتَهُ الشَّمُولُ حَتَّى بَعِينِي * له أنكسار وفي المفاصل خام
 وهو باقى الأطراف حيث به الكأ * سُ وماتت أوصاله والكلام
 وفتى يشرب المدامة بالما * ل ويمشى يروم ما لا يرام
 أنفدت كأسه الدنانير حتى * ذهب العين وأستمر السوام
 تركته الصهباء يرو بعين * نام إنسانها وليست تنام
 جن من شربة تعل بأخرى * وبكى حين سار فيه المدام
 كان لى صاحباً فأودى به الده * سر وفارقته عليه السلام
 بقي الناس بعد هلك ندأما * ي وقوتنا لم يشعروا ما الكلام
 تجزور الأيسار لا كيد^(٤) فيها * ما لباغ ولا عليها سنام

(١) بيت رأس : قرية بالشام من قرى حلب ينسب إليها الخمر . (٢) البرسام : علة يهذى فيها وهو ورم حار يعرض للحجاب الذى بين الكبد والأمعاء ثم يتصل الى الدماغ . (٣) حيت بالإدغام لغة فى حى كرضى . (٤) الأيسار : جمع يسر، وهو اللاعب بالقداح .

يا بن موسى فقد الحبيب على العيد * بن قذاة وفي الفؤاد سقام
كيف يصفو لى النعيم وحيداً * والأخلاء في المقابر هام
نفسهم على أم المنايا * فأنامتهم بعنف فناموا^(١)
لا يغيض أنسجام عيني عليهم * إنما غايته الحزين السجام

وقال في نهى الخليفة إياه عن ذكر النساء :

والله لولا رضا الخليفة ما * أعطيت صميماً على في شجن
وربما خير لابن آدم في ال * كره وشق الهوى على البدن
فاشرب على أبنية الزمان فما * تلقى زماناً صفاً من الأبن
الله يعطيك من فواضله * والمرء يغيض عيناً على الكمن^(٢)
قد عشت بين الریحان والز * هر في ظل مجلس حسن
وقد ملأت البلاد ما بين يغب * نور الى القيروان فاليمين
شعراً تُصلى له العواتق والش * يب صلاة العواة للوشن
ثم نهاني المهدي أنصرفت * نفسي صنيع الموفق اللقن
فالحمد لله لا شريك له * ليس بباقي شيء على الزمن

وأنشد المهدي قصيدته التي أولها :

تجاللت عن فهير وعن جارتى فهير * وودعت نعاً بالسلام وباليسر
وقالت سليمان فيك عنا جلادة * محلك دان والزياره عن عفر^(٣)
أخى في الهوى مالى أراك جفوتنا * وقد كنت تقفونا على العسر واليسر
تثاقلت إلا عن يد أستفيدها * وزورة أمالك أشد بها أزرى
وأخرجني من وزر خمسين حجة * فتى هاشمي يقشع من الوزر

(١) نفسهم : حسدهم . (٢) الكمن واحداً كمنة وهي جرب وجرمة تبق في العين من رمد يساء علاجه .

(٣) العفر : قبة الزيارة ، يقال : ما تأتينا الا عن عفرأى بعد قلة زياره وطول عهد .

٤ دَفَنْتُ الهوى حَيًّا فَلَسْتُ بِزَائِرٍ * سَلِمِي وَلَا صَفْرَاءَ مَا قَرَقَرَ الْقَمَرِي
 وَمُصْفَرَّةً بِالزُّعْفَرَانِ جَلُودُهَا * إِذَا أَجْتَلَيْتِ مِثْلَ الْمَفْرُطَةِ الصَّفَرِ
 فَرَبِّ تَقَالِ الرَّدْفِ هَبَّتْ تَلُومُنِي * وَلَوْ شَهِدْتَ قَبْرِي لَصَلَّتْ عَلَيَّ قَبْرِي
 تَرَكْتُ لِمَهْدَى الْأَنَامِ وَصَالِهَا * وَرَاعَيْتُ عَهْدًا بَيْنَنَا لَيْسَ بِالخَاسِرِ
 وَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ * لَقَبَلْتُ فَاهَا أَوْ لَكَانَ بِهَا فِطْرِي
 لَعَمْرِي لَقَدْ أَوْقَرْتُ نَفْسِي خَطِيئَةً * فَمَا أَنَا بِالْمَزْدَادِ وَقُفْرًا عَلَيَّ وَقُفْرِي
 تَسَلَّى عَنِ الْأَحْبَابِ صَرَامُ خُلَّةٍ * وَوَصَّالٍ أُخْرَى مَا يُقِيمُ عَلَيَّ أَمْرِي
 وَرَكَضَ أَفْرَاسَ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى * جَرَّتْ حِجَابًا ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ فَلَا تَجْرِي
 فَأَصْبَحْنَا مَا يُرَكَّبُنْ إِلَّا إِلَى الْوَعْيِ * وَأَصْبَحْتُ لَا يُزْرِي عَلَيَّ وَلَا أُزْرِي
 فَهَذَا وَإِنِّي قَدْ شَرَعْتُ مَعَ التَّقَى * وَمَاتَتْ هُمُومِي الطَّارِقَاتِ فَمَا تَسْرِي

ثم قال يصف السفينة :

وَعِذْرَاءٌ لَا تَجْرِي بِلَحْمٍ وَلَا دَمٍ * قَلِيلَةٌ شَكْوَى الْأَيْنِ مُلْجَمَةٌ الدُّبْرِ
 إِذَا ظَعَنْتُ فِيهَا الْفُلُولُ تَسَخَّصَتْ * بِقُرْسَانِهَا لَا فِي وُعُوثٍ وَلَا وَعْرِ
 وَإِنْ قَصَدَتْ زَلَّتْ عَلَى مَتْنَصِبٍ * ذَلِيلُ الْقَوَى لَا شَيْءَ يَقْرَى كَمَا تَقْرَى
 تَلَاعِبُ تَيَّارِ الْبُحُورِ وَرَبْمَا * رَأَيْتَ نَفُوسَ الْقَوْمِ مِنْ جَرِّهَا تَجْرِي
 إِلَى مَلِكٍ مِنْ هَائِمٍ فِي نُبُوءَةٍ * وَمِنْ حِمِيرٍ فِي الْمُلْكِ وَالْعَدَدِ الدُّبْرِ^(٢)
 مِنَ الْمُشْتَرِينَ الْحَمْدَ تَنْدَى مِنَ النَّدَى * يَدَاهُ وَيَنْدَى عَارِضَاهُ مِنَ الْعِطْرِ
 فَالزَّمْتُ حَبْلِي حَبْلٍ مِنْ لَا يُعْبَهُ * عَفَاةُ النَّدَى مِنْ حَيْثُ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي
 بَنِي لَكَ عَبْدُ اللَّهِ يَتَّخِلُ خِلَافَةَ * نَزَلَتْ بِهَا بَيْنَ الْفَرَاقِدِ وَالنَّسْرِ
 وَعِنْدَكَ عَهْدٌ مِنْ وَصَاةِ مُحَمَّدٍ * فَرَعَّتْ بِهِ الْأَمْلَاقُ مِنْ وَلَدِ النَّضْرِ

(١) كان قد قال : نينان البحور، فعابه بذلك سبويه ، فجعله تيار البحور .

(٢) الدُّبْرُ : الكفِّير .

ولما أُنشِد الوليد بن يزيد قولَ بشار :

أيها السَّاقِيانِ صَبَا شَرَابِي * وَأَسْقِيَانِي مِنْ رِيْقِ بِيضَاءِ رُودِ^(١)
 إِنْ دَأَى الظَّمَا وَإِنْ دَوَانِي * شَرِبَةٌ مِنْ رُضَابِ تَغْرِ بَرُودِ
 وَلَهَا مَضْحَكٌ كَغُرِّ الأَفَاحِي * وَحَدِيثٌ كَالْوَشِيِّ وَشِيِّ البُرُودِ
 نَزَلْتُ فِي السَّوَادِ مِنْ حَبَّةِ القَدِ * بِ وَنَالْتُ زِيَادَةَ المُسْتَرِيدِ
 ثُمَّ قَالَتْ نَلْقَاكَ بَعْدَ لِيَالٍ * وَاللَّيَالِي يُبْلِيْنَ كُلَّ جَدِيدِ
 عِنْدَهَا الصَّبْرُ عَنْ لِقَائِي وَعِنْدِي * زَفَرَاتٌ يَأْكُلْنَ قَلْبَ الحَدِيدِ

طَرِبَ الوليدُ وقال : من لى بمزج كأسى هذه من ريق سلمي ، فيروى ظمئي ، وتطفأ غلتي ،
 ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه ، وقال : إن فاتنا ذلك فهذا .

مدح بشار خالد بن برمك فقال فيه :

لعمري لقد أجدى على ابن برمك * وما كلُّ من كان الغنى عنده يُجدي
 حَلَبْتُ بِشَعْرِي رَاحَتِيهِ فَدَرَّتَا * سَمَاحًا كَمَا دَرَّ السَّحَابُ مَعَ الرَّعْدِ
 إِذَا جِئْتَهُ لِلمُحَمَّدِ أَشْرَقَ وَجْهُهُ * إِلَيْكَ وَأَعْطَاكَ الكِرَامَةَ بِالمُحْمَدِ
 لَهُ نِعمٌ فِي القُومِ لَا يَسْتَنْبِيهَا * جَزَاءً وَكَيْلَ التَّاجِرِ المُتَدِّ بِالمُدِّ
 مُفِيدٌ وَمُتَسَلِّفٌ سَبِيلُ تِرَاثِهِ * إِذَا مَا غَدَا أَوْ رَاحَ كَالجَزْرِ وَالمُدِّ
 أَخَالِدُ إِنْ المَحْدَ بَقِيَ لِأَهْلِهِ * جَمَالًا وَلَا تَبْقَى الكِنُوزُ عَلَى الكَدِّ
 فَاطْعِمُ وَكُلُّ مَنْ عَارَةَ مُسْتَرْدَّةٍ * وَلَا تُبْقِيهَا إِنْ العَوَارِي لِلسَّرْدِ

فأعطاه خالد ثلاثين ألف درهم ، وكان قبل ذلك يعطيه في كل وفادة خمسة آلاف درهم ،
 وأمر خالد أن يكتب هذان البيتان في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه ، وقال ابنه يحيى
 ابن خالد : آخر ما أوصاني به أبي العملُ بهذين البيتين .

(١) الرود : الشابة الحسة الناعمة .

وكان إسحاق الموصلي يطعن على شعر بشار ويضع منه، ويذكر أن كلامه مختلف لا يشبه بعضه بعضاً، ف قيل له : أتقول هذا لمن يقول :

إذا كنت في كل الأمور مُعَاتِبًا * صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فِعْشٌ واحدًا أو وصل أخاك فإنه * مُقَارِفٌ ^(١) ذنب مرة ومُجَانِبُهُ
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ^(٢) * ظمِثت وأى الناس تصفو مشاربه

وهي من غرر قصائده، مدح بها عمر بن هبيرة، ومنها قوله :

يخاف المنيا إن ترحلت صاحبي * كأن المنيا في المقام تُتأسبه
فقلت له إن العراق مقامه * وخيم إذا هبت عليك جنائبه
لألقى بني عيلان إن فعالمهم * تزيد على كل الفعال مراتبه
أولاك الألى شقوا العمى بسيفهم * عن العين حتى أبصر الحق طالبه
وجيش بجح الليل يزحف بالحصا * والشوك وانحطى حمراً تغالبه
غدونا له والشمس في خدر أمها * تطالعنا والطل لم يجردائبه
بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه * وتذكر من نجي الفرار مثالبه
كأن مثار النقع فوق رهوسنا * وأسيافنا ليل تهوى كواكبها
بعثنا لهم موت الفجأة إنتا * بنو الموت خفاق علينا سبابه ^(٣)
فراحوا فريق في الإسمار ومثله * قتيلاً ومثلاً لأذ بالبحر هاربه

ومنها :

إذا الملك الجبار صعر خده * مشينا إليه بالسيوف نعائبه
رويداً تصاهل بالعراق جياندا * كأنك بالضحك قد قام ناديه
وسام لسروان ومن دونه الشجا * وهول كلج البحر جاشت غواربه

(١) مقاروف ذنب : مخالفة ومرتكبه من قارف الخطيئة إذا خالطها . (٢) القذى : ما يسقط

في الشراب من ذباب أو غيره . (٣) السباب : جمع سببية، وهي شقة من النحان رقيقة يريد بها الأكلية .

أحلت به أم المنايا بناتها * بأسيا فإنا إنا رددي من نحاربه
وكنا إذا دب العدو لسخطنا * وراقبنا في ظاهر لا نراقبه
ركبنا له جهرا بكل متقف * وأبيض تستسقى الدماء مضاربه

ومنها :

فلما تولى الحى وأعتصر الثرى * لظى الصيف من نجم توعد لاهبه
وطارت عصافير الشقائق وأكسى * من الآل أمثال الحجر ناضبه
غدت عانة تشكو بأبصارها الصدى * الى الحباب إلا أنها لا تخاطبه

ومن حسن شعره :

لو كنت تلقين ما تلقى قسمت لنا * يوما نعيش به منكم ونهيج
لا خير في العيش إن كنا كذا أبدا * ما فى التلاقي ولا فى قبلة حرج
من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهب
أشكو إلى الله هماً ما يفارقنى * وشرعاً فى فؤادى الدهر تتعلج

وقال يهجو عبيد الله بن قزعة :

خليلي من كعب أعينا أكاكا * على دهره إن الكريم معين
كأن عبيد الله لم يلق ماجدا * مخافة أن يرجو نداء حزين
ولا تجحلا بحل ابن قزعة إنه * ولم يدّر أن المكرمات تكون
فقل لأبي يحيى متى تدرك العلا * وفى كل معروف عليك يمين
إذا جتته فى حاجة سدّ بابه * فلم تلقه إلا وأنت كمين

وقد على خالد بن برمك فأنشده :

أخا - لم أخيط اليك بذمة * سوى أنى عاف وأنت جواد
أخالد بين الأجر والحمد حاجتى * فأيهما تأتى فانت عماد

(١) العانة: القطعة من الخير . والحباب: ذكرها ، ومعنى شكواها الصدى بأبصارها أن العطش قد تبين فى أحد أقرانها
فغارت ، وهذا من أحسن ما وصف به الحمار والأتر . (٢) أى لم اطلب نعرفوك متوسلا اليك بهد أو قرابة .

فإن تُعْطِنِي أُفْرِغْ عَلَيْكَ مَدَامِحِي * وإن تَابَ لَمْ يُضْرَبْ عَلَى سِدَادِ
 رِكَابِي عَلَى حَرْفٍ وَقَلْبِي مَشِيَعٌ * ومالِي بَارِضِ الْبَاخِلِينَ بِلَادِ
 إِذَا أَنْكَرْتَنِي بِلَدَّةٍ أَوْ نَكِرْتُمَا * نَحَرَجْتَ مَعَ الْبَازِي عَلَى سَوَادِ

فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس، فوضع واحدا عن يمينه، وواحدا عن شماله،
 وآخرين يديه، وآخر خلفه، وقال: يا أبا معاذ، هل استقل العياد؟ فلمس الأكياس ثم قال:
 استقل والله أيها الأمير .

قال أبان بن عبد الحميد: نزل في ظاهر البصرة قوم من أعراب قيس بن عيلان،
 وكان فيهم بيان وفصاحة، فكان بشار يأتهم وينشدهم أشعاره التي يمدح بها قيسا، فيجلونه
 لذلك ويعظمونه، وكان نسائهم يجلسن معه ويتحدثن إليه وينشدهن أشعاره في الغزل،
 وكنت كثيرا ما أتى في ذلك الموضع فأسمع منه ومنهم، فأتيتهم يوما فاذا هم ارتحلوا، فحسنتُ
 إلى بشار فقلت: يا أبا معاذ: أعلمت أن القوم قد ارتحلوا؟ قال: لا، فقلت: فاعلم، قال:
 قد علمت لا علمت، ومضيتُ، فلما كان بعد ذلك بأيام سمعتُ الناس ينشدون:

دعا بفراق من تهوى أبان * ففاض الدمع وأحرق الحنانُ
 كأن شرارة وقعت بقلبي * لها في قلبي ودمي أسيتان
 إذا أنشدت أو نسمت عليها * رياح الصيف هاج لها دحان

فعلمت أنها لبشار، فأتيته فقلت: يا أبا معاذ، ما ذنبك ليك؟ قال: ذنب غراب الين،
 فقلت: هل ذكرتني بغير هذا؟ قال: لا، فقلت: أنشدك الله ألا تزيد، فقال: أمض
 لشأنك فقد تركتك .

مدح بشار المهدي فلم يعطه شيئا، فقليل له: لم يستجد شعرك، فقال: والله لقد
 قلت فيه شعرا لوقيل في الدهر لم يُحسَّ صرفه على أحد، ولكننا نكذب في القول فيكذب
 في الأمل .

مدح شام سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وكان مقياً بجزان ونحرج اليه ، فأنشده قوله

فيه :

نأتك على طول التجاورِ زينبُ * وما شعرت أن النوى سوف تشعبُ
يرى الناس ما تلقى بزینب إذ نأت * عجيباً وما تُخفي بزینب أعجبُ
وقائلة لي حين جد رحيلنا * وأجفان عينها تجود وتسكبُ
أغاد إلى حران في غير شبيعة * وذلك شاؤ عن هواها مغربُ
فقلت لها كلفيني طلب الغنى * وليس وراء ابن الخليفة مذهبُ
سيكفني قتي من سعيه حد سيفه * وكور علاقي ووجناه ذعلبُ^(١)
إذا استوغرت دار عليه رعى بها * بنات الصوى منها ركوب ومصعبُ
فعددي الى يوم آرتحلت وسائلي * بزورك والرحال من جاء يضربُ
لعلك أن تستيقني أن زورتي * سليمان من سير الهواجر تعقبُ
أغرته هشامى القنائة اذا آتمى * تمته بدور ليس فيهن كوكبُ
وما قصدت يوماً خيلين خيله * فتصرف إلا عن دماء تصببُ

فوصله سليمان بجمسة آلاف درهم ، وكان يخجل ، فلم يرضها وأنصرف عنه مغضباً ،

فقال :

إن أمس منقبض اليدين عن الندى * وعن العدو مخيس الشيطان
فلقد أروح على اللثام مسلطاً * تلج المقييل منعم النذمان
في ظل عيش عشيرة محمودة * تُسدى يدي ويخاف قرط لسانى
أزمان خيبنى الشباب مطاوع * وإذا الأمير على من حران
ريم بأحوية العراق اذا بدا * برقت عليه أكلة المرجان
فأتحل بعبدة مقلتيك من القدى * وبوشك رؤيتها من الهملان
فلقرب من تهوى وأنت مقيم * أشقى لداثك من بنى مروان

(١) العلافى : الرجل العظيم . (٢) وجناه ذعلب أى ناقة شديدة مريضة .

قَدِمَ بَشَّارٌ عَلَى الْمَهْدِيِّ بِالرِّصَافَةِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي الْبِسْتَانِ ، فَأَنشَدَهُ مَدِيحًا فِيهِ تَشْيِيبَ
حَسَنٍ ، فَنَهَاهُ عَنِ التَّشْيِيبِ لِغَيْرَةِ شَدِيدَةٍ كَانَتْ فِيهِ ، فَأَنشَدَهُ مَدِيحًا يَقُولُ فِيهِ :

كَأَنَّمَا جِئْتَهُ أَبْشَرُهُ * وَلَمْ أَجِئْ رَاغِبًا وَمُحْتَابًا
يَزِينُ الْمَنْبَرِ الْأَشْمَ بِعِطْفَيْهِ * بِهِ وَأَقْوَالِهِ إِذَا خَطَبَا
تُسَمَّى نَعْلَاهُ فِي النَّدِيِّ كَمَا * يُسَمَّى مَاءُ الرِّيحَانِ مُنْتَهَبَا

قال : وقد طلب منه أن ينشده شيئاً من غزله :

وَقَائِلِ هَاتِ شَوْقَنَا فَقُلْتُ لَهُ * أَنَاثُمَّ أَنْتَ يَا عَمْرُوبِنْ سَمْعَانَ
أَمَا سَمِعْتَ بِمَا قَدْ شَاعَ فِي مُضِرِّ * وَفِي الْخَلِيفَيْنِ مِنْ بَكْرٍ وَخَطَّانِ
قَالَ الْخَلِيفَةُ لَا تَنْسِبُ بِيَّ جَارِيَةَ * إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَسْقَى بِعَصِيَانِ

وقال له المهديّ : قل في الحب شعرا ولا تطل ، وأجعل الحب قاضيا بين المحبين
لا تُسَمِّ أَحَدًا ، فقال :

أَجْعَلِ الْحَبَّ بَيْنَ حَبِيٍّ وَبَيْنِي * قَاضِيَا إِنِّي بِهِ الْيَوْمَ رَاضٍ
فَاجْتَمَعْنَا فَقُلْتُ يَا حَبِّ نَفْسِي * إِنْ عَيْنِي قَلِيلَةٌ الْإِعْمَاضُ
أَنْتَ عَدْبَتْنِي وَأَنْحَلْتَ جَسْمِي * فَأَرْحَمِ الْيَوْمَ دَائِمَ الْأَمْرَاضِ
قَالَ لِي لَا يَجَلَّ حَكْمِي عَلَيْهَا * أَنْتَ أَوْلَى بِالسَّقَمِ وَالْإِعْرَاضِ
قُلْتُ لِمَا أَجَابَنِي بِهَوَاهَا * سَمِّيلَ الْجَوْرِ فِي الْهَوَى كُلِّ قَاضِ

فبعث اليه المهديّ : حكمت علينا ووافقنا ذلك ، فأمر له بألف دينار .

وقال بشار في عشق السَّمْعِ :

يَا قَوْمُ أُذُنِي لِبَعْضِ الْحَى عَاشِقَةٌ * وَالْأُذُنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانًا
قَالُوا بَيْنَ لَا تَرَى تَهْدِي فَقُلْتُ لَهُمْ * الْأُذُنُ كَالْعَيْنِ تُؤْفِي الْقَلْبَ مَا كَانَا
هَلْ مِنْ دَوَاءٍ لِمَشْغُوفٍ بِيَّ جَارِيَةَ * يَلْسُقُ بَلْقِيَانَهَا رَوْحًا وَرِيحَانَا

وقال في مثل ذلك :

قالت عَقِيلُ بن كعب إذ تعلقها * قلبي فأضحى به من حبها أثرُ
أنى ولم ترها تَهْدِي فقلتُ لهم * إن الفؤادَ يرى ما لا يرى البصرُ
أصبحتُ كالحائم الحيران مجتنباً * لم يقضِ ورداً ولا يُرجى له صدرُ

وقال :

يزهدني في حبِّ عبدةٍ معشرٍ * قلوبهم فيها مخالفةٌ قلبي
فقلتُ دعوا لقلبي وما أختار وأرتضى * فبالقلبِ لا بالعين يُبصر ذو الحبِّ
فما تبصر العينان في موضع الهوى * ولا تسمع الأذنان إلا من القلب
وما الحسنُ إلا كلُّ حسن دعا الصبا * وألّف بين العشق والعاشق الصبِّ

وقال :

يا قلب مالي أراك لا تَقْرُ * إياك أعنى وعندك الخبرُ
أذعت بعد الألى مضواً حرقاً * ما ضاع ما استودعوك إذ بكروا

وقال :

إن سُلَيْمِي والله يكلؤها * كاسُكْرٍ يزداد على السُّكْرِ
بلغتُ عنها شكلاً فأعجبني * والسَّمْعُ يَكْنِيكَ غَيْبَةَ البَصَرِ

وقال وقد مدح المهديَّ فخرمه :

خليلى إن العسرَ سوف يُفِيقُ * وإن يسارا في غسدِ خَلِيقِ
وما كنتُ إلا كالزمان إذا صحا * صحوتُ وإن ماق الزمان أموق^(١)
أدماً لا أسطبع في قلّة الثرا * خُرُوزاً ووشياً والقليل محيق
خذى من يدى ما قل إن زماننا * شَمُوسٌ ومعروفُ الرجال رقيق
لقد كنتُ لأرضى بأدنى معيشةٍ * ولا يَسْتَكِي بخلاً على رقيق

(١) ماق : حق في غباوة .

خليل - إن المال ليس بنافع * إذا لم ينل منه أخ وصديق
 وكنت إذا ضاقت على محلة^(١) * تيممت أخرى ما على تضييق
 وما خاب بين الله والناس عامل * له في التقى أو في المحامد سوق
 ولا ضاق فضل الله عن متعفف * ولكن أخلاق الرجال تضييق

هجا بشار يعقوب بن داود وزير المهدي فقال :

بني أمية هبوا طال نومكم * إن الخليفة يعقوب بن داود^(٢)
 ضاعت خلافتكم يا قوم فاتسوا * خليفة الله بين النأي والعود

فاتهمه عند المهدي بالزندقة وقال : إنه قد هجا المهدي ، فأمر ، فضرب بالسياط حتى مات .

(١) المحلة : منزل القوم . (٢) أصله من الموالي ، وقد استوزره الخليفة المهدي وسلبه الأمور كلها

وأشغل هو بالهوى .

٢ - حمادُ عَجْرَدُ^(١)

«ولو أتى أحببتُ أن أشخص حمادا لوصفته قبل كل شيء بحذة الطبع ، وسوء الخلق ، وحب الانتقام ، والإسراع إليه ، ثم بالصراحة في القول ، والملاءمة بينه وبين العمل ، وبكره النفاق والانصراف عنه ، لا يعنيه أَرْضَى الناسُ عنه أم خَطَوا عليه ، ثم بحذة اللسان ومُضِيهِ وإقْداعه وكَلْفِهِ بفاحش القول وبجته عن أسويته وأقبحه ، ثم بالسُّخْرِيَّة من الناس وأزدرائهم ، لا على أنه يتخذ ذلك فلسفةً وأصلاً من أصول الحياة كالوليد ومطيع وأبي نُوَّاس ، بل على أنه يتخذ ذلك وسيلةً من وسائل الشعراء يتخلص بها كلما ضاقت عليه المذاهب وأخذت عليه ، أو دعتَه إلى ذلك حاجةً . لم يكن حمادُ يحفلُ بما يحفلُ به الناسُ من الوفاء والانصراف عن التناقض ، وإنما كان صديقاً مُخلصاً حتى تبدوله حاجة أو تسنح له فرصة أو تضطره ضرورة ، فإذا صدأته قد استحالت إلى عداء ، وإذا هو ليس أقلَّ صدقاً وإخلاصاً في العداء منه في المودة والحب : فقد مدح يحيى بن زياد وأتخذَه صديقاً ونال جوارزه ، ثم كان الخلافُ فهجَاه . وصادقٌ بسَّاراً وصادقاً ، ثم اختصما فلم يعرفا في الخصومة رحمة ولا رفقاً . وصافي مُطيعاً وأحبه ومدحه وأكثر في الثناء عليه ، ثم اختصما في امرأة مرّة وفي غلام مرّة أخرى ، فهجَاه وأقدع في هجائه . وكان على هذا كله يؤثر شعره وضروراته على البرّ بالناس في معاملتهم : هجا ذات يوم رجلاً يقال له حُشَيْشٌ وجعل اسمه قافيةً لهذا الشعر وأراد أن يبالغ في ذمّه فشبهه بِحَيْشٍ ، وكان بحَيْشٍ هذا رجلاً من أهل البصرة

(١) هو حماد بن يحيى بن عمرو مولى عامر بن صعصعة . نشأ في الكوفة ثم واسط . وعاصر الدولتين ، لكنه نبغ في الدولة العباسية بعد أن تادم الوليد بن يزيد الأموي . وجاء بفسداد أيام المهدي ومعه مطيع بن إياس ويحيى بن زياد ، وكلهم من المهتمين في دينهم . وحماد من الشعراء المهيديين ، وكان ماجناً ظريفاً خليعاً متمماً في دينه مرعباً بالزندقة . وأدرك بشار بن برد وله معه أهاج فاحشة ، ولم يكن يهاب كبيراً ولا صغيراً ، عالماً كان أو خليفة . توفي سنة ١٦١ هـ . ونجد ترجمته في الأغاني (ج ١٣ ص ٧٣) وابن خلكان (ج ١ ص ١٦٥) والشعر والشعراء (ص ٤٩٠) والفهرست (ص ٩١) . (٢) من بحوث صديق الدكتور طه حسين أستاذ الآداب العربية

وإدعاً لا يعرف حماداً ولا يعرفه حمادٌ، فلما قرأ الرجلُ هذا الشعرَ جَزِعَ له وسافرَ من البصرة حتى بلغ الكوفةَ فعاتبَ حماداً؛ فقال له حمادٌ ضاحكاً معتذراً: لا بأس عليك فإن هذا من آثام القافية ولن أعود إليه .

وكان السبب في مهاجاة حماد وبشار أن حماداً كان نديماً لِنَافِعِ بنِ عُقْبَةَ، فسأله بشارٌ تَهيِيزَ حاجة له من نافع فأبطأ عنها، فقال بشارٌ فيه :

مَوَاعِيْدُ حَمَادٍ سَمَاءٌ مَحِيَالَةٌ * تَكْشِفُ عَنْ رَعْدٍ وَلَكِنْ سَتَبْرُقُ

إِذَا جِئْتَهُ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى غَدٍ * كَمَا وَعَدَ الْكَوْنُ مَا لَيْسَ يَصْدُقُ

وَفِي نَافِعٍ عَنِّي جَفَاءٌ وَإِنِّي * لِأَطْرُقُ أحيانًا وَذُو اللَّبِّ يَطْرُقُ

وَلِلنَّقَرِيِّ قَوْمٌ فَلَوْ كُنْتُ مِنْهُمْ * دُعِيْتُ وَلَكِنْ دُونِي الْبَابُ مُغْلَقُ

وَمَا زِلْتُ أَسْتَأْنِيكَ حَتَّى حَسَرْتَنِي * بُوْعْدِ بَجَارِي الْآلِ يَخْفَى وَيَخْفِقُ

فَغَضِبَ حَمَادٌ وَأَنْشَدَ نَافِعًا الشَّعْرَ فَمِنَعَ بَشَارًا، فقال بشار :

أَبَا عَمْرٍ مَافِي طَلَابِيْسِكَ حَاجَةٌ * وَلَا فِي الَّذِي مَنِينَتْنَا ثُمَّ أَحْجَرَا

وَعَدْتِ فَلَمْ تَصْدُقِ وَقَلْتِ غَدًا غَدًا * كَمَا وَعَدَ الْكَوْنُ شَرِبًا مُؤْتَرَا

فكان ذلك سببَ التهاجي بين بشار وحماد . وكان بشارُ يرمي حماداً بالزندقة ، وفي ذلك يقول :

إِبْنُ نَهْيٍ رَأْسٌ عَلَى ثَقِيلٍ * وَأَحْتِمَالُ الرَّعُوسِ خَطْبٌ جَلِيلُ

أُدْعُ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ الْأَنْبِيَاءِ * سِوِيَّ فِإِنِّي بُوَاحِدٍ مَشْغُولُ

يَا بَنُ نَهْيٍ بَرِئْتُ مِنْكَ إِلَى اللَّهِ جِهَارًا وَذَلِكَ مِنِّي قَلِيلُ

فأشاع حمادُ هذه الأبيات لبشار، وجعل فيها مكان : « فإني بواحد مشغول » « فإني عن واحد مشغول » ليصح عليه الزندقة والكفر بالله تعالى . فما زالت الأبياتُ تدور في الناس حتى انتهت إلى بشار، فأضطرب منها وجزع وقال : أشاط ابنُ الفَاعِلَةِ بِدَمِي، والله ما قلتُ إلا « فإني بواحد مشغول » فغيرها حتى شهرت في الناس .

كان رجلٌ من أهل البصرة يدخل بين حماد وبشار على اتفاقٍ منهما ورِعًا بأن ينقل
إلى كل واحد منهما وعنه الشعرُ، فدخل يوماً إلى بشار فقال له : إيه يا فلانُ ، ما قال ابن
الفاعلة؟ فأُشده :

إن تاهَ بشارٌ عليكم فقد * أمكنتُ بشاراً من التيهِ
فقال بشار : بأى شئٍ ويحك؟ فقال :

وذاك إذ سميتُه باسمه * ولم يكن حراً أُسميه
قال : سخنت عينه ، فبأى شئ كنتُ أُعرف! إيه ، فقال :

فصار إنساناً بذكرى له * ما يتغنى من بعد ذكْرِيه!
فقال : ما صنعَ شيئاً ، إيه ويحك! فقال :

لم أهجُ بشاراً ولكني * هجوتُ نفسي بهجائيه
فقال : على هذا المعنى دار وحواله حام . وتماّم الأبيات :

لم آت شيئاً قطّ فيما مضى * ولستُ فيما عشتُ آتِيه
أسوأ لى فى الناس أهدوثة * من خطأ أخطأته فيه
فأصبح اليومَ لسبى له * أعظمَ شأنًا من موالِيه

وقال بشارٌ لراوية حماد : ما هجانى به اليومَ حماد؟ فأُشده :

ألا من مبلِّغ عني ال * بذى والدِه بُردُ

فقال : صدق ابنُ الفاعلة فما يكون؟ فقال :

إذا ما نُسبَ الناس * فلا قبيلٌ ولا بعدُ

فقال : كذب ، أين هذه العرصاتُ من عقيل! فما يكون؟ فقال :

وأعمى قَلطَباتٌ^(١) ما * على قاذِفِه حدُّ

(١) القلطبان : الذى لا يغار .

فقال : كذب ، بل عليه ثمانون جلدَةً ، هيه ، فقال :

وأعمى يُسبِّه القِرْدَ * إذا ما عمى القِرْدُ

فقال : والله ما أخطأ حين شبَّهني بقِرْدٍ ، حَسْبُكَ حَسْبُكَ ! ثم صَفَّقَ بيديه وقال :

ما حيلتي ! يراني فُيَشِّبَنِي ولا أراه فأشبهه . وتأمُّم الأبيات :

دَنِيُّ لَمْ يَرْخُ يَوْمًا * إلى مَجْدٍ ولم يَنْغُدْ

ولم يَخْضُرْ مع الحُضَا * رِ في خَيْرٍ ولم يَيْدُ

ولم يُخْشَ له ذَمٌّ * ولم يُرْجَ له حَمْدُ

جَرَى بالنَّحْسِ مُدْكَان * ولم يَخْرِلْه سَعْدُ

هو الكَلْبُ إذا مات * فلم يُوجَدْ له قَتْدُ

وقال علي بن مهدي : أجمع علماء البصرة أنه ليس في هجاء حماد تجرد لبشار إلا أربعون

بيتًا معدودة ، ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد . وكلُّ واحدٍ منهما هو الذي

هتَكَ صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه ، وكانا يجتمعان عليها ، فسقط حمادٌ وهتَكَ بفضل بلاغة

بشار وجودة معانيه ، وبقي بشار على حاله لم يسقط ، حتى عُرف مذهبه في الزندقة فقتل به .

ومن أغلظ ما هجأ به حمادٌ بشارًا :

نَهَارُهُ أَحْبَبْتُ مِنْ لَيْلِهِ * ويَوْمُهُ أَحْبَبْتُ مِنْ أَمْسِيهِ

وليس بالمُقْلِعِ عن غِيَّةٍ * حتى يُوَارَى في ثَرِي رَمْسِيهِ

كان حمادٌ صديقًا ليحيى بن زياد ، فأظهر يحيى تورُّعًا وقراءةً ونزوعًا عما كان فيه وهجر

حمادًا وأشباهه ، فكان إذا ذُكر عنده ثلَّبه وذكَّرَ تهتَّكه ومجونه ، فبلغ ذلك حمادًا فكتب إليه :

هَلْ تَذْكُرُنَّ دَلِيحِي اليَدِ * بك على المَضْمَرَةِ القِلاصِ

أَيَّامَ تُعْطِيَنِي وَتَأْ * خُدُّ مِنْ أَبَارِيقِ الرِّصَاصِ

إِنْ كَانَ نُسْكُكَ لَا يَتِي * مٌ بغير شَمْتِي وَأَنْتَقَاصِي

أَوْ كُنْتَ لَسْتَ بغير ذَا * كَ تَسَالِ مَتَزَلَّةَ الْخِلاصِ

فعلبك فاشتمُّ آمِنًا * كلَّ الأمان من القصاص
 واقعدُ وقمُّ بي ما بدا * لك في الأداني والأقاصي
 فطلما زكَّيتني * وأنا المقيمُ على المعاصي
 أيامَ أنتَ اذا ذُكر * تُمتاضلُ عني مُناسي^(١)
 وأنا وأنتَ على آرتكا * بالمؤبقات من الحِراس
 وبنا مواطنُ ما بنا * في البرِّ أهلةُ العِراس

فاتصل هذا الشعرُ بيجي بن زياد ، فنسب حمادا الى الزندقة ورماه بالخروج عن الإسلام ، فقال حماد فيه :

لا مؤمنٌ يعرفُ إيمانه * وليس يجي بالفتى الكافر
 منافقٌ ظاهره ناسكٌ * مخالفُ الباطن للظاهر

كان حمادُ صديقا لحريث بن أبي الصلت الثقفى ، وكان يعيبه بالبخل ، وفيه يقول :

حريثُ أبو الفضل ذو خيرة * بما يصلحُ المعدَّ الفاسده
 تحوِّفُ ثممةً أضيفه * فعودهم أكلةً واحده

ومن قوله :

ألا قُلْ لعبد الله إنك واحدٌ * ومثلك في هذا الزمان كثيرُ
 قطعت إخائي ظلماً وهجرتي * وليس أنى من في الإخاء يجور
 أديم لأهل الودِّ وُدِّي وإيتي * لمن رام هجرى ظلماً لهجور
 ولو أن بعضي رآبى لقطعته * وإني يقطع الراسين جدير
 فلا تحسبن مني لك الودَّ خالصا * لعزَّ ولا أتى إليك فقير
 ودونك حظي منك لست أريده * طوال الليالى ما أقام تير^(٢)

(١) مناص : مدافع ، من قولهم ناصاه مناصاة : أخذ كل بناصية صاحبه . (٢) تير : اسم جبل .

كان حماد صديقاً لحفص بن أبي بردة ، وكان حفص أعمش أظس أعصب مقبح الوجه ، فاجتمعوا يوماً على شراب وجعلوا يتناشدون ويتحدثون ، فأخذ حفص يطعن على مرقش ويعيب شعره ويلجئه ؛ فقال له حماد :

لقد كان في عينك يا حفص شاغلٌ * وأنف كئيل العود عما تتبع^(١)
تتبع لنا في كلام مرقش * ووجهك مبني على اللحن أجمع
فأذناك إقواء وأنفك مكفاً * وعيناك إيطاء فأنت المرقع

ومن قوله :

إني أحبك فاعلمي * إن لم تكوني تعلمينا
حبا أقل قليله * بكميع حب العالمينا

وأشيد بشار قول حماد مجرد :

أني كفف عن لومي فإنك لا تدري * بما فعل الحب المبرح في صدري
أني أنت تلحاني وقلبك فارغ * وقلبي مشغول الجوانح بالفكر
دوائي ودائي عند من لو رأيت * يقلب عيذه لأقصرت عن زجري
فأقسم لو أصبحت في لوعة الهوى * لأقصرت عن لومي وأطبت في عذري
ولكن بلائي منك أنك ناصح * وأنت لا تدري بأنك لا تدري

فطرب بشار ثم قال : ويلكم أحسن والله ! من هذا ؟ قالوا : حماد مجرد ؛ قال : أوه وكأتموني والله بقية يومي لهم طويل ، والله لا أطعم بقية يومي طعاما ، ولأصومن عمما بما يقول النبطي مثل هذا .

قال محمد بن الفضل السلولي : لقيت حماد مجرد بواسطة وهو يمشي وأنا راكب ، فقلت له : أطلق بنا الى المنزل ، فإني الساعة فارغ لتحدث ، وحبست عليه الدابة ، فقطع شغل عرص لي لم أقدر على تركه ، ففضيت وأنسيته ، فلما بلغت المنزل خفت شره فكتبت إليه :

(١) الكئيل : وعاء قضيب البعير ، والعود : البعير .

أبا عُمَرَ آغْفِرْهَا هُدَيْتَ فَإِنِّي * قَدَ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا مَخْطِئًا غَيْرَ عَامِدٍ
فَلَا تَجِدَنَّ فِيهِ عَلَيَّ فَإِنِّي * أَقْرُبُ بِإِجْرَامِي وَلَسْتُ بِعَائِدٍ
وَهَبْهُ لَنَا تَفْهِدِيكَ نَفْسِي فَإِنِّي * أُرَى نِعْمَةً أَنْ كُنْتَ لَسْتَ بِوَاجِدٍ
وَعَدَّ مِنْكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ * فَإِنَّكَ ذُو فَضْلٍ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ

فأجابني عن الأبيات :

مُحَمَّدُ يَا أَبَا الْفَضْلِ إِذَا الْحَمَامِدِ * وَيَابِهِجَةَ النَّادِي وَزَيْنَ الْمَشَاهِدِ
وَحَقَّقْ مَا أَذْنَبْتَ مِنْذَ عَرَفْتَنِي * عَلَيَّ خَطَا يَوْمًا وَلَا عَمْدَ عَامِدِ
وَلَوْ كَانَتْ مَا أَلْفَيْتَنِي مَسْرَعًا * إِلَيْكَ بِهِ يَوْمًا تَسْرَعُ وَإِجْدِ
وَلَوْ كَانَ ذُو فَضْلٍ يُسَمَّى لَفَضَلَهُ * بِغَيْرِ اسْمِهِ سُمِّيَتْ أُمُّ الْقَلَانِدِ

فبينما رقعته في يدي وأنا أقرؤها إذ جاءني رسوله برقعة فيها :

قَدْ غَفَرْنَا الذَّنْبَ يَا بَنَ الْ * فَضْلِ وَالذَّنْبُ عَظِيمُ
وَمَسِيءٌ أَنْتَ يَا بَنَ الْ * فَضْلِ فِي ذَلِكَ مُلِيمُ
حِينَ تَخْشَانِي عَلَى الذَّنْ * بِ كَمَا يُخْشَى اللَّئِيمُ
لَيْسَ لِي إِنْ كَانَ مَا خَفْتُ * سَتَ مِنْ الْأَمْرِ حَرِيمُ
أَنَا وَاللَّهِ وَلَا أَفُ * يَخْرُ لَلْفَيْظِ كَكُظُومِ
وَبِأَصْحَابِي وَلَا رِيْدِ * بِيَّةَ بَرٍّ وَرَحِيمِ
وَبِمَا يُرِضِيهِمْ عِنْدَ * سِي وَرِضِيْنِي عَلِيمِ

كان عثمان بن شيبة مبعثًا وكان حماد يهجوهُ ، بغاء رجل كان يقول الشعر إلى حماد

فقال له :

أَعْنِي مِنْ غِنَاكَ بَيْتٌ شِعْرِي * عَلَى فَقْرِي لِعُثْمَانَ بْنِ شَيْبَةَ

فقال :

فإنك إن رضيت به خاليلاً * ملأت يدك من فقر وخيبته

(١) أي لو كان لك ذنب ما صادفتني مسرعاً إليك بالمكافأة .

فقال له الرجل : جزاك الله خيرا فقد عرفتنى من أخلاقه ما قطعنى عن مدحه وصنت وجهى عنه .

لما مات محمد بن أبى العباس طلب محمد بن سليمان حمادَ مجرد لما كان يقوله فى أخته زينب من الشعر ، فعلم أنه لا مقام له معه بالبصرة ، فاستجار بقبر أبيه سليمان بن على وقال فيه :

مِنْ مُقِرِّ بِالذَّنْبِ لَمْ يُوجِبِ الدَّ * مَهْ عَلَيْهِ سِيَّءٌ إِفْرَارًا
 لَيْسَ إِلَّا بِفَضْلِ حَلْمِكَ يَعُدُّ * تَدَّ بِلَاءٌ وَمَا يَعُدُّ آغْتَرَارًا
 يَا ابْنَ بِنْتِ النَّبِيِّ أَحْمَدَ لَا أَجِدُ * عَلٌّ إِلَّا إِلَيْكَ مِنْكَ الْفِرَارَا
 غَيْرَ أَتَى جَعَلْتُ قَبْرَ أَبِي أَيُّوْبَ * بَبَّ لِي مِنْ حَوَادِثِ الدَّهْرِ جَارَا
 وَحَرِيٌّ مِنْ اسْتِجَارِ بِذَلِكَ الـ * قَبْرِ أَنْ يَأْمَنَ الرَّدَى وَالْعِثَارَا
 لَمْ أَجِدْ لِي مِنَ الْعِبَادِ مُجِيرَا * فَاسْتَجَرْتُ التَّرَابَ وَالْأَحْجَارَا
 لَسْتُ أَعْتَاضُ مِنْكَ فِي بُغْيَةِ الْعِزَّةِ حَطَّانَ * كَلِّهَا أَوْ نِزَارَا
 فَإِنَّا الْيَوْمَ جَارٌ مِنْ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ * ضِ مَجِيرٌ أَعَزُّ مِنْهُ جَوَارَا
 يَا ابْنَ بِنْتِ النَّبِيِّ يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّ * تَتْ إِلَيْهِ الْعَوَارِبُ الْأَكْوَارَا
 إِنْ أَكُنْ مَذْنِبًا فَانْتَ أَبْنُ مِنْ كَأَنَّ * نَ لِمَنْ كَانَ مَذْنِبًا غَفَّارَا
 فَاعْفُ عَنِّي فَقَدْ قَدَّرْتَ وَخَيْرُ الـ * عَفْوِ مَا قَلَّتْ : كُنْ ، فَكَانَ آفِتْدَارَا
 لَوْ يُطِيلُ الْأَعْمَارَ جَارٌ لَعَزَّ * كَانِ جَارِي يُطَوِّلُ الْأَعْمَارَا

فقال : والله لا بلن قبر أبى من دمه ، فهرب حماد إلى بغداد ، فعاد يجمع بن المنصور فأجاره ، وقال : لا أرضى أو تهجو محمد بن سليمان ، فقال بهجوه :

قُلْ لَوْجَهُ الْخِصْيِ ذَى الْعَارِ إِنِى * سَوْفَ أَهْدَى لَزَيْنَبَ الْأَشْعَارَا
 قَدْ لَعَمْرَى فَرَزْتُ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْ * فِ وَأَنْكَرْتُ صَاحِبِي نَهَارَا
 وَظَنَنْتُ الْقُبُورَ تَمْنَعُ جَارًا * فَاسْتَجَرْتُ التَّرَابَ وَالْأَحْجَارَا (١)

كنتُ عند استجرتي بأبي آية * وبأبني ضلالةً وخساراً
 لم يُجِرني ولم أجد فيه حظاً * أضرم الله ذلك القبر ناراً
 فبلغ هجاؤه محمد بن سليمان فقال : والله لا يُقَلِّتني أبداً ، وإنما يزداد حَتْفًا بلسانه ! ولا والله
 لا أعفو عنه ولا أتغافل أبداً .

ومن قوله :

إن الكريم ليخفي عنك عُسْرته * حتى تراه غنياً وهو مجتهد
 وللبخيل على أمواله عِلٌّ * زُرُقُ العيون عليها أوجه سود
 إذا تكومت أن تُعطى القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
 أبرق بخير تُرجى للنوال فما * تُرجى الثمار إذا لم يُورق العود
 بُتُ النوال ولا تمنع قلبه * فكل ما سد فقراً فهو محمود

وقال أيضا :

كَمْ من أوج لك لست تُشكره * ما دمت من دنياك في يُسر
 مُتصنِّع لك في مودته * يلقاك بالترحيب والبشر
 يُطرى الوفاء وذا الوفاء ويذ * حتى الغدر مجتهدا وذا الغدر
 فإذا عدا ، والذهر ذو غير ، * دهرٌ عليك عدا مع الدهر
 فارفض باجمال مودة من * يقلي المُقلّ ويعشق المُثري
 وعليك من حلاه واحدة * في العسر إفا كنت واليسر
 لا تخلطهم بغيرهم * من يخلط العقيان بالصُفر!

وهو القائل في محمد بن طلحة :

زرتُ امرأةً في بيته مرة * له حياءٌ وله خير
 يكره أن يُنخِمَ إخوانه * إن أذى التخمية محذور
 ويسمى أن يُجروا عنده * بالصوم والصائم ماجور
 يا ابن أبي شهدة أنت امرؤ * بصحة الأبدان مسرور

وهو القائل في محمد بن أبي العباس السفاح :

أرجوك بعد أبي العباس إذ بآنا * يا أكرم الناس أعرافا وأغصانا
لومح عودٌ على قوم عُصارتَه * لمجَّ عودك فينا المسك والبانا

قيل : إن حمادا مضى الى الأهواز ، فأقام هناك مُستترا ، وبلغ محمدا خبره فأرسل مولى له الى الأهواز ، فلم يزل يطلبه حتى ظفر به فقتله غيلة . وقيل : إنه خرج من الأهواز يريد البصرة ، فمر بشيراز في طريقه ، فمرض بها ، فأضطروا الى المقام بسبب علته ، فأشتد مرضه فمات هناك ودُفن على تلعة . وكان بشارا بلغه أن حمادا عليل ، ثم نُعي اليه قبل موته ، فقال بشار :

لو عاش حماد لهونا به * لكانه صار الى النار

فبلغ هذا البيت حمادا قبل أن يموت وهو في السَّياق ، فقال يرد عليه :

نُبتُ بشارا نَعانى ولدا * مموت برأى الخالق الباري
يا ليتنى متُّ ولم أهجُه * نعم ولو صرتُ الى النار
وأى نخزى هو أنخزى من آن * يُقال لى ياسبَّ بشار^(٢)

فلما قتل المهدي بشارا بالبطيحة اتفق أن حُمل الى منزله ميتا ، فدُفن مع حماد على تلك التلعة ، فتر بها أبو هشام الباهلي الشاعر البصرى الذى كان يهاجى بشارا ، فوقف على قبريهما فقال :

قد تبع الأعمى قفا عجرِد * فأصبعا جارَيْن في دار
قالت يقاع الأرض لامرَجبا * بقُرب حماد وبشار
تجأورا بعد تنائيهما * ما أبغض الجار الى الجار
صارا جميعا فى يدي مالك * فى النار والكافر فى النار

(١) السياق : الاحتضار . (٢) السب : الكثير السباب .

٣ - مروان بن أبي حفصة^(١)

« لم يكن مروان متصرفاً في فنون الشعر، ولعله لم يعد منها فناً أو فنين؛ فلسنا نعرف له غزلاً إلا هذا الغزل الذي تعود الشعراء أن يبدءوا به مدائحهم؛ ولسنا نعرف له هجاءً إلا هذا النحو من الهجاء الذي يضطر إليه الشعراء السياسيون حين يدافعون عن مذهبهم ويهاجمون خصومهم. على أن موقف مروان كان في هذا دقيقاً جداً، فهو لم يكن ينصر بني العباس على بني أمية فيبلغ منهم ما يريد، ويهجوهم في حرية؛ وإنما كان السيف هو الذي انتصر للعباسيين من بني أمية، وكان العباسيون في حاجة إلى من ينصرهم على العلويين وأتباعهم من بني هاشم، ولم يكن هجاء العلويين يسيراً! كان الدين ياباه في ذلك الوقت، وكانت كرامة الخلافة العباسية نفسها تاباه أيضاً، فالعلويون من بني هاشم وهجاؤهم هجاءً للعباسيين؛ ومن هنا سلك مروان وأمثاله من الشعراء السياسيين الذين ناضلوا عن حقوق العباسيين مسلكت الدفاع والمناظرة الشريفة البريئة من الشتم والقذف، فكان دفاعهم أبلغ، وكانت مناظراتهم أحسن وقعاً من هجاء أولئك الشتامين المسرفين في الشتم؛ ثم لا نعرف

(١) هو من الشعراء الموالي أصل جده من سبي اصطرخ، وكان غلاماً اشتراه عثمان بن عفان ووجه لمروان بن الحكم، وأقام بعدئذ بالثمامة، وقد اختلفوا في حقيقة نسبه. شب مروان على كره الشيعة لأنه من موالي بني أمية وقد حارب معهم، وكان شجاعاً مجترياً، فلما نبغ في الشعر قدم بغداد ومدح المهدي ثم الرشيد، وكان يتقرب إليه بهجاء العلويين، وهو من الفحول المقسمين، أول من شهره ونوه به معن بن زائدة الجواد المشهور بقصيدة تونية مدحه بها، مطلعها:

معن بن زائدة الذي زيدت به * شرفاً على شرف بنو شيبان

ولكنه اشتهر على الخصوص بقصيدة لامية مدح بها معن مطلعها:

بسو مطر يوم اللقاء كأنهم * أسود لهم في بطن خفان أشبل

فأجازه عليها بمال كثير، فكانت كلها زاده معن عطاء زاده مروان مدحا. توفي سنة ١٨١ هـ. وتجد أخباره في الأغاني (ج ٩ ص ٣٦) وابن خلكان (ج ٢ ص ١٣٠) والشعر والشعراء (ص ٤٨١) ونزارة الأدب (ج ١ ص ٤٤٧) والفهرست لأبن النديم (ص ١٦٠).

(٢) من بحوث صديق الدكتور طه حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية.

لمروان مجونا ولا عبثا، فلم يكن كما قلنا ماجنا ولا عبثا وإنما كان بخيلا، والبخل والعبث شيان لا يتفقان، ومن ضنَّ على نفسه باللحم وطيبات الطعام لم يستبح لنفسه حمرا ولا ما تستبعه الخمر . ثم لا نعرف لمروان نفرا وما تحسب أنه فاحر أو مال إلى الفخر، فقد كان رجلا عمليا يعنيه أن يظفر بالمكانة والثروة وكان يضمن بوقته وجهده على الفخر الذي لا يفيد . لم يعرض إذن إلا لفئتين اثنين : المدح والرثاء، وهو في المدح أشعر منه في الرثاء وهذا طبعي، فهو راغب حين يمدح، يطلب المال ويحرص على أن يظفر به، فمعقول أن يُجيد وأن يبلغ من الإجادة حظا عظيما؛ أما في الرثاء فهو لا يرغب ولا يطلب مالا وإنما يفي بعهد ويشكر صنعة . ومعقول أن موقفه هذا لا يدفعه إلى الإجادة إلا أن يكون حساسا دقيق الشعور راقى النفس، ولم يكن مروان من هذا كله في شيء، وإنما كان كما قلت لك رجلا عمليا يريد المال . على أن رثاء لمعني ليس بالردى، وكذلك رثاؤه للهدى، وهل نستطيع أن نعد رثاء للهدى رثاء! هو مدح لأنه عزاء للخليفة الحديد، ففيه ذكر للخليفة الراحل، والثناء على وارثه، وفيه المثوبة والعطاء . فهو إلى المدح أقرب منه إلى الرثاء .

أما مدح مروان فن آيات المدح العربي، ونحن لا نحفظ منه إلا متفرقات قليلة ولكنها تكفي لنحكم أن مروان كان قد أتقن المدح وبرع فيه، بل نحسب أنه برز في هذا الفن على غيره من المعاصرين، ولكن مدح مروان ينقسم إلى قسمين متميزين : أحدهما المدح بالمعنى الشائع المعروف، وهو موجه لمعن بن زائدة، فهو يفتن في وصف معن بالجوهر والكرم والشجاعة والحب، ثم يفتن في مدح بني شيبان الذين ينتمى إليهم معن، وهو لا يخرج في مدحه هذا عن سنة الشعراء من قبله، ولكنه جيد المعاني متقاهما، حسن الألفاظ صافيا .

وأما القسم الثاني فهو هذا المدح السياسي الذي كان يُشده الخلفاء من بني العباس، وهو مدح إن شئت ولكنه يمتاز عن المدح المعروف بما فيه من هذا النضال السياسي

الذي كان يحتاج الى مهارة وفطنة ودقة وخفة ، والذي كان يضطر صاحبه الى أن يقهر العلويين دون أن يؤذيهم ، والى أن ينصر العباسيين دون أن يزدري خصومهم ، وقد بلغ مروان من ذلك ما أراد ، فقد أغضب العلويين لا لأنه آذاهم أو هجاهم فيما نعتقد ، بل لأنه كان خصما قويا عنيدا ماهرا في الخصام .

ثم هناك شيثان لا بد من الإشارة اليهما ليكُل رأينا في مروان ، ولنستطيع أن نحكم على شعره حكما معلا إن صح هذا التعبير :

الأول : أن مروان لم يكن عراقيا ولم يرض الإقامة في العراق ولم يُطل عشرة العراقيين من أهل المُجُون والعَبَث ، وإنما كان من أهل اليمامة أقام فيها لا يبرحها إلا وافدا على أمير أو وزير أو خليفة ، فاذا أنسد قصيدته وظفر بجائزته عاد الى اليمامة وأقام فيها عامه ثم استأنف الرحلة . ولهذا أثره في شعر مروان ، فهو أقرب الى شعر الجاهليين والإسلاميين منه الى شعر المُحدَثين من شعراء الحضارة العباسية ، تقرأه فتجد عليه هذه المسحة التي تخلو أو تكاد تخلو من الدعابة والحِقة ، وتمتاز بشيء من الجلال والرصانة ، يُمثل البادية تمثيلا صحيحا ؛ ولهذا أثره من وجهة أخرى ، فقد رضى علماء اللغة جميعا عن مروان وأحبوه من هذه الناحية ، وما أشك أنا في أنهم كانوا يودون لو استطاعوا إثارة على بشار وأبي نُوَاس ، لأنه كان أقرب منهما الى الأسلوب البدوي القديم ، ولكن أنى لهم ذلك ! وقد سَلَطَ اللهُ عليهم لسان بشار وأبي نُوَاس فاضطروا الى أن يحابوا هذين الشاعرين ويمتقوهما ، وأجمعوا أو كادوا يُجمعون على تقديم بشار وإثارة على مروان . ومع ذلك فليس الى المقارنة سبيل بين الشاعرين اذا آتخذنا وجهة البحث والنقد ، هذه الوجهة التي كان يُعنى بها علماء اللغة وهي وجهة المثانة والرصانة في اللفظ والأسلوب ، لا يُقاس الى مروان في هذا أحد من شعراء العراق ، أما اذا آتخذنا وجهة أخرى للنقد ، اذا آتخذنا اختلاف الفنون التي طرَقها الشاعر ، وقرب المأخذ ، والدنو من أذهان الناس والقدرة على تمثيل حياتهم ، فليس مروان يقاس الى بشار ولا الى أبي نُوَاس بنوع خاص ؛ على أن من علماء اللغة من استطاع أن يكون شجاعا شريفا في فنّه لا يخاف

ولا يهاب فصدَّق نفسه وصدَّق الناس، وآثر مروان على غيره من الشعراء المعاصرين، وهذا العالم اللغوي هو ابن الأعرابي الذي ختم الشعر بمروان وأبى أن يدون لأحد من المحدثين بعده، والذي كان ينشد مع الإعجاب الشديد هذه الأبيات الجيدة من شعر مروان، وهي:

بُنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللِقَاءِ كَأَنَّهُمْ * أَسْوَدُ لَهَا فِي بَطْنِ خَفَّانٍ أَشْبَلُ
هُمُ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا * بِالْجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائِكَيْنِ مَاتِرُ
لَهَا مِيمٌ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ * كَأَوْلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْلُ
هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا * اجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْرُلُوا
وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فَعَالَهُمْ * وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا

وكان ابن الأعرابي يقول: لو أت معنًا أعطى مروان كل ما يملك بهذه الأبيات لما بلغ حقه.

الثاني: أن مروان لم يكن سريعاً في الشعر ولا متعجلاً ولا مسترسلاً مع الطبع وإنما كان بطيئاً متمهلاً. كان يجيد الشعر لأنه كان يجوده. كان يسلك هذه الطريقة التي يزعم الرواة أن زهيراً كان يسلكها في هذه القصائد التي يُسمونها الحواريات، كان يُنفق أشهراً في إنشاء القصيدة وأشهرها في إصلاحها وأشهرها في عرضها حتى إذا استقام له هذا كله أنشد قصيدته ثم دوحه خليفة كان أو وزيراً أو أميراً، فليس عجيباً مع هذه الأناة أن يخلو شعره مما يُستنكر وأن يبرأ من الضعف والوحشية معاً. ولقد يُحدثنا الرواة بطائفة من أخبار مروان مع اللغويين والشعراء الذين كان يعرض عليهم شعره قبل أن ينشده الخلفاء. ولست أُشير إلا إلى سيرته مع بشار فلها معناها. كان مروان يعرض القصيدة على بشار ويسأله رأيه فيها فلا يجيبه بشار بأنها جيدة أو بأنها رديئة، بل يُقدر له قيمة القصيدة مالياً، فيقول: سيعطونك عليها كذا وكذا... وقد صدق بشار مرتين فأظهره مروان العجب من ذلك، فقال بشار: ألم أقل لك إنى أعلم الغيب! ولم يكن يعلم الغيب،

(١) لهاميم واحداً لهاموم، وهو العظم الكبير الخير.

وإنما كان يفهم مروان ويفهم الخلفاء ويفهم الميول السياسية التي كان من شأنها أن تُجْزِلَ حظَّ مروان من العطاء .

كان مروان متناقضا ولكنه تناقض مفهوم، كان شديد الحرص على الإجابة، فكان يشك في شعره، ويستشير فيه الشعراء والنحاة، ولكنه كان مع ذلك معجبا بنفسه لا يقدم عليها أحدا بعد هؤلاء الشعراء الثلاثة : الأخطل والفرزدق وجرير . وأسمع رأيه فيهم وفي نفسه، فقد عقده شعرا ليثبت كما يقول :

ذَهَبَ الْفَرَزْدَقُ بِالْفَخَّارِ وَإِنَّمَا * حُلُوُّ الْقَرِيضِ وَمُرُهُ الْجَرِيرِ
ولقد هجما فأمض أخطل تغليب * وحوى اللهمى بيانه المشهور
كلُّ الثلاثة قد أجاد فدحه * وهجاؤه قد سار كل مسير
ولقد جريت ففت غير مهلل * بجرأ لا قريف ولا مهور
إني لآنف أن أحبر مدحة * أبدا لغير خليفة ووزير
ما ضرتني حسد اللئام ولم يزل * ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

أما رأي مروان في النقد فبديع، كان ينشد الشعر لأمرئ القيس ويقول : هو أشعرُ الناس، ثم ينشد شعر الأعشى ويقول : هو أشعر الناس، ثم ينشد شعر زهير ويقول : هو أشعر الناس، حتى إذا أنشد لطائفة كثيرة من الشعراء، فرآهم جميعا أشعر الناس، قال ضاحكا : الناس أشعر الناس ! ولست أعرف رأيا كهذا الرأي يمثل الشك في نقد الناقد المعاصرين والسخرية بهذا النقد .

وننتقل من ذلك الوصف الرائع الى ذكر نبذة صالحة من أخباره وأشعاره .

دخل مروان بن أبي حفصة على المهدي بعد وفاة معن، فأنشده مديحا فيه، فقال له المهدي : ألسنت القائل :

أقننا باليمامة بعد معني * مقاما لا تُريدُ به زوالا
وقلنا أين نرحل بعد معني * وقد ذهب النوال فلا نوالا

قد ذهب النوال فيما زعمت، فلم جئت تطلب نوالنا؟ لا شيء لك عندنا . فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء، وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء كل عام مرة، فمثل بين يديه، وأنشد — بعد رابع أو خامس من الشعراء — :

طَرَقْتِكَ زَائِرَةٌ فِي خَيَالِهَا * بِيضَاءُ تَخْلِطُ بِالْجَمَالِ دَلَالِهَا
 قَادَتْ فؤَادَكَ فَاسْتَقَادَ وَمِثْلُهَا * قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمَالِهَا
 فَكَأَنَّهَا طَرَقَتْ بِنَفْحَةِ رَوْضِيَّةٍ * سَخَّتْ بِهَا دِيمَ الرِّبْعِ طِلَالِهَا
 بَاتَتْ تَسْأَلُ فِي الْمَنَامِ مُعَرَّسًا * بِالْيَدِ أَسْعَتَ لَا يَمَلُّ سؤَالِهَا
 فِي فِتْيَةٍ هَجَعُوا غِرَارًا بَعْدَ مَا * سَمُّوا مُرَاعِشَةَ السُّرَى وَمِطَالِهَا
 فَكَأَنَّ حَشَوَ ثِيَابِهِمْ هِنْدِيَّةً * نَحَلْتُ وَأَغْفَلْتُ الْقِيُونَ صِقَالِهَا
 وَضَعُوا الْخُدُودَ لِدَى سِوَاهُمْ جُنْحٍ * تَشْكُو كَلُومَ صِفَاحِهَا وَكَلَالِهَا
 طَلَبْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاصَلْتُ * بَعْدَ السُّرَى بِغُدُوِّهَا أَصَالِهَا
 تَزَعْتُ إِلَيْكَ صَوَادِيًا فَتَقَاذَفْتُ * تَطْوِي الْفَلَاحَةَ حَزُونَهَا وَرَمَالِهَا
 يَتْبَعُنَ نَاجِيَةً يَهْزُرُ مِرَاحُهَا * بَعْدَ النُّحُولِ تَلِيلُهَا وَقَدَالِهَا
 هُوَجَاءَ تَدَّرَعَ الرُّبَا وَتَشُقَّقَهَا * شَقَّ الشَّمْسُ إِذَا تَرَاعَ جَلَالِهَا
 تَنْجُو إِذَا دَفَعَ الْقَطِيعُ كَمَا نَجَتْ * خَرَجَاءُ^(٣) بَادَرَتِ الظَّلَامَ رِثَالِهَا^(٤)
 كَالْقَوْسِ سَاهِمَةٌ أَنْتِ كِ وَوَقْدَتُرِي * كَالْبُرُجِ تَمَلُّ رَحْلَهَا وَجِبَالِهَا

ومنها .

أَحِبَّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ * سُنَنَ النَّبِيِّ حَرَامِهَا وَحَلَالِهَا
 مَلِكٌ تَفَرَّعَ نَبْعَةً مِنْ هَاشِمٍ * مَدَّ الْإِلَهَ عَلَى الْأَنْامِ ظِلَالِهَا
 جَبَلٌ لِأَمْتِهِ تَلُوذُ بَرَكْنِهِ * رَادَى جِبَالِ عَدُوِّهَا فَأَزَالِهَا

(١) التليل : العتيق . (٢) تنجو : تسرع . (٣) الخرجاء : النعام . (٤) الرقال : فراخ

لم يَعْشَمَا مِمَّا يَخَافُ عَظِيمَةً * إِلَّا أَجَالَ لَهَا الْأُمُورَ مُجَاهَلًا
 حَتَّى يُفَرِّجَهَا أَغْرٌ مَهْدَبٌ * أَلْفَى أَبَاهُ مُفَرِّجًا أَمْثَالَهَا
 تَبَّتْ عَلَى زَلَلِ الْحَوَادِثِ رَاكِبٌ * مِنْ صَرَفَهِنَّ لِكُلِّ حَالٍ حَالَهَا
 كِتَابًا يَدِيكَ جَعَلْتَ فَضْلَ نَوَالِهَا * لِلسَّامِينَ وَلِلْعَدُوِّ وَبَالَهَا
 وَقَعْتَ مَوَاقِعَهَا بِعَفْوِكَ أَنْفُسٌ * أَذْهَبَتْ بَعْدَ مَخَافَةٍ أَوْجَالَهَا
 وَنَصَبْتَ نَفْسَكَ خَيْرَ نَفْسٍ دُونَهَا * وَجَعَلْتَ مَالَكَ وَاقِيًا أَمْوَالَهَا
 هَلْ تَعْلَمُونَ خَلِيفَةً مِنْ قَبْلِهِ * أَجْرَى لَغَايَتِهِ الَّتِي أَجْرَى لَهَا
 طَلَعَ الدَّرُوبَ مُشْمَرًا عَنْ سَاقِهِ * بِالْخَيْلِ مُنْصَلِتًا يُجِدُّ نَعَالَهَا
 قُوْدٌ تَرِيحٌ إِلَى أَغْرٍ لُوجْهِهِ * نُورٌ يُضِيءُ أَمَامَهَا وَخِلَالَهَا
 قَصُرَتْ حَمَائِلُهُ عَلَيْهِ فَتَقَلَّصَتْ * وَلَقَدْ تَحْفَظُ قَيْنَهَا فَاطَالَهَا
 حَتَّى إِذَا وَرَدَتْ أَوَائِلُ خَيْلِهِ * جِيحَانٌ بَثَّ عَلَى الْعَدُوِّ رَعَالَهَا ^(١)
 أَحْمَى بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ * وَأَبَاحَ سَهْلَ بِلَادِهِمْ وَجِبَالَهَا
 أَدَمَتْ دَوَابَرَ خَيْلِهِ وَشَكِيمَهَا * غَارَاتُهَا وَأَلْحَقَتْ أَطَالَهَا
 لَمْ يُبَيِّقْ بَعْدَ مَغَارِهَا وَطِرَادِهَا * إِلَّا نَحَّازَهَا ^(٢) وَإِلَّا آلَهَا
 رَفَعَ الْخَلِيفَةُ نَاطِرِيَّ وَرَاشَنِي * بِيَدِ مَبَارَكَةِ شَكَرْتُ نَوَالَهَا
 وَحَسِدَتْ حَتَّى قِيلَ أَصْبَحَ بَاغِيَا * فِي الْمَشِيِّ مُتَرَفِّفٌ شِبْهَ مُنْخَالَهَا
 وَلَقَدْ حَذَوْتَ لَنْ أَطَاعَ وَمِنْ عَصَى * نَعْلًا وَرِثْتَ عَنِ النَّبِيِّ مِثَالَهَا

فزحف المهدي من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجابا بما سمع ، ثم قال :
 كم هي ؟ قال : مائة بيت ، فأمر له بمائة ألف درهم ، فكانت أول مائة ألف درهم أعطيت
 شاعر في أيام بني العباس ، وهكذا فعل معه الرشيد لما أنشده قصيدته التي يقول فيها :

لَعْمَرُكَ مَا أَنْسَى غَدَاةَ الْمُحْصَبِ * إِشَارَةَ سَلَمَى بِالْبَنَانِ الْمُخْضَبِ
 وَقَدْ صَدَرَ الْجُجَّاجُ إِلَّا أَقْلَهُمْ * مَصَادِرَ شَتَّى مَوْجِبًا بَعْدَ مَوْكِبِ

(١) الرعال : القطع من الخيل واحدا رعلة . (٢) النحاز : الانساع .

قال مروان : دخلتُ على المهدي في قصر السلام ، فلما سمّمت عليه وذلك يعقب
 سُخْطه على يعقوب بن داود ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن يعقوب رجل رافضى ، وإنه
 سمعنى أقول فى الوراثه :

أنى يكونُ وليس ذلك بكائن * لبنى البناتِ وراثته الأعمام
 فذلك الذى حمّله على عداوتى ، ثم أنشدته :

كأن أمير المؤمنين محمدا * لرأفته بالناس للناس والدُّ

فقال له المهدي : والله ما أعطيك إلا من صُلبِ مالى ، فاعذرنى ، وأمرنى بثلاثين ألف درهم
 وكسانى جبة ومُطْرَفًا ، وفرض لى على أهل بيته ومواليه ثلاثين ألفًا أخرى .

لما قَدِمَ مَعْنُ من اليمن دخل عليه مروان والمجلس غاصُّ بأهله ، فأخذ يعضدنى الباب
 وأنشأ يقول :

أرى القلبَ أسمى بالأوانس مولعًا * وإن كان من عهد الصبا قد تمتعا
 ويقول فيها :

ولما سرى الهم الغريب قريته * قرى من أزال الشك عنه وأزما
 عزمٌ ففعلتُ الرحيل ولم أكن * كذى لؤثة لا يطلع الهمّ مطالعا
 فامت ركابى أرض مَعْنٍ ولم تزل * الى أرض مَعْنٍ حيثما كان تُزعا
 نجائب لولا أنها سُخِّرت لنا * أبتِ عِزَّةً من جهلها أن تورعا
 كسونا رحال الميس^(١) منها غواربًا * تدارك فيها^(٢) التى صيِّفا ومرِّبعا
 فما بلغتِ صنعاء حتى تواضعت * ذراها وزال الجهلُ عنها وأقلعا

الى أن قال :

وما الغيثُ اذ عمّ البلادَ بصوبه * على الناس من معروف مَعْنٍ بأوسعا
 تدارك مَعْنُ قبة الدين بعد ما * خشيننا على أوتادها أن تُتزعّا

(١) الميس : شجر عظيم يتخذ منه الرجال . (٢) التى : الشحم .

أقام على الثغر المخوف وهاشم * تُساق سِماما بالأسنّة مُنقَعَا
 مُقام آمرئٍ بأبي سوى الخِطّة التي * تكون لدى غِيبِ الأحاديث أُنقعا
 وما أحجم الأعداءُ عنك بقيّة * عليك وليكن لم يروا فيك مَطمعا
 رأوا مُخَدِّراً قد جرّبوه وعابنوا * لدى غِيبه منهم مجرّاً ومضرعاً
 وليس بثانيه اذا شد أن يرى * لدى نحره زُرُقُ الأسنّة سُرعاً
 له راحتان الغيثُ والحُتفُ فيهما * أبا الله إلا أن تُضراً وتنفعا
 لقد دوق الأعداءُ مَعْنُ فأصبحوا * وأمنعهم لا يدفع الذلّ مدقعا
 نجيبٌ مناجيبٍ وسيّدُ سادّة * دُرى المجد من فرعى نزارٍ تفرعا
 لبانت خصال الخير فيه وأكلت * وما كُلتُ نمسا سنوّه وأربعا
 لقد أصبحت في كلّ شرقٍ ومغرب * بسيفك أعناقُ المريبين خُضعا
 وطئتُ خدود الحُضرميين وطاة * لها هُدُ ركنٌ منهم فَضَعَضَعا
 فأقعوا على الأذنان إقعاء معشير * يرون لزوم السّلم أبقٍ وأودعا
 فلو مُدّت الأيدي إلى الحرب كلها * لكفّوا وما مدّوا إلى الحرب أصبعا

فقال له مَعْنُ : احتكم ، قال : عشرة آلاف درهم ، فقال مَعْنُ : رَجِحنا عليك تسعين ألفا ،
 قال : أقلني ، قال : لا أقال الله من يُقيلك .

لما مات المهديّ وفَدّت العرب على موسى الهادي يهتفونه بالخِلافة ويعزّونه عن
 المهديّ ، فدخل مروان فأخذ بعِضادتي الباب وقال :

لقد أصبحتُ تَحْتال في كلّ بلدة * بقبر أمير المؤمنين المقابرُ

ولو لم تُسكّن بآبئه في مكانه * لما برحتُ تبكي عليه المنابرُ

مرض عمرو بن مسعدة فدخل عليه مروان وقد أبلّ من مرضه ، فأنشأ يقول :

صَحّ الجسم يا عمرو * لك التّحيص والأجرُ

ولله علينا الحمد * يدُ والمِنَّة والشكر

فقد كان شكا شوقاً * إليك التهي والامر

قال موسى بن يحيى : أوصلنا الى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم ، وجمع اليها مالا حتى تمت مائة ألف وخمسين ألف درهم وأودعها يزيد بن مزيد ، فبينما نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مزيد ، وكانت فيه دُعاة ، فقال : يا أبا علي ، أودعني مروان خمسين ومائة ألف درهم ، وهو يشتري الخبز من البقال ؛ فغضب يحيى ثم قال : علي بمروان ، فأتى به ، فقال له : قد أخبرني أبو خالد بما أودعته من المال وما تتبناه من البقال ، والله لَمَا يَرَى من أثر البخل عليك أضرت من الفقر لو كان بك . ويروى أنه قال له : والله للبخل أسوأ عليك أثرا من الفقر لو صررت اليه فلا تبخل . وقال عمر بن شبة قال مروان : ما فرحت بشيء قط فرحي بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهدي ، فوزتها فزادت درهما ، فاشترت به لحما . وقال جهم بن خلف : أتينا اليمامة فنزلنا على مروان بن أبي حفصة فأطعمنا تمرا وأرسل غلامه بقلس وسكرجة ليشتري زيتا ، فلما جاء بالزيت قال لغلامه : خُنتني ؛ قال : من قلس ! كيف أخونك ؟ قال : أخذت القلص لنفسك وأستوهبت الزيت . وقال التوزي : مر مروان بن أبي حفصة في بعض سفراته وهو يريد معنى امرأة من العرب ، فأضافه ؛ فقال : لله علي إن وهب لي الأمير مائة ألف أن أهب لك درهما ؛ فأعطاه ستين ألف درهم ، فأعطاه أربعة دوانق . وقال أبو دعامة : آشتري مروان لحما بنصف درهم فلما وضعه في القدر وكاد ينضج دعاه صديق له ، فردّه على القصاب بنقصان دانق ، فشكاه القصاب وجعل ينادي هذا لحم مروان ، وظن أنه يأنف لذلك ؛ فبلغ الرشيد ذلك فقال : ويلك ! ما هذا ؟ فقال : أكره الإسراف .

دخل مروان على موسى الهادي فأثدده قوله فيه :

تَشَابِهَ يَوْمًا بِأَسِهِ وَنَوَالِهِ * فَمَا أَحَدٌ يَدْرِي لَأَيِّهِمَا الْفَضْلُ

فقال له الهادي : أيما أحب اليك ؟ أتلاثون ألفا معجلة ، أم مائة ألف تدون في الدواوين ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنت تحسن ما هو خير من هذا ، ولكحك أنسيتيه ، أفتأذن لي أن أذكرك ؟ قال : نعم ؛ قال : تُعجّل لي الثلاثين ألفا وتُدون المائة ألف في الدواوين ، فضحك وقال : بل يُعجلان جميعا ، فحمل اليه المال أجمع .

قال محمد النَّوْفَلِيُّ : آجتاز مروان برجل من بَاهِلَة من أهل اليمامة ، وهو يُنْشِد قوما كان
جالسا اليهم شعرا مدح به مروان بن محمد ، وأنه قُتِلَ قبل أن يلقاه ويُشِده إياه ، أوله :

مروانُ يابن محمد أنت الذي * زيدت به شرفا بنو مروان

فأعجبته القصيدة ، فأهل الباهلي حتى قام من مجلسه ، ثم أتاه في منزله فقال له : إني سمعت
قصيدتك وأعجبني ، ومروان قد مضى ومضى أهله ، وفاتك ما قدرت عنده . أفتبيني
القصيدة حتى أنتحلها ، فإنه خير لك من أن تبقى عليك وأنت فقيير ؟ قال : نعم ؛ قال :
بكم ؟ قال : بثلاثمائة درهم ، قال : قد آبتعتها ، فأعطاه الدراهم وحلقه بالطلاق ثلاثا وبالأيمان
المُحْرَجَة ألا ينتحلها أبدا ، ولا ينسبها إلى نفسه ولا ينسبها ، وأنصرف بها إلى منزله فغير
منها أبياتا وزاد فيها وجعلها في معن ، وقال في ذلك البيت :

معن بن زائدة الذي زيدت به * شرفا على شرف بنو شيبان

ووفد بها إلى معن حتى أثرى وآتست حاله ، فكان معن أول من رفع ذكره وتوه به .
وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة ومراث حسنة . قال مروان : كان المنصور قد طلب
معن بن زائدة طلبا شديدا وجعل فيه مالا ، فحدثني معن باليمن أنه اضطرت لشدة الطلب إلى
أن قام في الشمس حتى لَوَحَتْ وجهه ، وخفف عارضيه ولحيته ، وليس جبّة صوف
غليظة ، وركب جملا من الجمال الثقالة يمضي إلى البادية فيقيم بها ، وكان قد أبلى في حرب يزيد
أبن عمر بن هُبَيْرَة بلاء حسنا غاظ المنصور وجَدَّ في طلبه ، قال معن : فلما خرجت من باب
حرب تبينني أسود متقلدا سيفي حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خِطَامِ جملي فأناخه
وقبض عليّ ، فقلت له : مالك ؟ قال : أنت طليبة أمير المؤمنين ، قلت : ومن أنا حتى يطلبني
أمير المؤمنين ؟ قال : معن ابن زائدة ، قلت : يا هذا ، آتق الله ، وأين أنا من معن ؟ قال :
دع هذا عنك ، فأنا والله أعرف بك منك ، فقلت له : فإن كانت القصة كما تقول ، فهذا
جوهر حملته معي يفي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي ، فخذوه ولا تسفك دمي ، قال :
هانه ، فأخرجته إليه ، فنظر إليه ساعة وقال : صدقت في قيمته ، ولست قابله حتى أسألك

عن شيء ، فإن صدقتني أطلقتك ، فقلت : قل ، قال : إن الناس قد وصفوك بالجوذ فأخبرني ، هل وهبت قط مالك كله ؟ قلت : لا ، قال : فنصفه ؟ قلت : لا ، قال : فثلثه ؟ قلت : لا ، حتى بلغ العشر ، فأستحييت ، فقلت : أظن أني قد فعلت هذا ، فقال : ما أراك فعلته ، أنا والله راجل ورزق من أبي جعفر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته آلاف الدنانير وقد وهبته لك ، وهبتك لنفسك ولجوذك المأثور عنك بين الناس ، ولتعلم أن في الدنيا أجود منك فلا تعجبك نفسك ، ولتُحقر بعد هذا كل شيء تفعله ولا لتتوقف عن مكرمة ، ثم رمى بالعقد في حجرى وخطى خطام البعير وأنصرف ، فقلت : يا هذا ، قد والله فضحتني وأسفك دمي أهون علي مما فعلت ، نخذ ما دفعته اليك فإني غني عنه ، فضحك وقال : أردت أن تكذبني في مقامى هذا ، والله لا أخذه ولا أخذ بمعروف ثمنا أبدا ومضى ، فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءني به ما شاء ، فما عرفت له خبرا وكان الأرض أبتلغته . وكان سبب رضا المنصور عن معن أنه لم يزل مستترا حتى كان يوم اذاشمية^(١) ، فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه ، وثب معن وهو متأمم فانتضى سيفه وقاتل فأبلى بلاء حسنا وذبح القوم عنه حتى نجا وهم يحاربونه بعد ؛ ثم جاء والمنصور راكب على بغلة ولجامها بيد الربيع فقال له : تنح فإني أحق بالجام منك في هذا الوقت وأعظم فيه غنا ، فقال له المنصور : صدق فادفعه اليه ، فأخذه ولم يزل يقاتل حتى أنكشفت تلك الحال ، فقال له المنصور : من أنت ؟ لله أبوك ! قال : أنا طليبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة ، قال : قد أمنتك الله على نفسك ومالك ومثلك يُصطع ، ثم أخذه معه وخلع عليه وجباه وزينه ، ثم دعا به يوما فقال له : إني قد أملتك لأمر فكيف تكون فيه ؟ قال : كما يحب أمير المؤمنين ، قال : قد وليتك اليمن فابسط السيف فيهم حتى ينقض حلف ربيعة واليمن ، وأبلغ من ذلك ما يحب أمير المؤمنين ، فولاه اليمن وتوجه إليها فبسط السيف فيهم حتى

(١) مدينة بناها السفاح بالكوفة وذلك أنه لما ولي الخلافة نزل بقصر ابن هيرة واستم بناءه وجعله مدينة وسماها الهاشمية ، فكان الناس ينسبونها إلى ابن هيرة على العادة ، فقال : ما أرى ذكر ابن هيرة يسقط عنها ، فرفضها وبني حياها مدينة سماها الهاشمية ونزلها .

أسرف . قال مروان : وقدم معن بعقب ذلك فدخل على المنصور ، فقال له بعد كلام طويل :
قد بلغ أمير المؤمنين عنك شيء لولا مكانك عنده ورأيه فيك لَغَضِبَ عليك ؛ قال :
وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال : إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألف دينار لقوله فيك :

معنُ بنُ زائدة الذي زِيدتُ به * شرفاً على شرف بنو شيبانِ

إن عُدَّ أيامَ الفِعالِ فإنما * يوماه يومُ ندى ويومُ طعانِ

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أعطيتُه ما بَلَغَكَ لهذا الشعر ، وإنما أعطيتُه لقوله :

ما زِلتَ يومَ الهاشميَّةِ مُعلناً * بالسيفِ دونَ خليفةِ الرحمنِ

فمنعتَ حوزتَه وكنتَ وقاءَه * مِن وقعِ كلِّ مهتدٍ ويسنانِ

فاستحيا المنصور وقال : إنما أعطيتُه ما أعطيتَه لهذا القول؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛
والله لولا مخافة الشُّعْبة لأمكتته من مفاتيح بيوت الأموال وأبجته إياها ؛ فقال له المنصور :
لله دَرَكٌ من أعرابي! ما أهونَ عليك ما يعزُّ على الرجال وأهل الحزم !

وأختم هذه الترجمة بموت مروان يَقْصُه قائله . روى صاحب الأغاني عن رجل

يقال له صالح بن عطية الأصبجيم أنه قال :

لما قال مروان :

أني يكونُ وليس ذاكُ بكائينِ * ليني البناتِ وراثَةُ الأعمامِ

لَزِمَتْهُ وعاهدت اللهُ أن اغتاله فأقتله أي وقتِ أمكني ، وما زلتُ الألفه وأبره ، وأكتب
أشعاره حتى خُصِصَتْ به فأنسَ بي جدا ، وعرفتُ ذلك بنو حفصة جميعا فأنسوا بي ،
ولم أزل أطلب غيرةً حتى مرض من حمى أصابته ، فلم أزل أظهر له الجزع عليه والألزمه
والألفه حتى خلا لي البيت يوما ، فوثبتُ عليه فأخذتُ بحلقه فما فارقه حتى مات ، فخرجتُ
وتركته فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتا وأرتفعت الصيحة ، فحضرتُ وتباكيْتُ
وأظهرت الجزع عليه حتى دُفِنَ وما فِطِنَ لما فعلتُ أحد ولا آتهمني به .

٤ - أبو دَلَامَةَ^(١)

كان أوَّل ما حُفِظَ من شعره وأُسْنِيت الجوائزُ له به ، قصيدةٌ مَدَح بها أبا جعفر المنصور
وذَكَرَ قَتْلَهُ أبا مُسْلِمٍ يَقولُ فيها :

أبا مسلمَ خَوْفَنِي القَتْلَ فَانْتَحَى * عليك بما خَوْفَنِي الأَسَدَ الوَرْدُ^(٢)

أبا مسلمَ ما غَيَّرَ اللهُ نَعْمَةً * على عبده حتى يُغَيِّرَها العَبْدُ

أنشدها المنصور في مَحْفَلٍ من الناس فقال له : أَحْتَكِم ، فطلب عشرة آلاف درهم ،
فأمر له بها ، فلما خلا قال له : إيه ، أما والله لو تعدَّيتَها لقتلتك .

أمر أبو جعفر أصحابه بلبس السواد وقلائسٍ طَوَالٍ تُدَعَمُ بعيْدانٍ من داخلها ، وأن يُعَلِّقُوا
السيوف في المناطق ويكتبوا على ظهورهم : (فَسَيَكْفِيكُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) فقال
أبو دلامة :

وَكَأُ تُرَجِّي من إمامٍ زِيادَةً * بِفَأْدِ بَطُولٍ زادَهُ في القلائسِ^(٣)

تَرَاهَا على هامِ الرجالِ كأنها * دِنَانٌ يهودٍ جَلَّتْ بالبرانسِ

ودخل الى المنصور مرةً فأنشده :

إِن الخَلِيطُ أَجَدَ البَيْنِ فانتجعوا * وَرَوْدوكِ خَبَالًا ، بِئْسَمَا صَنَعُوا

واللهُ يَعْلَمُ أَن كادَتْ لِبَيْنِهِمْ * يَوْمَ الفِراقِ حِصَاةُ القَلبِ تَصَدِّعُ

عَجِبْتُ من صِبْيَتِي يوماً وأُمَّهِمْ * أُمَّ الدُّلَامَةِ لَمَّا هاجها الجَزَعُ

(١) هو زندي بن الجون ، وسمى أبا دلامة نسبة إلى ابنه دلامة ، وهو كوفي المنشأ أسود اللون مولد لبني أسد ،
وكان أبوه عبداً لرجل منهم فاعتقه . أدرك أبو دلامة أواخر الدولة الأموية ، ولكنه نبع في الدولة العباسية ، واقتطع
إلى أبي العباس السفاح والمنصور والمهدي ، وكانوا يقسمونه ويصلونه ويستقبلون بحماسة ونوادره ، وفيه دعاية
وظرف ، لا يخلو حديثه من نكتة أو ملحمة ، وكان مع ذلك معسوداً في جملة المتهمين بالزندقة وفساد الدين ،
وكان يشرب الخمر ولا يحضر صلاة ولا فروضاً . توفي سنة ١٦١ هـ . وأخباره في الأغاني (ج ٩ ص ١٢٠) وابن
خلكان طبع بلاق (ج ١ ص ٢٦٧) والشعر والشعراء (ص ٤٨٧) والدميري (ج ١ ص ١٣٢) والمستطرف
(ج ٢ ص ٤٣) . (٢) في الشعر والشعراء : "أبا مجرم" . (٣) في الطبري ج ٢ ص ٣٧١ طبع أوربا
"فزااد الامام المصطفى" .

لا بَارِكَ اللهُ فِيهَا مِنْ مُنْبَهَةٍ * هَبَّتْ تَلُومَ عِيَالِي بَعْدَ مَا هَجَعُوا
 وَنَحْنُ مُشْتَبِهُوا الْأَلْوَانَ أَوْجَهَنَا * سُودٌ قِبَاحٌ وَفِي أَسْمَانِنَا شَسَعٌ
 إِذَا تَسَكَّتْ إِلَى الْجُوعِ قَلْتُ لَهَا * مَا هَاجَ جُوعَكَ إِلَّا الرَّيُّ وَالشَّبَعُ
 لَا وَالَّذِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى * لَكَ الْخِلَافَةَ فِي أَسْبَابِهَا الرَّفَعُ
 مَا زِلْتُ أُخْلِصُهَا كَسْبِي فَمَا كُفُّهُ * دُونِي وَدُونَ عِيَالِي ثُمَّ تَضَطَّيْعُ
 شَوْهَاءُ مَشْنَأَةٌ فِي بَطْنِهَا يَجْرُ^(١) * وَفِي الْمَفَاصِلِ مِنْ أَوْصَالِهَا فَدَعُ
 ذَكَرْتُهَا بِكَتَابِ اللهِ حُرْمَتِنَا * وَلَمْ تَكُنْ بِكَتَابِ اللهِ تَتَفَعُّعُ
 فَأَخْرَجْتُمُ^(٢) ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مُغْضَبَةٌ * أَنْتِ تَتْلُو كِتَابَ اللهِ يَا أَلْكَعُ
 أَخْرَجُ لِيْبَيْعٍ لَنَا مَالًا وَمَزْرَعَةً * كَمَا لِحَيْرَانِنَا مَالٌ وَمُزْدَرَعُ
 وَأَخَذَعُ خَلِيفَتِنَا عَنَّا بِمَسْأَلَةٍ * إِنَّ الْخَلِيفَةَ لِلسُّؤَالِ يَنْخَدِعُ
 فضحك أبو جعفر وكتب له بضبعة .

كان واقفا بين يدي السَّفَاحِ فقال له : سَلْنِي حَاجَتَكَ ، قال : كَلْبٌ أَتَصِيدُ بِهِ ، قال :
 أَعْطُوهُ إِيَّاهُ ، قال : وَدَابَّةٌ أَتَصِيدُ عَلَيْهَا ، قال : أَعْطُوهُ دَابَّةً ، قال : وَغَلَامٌ يَصِيدُ بِالْكَلْبِ
 وَيَقُودُهُ ، قال : أَعْطُوهُ غَلَامًا ، قال : وَجَارِيَةٌ تُصَلِّحُ لَنَا الصَّيْدَ وَتُطْعَمُنَا مِنْهُ ، قال :
 أَعْطُوهُ جَارِيَةً ، قال : هَؤُلَاءِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عبيدُكَ ، فلا بدَّ لَهم من دَارٍ يَسْكُنُونَهَا ، قال :
 أَعْطُوهُمُ دَارًا تَجْمَعُهُمْ ، قال : فَإِن لَمْ تَكُنْ لَهم ضِيعَةٌ فَمِنْ أَيْنَ يَعْشُونَ ؟ قال : قَدْ أَعْطَيْتُكَ مِائَةَ
 جَرِيْبِ عَامِرَةَ ، وَمِائَةَ جَرِيْبِ غَامِرَةَ ، قال : وَمَا الْغَامِرَةُ ؟ قال : مَا لَا نَبَاتَ فِيهَا ، فقال : قَدْ
 أَقْطَعْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَحْمِسَ مِائَةَ أَلْفِ جَرِيْبِ غَامِرَةَ مِنْ فَيَّافِي بَنِي أَسَدٍ ، فَضَحِكَ وَقَالَ :
 اجْعَلُوهَا عَامِرَةَ ، قال : فَأَذِنَ لِي أَنْ أُقْبِلَ يَدَكَ ، قال : أَمَا هَذِهِ فَدَعَّعَهَا ، قال : وَاللَّهِ مَا مَنَعَتْ
 عِيَالِي شَيْئًا أَقَلَّ ضَرَرًا عَلَيْهِمْ مِنْهَا ، قال الْجَالِحُظُّ : فَأَنْظِرْ لِي حِدْقَهُ بِالْمَسْأَلَةِ وَطُفْئِهِ فِيهَا ، ابْتَدَأَ

(١) البجر : خروج البرة وتوتوها ونظف أصلها . والفدع : أعوجاج في الرسع من اليد أو الرجل حتى ينقلب

الكف والقدم إلى إنسها . (٢) أي غضبت .

بكل فسَّهَّل القصة به وجعل يأتي بما يليه على ترتيب وفكاهة حتى نال ما لو سأله بديهية
لما وصل إليه .

قال علي بن سلام : كنت أسقى أبا دلامة والسَّدي إذ خرجت بنت لأبي دلامة،
فقال فيها أبو دلامة :

فما ولدتكِ مريم أم عيسى * ولا ربَّكِ لقمان الحكيم

أجز يا أبا عطاء، فقال :

ولكن قد تَضُمُّك أم سوء * الى لَبَّاتها وأب لئيم

فضحك لذلك، ثم غدا أبو دلامة الى المنصور فالفاه في الرَّحبة يُصليح فيها شيئاً يريد، فأخبره
بقصة ابنته وأنشده البيتين، ثم أندفع فأنشده بعدهما :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقييل آقعسوا يا آل عباس

ثم أرتقوا في شعاع الشمس كلُّكم * الى السماء فاتم أظهر الناس

وقدموا القائم المنصور رأسكم * فالعين والأنف والأذنان في الراس

فاستحسنها وقال : بأى شيء تحب أن أُعِينَك على قُبْحِ أبنتك هذه ؟ فأخرج خريطة كان
قد خاطها من الليل، فقال : تملأ لي هذه دراهم، فمأثت فوسعت أربعة آلاف درهم .

لما توفى أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده يعزونه، فأنشأ

أبو دلامة يقول :

أمسيت بالأنبار يا ابن محمد * لم تستطع عن عُقرها تحويلا

وئبى عليك وويل أهل كلهم * ويلاً ووعولاً في الحياة طويلا

فلتبيكين لك النساء بعبرة * وليه كين لك الرجال عويلا

مات الندى إذ مت يا ابن محمد * بجعلته لك في التراب عديلا

إني سألت الناس بعدك كلهم * فوجدت أسمع من سألت بخيلا

ألشقوقى أحرث بعدك للتي * تدعُ العزيز من الرجال ذليلا

فلا حلفن يمين حق برة * بالله ما أعطيت بعدك سُولا

فأبكى الناس قوله ، فغضب المنصور غضبا شديدا وقال : لئن سمعتك تُنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لي مكرما ، وهو الذي جاء بي من البدو كما جاء الله بإخوة يوسف كما قال يوسف لإخوته : ﴿ لا تَثْرِبَ سَوْءَ الْيَوْمِ بِغَيْرِ اللَّهِ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ فُسِّرَى عن المنصور وقال : قد أفلناك يا أبا دلامة ، فسل حاجتك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ، ولم أقبضها . فقال المنصور : ومن يعرف هذا ؟ فقال : هؤلاء ، وأشار الى جماعة ممن حضر ، فوثب سليمان بن خالد وأبو الجهم فقالا : صدق أبو دلامة نحن نعلم ذلك ، فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيظ : ياسليان ، ادفعها اليه وسيده الى هذا الطاغية « يعنى عبد الله بن علي » وقد كان خرج بناحية الشام وأظهر الخلاف ، فوثب أبو دلامة فقال : يا أمير المؤمنين إني أعيدك بالله أن أخرج معهم ، فوالله اني لمشثوم ، فقال المنصور : امض ، فإن يُمْنِي يَغْلِبَ شَوْمَكَ فَأُخْرِجْ ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أحب لك أن تجزب ذلك مني على مثل هذا العسكرا ، فإني لا أدري أيهما يَغْلِبُ ، أيمنك أم شؤمي ، إلا أني بنفسى أوثق وأعرف وأطول تجربة ، قال : دعني من هذا فإلك من الخروج بُدُ ، فقال : إني أصدقك الآن ، شهدت والله تسعة عشر عسكرا كلها هزمت وكننت سببها ، فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين فافعل ، فاستغرب أبو جعفر ضحكا وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة .

قال أبو دلامة : أتى بي المنصورُ أو المهدي وأنا سكران ، خلف ليخرجني في بعث حرب ، فأخرجني مع رَوْح بن حاتم المهلبى لقتال الشراة ، فلما التقى الجمعان قلت لِرَوْح : أما والله لو أت تختى فرسك ومعى سلاحك لأثرت في عدوك اليوم أثرا ترتضيه ، فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ولأخذنك بالوفاء بشرطك ، ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلى ودعا بهما فاستبدل بهما ، فلما حصل ذلك في يدي وزالت عنى حلاوة الطمع قلت له : أيها الأمير هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت أبياتا فأسمعها ، قال : هات ، فأنشدته :

إني أستجرتك أن أقدم في الوعى * لتطأعين وتنازلي وحراب^(١)
 فهب السيف رأيها مشهورة * فتركتها ومضيت في الهزأب
 ماذا تقول لما يحيى وما يرى * من واردات الموت في النشاب

فقال : دَعُ عنك هذا وسَتَعَلِّمْ، وبرز رجل من الخوارج يدعو للبارزة : فقال : اخرج
 اليه يا أبا دلامة، فقلت : أَسْأَلُكَ اللهُ أَيُّهَا الأَمِيرُ فِي دَمِي، قال : والله لَتَخْرُجَنَّ، فقلت :
 أيها الأمير فإنه أوَّلُ يومٍ من أَيَّامِ الآخِرَةِ وَأَخْرُ يومٍ من أَيَّامِ الدُّنْيَا وأنا والله جاعع ما شَبِعَتْ
 مني جارحةٌ من الجوع، فُرِّلِي بَشِيءَ آكَلُهُ ثم أخرج، فأمر لي برغيفين ودجاجاة، فأخذتُ
 ذلك وبرزتُ عن الصَّفِّ، فلما رَأَى الشَّارِي أقبِلْ نحوِي وعليه فَرُّو قد أصابه المطر فأبتَلَّ
 وأصابته الشمس فأنفعل وعيناه تَقَدَّان، فأسرع إلى، فقلت له : على رِسْلِكَ يا هذا، كما أنت،
 فوقف، فقلت : أقتل من لا يقاتلك؟ قال : لا، قلت : أقتل رجلا على دينك؟ قال :
 لا، قلت : أفستحل ذلك قبل أن تدعو من تقاتله الى دينك؟ قال : لا، فاذهب عني
 الى لعنة الله، قلت : لا أفعل أو تسمع مني، قال : قُلْ، قلت : هل كانت بيننا فِطْرٌ عداوةٌ
 أو تَرَّةٌ أو تعرفني بحال تُحْفِظُكَ على أو تعلم بيني وبين أهلِكَ وترا، قال : لا والله، قلت :
 ولا أنا والله أُضْمِرُ لك إلا جميل الرأي، وإني لأهواك وأتحل مذهبك، وأدين دينك، وأريد
 السوء لمن أرادته لك، قال : يا هذا جزاك الله خيرا فأنصرف، قلت : إن معي زاداً أحب
 أن آكَلَهُ معك وأحبّ موا كلتك لتنا كد المودة بيننا ويرى أهلُ العسكر هوانهم علينا، قال :
 فأفعل، فتقدمت اليه حتى اختلفت أعناقُ دوابنا، وجمعنا أَرْجُلَنَا على معارفها والناس قد غلبوا
 صَحْكَاً، فلما استوفينا ودعني، ثم قلت له : إن هذا الجاهل إن أقتت على طلب المبارزة
 ندبني اليك فتتبعني وتتعب نفسك، فإن رأيت ألا تبرز اليوم فأفعل، قال : قد فعلت،
 ثم أنصرف وأنصرفت فقلت لروح : أما أنا فقد كفيتك قرني، فقل لغيري أن يكفيك قرنه
 كما كفيتك، فأمسك، وخرج آخريدعو الى البراز، فقال لي : اخرج اليه، فقلت :

(١) الحراب بمعنى المحاربة وفي الأغاني « ضراب » . (٢) هكذا بالأصل ولعلها : افعل، من
 قولهم افعلت يده : تقبضت .

إِنِّي أَعُوذُ بِرُوحِ أَنْ يَقْدَمَنِي * إِلَى الْبِرَازِ فَتَخْزِي بِي بَنُو أَسَدٍ
 إِنَّ الْبِرَازَ إِلَى الْأَقْرَانِ أَعْلَمُهُ * مِمَّا يَفْتَرِقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ
 قَدْ حَالَفْتُكَ الْمَنَايَا إِنْ صَدَدْتَ لَهَا * وَأَصْبَحْتُ لَجَمِيعِ الْخَلْقِ بِالرَّصَدِ
 إِنَّ الْمُهَلَّبَ حَبَّ الْمَوْتِ أَوْرَثَكُمْ * وَمَا وَرِثْتُ أَخْتِيَارَ الْمَوْتِ عَنْ أَحَدٍ
 لَوْ أَنَّ لِي مُهْجَةً أُخْرَى بَلَدْتُ بِهَا * لَكُنَّهَا خُلِقْتُ فَرْدًا فَلَمْ أَجِدْ
 فضحك وأغفاني .

قال أبو أيوب المورياتي لأبي جعفر وكان يشنأ أبا دلامة : إن أبا دلامة مُعْتَكِفٌ عَلَى
 الْخَمْرِ ، فَمَا يَحْضُرُ صَلَاةً وَلَا مَسْجِدًا وَقَدْ أَفْسَدَ فِتْيَانُ الْعَسْكَرِ ، فَلَوْ أَمْرَتْهُ بِالصَّلَاةِ مَعَكَ لِأُجِرْتَ
 فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ مِنْ فِتْيَانِ عَسْكَرِكَ بَقَطْعِهِ عَنْهُمْ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو دَلَامَةَ قَالَ لَهُ : مَا هَذَا الْمُجُونُ
 الَّذِي يَبْلُغُنِي عَنْكَ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنَا وَالْمُجُونُ وَقَدْ شَارَفْتُ بَابَ قَبْرِي ! ، قَالَ :
 دَعْنِي مِنْ أَسْتِكَانَتِكَ وَتَضَرُّعِكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَفُوتَكَ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ فِي مَسْجِدِي ، فَلَمَّا فَاتَكَ
 لِأَحْسَنِ أَدَبِكَ وَلَا تُطِيلَنَّ حَبْسَكَ ، فَوَقَعَ فِي شَرٍّ وَلَزِمَ الْمَسْجِدَ أَيَّامًا ، ثُمَّ كَتَبَ قِصَّةً وَدَفَعَهَا
 إِلَى الْمَهْدِيِّ فَأَوْصَلَهَا إِلَى أَبِيهِ وَكَانَ فِيهَا :

أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْخَلِيفَةَ لَزَنِي ^(١) * بِمَسْجِدِهِ وَالْقَصِيرَ ، مَالِي وَلِلْقَصِيرِ
 أُصَلِّي بِهِ الْأَوَّلَى جَمِيعًا وَعَصَرَهَا * فَوَيْلِي مِنَ الْأَوَّلَى وَوَيْلِي مِنَ الْعَصْرِ
 أَصْلِبُهُمَا بِالْكُرْهِ فِي غَيْرِ مَسْجِدِي * فَمَالِي فِي الْأَوَّلَى وَلَا الْعَصْرِ مِنْ أَجْرٍ
 لَقَدْ كَانَ فِي قَوْمِي مَسَاجِدُ جَمَّةً * وَلَمْ يَنْشَرْحْ يَوْمًا لَغَشِيَانَهَا صَدْرِي
 يَكْفُنُ مِنْ بَعْدِ مَا شَبَتْ حُطَّةً * يُحِطُّ بِهَا عَنِّي الثَّقِيلُ مِنَ الْوِزْرِ
 وَمَا ضَرَّهُ وَاللَّهُ يَغْفِرُ ذَنْبَهُ * لَوْ أَنَّ ذُنُوبَ الْعَالَمِينَ عَلَى ظَهْرِي

فَقَالَ : صَدَقَ ، مَا يَضُرُّنِي ذَلِكَ ، وَاللَّهُ لَا يَصِلِي هَذَا أَبَدًا ، فَدَعُوهُ يَعْمَلُ مَا يَشَاءُ .

(١) لزه بالشئ : أزهه إياه .

وقال الهَيْمَمُ فِي خَبْرِهِ : قَدْ أَعْفَيْنَاكَ مِنْ هَذَا الْحَالِ ، وَلَكِنْ عَلَى الْآتِدَعِ الْقِيَامَ مَعَنَا فِي لَيْلَى شَهْرِ رَمَضَانَ فَقَدْ أَظَلَّ ، فَقَالَ : أَفْعَلُ ، قَالَ : فَإِنَّكَ إِنْ تَأَخَّرْتَ لِشَرْبِ الْخَمْرِ عَلِمْتُ ذَلِكَ وَاللَّهِ لَئِنْ فَعَلْتَ لِأَحَدُنَاكَ ، فَقَالَ أَبُو دَلَامَةَ : الْبَلِيَّةُ فِي شَهْرِ أَخْفَ مِنْهَا فِي طَوْلِ الدَّهْرِ ، سَمْعًا وَطَاعَةً ، فَلَمَّا حَضَرَ شَهْرُ رَمَضَانَ لَزِمَ الْمَسْجِدَ ، وَكَانَ الْمَهْدِيُّ يَبِيعُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ حَرَسِيًّا يَبْحِي ، بِهِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَفَزِعَ إِلَى الْخَيْرِزُرَانَ وَالِي أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ وَكُلَّ مِنْ يَلُودِ بِالْمَهْدِيِّ لِيَشْفَعُوا لَهُ فِي الْإِعْفَاءِ مِنَ الْقِيَامِ ، فَلَمْ يَجِبْهُمْ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ : الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعُهُ ، فَكَيْفَ شُكْرُكَ ؟ قَالَ : أُمَّ شُكْرًا ، قَالَ : عَلَيْكَ بَرِيَّةٌ فَإِنَّهُ لَا يَخَالِفُهَا ، قَالَ : صَدَقْتَ ، ثُمَّ رَفَعَ إِلَيْهَا رُقْعَةً يَقُولُ فِيهَا :

أَبْلَغَا رَيْطَةَ أَنِي * كُنْتُ عَبْدًا لِأَيِّهَا
 مَضَى يَرْحَمُهُ اللَّهُ * هُوَ وَأَوْصَى بِي إِلَيْهَا
 وَأَرَاهَا نَسِيَّتِي * مِثْلَ نَسْيَانِ أَخِيهَا
 جَاءَ شَهْرَ الصَّوْمِ يَمْشِي * بِشَيْءٍ مَا أَشْتَهِيهَا
 قَائِدًا إِلَى لَيْلَةِ الْقَدْرِ * رَكَاتِي أَبْتَغِيهَا
 تَنْطَحُ الْقِبْلَةَ شَهْرًا * جَبْهَتِي لَا تَأْتِلِيهَا
 وَلَقَدْ عَشْتُ زَمَانًا * فِي فَيَافَى وَجْهِهَا
 فِي لَيْلٍ مِنْ شِتَاءٍ * كُنْتُ شَيْخًا أَصْطَلِيهَا
 قَاعِدًا أَوْقَدَ نَارًا * لِضِيَابِ أَشْتَوِيهَا
 وَصَبُوحٍ وَغَبُوقٍ * فِي عِلَابِ أَحْتَسِيهَا
 مَا أَبَالِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ * رَ وَلَا تُسْمِعِينِيهَا
 فَاطْلُبِي لِي فَرَجًا مِنْهَا * بِهَا وَأَجْرِي لِكِ فِيهَا

فَلَمَّا قَرَأَتِ الرُّقْعَةَ صَحَّكَتْ وَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ : أَصْطَبِرُ حَتَّى تَمْضِيَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهَا :
 إِنِّي لَمْ أَسْأَلْكَ أَنْ تَكْتَلِمَ فِي إِعْفَائِي عَامًا قَابِلًا ، وَإِذَا مَضَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ فَقَدْ فَنَى الشَّهْرَ ،
 وَكَتَبَتْ تَحْتَهَا أَيْبَاتًا :

خافي إلهك في نفس قد احتضرت * قامت قيامتها بين المصلينا
 ما لي ليل القدر من همى فأطلبها * إنى أخاف المنايا قبل عشرينا
 ياليلة القدر قد كتمت أرجلنا * ياليلة القدر حقا ما ثمننا
 لا بارك الله في خير أوتله * في ليلة بعد ما قمنا ثلاثينا

فلما قرأت الرقعة ضحكك ودخلت الى المهدي فشفت له اليه وأنشدته الأبيات ،
 فضحك حتى استاق ودعا به وربطة معه في الجملة ، فدخل ، فأخرج رأسه اليه وقال : قد
 شفعنا ربطة فيك وأمرنا لك بسبعة آلاف درهم ، فقال : أما شفاعة سيدتي في حتى أعفيتني
 فأعفاها الله من النار ، وأما السبعة الآلاف فما أعجبنى ما فعلته إما أن تُمها بثلاثة آلاف
 فتصير عشرة أو تُنقصني منها ألفين فتصير خمسة آلاف ، فإنى لا أحسن حساب السبعة ،
 فقال : قد جعلتها خمسة ، فقال : أعيدك بالله أن تختار أدنى الخالين وأنت أنت ، فعبث
 به المهدي ساعة ، ثم تكلمت فيه ربطة ، فأتمها له عشرة آلاف درهم .

شرب أبو دلامة في بعض الحانات فسكر وأنصرف وهو يميل ، فلقى العسس ، فأخذه
 وقالوا له : من أنت ، وما دينك؟ فقال :

دينى على دين بنى العباس * ما ختم الطين على القراطس
 انى أصطحبت أربعا بالكاس * فقد أدار شربها براسي
 فهل بما قلت لكم من باس *

فأخذه ومضوا وخرقوا ثيابه وسأجه ، وأتى به أبو جعفر ، وكان يؤتى بكل من أخذه
 العسس ، فحبسه مع الدجاج في بيت ، فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريته مرة ،
 فلم يجبه أحد ، وبنما هو في ذلك إذ سمع صوت الدجاج وزقاء الديوك ، فلما أكثر قال له
 السجان : ما شأنك؟ قال : ويلك من أنت؟ وأين أنا؟ قال : في الحبس وأنا فلان

(١) الساج : الطيلسان الأخضر ، وقيل الأسود .

السجان ، قال : من حبسني ؟ قال : أمير المؤمنين ، قال : ومن تحرق طيئلساني ؟ قال :

الحرس ، فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس ، ففعل ، فكتب الى أبي جعفر :

أمير المؤمنين فدتك نفسي * علام حبستني ونحرت ساجي

أمن صفراء صافية المزاج * كأن شعاعها لهب السراج

وقد طيخت بنار الله حتى * لقد صارت من النطف النضاج

تهش لها القلوب وتستهبها * اذا برزت ترقق في الزجاج

أفاد الى السجون بغير جرم * كأني بعض عمال الخراج

ولو معهم حبست لكان سهلاً * ولكني حبست مع الدجاج ٥ ٥ ٥

فدعا به وقال : أين حبست يا أبا دلامة ؟ قال : مع الدجاج ، قال : فما كنت تصنع ؟

قال : أفوق معهن حتى أصبحت ، فضحك وخلي سبيله وأمر له بجائزة ، فلما خرج قال له

الربيع : إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين ، أما سمعت قوله : وقد طيخت بنار الله ، يعنى

الشمس ؟ فأمر برده ، ثم قال : يا خبيث ، شربت الخمر ؟ قال : لا ، قال : أفلم تقل : طيخت

بنار الله تعنى الشمس ؟ قال : لا والله ما عنيت إلا نار الله الموقدة التي تطلى على فؤاد

الربيع ، فضحك وقال : خذها ياربيع ولا تعاود .

صام الناس في سنة شديدة الحر على عهد المهدي ، وكان أبو دلامة يتنجز جائزة أمر

له المهدي بها ، فكتب اليه أبو دلامة رقعة يشكو فيها أذى الحر والصوم ، وهي :

أدعوك بالرحيم التي قد جمعت * في القرب بين قريتنا والأبعد

إلا سمعت وأنت أكرم من مشي * من منشد يرجو جزاء المنشد

جاء الصيام فصمته متعبدا * أرجو رجاء الصائم المتعبدا

ولقيت من أمر الصيام وحره * أمرين قيسا بالعذاب المؤصد

وسجدت حتى جبهتي مشجوجة * مما يناطحني الحصى في المسجد

فأمن بتسريحى بمطك بالذي * أسلفتني من البلاء المرصد

فلما قرأ المهدي رُفَعَتْهُ غَضَبٌ وَقَالَ : أَيُّ قَرَابَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؟ قَالَ : رَحِمَ آدَمَ وَحَوَّاءَ ،
أَتَسَيَّبَتَهُمَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَضَحِكَ وَقَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا نَسَيْتُهُمَا ، وَأَمْرٌ بِتَعْجِيلٍ مَا أَجَازَهُ بِهِ
وَزَادَ فِيهِ ، وَأَنشَدَهُ أَيْضًا فِي ذِمِّ الصَّوْمِ :

هَلْ فِي الْبِلَادِ لِرِزْقِ اللَّهِ مُفْتَرَشٌ * أَمْ لَا فَنِي جِلْدِهِ مِنْ حُشْنَةِ بَرَشٍ^(١)
أَصْحَى الصِّيَامِ مُنِيخًا وَسَطَ عَرَصَتِنَا * لَيْتَ الصِّيَامَ بَارِضٌ دُونَهَا جَرَشُ
إِنْ صَمْتُ أَوْجَعَنِي بَطْنِي وَأَقْلَقَنِي * بَيْنَ الْجَوَانِحِ مَسُّ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ
وَإِنْ خَرَجْتُ بَلِيلٍ نَحْوَ مَسْجِدِهِمْ * أَضْرَنِي بَصَرَ قَدْ خَانَ الْعَمَشِ

دخل أبو دلامة على سعيد بن دعلج مولى بني تميم فقال :

إِذَا جِئْتَ الْأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ * عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا بَعْدُ ذَاكَ فَلَئِي غَرِيمٌ * مِنَ الْأَعْرَابِ قُبْحٌ مِنْ غَرِيمِ
غَرِيمٌ لَا زَمٌّ بِنِزَاءِ بَيْتِي * لِزَوْمِ الْكَلْبِ أَصْحَابِ الرَّقِيمِ
لَهُ مِائَةٌ عَلَى وَنِصْفُ أُخْرَى * وَنِصْفُ النَّصْفِ فِي صَكِّ قَدِيمِ
دِرَاهِمٌ مَا انْتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ * وَصَلْتُ بِهَا شَيْوِخَ بَنِي تَمِيمِ
أَتَوْنِي بِالْعَشِيرَةِ يَسْأَلُونِي * وَلَمْ أَكُ فِي الْعَشِيرَةِ بِاللَّئِيمِ

فأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهما وقال : ما أساء من أنصف ، وقد كافأته عن
قومك وزدتك مائة .

دخل أبو دلامة على المهدي فأنشده قصيدته في بعلته المشهورة :

أَتَانِي ، بِغِلْمَةٍ يَسْتَامُ مِنِّي ، * عَرِيْقٌ فِي الْخَسَارَةِ وَالضَّلَالِ
فَقَالَ تَتَّبِعُهَا قَلْتُ أَرْتَبِطُهَا * بِجُحُكِكَ إِنْ بَيَّعِي غَيْرُ ظَالِ
فَأَقْبَلَ ضَاحِكًا نَحْوِي سُرُورًا * وَقَالَ أَرَاكَ سَمِّحًا ذَا جَمَالِ
هَلَمْ إِلَى يَخْلُو بِي خِدَاعًا * وَمَا يَدْرِي الشَّقِي لِمَنْ يُخَالِي

(١) البرش : فقط بيض في الجلد .

فقلتُ بأربعين، فقال أحسنُ * إلى فإن مثلك ذو سجال

فأتركُ خمسة منها لعلى * بما فيه بصيرُ من الخبال

فقال المهدي : لقد أفلتُ من بلاء عظيم ، قال : والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهرا أتوقع صاحبها أن يردّها ، ثم أنشدّه :

فأبدلني بها يارب طرّفا * يكون جمال مرّكبه جمالي

فقال لصاحب دوابه : خيره من الإصطبل بين مركبين ، قال : يا أمير المؤمنين إن كان الاختيار لي وقعتُ في شرّ من البغلة ، ولكن مرّه أن يختار لي ، فاختار له .

خاصم رجل أبا دلامة في داره فارتفعا الى عافية القاضي ، فأنشأ أبو دلامة يقول :

لقد خاصمتني دهاة الرجال * وخاصمتها سنة وأفيه

فأدحص الله لي حجة * ولا خيب الله لي قافية

ومن خفت من جوره في القضاء * فلست أخافك يا عافية

فقال له عافية : والله لأشكوّك الى أمير المؤمنين ، ولأعلمته أنك هجوتني ، قال : إذا يعزلك ، قال : ولمّه ؟ قال : لأنك لا تعرف المديح من الهجاء ، فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر لأبي دلامة بجائزة .

دخل أبو دلامة على المهدي وعنده إسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعباس ابن محمد ومحمد بن محمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم فقال له : أنا اعطى الله عهدا لئن لم تهجّ واحدا من في البيت لأقطعن لسانك ، فنظر اليه القوم ، فكلما نظر الى واحد منهم غمزّه بأن عليه رضاء ، قال أبو دلامة : فعلمت أني قد وقعت وأنها عزيمة من عزّماته لا بد منها ، فلم أر أحدا أحقّ بالهجاء مني ، ولا أدعى الى السلامة من هجاء نفسي ، فقلت :

ألا أبلغ لديك أبا دلامه * فليس من الكرام ولا كرامه

إذا لبس العمامة كان قردا * وخنزيرا إذا نزع العمامه

جَمَعَتْ دَمَامَةً وَجَمَعَتْ لَوْمًا * كَذَاكَ اللَّوْمُ تَتَّبِعُهُ الدَّمَامَةُ
فَإِنْ تَكِ قَدْ أَصَبْتَ نَعِيمَ دُنْيَا * فَلَا تَفْرَحْ فَقَسِدَ دَنْتِ الْقِيَامَةَ
فَضْحَكِ الْقَوْمِ وَلَمْ يَبْقِ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَجَاذُهُ .

خرج المهديّ وعليّ بن سليمان إلى الصيد، فسَنَحَ لَهَا قَطِيعَ مِنَ الطَّيِّبِ، فَأَرْسَلَتْ
الكلابَ وأجريت الخيل، فرمى المهديّ ظيبًا بسهم فصرعه، ورمى عليّ بن سليمان، فأصاب
بعض الكلاب فقتله، فقال أبو دلامة :

قَدْ رَمَى الْمَهْدِيُّ ظِيْبًا * شَكَ بِالسَّهْمِ فُوَادَهُ
وَعَلَى بَنِ سَلِيْمَا * نَ رَمَى كَلْبًا فَصَادَهُ
فَهَيْئَتَا لَهَا كَلٌّ أَمْرِيَّ يَأْكُلُ زَادَهُ

فضحك المهديّ حتى كاد يسقط عن سرجه وقال : صدق والله أبو دلامة، وأمر له بجائزة
سنيّة، فلقّب عليّ بن سليمان صائد الكلب، وعلق به .

أنشد أبو دلامة المنصورَ يوما :

هَاتِيكَ وَالذِّي عَجُوزٌ هَمَّةٌ^(١) * مِثْلَ الْبَلِيَّةِ دَرْعَهَا فِي الْمَشْجَبِ^(٢)
مَهْزُولَةٌ أَلْحِيَيْنَ مِنْ يَرَاهَا يَقُلُ * أَبْصَرْتُ غُولًا أَوْ خِيَالَ الْقَطْرِبِ^(٣)
مَا إِنْ تَرَكْتَ لَهَا وَلَا لِابْنِ لَهَا * مَا لَا يُؤْمَلُ غَيْرَ بَكْرٍ أَجْرِبِ
وَدَجَائِبًا نَحْمَسًا يَرْحَنُ الْيَهْمُ * لَمَّا يَبْضُنَ وَغَيْرَ عَنَرٍ مُغْرِبِ^(٤)
كَتَبُوا إِلَى صَحِيفَةٍ مَطْبُوعَةٍ * جَعَلُوا عَلَيْهَا طِينَةً كَالْعَقْرِبِ
فَعَلِمْتَ أَنَّ الشَّرَّ عِنْدَ فِكَا كَمَا * فَفَكَكْتُمْ عَنْ مِثْلِ رِيحِ الْجُورِبِ
وَإِذَا شَبِيهَ بِالْأَفَاعِي رُقِشَتْ * يُؤَدِّنُنِي بِتَأَمُّظٍ وَتَسْوَبِ
يَشْكُونَ أَنْ الْجُوعَ أَهْلَكَ بَعْضَهُمْ * لَزَبًا فَهَلْ لَكَ فِي عِيَالِ لُزَبِ

(١) همة : همة . (٢) المشجب : خشبات مونة منصوبة توضع عليها الثياب وتنتشر .

(٣) القطرب : ذكر الغيلان . (٤) المغرب : الأبيض من كل شيء .

لا يسألونك غيرَ طَلِّ سَحَابِيَةِ * تَغْشَاهُمْ مِنْ سَبِيلِكَ الْمُتَحَبِّبِ
يا باذَلْ الخِيراتِ يابْنَ بَدُوْهِي * وَأَبْنَ الكِرَامِ وَكُلَّ قَرِيْمٍ مُنْجِبِ
أَتَمَّ بنو العباسِ يُعَلِّمُ أَنْكَمِ * قَدِمًا فَوَارِسُ كُلِّ يَوْمٍ أَشْهَبِ
أَحْلَسُ خَيْلِ اللهِ وَهِيَ مُغَيَّرَةٌ * يَخْرُجْنَ مِنْ حَلَلِ الْغُبَارِ لِأَكْهَبِ

فأمر له بدار يسكنها وكسوة ودراهم، وكانت الدار قريبة من قصره، فأمر أن تزداد في قصره بعد ذلك لحاجة دعته إليها، فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله :

يابن عم النبي دعوة شيخ * قد دنا هدم داره ودماره
فهو كالماخض التي أعتادها الطل * قُفِّ ففقرت وما يقتر قراره
إن نُحِزَّ عُسْرَةٌ بِكَفَيْكَ يَوْمًا * فبِكفَيْكَ عُسْرُهُ وَيَسَارُهُ
أو تَدْعُهُ فَللبوار وأنى * ولماذا وأنت حتى بواره
هل يخاف الهلاك شاعر قوم * قُدِّمَتْ فِي مَدِيحِهِمْ أَشْعَارُهُ
لكم الأرض كلها فأعبروا * شيخكم ما احتوى عليه جداره
فكان قد مضى وخلف فيكم * ما أعرتم وأقفرته منه داره
فاستعبر المنصور وأمر بتعويضه دارا خيرا منها ووصله .

دخل على المهدي يوما وعنده مُحْرِزٌ ومُقاتِلٌ أبنا ذُوْالِ يَعْتَابِنَهُ عَلَى تَقْرِيْبِهِ أَبَا دَلَامَةَ
ويعيانه عنده فقال :

ألا أيها المهدي هل أنت مُحْرِي * وإن انت لم تفعل فهل أنت سائلي
ألم ترحم اللعين من لحيتهما * وكلتاهما في طولها غير طائل
وإن أنت لم تفعل فهل أنت مُكْرِمِي * بحلقهما من مُحْرِي ومُقاتِلِ
فإن يأذن المهدي لي فيهما أقل * مقالا كوقع السيف بين المقاتل
وإلا تدعني والهموم تتوبني * وقلبي من العليين جم البابل

(١) يقال : فلان من أحلاس الخيل ، أى من راضتها وساستها والملازمين ظهورها .

فقال : أوأخذك منهما عشرة آلاف درهم يفديان بهما أعراضهما منك ، قال : ذلك الى أمير المؤمنين ، فأخذها له منهما وأمسك عنهما .

دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فدفع اليها رُقعة قد كتبتها الى الخيزران فيها :

أبلغني سيدي بالآلة * به يا أم عبيده

أنها أرشدها الله * به وإن كانت رشيدة

وعدتني قبل أن تح * مرج للحج وليده

فتأيت وارسل * بت بعشرين قصيده

كلما أخلقن أخلف * بت لها أخرى جديدة

ليس في بيتي لثمهي * بد فراشي من قعيده

غير عَجْفَاءَ عَجُوز * ساقها مثل القديده

وجهها أقبح من حو * بت طرى في عصيده

ما حياة مع أنثى * مثل عرسي بسعيده

فلما قرئت عليها الأبيات ضحكت وأستعادتها منه لقوله : « حوت طرى في عصيدة »

وجعلت تضحك ووهبت له جارية .

دخل يوما على المهدي مخادته ساعة وهو يضحك وقال له : هل بقي أحد من أهلي لم

يصلك ؟ قال : إن أمتني أخبرتك وإن أعفيتني فهو أحب إلي ، قال : بل تخبرني وأنت

آمن ، قال : كلهم قد وصلني إلا حاتم بن العباس ، قال : ومن هو ؟ قال : عمك العباس

ابن محمد ، فالتفت الى خادم على رأسه وقال : جأ عنقه ، فلما دنا منه صاح به أبو دلامة :

تَحَّ يا عبد السوء لا تُخِثْ مولاك وتُكِثْه عهدَه وأمانَه ، فضحك المهدي وأمر الخادم

ففتح عنه ، ثم قال لأبي دلامة : ويلك ! والله عمي أبخل الناس ، فقال أبو دلامة : بل

هو أغشى الناس ، فقال له المهدي : والله لو ميت ما أعطاك شيئا ، قال : فإن أنا أتيته

فأجازني؟ قال: لك بكل درهم تأخذه منه ثلاثة دراهم، فأصرف أبو دلامة فخر للعباس قصيدة، ثم غدا بها عليه وأشده:

قَفَّ بالديار وأى الدهر لم تَقِفْ * على المنازل بين الظَّهْرِ والنَّجَفِ
وما وقوفك في أطلال مَترلة * لولا الذى أَسْتَدْرَجْتَ من قلبك الكَيفِ
ان كنت أصبحت مشغوقا بساكنها * فلا وربك لا تُسْفِك من شَغَفِ
دَعُ ذا وَقُلْ فى الذى قد فاز من مُضَر * بالمَكْرُمات وَعِزٍّ غيرِ مُقْتَرَفِ
هذى رسالة شيخ من بنى أسد * يهْدِي السلام الى العباس فى الصُّحُفِ
تُحْطِها من جوارى المصر كاتبة * قد طالما صَرَبْتَ فى اللام والألفِ
وطالما اختلفت صَيفاً وشاتية * الى مُعَلِّمها باللَّوحِ والكِتابِ^(١)
حتى اذا نَهَدَ التُّدَيانِ وأمتلاً * منها وخيفت على الإسرافِ والقَرَفِ
صينت ثلاث سنين ما ترى أحدا * كما يصون تجار دُرَّة الصَّادِفِ
فبينما الشيخ يهوى نحو مجلسه * مُبادِرا لصلاة الصبح بالسَّادِفِ^(٢)
حانت له تحفة منها فأبصرها * مُطَلَّةً بين بَحْفَمِها من العُرْفِ
نَحَرَ والله ما يدرى غَدائِيذِ * أحرُّ مُنْكَشِفاً أم غيرِ مُنْكَشِفِ
وجاءه الناس أفواجا بمائهم * لِيُغْسِلُوا الرجل المَغْشَى بالنُّطْفِ
ووسوسوا بقران فى مسامعه * نِخافه الجنُّ والإنسانُ لم يَحْفِ
شيئا ولكنه من حب جارية * أَمسى وأصبح موقوفا على التَلْفِ
قالوا لك الويل ما أبصرت قلت لهم * تطلعتُ من أعلى القصر ذى الشُّرْفِ
فقلت أَيْكُمُْ والله يأجره * يُعِين قوته فيها على ضَعْفِ
فقام شيخ بهي من رجالهم * قد طالما خدع الأقوام بالحَلْفِ
فأبتاعها لى بالنقى درهم فأتى * بها إلى فالتقاها على كَيْفِ

(١) الكنف: عظم عربى يكون فى أصل كنف الحيوان كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس.

(٢) السدف: الضوء، وأقبال الصبح.

فَيَنْ ذَاكَ كَذَا إِذْ جَاءَ صَاحِبُهَا * يَبْغِي الدِّرَاهِمَ بِالْمِيزَانِ ذِي الْكِفِّ
وَذِكْرُ حَقٍّ عَلَى زَنْدٍ وَصَاحِبِهِ * وَالْحَقُّ فِي طَرْفِ وَالطَّيْنِ فِي طَرْفِ
وَيَيْنُ ذَاكَ شَهْوَدٌ لَا يَضُرُّهُمْ * أَكُنْتُ مُعْتَرِفًا أَمْ غَيْرَ مُعْتَرِفِ
فَإِنْ يَكُنْ مِنْكَ شَيْءٌ فَهُوَ حَقُّهُمْ * أَوْ لَا فَإِنِّي مُدْفُوعٌ إِلَى التَّلْفِ

فضحك العباس وقال : ويحك ! أصادق أنت ؟ قال : نعم والله ، قال : يا غلام أَدْفَعْ
إِلَيْهِ أَلْفِي دَرَاهِمَ ثَمَنُهَا ، فَأَخَذَهَا ثُمَّ دَخَلَ عَلَى الْمَهْدِيِّ فَأَخْبَرَهُ الْقِصَّةَ وَمَا آحْتَالَ لَهُ ، فَأَمَرَ لَهُ
الْمَهْدِيُّ بِسِتَّةِ آلَافِ دَرَاهِمَ ، وَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ : كَيْفَ لَا يَضُرُّهُمْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي مُعْدِمٌ
لَا شَيْءَ عِنْدِي .

دَخَلَ عَلَى إِسْحَاقَ الْأَزْرَقِ بِعَوْدِهِ ، وَكَانَ إِسْحَاقُ قَدْ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا ثُمَّ تَعَافَى مِنْهُ
وَأَفَاقَ ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ ضَعِيفًا وَعِنْدَ إِسْحَاقِ طَبِيبٌ يَصِفُ لَهُ أَدْوِيَةَ تُقَوِّى بَدَنَهُ ، فَقَالَ
أَبُو دَلَامَةَ لِلطَّبِيبِ : أَتَيْتُ هَذِهِ الْأَدْوِيَةَ لِرَجْلِ أَسْوَغِ الْمَرِيضِ ؟ مَا أَرَدْتَ وَاللَّهِ إِلا قَتْلَهُ ،
ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى إِسْحَاقِ فَقَالَ : اسْمَعْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مَنِّي ، قَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ يَا أَبَا دَلَامَةَ ،
فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

نَحَّ عَنْكَ الطَّبِيبُ وَأَسْمَعُ لِنَعْتِي * إِنِّي نَاصِحٌ مِنَ النَّصَاحِ
ذُو تَجَارِيِبٍ قَدْ تَقَلَّبْتُ فِي الصَّحْرِ * لِمَةَ دَهْرًا وَفِي السَّقَامِ الْمُنَاحِ
غَادِ هَذَا الْجَبَابِ كُلِّ صَبَاحٍ * مِنْ مُتُونِ الْقَيْتِيَةِ السَّحَابِ
فَإِذَا مَا عَطِشْتِ فَاشْرَبِي نَلَانَا * مِنْ عَتِيقِ فِي الشَّمِّ كَالْتَفَاحِ
ثُمَّ عِنْدَ الْمَسَاءِ فَأَعْكُفِي عَلَى ذَا * وَعَلَى ذَا بِأَعْظَمِ الْأَفْوَاحِ
فُتَقَوِّى ذَا الضَّعْفِ مِنْكَ وَتَأْتِي * عَنِ لَيْالِ أَحْصَى هَذِي الصَّحَاحِ

فضحك إسحاق وعُوداه وأمر لأبي دلامَةَ بِخَمْسِمِائَةِ دَرَاهِمَ ، وَكَانَ الطَّبِيبُ نَصْرَانِيًّا
فَقَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ يَا رُكْلُ «يُرِيدُ يَا رَجُلُ» وَقَالَ الطَّبِيبُ : أَقْبَلْ مِنِّي أَصَاحِبُكَ اللَّهُ

ولا تسألني عن شيء قدامه، فقال أبو دلامة : أما وقد أخذتُ أجرة صَفَّقِي وقضيت الحق في نُصح صديقي فاعتُ له الآن أنت ما أحببت .

دخل على المهديّ وبين يديه سامة الوصيف واقفا، فقال : إني أهديت اليك يا أمير المؤمنين مَهْرًا ليس لأحد مثله ، فان رأيتَ أن تُسرفني بقبوله ، فأمر بإدخاله إليه ، فخرج وأدخل إليه دابته التي كانت تحته ، فاذا بِرَدُونٍ مَحْمُومٍ عَجْفُ هَرَمٍ ، فقال له المهديّ : أي شيء هذا؟ ألم تزعم أنه مَهْرٌ؟ قال له : أو ليس هذا سامة الوصيف بين يديك قائمًا، تسميه الوصيف وله ثمانون سنة، وهو عندك وصيف؟ فاذا كان سامة وصييفا فهذا مَهْرٌ، فجعل سامة يُسْتَمِهُ والمهديّ يضحك، ثم قال المهديّ لسامة : ويلك ! إن لهذا منه أخوات، وإن أتى بها في مَحْفِلٍ فَضَحِكَ ، فقال أبو دلامة : والله لأفضحنه يا أمير المؤمنين ، فليس من مَوَالِيكَ أحد إلا وقد وصلني غيره ، فاني ما شربت له الماء قط، قال : فقد حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك ، قال : قد فعلت على ألا يعاود ، فقال له : ما ترى؟ قال : أفعل ، فلولا أتى ما أخذت منه شيئًا قط ما فعلت معه مثل هذه ، فمضى سامة فحملها إليه .

٥ - أبان بن عبد الحميد اللاحق^(١)

ذكرنا في المجلد الأول أن أبان كان صديقاً للبرامكة متصلاً بهم أشد اتصال، يستشرونه ويعتمدون عليه في تدبير أمورهم، جدها وهزلها، صعبتها وهينها. وكانوا قد اتخذوه أديبهم الرسمي، وبالغوا في ذلك حتى جعلوا إليه امتحان الشعراء وتقدير ما يستحقون من الجوائز والصلوات. فغضب الشعراء لذلك، وكان أشدهم غضباً أبو نواس الذي كان يكره البرامكة كرها شديداً، وكانت بينه وبين أبان مهاجاةً ذكرها صاحب الأغاني.

وكان أبان صديقاً للمعدّل بن عيّلان، وكانا مع صداقتهما يتعابثان بالهجاء، فيهجوه المعدّل بالكفر وينسبه إلى الشؤم. ويهجوه أبان وينسبه إلى الفسّاء الذي تُهجى به عبد القيس وبالقصّر، وكان المعدّل قصيراً. فسعى في الإصلاح بينهما أبو عيينة المهلبّي، فقال له أخوه عبد الله وهو أسنّ منه: يا أحمى إن في هذين شراً كثيراً ولا بد من أن يُخرجاه، فدعهما ليكون شرهما بينهما وإلا فترقاه على الناس.

ومن قوله يهجو أبا النضير:

إذا قامت بوايك * وقد هتكن أستاذك

أينين على قبر * لك أم يلعن أحجارك

وما ترك في الدنيا * إذا زرت غداً نارك

تري في سقر المشوى * وإبليس غداً جارك

بلى تترك بايك * وديناك وأوتارك

ونمسمن بنات اللب * مل قد ألسن أطارك

تعالى الله ما أقب * حج إذ وليت أديبارك

(١) تجد ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤٢٩ وقد ذكرناه هنا بمناسبة ذكر ما عثرنا عليه من مضمونه لكتاب كلبلة ودمية. وقد أضفنا هنا ما لم نذكره في ترجمته هناك.

خرج أبان من البصرة طالبا للاتصال بالبرامكة ، وكان الفضل بن يحيى غائبا فقصده ، فأقام ببابه مدة مديدة لا يصل إليه ، فتوسل الى من وصل له شعرا اليه ، وقال له :

يا عزيزَ النَّدى ويا جوهراً الجوهر * هير من آل هاشمٍ بالبسطاح
 إن ظننى ، وليس يُخلف ظننى * بك فى حاجتى سبيلَ النَّجاح
 إن من دونها لمُصمَّتْ باب * أنت من دون قُفله مِفْتَاحى
 تافت النفسُ يا خليلَ السَّماح * نحو بحر النَّدى مُجارى الرياح
 ثم فَكَّرْتُ كيف لى وأسخرتُ الله * عند الإساءة والإصباح
 وأمّدتحتُ الأميرَ أصلحه الله * بشعرٍ مُشهر الأوضاح

فقال : هات مديحك ، فأعطاه شعرا فى هذا الوزن وقافيته ، ترى فيه أن الرجل مُعجب بنفسه ، مدلل بعلمه وأدبه ، تياه لا حد لثبته وغروره :

أنا من بغية الأمير وكتر * من كنوز الأمير ذو أرباح
 كاتبٌ حاسبٌ خطيبٌ أديب * ناصحٌ زائدٌ على النصّاح
 شاعرٌ مُفلقٌ أخف من الريد * شة مما يكون عند الجنّاح

وهى طويلة ذكرناها فى المجلد الأوّل .

وكان أبان شديد الحرص على المال يُضحى فى سبيله بأشياء كثيرة ، منها العقيدة والرأى . وكان يحسد مروان بن أبى حفصة لمكانه من الرشيد ولظفره بالصلّات الضخمة والجوائز السنية ، فقد آتمى الأمر ببنى العباس مع مروان بن أبى حفصة الى أن كانوا يمنحونه بالبيت ألف درهم ، فغاض ذلك أبان وأراد أن يصيب من أموال الرشيد ما كان يصيب مروان ، فعاتب أبان البرامكة على تركهم إيصاله للرشيد وإيصال مديحه اليه ، فقالوا له : ما تريد من ذلك ؟ فقال : أريد أن أحظى منه بمثل ما يحظى به مروان بن أبى حفصة ، فقالوا : إن لذلك مذهبا فى هجاء آل أبى طالب وذمهم ، به يحظى وعليه يُعطى ، فأسلكه حتى تفعل ، قال : لا أستحل ذلك ، قالوا : فما تصنع ، لا يجيئ طلب الدنيا إلا بما لا يحل ! فقال أبان :

نَسَدَتْ بِحَقِّ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُسَاهِمًا * أَمُّ بِمَا قَد قُتِلَتْهُ الْعُجَمَ وَالْعَرَبَ
 أَمُّ رَسُولِ اللَّهِ أَقْرَبُ زُلْفَةً * لَدَيْهِ أُمُّ ابْنِ الْعَمِّ فِي رُبِّيَّةِ النَّسَبِ
 وَأَيُّهُمَا أَوْلَى بِهِ وَبِعَهْدِهِ * وَمَنْ ذَا لَهُ حَقُّ التُّرَاثِ بِمَا وَجَبَ
 فَإِنْ كَانَ عَبَّاسٌ أَحَقَّ بِتِلْكَكُمْ * وَكَانَ عَلَى بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى سَبَبِ
 فَأَبْنَاءُ عَبَّاسٍ هُمْ يَرْتُونَهُ * كَمَا الْعَمُّ لِابْنِ الْعَمِّ فِي الْإِرْثِ قَدْ حَجَبَ

وهي طويلة .

فقال الفضل : ما يردُّ على أمير المؤمنين اليومَ شيءٌ أعجَبُ من أبياتك . فركبَ فأنشدها
 الرشيدَ ، فأمرَ لأبانَ بعشرين ألفَ درهم . ثم اتصلَ مدحُه للرشيد بعد ذلك وخصَّ به .
 وكان أبانُ هجاءَ قبيحِ اللسان ، وكان مع هذا شريراً قاسياً يؤثرُ الشرَّ ويحدُّ فيه لذة .
 وقد روى له أبو الفرج قصةً تمثِّلُ نصيبه من القسوة وحبَّ الشرِّ ، كما أنها تعطينا صورة
 من شعره ومن الحياة في عصره . قالوا : كان يُقيمُ بالقرب من أبان رجلٌ ثَقْفِيٌّ يقال له : محمد
 ابن خالد ، وكان عدواً لأبان ، فترجَّحَ محمدٌ هذا ثَقْفِيَّةً معروفةً هي عمارة بنت عبد الوهاب ،
 وكانت عمارة غنيَّة موفورة الثروة ، فاغتاط أبان لهذا الزواج ، وقال هذه القصيدة التي
 بلغت عمارة فأفسدت زواجها :

لما رأيتُ البزَّ والشاره * والفرش قد ضاقت به الحارة
 واللوز والسُّكَّرُ يرمي به * من فوق ذى الدار وذى الدارة
 وأحضروا الملهين لم يتركوا * طَبَّلاً ولا صاحبَ زمارة
 قلتُ : لماذا قيل : أعجوبة * محمدٌ زوجَ عمارة
 ما ذا رأيتُ فيه وما ذا رجحتُ * وهي من النسوانِ مختارة
 أسودٌ كالسُّفودِ ينسى لدى السُّنور بل محمراكُ قياره^(١)
 يُجىرى على أولاده خمسة * أرغفةً كالريش طياره

(١) القيارة : محل إسالة الفار .

وأهله في الأرض من خوفه * إن أفرطوا في الأكل سيارة
 ويحك فزى واعصي ذاب به * فهذه أختك فراره
 إذا غفا بالليل فاستيقظي * ثم أطفري إنك طفارة^(١)
 فصعدت نائلة سائما * تخاف أن تصعده الفارة
 "سرور" غرثها فلا أفلحت * فإنها الخناء غراره
 لولت ما أبعدت من ريقها * إن لها نفة سحارة

فلما بلغت هذه القصيدة عمارة هربت، خرم من جهتها مالا عظيما. والثلاثة الأبيات
 الأخيرة التي أوطا * فصعدت نائلة سلما * زادها في القصيدة بعد أن هربت .

جلس أبان ليلة في قوم فلبَّ أبان عبيدة فقال : يقدح في الأنساب ولا نسب له . فبلغ
 ذلك أبا عبيدة فقال في مجلسه : لقد أغفل السلطان كل شيء حين أغفل أخذ الجزية
 من أبان اللاحق ، وهو وأهله يهود ، وهذه منازلهم فيها أسفار التوراة وليس فيها
 مصحف ، وأوضح الدلالة على يهوديتهم أن أكثرهم يدعي حفظ التوراة ولا يحفظ
 من القرآن ما يصلى به . فبلغ ذلك أبان فقال :

لا تئمن عن صديق حديثا * وأستعد من تسرر النمام
 وأخفيص الصوت إن نطقت بليل * وألثفت بالنهار قبل الكلام

قال عيسى بن اسماعيل : كفا في مجلس أبي زيد الأنصاري فدكروا أبان بن عبد الحميد ،
 فقالوا : كان كافرا ، فغضب أبو زيد وقال : كان جاري فما فقدت قراءته في ليلة قط .



وكان أبان يفوق الشعراء في شيء نحسب أنه هو الذي سبق إليه ، فقد ابتكر في الأدب
 العربي فنا لم يتعاطه أحد من قبله ، وهو فن الشعر التعليمي ، طرقت فيه فنونا مختلفة من العلم
 والحكمة والدين . وقد تحدث أبو الفرج أنه نظم للبرامكة كتاب «كليمة ودمنة» ليسهل عليهم

(١) طفر : وثب في ارتفاع .

حفظه ، فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضل بن يحيى خمسة آلاف واكتفى جعفر بأن يكون راويته . وروى أبو الفرج أبياتا أربعة من هذا النظم ، وقد عثرنا على قطعة من كتاب مخطوط يوجد في دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٩٤) تاريخ ، وهو كتاب «الأوراق» للصولي . وفي هذا الكتاب قطعة صالحة من نظم أبان لكليبة ودمنة ، فرأينا أن نثبتها هنا ، لأن المنظومة ضاعت ولم يبق منها إلا الأبيات الأربعة التي رواها أبو الفرج . وها هي ذى :

هَذَا كِتَابٌ كَذِبٌ وَمِجَنَّةٌ * وَهُوَ الَّذِي يُدْعَى كَلِيلَهُ دِمْنَةٌ
 فِيهِ دَلَالَاتٌ وَفِيهِ رُشْدٌ * وَهُوَ كِتَابٌ وَضَعَتْهُ الْهِنْدُ
 فَوَصَّفُوا آدَابَ كُلِّ عَالِمٍ * حِكَايَةً عَنِ السُّنَنِ الْبِهَائِمِ
 فَالْحِكْمَاءُ يَعْرِفُونَ قُضْلَهُ * وَالسُّخْفَاءُ يَسْتَهْوُونَ هَزْلَهُ
 وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ يَسِيرُ الْحَفِظُ * لَدَى عَلَى اللِّسَانِ عِنْدَ اللَّفْظِ
 يَا نَفْسُ لَا تَشَارِكِي الْجَهْلَالَ * فِي حَبِّ مَذْمُومٍ كَأَنْ قَدْ زَالَ
 يَا نَفْسُ لَا تَشْقَى وَلَا تَعْنَى * فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَلَا تَمْنَى
 مَا لَمْ يَنْلُهُ أَحَدٌ إِلَّا نَدَمٌ * إِذَا تَوَلَّى ذَلِكَ عَنْهُ وَسَدِمٌ^(١)
 دُنْيَاكَ بِالْأَحْبَابِ وَالْإِخْوَانِ * كَثِيرَةَ الْآلَامِ وَالْأَحْزَانِ
 وَهِيَ وَإِنْ نِيلَ بِهَا السَّرُورُ * آفَاتُهَا وَعَمَّتُهَا كَبِيرُ
 يَا نَفْسُ لَا يَحْمِلُكَ حَبُّ أَهْبٍ * وَلَا أَدَانِيكَ عَلَى أَنْ تَهْلِكِي
 فِي جَمْعٍ مَا يَرْضِيهِمْ فَإِنَّهُ * يَضْرِبُ مِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ الدُّخْنُ^(٢)
 يَنْالُ قَوْمَ عَرَفَةَ وَتَحْتَرِقُ * رَأْيُ بِهِ يَرْضَى أَخُو الرَّأْيِ الْحَمَقِ
 وَجَدْتُ ذَا النَّسِكِ الَّذِي قَدْ فَكَّرَا * فَزَادَهُ تَفَكُّرُهُ تَوْقُرَا
 وَقَلَّ لَمَّا رَضِيَ أَهْتَامُهُ * وَتَمَّ مِنْ سُرُورِهِ تَمَامُهُ

(١) ندم وحرن . (٢) الدخنة : نحو يدخن به النياب أو البيت وفي الأصل : «الدجعة» بالهميم وهو تحريف .

وترك الدنيا لمن يشقى بها * ومن يقاسى الكدَّ من أنصأها
 فعندنا نجا من الشرور * ونال أقصى غاية السرور
 ثم سخى عن كلِّ فإن نفسه * فلقى السعدَ وغاب نحسه
 وأبصر الثوابَ في القيامة * فأمن الحسرة والندامة
 ومثل الدنيا كبرق الخلب * من يغتر منه بسقى يكذب
 وهو قياسا مثل نوم النائم * تُفرحه أضغاث حلم الحالم
 حتى إذا استيقظ صار هما * ما كان في النوم به ألما
 فكيف بالصبر على أيام * عما قليل هنَّ لأنصرام
 وكيف والدنيا بلاء كلها * لا يأمن الآفات فيها أهلها
 أشهد أن الله فردُّ واحد * أقرَّ أو أنكرَ ذاك جاحد
 ليس له كفوا ولا نيدا أحد * لم يلد الله ولا له ولد
 وإنى بما عملت مرتهن * ما كان منه من قبيح وحسن

من باب الأسد والثور

وإن من كان دنى النفس * يرضى من الأرفع بالأخس
 كمثل الكلب الشقى البائس * يفرحُ بالعظم العتيق اليأس
 وإن أهل الفضل لا يرضيهم * شيء إذا ما كان لا يعينهم
 كالأسد الذى يصيد الأرنب * ثم إلى العير^(١) المجتد حربا
 فيرسل الأرنب من أظفاره * ويتبع العير على أدباره
 والكلب من رفته ترضيه * بلقمة تقيذفها في فيه
 فمن يعيش ما عاش غير خامل * له سرور دائم ونائل
 فهو وإن كان قصير العمر * أطول عمرا من حليف فقير
 ومن يعيش في وحشة وضيق * وقلة المعروف في الصديق

(١) فى الأصل "ثم للعير" والعير: الحمار.

فهو وإن عَمَّرَ طَوْلَ دَهْرِهِ * ليس بمغبوط بطولِ عَمْرِهِ
وقيل أيضا إنه قد ينبغي * للرجل الفاضل فيما يتسنى
أَلَّا يُرَى إِلَّا معَ الْأَمَلِكِ * أو يَعْبُدَ اللهَ معَ النَّسَاكِ^(١)
كالفيل لا يصالح إلا مَرَكِبَا * لمالك أو راعيا مسييا
قال له السبع لقد سمعتُ * وكل ما تقول قد فهمتُ
لكنني لستُ أظن ما تظن * بالثور من غش بلى ظني حسن^(٢)
قال له دمنة من ثم أتى * وهذه من حاله هي التي
رفعته حتى تعدى طوره * وكان هذا لك منه شكره
وتلك أخلاق اللئيم الفاجر * الكافر المغرور غير الشاكر
ما إن يزال ناصحا نفاعا * حتى يرى من حاله ارتفاعا
فَعِنْدَهَا يَسْمُو إلى ما فَوْقَهَا * إلى التي لا تستطيع أوقها^(٣)
وربما كان هلاكُ الشجر * في حُسْنِ الغُصْنِ وطيب الثمر
وذنب الطاووس فهو زينه * كذلك أحيانا وفيه حينه
وباذل النصح لمن لم يشكره * كطارج في سبخ ما يئذره
لا خير للعاقل في ذي المنظره * إن هو لم يحمده عند المخبره
وليس في الصديق ذي الصفاء * خير إذا لم يك ذا وفاء
الرجل العاقل من لا تُسكِرُه * كأس سُمٍّ وأقصدار يُبطِرُه^(٤)
فالجبُلُ الثابتُ في أصوله * لا تقدرُ الریحُ على تحويله
والناقصُ العقلِ الذي لا رأى له * يطغى إذا ما نال أدنى منزله
مثلُ الحشيش أيماریحِ حرت * مالت به فأقبلت وأدبرت
الأهل والإخوان والأعوان * عند ذوى الأموال حيث كانوا

(١) الأملاك : الملوك . (٢) كذا في الأصل ولعله : « بل الظن الحسن » .

(٣) أوقها : نقلها . (٤) في الأصل هكذا "نطره" .

والمال هادى الرأى والمرؤه * وهو على كل الأمور قوه
 والمال فيه العز والجمال * والذل حيث لا يكون المال
 وربما دعا الفقير فقره * الى التي يُجَبَطُ فيها أجره
 فيخسر الدين كما كان خسر * دنياه والخسران ما لا ينجز
 وليس من شيء يكون مدحا * لذي الغنى إلا يكون برحا
 على الفقير ويكون ذمًا * كذلك يُدعى وبه يُسمى
 فإن يكن نجدًا يقولوا أهوج^(١) * كذلك عند الحرب لا يعرج
 وهو إذا كان جوادًا سيدا * سُمي للفقير مُضِعًا مُفْسِدًا
 أويك ذا حِلْمٍ يُقَلُّ ضعيفًا * أويك بسأما يُقَلُّ سخيف
 الرجل العاقل فيما يُسدى * مغتبطٌ بكسبه للحميد
 لأنه باع قليلًا فانيا * وأعتاض من ذاك كثيرًا باقيا
 فأغبطُ الناس الكثير نائله * ومدركُ النجاح لديه سائله
 فلا تُعدن ذا غنى غنيا * حتى يكون ماجدا سريًا
 وأعلم بأن الملك المشاورا * ذا العقل فيما نابه المؤازرا
 فإنه يُعَضدُ بالتأييد * يَغنى به عن كثرة الجنود
 والحازمُ التابع أمر الحزمه * النصحاء غير أهل التهمه
 يزداد حزمًا بهم ورشدا * زيادة البحر إذا ما مُدًا
 بما يُصَبُّ فيه من أنهاره * حتى يهيج الموج من تياره
 والموت من مات كريمًا صابرا * خير من العيش ذليلًا صاغرا

ولم ينقل لنا الصولى في كتابه إلا هذه القطعة . ويعد أبان في هذا ناظرًا للكتاب
 معروف ، ولكنه قد تجاوز نظم الكتب المعروفة الى تأليف كتب منظومة ، فنظم قصيدة
 طويلة في الصوم والزكاة ، روى منها الصولى طرفا .

(١) الهوج : الحق . وفى الأصل : «هوج» باللام وهو تحريف .

فقيل لأبان بعد أن نظم كليله ودمنة : ألا تعمل شعرا في الزهد ؟ فعمل قصيدة مزدوجة في الصيام والزكاة . وترجمتها :

”قصيدة الصيام والزكاة * نقل أبان من فم الرواة“

وها هي ذى القصيدة :

هذا كتاب الصوم وهو جامع * لكل ما قامت به الشرائع
 من ذلك المتزل في القرآن * فضلا على من كان ذا بيان
 ومنه ما جاء عن النبي * من عهده المتبع المرضي
 صلى الإلهُ وعليه سَلَمَا * كما هدى الله به وعلمنا
 وبعضه على اختلاف الناس * من أثر ما مضى ومن قياس
 وبالجامع الذي اليه صاروا * رأى أبى يوسف مما اختاروا
 قال أبو يوسف أما المفترض * فرمضان صومه إذا عرض
 والصوم في نقارة الأيمان * من حيث ما يجرى على اللسان
 ومعه الحج وفي الظهار^(١) * الصوم لا يدفع بالإنكار
 وخطأ القتل وحق المحرم * لرأسه فيه الصيام فأفهم^(٢)
 رمضان شهره معروف * وصومه مفترض موصوف
 والصوم في الظهار ان لم يقدر * مظاهر يوما على محرر
 والقتل إن لم يك عمدا قتله * فإن ذلك في الصيام مثله
 شهران في العدة كاملان * متصلان لا مفترقان
 والحنت في رواية مقبولة * ثلاثة أيامها موصولة
 ومثلها في عدة الأيام * للحريم الحائض في الإحرام
 ثلاثة يصومها إن حلقا * لا بأس إن تابعها أو فرقا

(١) الظهار مصدر ظاهر الرجل من امرأته إذا قال لها : أنت على كظهر أمي ، فكنتي بالظاهر عن البطن تأدبا .

(٢) في الأصل : ”موظوف“ .

والصومُ في المُتعة ان لم يجِد * هَدْيًا وكان بالصيام يفتدي
صيامُ أيامِ مؤقَّتاتٍ * ثلاثة في الحج مفروضاتٍ
وبعد ما يرجع صومُ سبعة * عشرةً كاملة في المتعه
أما الثلاثة التي في الحج * فكان من أدركت من محتج
أو غيره ممن يرى أن يرويه * يقول يوما قبل يوم الترويه
ويومها وصوم يوم عرفه * مؤتلفات الصوم لا مختلفه
قالوا وإن أحب أن يفرقا * فذاك ما ليس عليه ضيقا
إن كان ذلك الصوم منه بعدما * يكون في عُمرته قد أحرمها
ولو أراد الصوم في شواي * من بعد أن يوجب بالهلال
عمرته لكان ذلك مجزيا * بذاك يُفتى من أتى مستفتيا

وهي طويلة جدًا

ونحسب أن مكانه من البرامكة هو الذي حمّله على اختراع هذا الفن؛ فقد كان مكانه منهم مكان المؤدّب لصبيانهم وشبابهم، وكان من الحق عليه أن يسهل لهم العلم تسهيلا . وليس من شك في أن هذه الأموال التي أصابها من البرامكة حينما نظم كليله ودمته قد أطمعته، فنظم القصائد الأخرى ليصيب مثل ما أصاب .

أخبار حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن أبان ومختار من شعره

قال أبو بكر الصولي: حدثني محمد بن زياد قال: كانت في عبد الصمد بن المعدل عربة إذا سكر، فعربد يوما في مجلس فيه حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن أبان، وكان أيدا، فقال لهم: كآوه إلى وحدي، وأخذته وكتفه وجعله في بيت وأغلق بابه، وقال: إذا أصبحتم فأطلقوه، وأنصرف؛ فبلغه أن عبد الصمد حلف ليهجونه سنة، فقال حمدان يهجوهم:

(١) أيدا: قويا .

قل لعبد الصمد الأح * محق لا تغضب عليه
 وعلى أمك فاغضب * وأكوها في الهن كية
 أمك العفلاء جاءت * نى بسلمى ورقية
 وهى سافت ليلة فا * طمة أخرى اليه
 فقضينا فيهم الحق * وقلبنا السوية

وقد ذكر الصولى فى كتابه الأوراق ما اختاره من قصيدة حمدان بن أبان بن عبد الحميد

ابن أبان فى وصف الحب وأهله وهى طويلة ، قال :

ما بال أهل الأدب * منا وأهل الكتب
 قد وضعوا الآدابا * وأتعبوا الكتابا
 لكل فن دفتر * منقط محبر
 ففرقت أجناسا * وعلموها الناسا
 بالحيل الرقيقة * والفطن الدقيقة
 فأرشدوا الضلالا * وعلموا الجهالا
 سوى المحيين فلم^(١) * يرعوا لهم حق الذمم
 فى علم ما قد جهلوا * وما به قد أبسأوا
 قد غلقت رهونهم * وأستعبرت عيونهم
 وحالفوا الشهادا * وخالفوا الرقادا
 فليلهم طويل * ونومهم قليل
 أبدانهم نحيلة * متعبة عليه
 نفوسهم حزينة * مشغوفة رزينة
 ظاهرة غمومهم * باطنة كلومهم

(١) فى الأصل : "وكم" .

باكيةً عيونُهُم * قريحَةٌ جفونُهُم
 إن ظلموا لم يظلموا * وإن شكوا لم يرحموا
 أحبُّهُم في لَعب * وفي دوام الطربِ
 صافيةً ألوانُهُم * ضاحكةً أسنانُهُم
 قد سَكَنُوا القصورا * وقَارَنُوا السُرورا
 نَفَرُغُوا للهَجْرِ * وللنوى والغديرِ
 بعاشقٍ يهواهُم * بالله ما أقسامُهُم
 وَعَدَّهُمْ وَعِيدُ * إقرارُهُم جُحودُ
 يؤسَى لأهلِ العشقِ * أهلِ الضنا والرَّقِ
 ليس لهم وسيلة * ولا وجوه حيلة
 رأيتُ لما خُذِلُوا * وفي هواهُم وَحَلُوا
 أنْ أُرشِدَ المَغفَلَا * الجاهلِ المَضَلَلَا
 الى الطريقِ الواضِحِ * عند البلاءِ الفادِحِ
 وأبتدي كتابا * للوصفِ بابا بابا
 يا أيها الناسُ فَعُوا * وصيَّتي وآتَمِعُوا
 ففني صفتي عَجَبُ * وفي كتابي أدب
 فصيدتي مقسومة * ألقاؤها منظَّمة
 فيها هوى العُشاقِ * ومُنِيَّةُ المشتاقِ
 وصنفتُ أهلَ العشقِ * ولم أَمِلْ عن حق
 فاسمِعْ مقالا صادقا * يا من بيتُ عاشقا
 للحبِّ خلتانِ * هما هُما اللتانِ
 الصبرُ والرَّفقُ معاً * يوماً إذا ما اجتمعَا

في عاشقٍ مهجورٍ * مباعِدٍ مغرورٍ
 قَضَى قريبا وطَرا * وبلغاهُ الوطرا
 ما الحسنُ والإحسانُ * والملكُ والسلطانُ
 يعدلُ وصلَ الإلفِ * وكسرهَ للطرفِ
 ما حسنٌ في العَيْنِ * أحسنٌ من إلفينِ
 يوما إذا ما آتقيا * في مجلسٍ فاشتقيا
 مداومينَ للنظرِ * قد أمتنا كلَّ حذرِ
 يبادرانِ الخلوَّةَ * ويظهريانِ الصبوةَ
 مساعدينِ آتفقا * باتانٍ ولم يفترقا
 هواهما مخزونٌ * سرهما مدفونٌ
 مداريينَ أصبعا * للناسِ لم يفتضحَا
 من جربِ الحبِّ عرفٌ * ما بين ملكٍ وأسفِ
 لن يبلغَ الصبُّ المنى * إلا بصبرٍ وعنا
 إن الهوى ضروبٌ * وأمره عجبٌ
 وأهله أطوارٌ * فيه لهم أوطارٌ
 للعاقِلِ الشريفِ * والأحمقِ السخيفِ
 فتمُّهم مرزوقٌ * محبُّ معشوقِ
 على اضطرابِ الخلقِ * منه وسوءِ الخلقِ
 تُقضى له الأوطارُ * وتُعملُ الأشعارُ
 مقربٌ ما يقصى * مطاوعٌ ما يعصى
 ومنهم محرومٌ * محارفٌ مششومٌ

على جمال هَيْئَتِهِ * وحسنه وبهجته
 ومنهم من يُتَدَا * ينال عيشاً رَغَدَا
 من غير سعى وطلب * وغير كد ونصب
 فَدُّ ذاك الأَسْعَدُ * والبختُ منه أجودُ
 إذ فاز باللذات * ودرك الحاجات
 ومنهم من يتعب * في حبه ويدأبُ
 أسقمه طولُ الهوى * وشقه وجدُّ الهوى
 فذاك صبُّ قد سبق * بؤسى له ما ذا لقي
 ومنهم البصير * العاقلُ النَّحِيرُ
 يحتمل الهجرانا * ويحملُ الأحزانا
 فلا يزال مبتلى * حتى ينال أملاً
 ومنهم العميد * الجاهلُ البليدُ
 يُجِبُّ بالتضجر * والجهل والتكبرُ
 يلقى الحبيبَ باهتاً * فلا يزالُ ساكتاً
 ومنهم من يهوى * بالغيب يأتي عفوياً
 فيزرعُ الغموما * مستجلباً هموماً
 فذاك حبُّ الغيب * ليس به من عيب
 من دونه حجاب * ودونه أبوابُ
 فما لذاك لبث * وليس منه مكثُ
 حتى يرى مقهوراً * في حبه محسوراً
 ومنهم جبار * في حبه أزورارُ
 يزهي إذا ما عشقا * ورهنه قد غلقا

يَلْتَرَمُ الْجَاجَةَ * فليس يُبَدِي الحَاجَةَ
 فذَاك حُبُّ الفَوْتِ * وفيه كَرَبُ الموتِ
 ومنهُمُ منَ للنظَرِ * يهوى ولم يَعدُ البَصَرَ
 إذا رأى خيلَه * داوى به غليلَه
 يَكْتُمُ ما يَقيسِي * من أعين الجُلَّاسِ
 ومنهُمُ منَ أَقْصَرَ * على الحديث والنظَرِ
 غايَتُه السَّلامُ * واللحْظُ والكلامُ
 مدافعٌ عن جَبِّه * يَكْتُمُ وجدَ قلبِه
 يَنفِي الهوى وينكرُه * وبالتَّبري يسترُه
 فذَاك حُبُّ العاقِلِ * حُبُّ أديبٍ كاملِ
 وبعضُهُم لا يُقِنُّه * إلا عمودٌ يودُّعُه
 قد طَلَبَ الحراما * وآتمَسَ الأثاما
 فذَاك حُبُّ التَّهيمِ * الماجِنِ المَغْتلِمِ
 حَقٌّ له الحَرمانُ * والمنعُ والخذلانُ
 وبعضُهُم مَدَّاقُ * معانَتِ مَلَّاقُ
 مستَعِمٌّ للكذِبِ * مُحَرَّفٌ في الكُتُبِ
 فذَاك حُبُّ الزُّورِ * يَلْسَعُ كالزُّنْبُورِ
 وبعضُهُم عَمِيدُ * غايَةُ ما يَريدُ
 خَلوةٌ من يهواهُ * في مشهَدٍ يلقاهُ
 لَظْفُهُ مُسارِقَه * مَيِّتُهُ مُعانِقَه
 مكاتِمٌ لِحَبِّه * في بُعْدِه وقُربِه
 فذَاك حُبُّ يُكِدُّ * نيرانُه لا تَنجُدُّ

ومنهم من يهتف * بالحب حين يسف
 إذا الحبيب صدًا * ولم ينله ودا
 تاه عليه وحرق^(١) * وصد عنه وحمق

وقال في آخرها :

قدمتني وصف * ولم يحني الرصف
 وأنقضت القصيدة * محبوبه حميدة
 والحمد للرحمن * ذى العز والسطان
 والذم للشيطان * ذى العزم والطغيان^(٢)

(١) حرق : ضن عليه وبخل .

(٢) العزم : الشدة والثرامة . وفي الأصل : « العزم » .

٦ - منصور التمري^(١)

كان ذا حيلة سياسية ، فأدرك أن الرشيد يسره أن يُمدح بنفى الإمامة عن علي والطعن عليه ، لما كان يراه من تقديم مروان بن أبي حفصة بسبب ذلك ، فسلك مذهبه ونحا نحوه - والشعراء يومئذ اتما يطلبون الكسب - ولكنه لم يصرح بالهجاء والسب كما فعل مروان ، ومن قوله فيه قصيدة مطلعها :

أمير المؤمنين اليك خضنا * غمار الهول من بلد شطير
بجوص كالأهلة خافقات * تلين على السرى وعلى الهجير
حملن اليك أحمالا ثقالا * ومثل الصخرة الدر الثير
فقد وقف المديح بمنتهاه * وغايته وصار الى المصير
الى من لا تُشير الى رسول * اذا ذكر الندى كيف المشير

وذَكَرَ في القصيدة يحيى بن عبد الله بن حسن فقال :

يذلل من رقاب بني علي * ومن ليس بالملق الصغير
مننت علي ابن عبد الله يحيى * وكان من الختوف على شفير

(١) هو منصور بن الزبرقان بن سلمة التمري الربيعي ، من النمرين قاسط ، ثم من ربيعة بن زرار. شاعر من شعراء الدولة العباسية . من أحسل الجزيرة ، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العنابي وراو يشه ، عنه أخذ ، ومن بحره استقى ، ومذهبه تشبه . وصفه العنابي للفضل بن يحيى بن خالد وقرظله عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه ، ثم وصله بالرشيد ووجرت بعد ذلك بينه وبين العنابي وحشة حتى تهاجرا وتناقضا وسعى كل واحد منهما في هلاك صاحبه ، وكان التمري قد مدح الفضل بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة ، فأوصلها العنابي اليه واسترفده له وسأله استصحباه ، فأذن له في القدوم ، لحظى عنده ، وعرف مذهب الرشيد في الشعر وإرادته أن يصل مدحه إياه بنفى الإمامة عن ولد علي بن أبي طالب عليهم السلام والطعن عليهم وعلم مغزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة وتفضيله إياه على الشعراء في الجوائز ، فسلك مذهب مروان في ذلك ونحا نحوه ، ولم يصرح بالهجاء والسب كما كان يفعل مروان ولكنه حام ولم يقع وأوما ولم يخفق ، لأنه كان يتشيع ، وكان مروان شديد العداوة لآل أبي طالب وكان يتناقض عن نية قوية يقصد بها طلب الدنيا فلا يبقى ولا يذر . وتجد أخباره في الأغانى (ج ١٢ ص ١٦ وج ١٧ ص ٣٢ و ١٤١) .

ولقد تخلص الى شيء ليس عليه فيه شيء وهو قوله :

فإن شكروا فقد أنعمت فيهم * وإلا فالندامة للكفور
وإن قالوا بنو بنت فحق * وردوا ما يناسب للدكور
وما لبني بنات من تراث * مع الأعمام في ورق الزبور

ومنها :

بني حسن ورهط بنى حسين * عليكم بالسداد من الأمور
فقد ذقتم قراع بنى أبيكم * غداة الروع بالبيض الذكور
أحين شفوكم من كل وتر * وصمؤم الى كنيف وثير
وجادوكم على ظمأ شديد * سقبتم من نواهم الغزير
فإكان العقوق لهم جزاء * بفعلهم وآدى للثور
وإنك حين تبلغهم أذاة * وإن ظلموا محزون الضمير

فقال له : صدقت وإلا فعلى وعلى ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

وأشد الرشيد يوماً قصيدته التي أولها :

ما تنقضى حسرة متى ولا جزع * إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع
بان الشباب وفانتى بلذته * صروف دهر وأيام لها خدع
ما كنت أوفي شبابي كنه غرته * حتى آنقضى فاذا الدنيا له تبع

فقال الرشيد : أحسن ! والله لا يمتنى أحد بعيش حتى يحطّر في رداء الشباب .

ومن قوله فيها يمدح الرشيد :

أى أمرى بات من هارون في سخط * فليس بالصلوات الخمس ينتفع
إن المكارم والمعروف أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع^(١)

(١) رواية الأغانى : "تسع" .

إذا رفعت أمرًا فالله يرفعه * ومن وضعت من الأقوام متضع
نفسى فداؤك والأبطال معلمة * يوم الوغى والمنايا صابها فزاع

ومن قوله يمدح الرشيد :

يامترل الحى ذا المغانى * إنعم صباحًا على بلاكا
هارون ياخير من ربحى * لم يطع الله من عصاكا
فى خير دين وخير دنيا * من آتى الله وآتقاكا

وناهيك بقصيدته التى رفعت السيف عن ربيعة بنصيبين بعد أن جرده فيها الرشيد

وهى التى يقول فيها :

وقد علم العدو أن الجور والحنأ * بأنك عياف لمن مزايل
ولو عملوا فىنا بأمرك لم يكن * ينال برىا بالأذى متناول
لنا منك أرحام ونعد طاعة * وبأسا إذا أصطك القنا والقنابل^(١)
وما يحفظ الإحسان مثلك حافظ * ولا يصل الأرحام مثلك واصل
جعلناك فامننا معاذًا ومفرعًا * لنا حين عضتنا الخطوب الخلائل
لأنت إذا عاذت بوجهك عوذ * تطامن خوف وأستقرت بلابل

اجتمع جماعة من الشعراء ببغداد وفيهم منصور النمرى، وكانوا على تبيذ، فأبى منصور
أن يشرب معهم، فقالوا له : إنما تعاف الشراب لأنك رافضى، وتسمع وتصغى الى
الغناء، وليس تركك التبيذ من ورع، فقال :

خلا بين ندمانى موضع مجلسى * ولم يبق عندى للوصال نصيب
وردت على الساق تفيض وربما * رددت عليه الكأس وهو سليب
وأى أمرى لا يستهش إذا جرت * عليه بنان كفه خضيب

(١) مفردة قبل بفتح فسكون ثم فتح : الطائفة من الناس .

قال النمرى : كنت واقفا على جسر بغداد أنا وعبيد الله بن هشام ، وقد وخطني الشيبُ يومئذ ، وعبد الله شابٌ حديث السن ، فاذا أنا بقصريّة ظريفة قد وقفت ، فجعلت أنظر إليها وهي تنظر الى عبيد الله ثم انصرفت ، وقلت فيها :

لما رأيت سَوامَ الشَّيبِ منتشراً * في لِمَّتِي وعبيدَ الله لم يَشِيبِ
سَلَّتِ سَهْمِينَ من عَيْنِكَ فانتضلا * على سَيِّئَةِ ذِي الأذْيَالِ والطَّرِبِ
كذا الغواني نرى منهن قاصدة * الى الفروع مُعْرَاةً عن الخشبِ
لا أنتِ أصبحتِ تعقدُ بيننا أرباً * ولا وعيشك ما أصبحتِ من أربى
إحدى ونحسين قد أنضيت جادتها * تحول بيني وبين اللّهُو واللّعبِ
لاتحسبيني وإن أغضيت عن بصرى * غَفَلْتُ عنكَ ولا عن شأنك العَجَبِ
غضب الرشيد على منصور النمرى لما أشد قصيدته في مدح العلويين وأولها :

شَاءَ من النَّاسِ رَاتِعٌ هَامِلٌ * يعللون النفوسَ بالباطلِ

وفيه يقول :

ألا مَسَاعِيرُ يَغضِبونَ لها * بسَلَّةِ البِيضِ والقَنَا الذَابِلِ

فغضب من ذلك غَضَبًا شديدًا وقال للفضل بن الربيع : أحضره الساعة ، فبعث الفضل في ذلك ، فوجده قد تُوُفِّيَ ، فأمر بنبشه ليُحْرِقَهُ ، فلم يزل الفضل يُلِطُّ له حتى كَفَّ عنه .
واليك قصيدته في مدح العلويين نقلًا عن الشعر والشعراء لابن قتيبة ، لأن صاحب

الأغاني أغفلها ولم يذكر منها إلا البيتين السابقين :

شَاءَ من النَّاسِ رَاتِعٌ هَامِلٌ * يُعللون النفوسَ بالباطلِ
تُقْتَلُ ذُرِّيَّةُ النَّبِيِّ وَيُرَى * جَوْنَ جِنَانِ الخُلُودِ للقَاتِلِ
وَيْلَكَ يَا قَاتِلَ الحَسِينِ لَقَدْ * نُوتَ بِجَمَلِ يَنْوُءُ بِالنَّامِلِ

(١) كذا في الأصل ولعله : * لا أنتِ أصبحتِ يعقد بيننا أرب * بتسكين الفعل يعقد للضرورة وتسكين
الفعل في الضرورة واردة منه قول امرئ القيس : فاليوم أشرب غير مستحقب * إنما من الله ولا وائل
(٢) في الشعر والشعراء "مصاليت" .

أَيْ حِبَاءٍ حَبَّوَتْ أَحْمَدَ فِي * حُفْرَتِهِ مِنْ حَرَارَةِ النَّارِ كُلِّ
 بَأَى وَجْهَ تَلَقَّى النَّبِيَّ وَقَدْ * دَخَلَتْ فِي قَتْلِهِ مَعَ الدَّاحِلِ
 هَلُمَّ فَاطْلُبْ غَدًّا شِفَاعَتَهُ * أَوْلَا فَرِدْ حَوْضَهُ مَعَ النَّاهِلِ
 مَا الشَّكَّ عِنْدِي فِي حَالِ قَاتِلِهِ * لَكِنِّي أُشْكُ فِي آخِلِ الدَّاحِلِ
 نَفْسِي فِدَاءَ الْحُسَيْنِ حِينَ غَدَا * إِلَى الْمَنَائِمِ غُدُوًّا لَا قَافِلِ
 ذَلِكَ يَوْمٌ أَنَحَى بِشَفْرَتِهِ * عَلَى سَنَامِ الْإِسْلَامِ وَالْكَاهِلِ
 حَتَّى مَتَّى أَنْتِ تَعْجَبِينَ أَلَا * تَنْزِلُ بِالْقَوْمِ نِقْمَةً الْعَاجِلِ
 لَا يَعْجَلُ اللَّهُ إِنْ لَجَلْتِ وَمَا * رَبُّكَ عَمَّا يَرِيدُ بِالْغَافِلِ
 وَعَاذَلِي أَنِّي أَحَبُّ بَنِي * أَحْمَدَ فَاتْرَبِي فِي فِيمَ الْعَاذِلِ
 قَدْ ذُقْتُ مَا دِينِكُمْ عَلَيْهِ فَمَا * وَصَلْتُ مِنْ دِينِكُمْ إِلَى طَائِلِ
 دِينِكُمْ جَفْوَةَ النَّبِيِّ وَمَا أَل * جَافِي لَأَلِ النَّبِيِّ كَالْوَاوِلِ
 مَظْلُومَةَ وَالنَّبِيِّ وَالِدَهَا * نَذِيرُ أَرْجَاءِ مُقَلَّةِ حَافِلِ
 أَلَا مَصَالِيْتُ يَغْضَبُونَ لَهَا * بَسَلَةَ الْبَيْضِ وَالْقَنَّا الذَّافِلِ

وقال أيضا :

آلَ النَّبِيِّ وَمَنْ يُجِبُّهُمْ * يَتَطَامَنُونَ مَخَافَةَ الْقَتْلِ
 آمِنُوا النَّصَارَى وَالْيَهُودَ وَهُمْ * مِنْ أُمَّةِ التَّوْحِيدِ فِي أَرْبِ^(١)
 وَأُشِيدَ الرَّشِيدُ هَذَا بَعْدَ مَوْتِهِ فَقَالَ : لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُبَشِّهَ ثُمَّ أَحْرَقَهُ .

ومن جيد شعره قوله في الرشيد :

يَا زَائِرِنَا مِنْ أَنْحِيَامِ * حَيَّا كَمَا اللَّهُ بِالسَّلَامِ
 يُحْزِنُنِي أَنْ أَطْفَأُ بَابِي * وَلَمْ تَنَالَا سِوَى الْكَلَامِ

(١) الأزل : الضيق والشدة .

لم تطرفاني وبي حراك * إلى حلال ولا حرام
 هنيئات للهو والتصابي * وللغواني وللأدام
 أقصر جهلي وثأب حلمي * وذهنه الشيب من عمري^(١)
 عمراً أيها لقد تولت * سائلة الخد من عذامي^(٢)
 لله حبي وترب حبي * ليلة أعيامها مرامي
 آذنتاني بطول هجير * وعمرتاني مع السوام
 وأنطوتاني على ملام * والشيب شر من الملام
 بورك هاروت من إمام * بطاعة الله ذي اعتصام
 له إلى ذي الحلال قرني * ليست لعذل ولا إمام
 ليسمي على أمة تمسني * أن لو تقيمه من الحمام
 لو استطاعت لقاسمته * أعمارها قسمة السهام
 يا خير ماض وخير باق * بعد النبيين في الأنام
 ما استودع الدين من إمام * حامى عليه كما تحامى
 يؤنس من رأيه برأى * أصدق من سلة الحسام

وقال :

(١) أعمير كيف حاجة * طلبت إلى صم الصخور
 لله در عدايتكم * كيف انتسبن إلى الغرور
 أن الليالي ضمني * ووسمتني سمة الكبير
 أطفان نور شيبتي * وفرشني كنف الغيور
 ولقد تبئت أنا ملى * يجنين رمان النحور

(١) العرام : الخدة . (٢) العذم الشفة كالعض بالأسنان .

٧ - السيد الحميري^(١)

« لم يكن السيد الحميري من أنصار الحسن والحسين، أو بعبارة أصح لم يكن من أنصار ولد الحسن والحسين؛ وإنما كان من الكيسانية الذين كانوا ينصرون الابن الثالث من أبناء علي: محمد بن حوالة الحنفية؛ والذين كانوا يدينون بأنه لم يمت وإنما تغيب عن الناس وأحتجب عنهم حيناً وسيعود فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، فلم يكن على السيد الحميري بأس أن يمدح بني العباس ويتقرب منهم ما دام صاحبه محمد بن الحنفية لم يعد من غيبته بعد. ثم نستطيع أن نُميّز هذا الشاعر بخصلة لم نرها في شاعر من الذين تحدثنا عنهم، وهي أنه كان سخيفاً ضعيف العقل شديد الإيمان بالخرافات والأوهام، ويظهر أن هذه الخصلة جاءت من مذهبه نفسه في الرجعة، فقد أسرف في هذا المذهب كما أسرف في مدح العلويين والإيمان بهم حتى وصفهم من الخير والكرامة بما يقبل وما لا يقبل؛ فكان كل خير يمكن أن ينسب إلى العلويين، رضيه العقل أم لم يرضه، وكان كل شر يمكن أن ينسب إلى خصوم العلويين، رضيه العقل أم لم يرضه، وكان يكفي أن يسمع رجلاً من أهل القصاص ورواة الأساطير يروي كرامة من الكرامات يضيفها إلى أحد العلويين حتى ينظم فيها قصيدة طويلة جيدة، ويتخذ هذه القصيدة وسيلة إلى ذم السلف والتمجيد عليه.

(١) هو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري والسيد لقبه ويكنى أبا هاشم، كان شاعراً مقبلاً مطبوعاً، يقال إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والاسلام ثلاثة: بشار وأبو العتاهية والسيد، فإنه لا يعلم أن أحداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع، وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه في شعره ويستعمله في قذفهم والظعن عليهم فنحوى شعره من هذا الجنس وغيره لذلك وهجره الناس تحقراً وترقباً، وله طراز من الشعر ومذهب قلباً يلحق فيه أو يقارب، ولا يعرف له من الشعر كثير، وليس يخلو من مدح بني هاشم أو ذم غيرهم ممن هو عنده ضد لهم. توفي سنة ١٧٣ هـ. وتجد ترجمته وأخباره في الأغاني (ج ٧ ص ٢) وقوافل الوفيات (ج ١ ص ١٩).

(٢) من بحوث صديقي الدكتور محمد حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية.

وخصلة أخرى تقرّبه من الزنادقة الذين عاصروه ولكنها تجعل الصلة بينه وبينهم ضعيفة واهية في الوقت نفسه .

وهي أنه كان يستبجح ضروبا من اللهو والمنكر، ويُسرف في شرب الخمر وغير ذلك من ألوان العبث، لا لأنه كان ييحد الدين أو يزدريه بل لأنه كان يدلّ على صاحب الدين؛ كان يحبّ النبي صلى الله عليه وسلم وآله ويمتحنهم مودّته ونصره، ويعتقد أنهم سيعرفون له ذلك وسيشفعون له في ذنوبه وآثامه لما قدّم بين يديه من مدح العلويين ونصرهم على خصومهم؛ وكان بنو هاشم وبنو عليّ خاصة يطعمونه في ذلك ويعترفون له به، فإذا ذكر لهم أنه يلهو ويشرب الخمر قالوا: وأيّ ذنب يعظم على الله أن يغفره لرجل من أنصار أهل البيت! بل قال أحدهم: إن من أحبّ آل عليّ لم تزل له قدّم إلا ثبتت له أخرى؛ وعلى هذا كان السيّد الحميريّ يلهو آمنّا في دينه ودُنياه، يعتمد في دينه على العلويّين، ويعتمد في دنياه على العباسيين، يقصد أنّ العلويين سيشفعون له عند الله، ويعلم أنّ العباسيين يتقون شرّه ويؤثرون مدحه على هجائه؛ وكان من مُعاصريه من يكره ذلك ويمقتّه كلّ المقت، ويضمّر للسيّد عداً وحقدًا لا يعِدِلُها عداً ولا حقدًا؛ ومن هؤلاء سوار بن عبد الله العنبريّ قاضي البصرة للمنصور، فقد كان العداً بينه وبين السيّد شديداً، وكان قد أجمع ألاّ يقبل للسيّد شهادة، وكان قد سعى بالسيّد عند المنصور غير مرّة؛ وكان السيّد قد هجاه فأسرف في هجائه، فشكا ذلك إلى المنصور فنهاه المنصورُ عنه وأمره أن يذهب إلى القاضي فيعتذر إليه، وأبى القاضي أن يقبل معذرتَه، فاستأنف السيّد الهجاء وأخّ فيه . ويقال إن سواراً أعدّ شهوداً يشهدون على السيّد بالسرقَة ليقطع يده، فعلم السيّد ذلك فجَزَع وفزع إلى المنصور، فعزل المنصور سواراً من القضاء للسيّد أو عليه، ولم يابث سوار أن مات فتبعه السيّد بعدائه وبُغضه وهجائه .

قال أبو جعفر الأعرّج: كان السيّد أسمر تامّ القائمة، أشنّب ذا وفرة، حسن الألفاظ جميل الخطاب، اذا تحدّث في مجلس قوم أعطى كلّ رجل في المجلس نصيبه من حديثه؛

وقال الفرزدق : إن ههنا لرجلين لو أخذنا في معنى الناس لما كُتبا معهما في شيء : السيد الحميري وعمران بن حطان السدوسي ، ولكن الله عز وجل قد شغل كل واحد منهما بالقول في مذهبه ، وقال الأصمعي لما أنشد شيئاً من شعره : ما أسلكه لطريق الفحول لولا مذهبه ، ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحداً من طبقته ؛ وكان أبو عبيدة يقول : أشعرُ المُحدَثين السيد الحميري وبشار .

وكان السيد يذهبُ مذهب الكيسانية ويقول بإمامة محمد بن الحنفية ، وله في ذلك شعر كثير .

وقف السيد على بشار وهو ينشد الشعر ، فأقبل عليه وقال :

أيها المادح العباد يُعطى * إن الله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم * وأرجُ نفع المسترل العواد
لا تَقُلْ في الجواد ما ليس فيه * وتُسمي البخيل باسم الجواد

قال بشار : من هذا؟ فعرفه ، فقال : لولا أن هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا ، ولو شاركتنا في مذهبنا لتعبنا .

ومن قول السيد :

أتعرف رَسْمًا بالثَوْبَيْنِ قد دَرَّ * عَفْتُهُ أَهْضِيبُ السَّحَابِ وَالْمَطَرُ
وَجَرَّتْ بِهِ الْأَذْيَالُ رِيحَانِ خِلْفَةٍ * صَبَا وَدُبُورِ الْعَشِيَّاتِ وَالْبُكْرِ
مَنَازِلُ قَدْ كَانَتْ تَكُونُ بِجَوْهَا * هَضِيمُ الْحَشِيِّ رِيًّا الشَّوِيِّ سِجْرُهَا النَّظْرُ
قَطُوفُ الْخَطَا حِمَصَانَةٌ بَحْرِيَّةٌ * كَانَتْ حُمَيَّاهَا سَنَا دَارَةِ الْقَمَرِ
رَمْتِي بَعِيدٍ بَعْدَ قُرْبٍ بِهَا النَّوَى * فَبَانَتْ وَلَمَّا أَقْبَضَ مِنْ عِبْدَةِ الْوَطْرِ
وَلَمَّا رَأَيْتِي خَشِيَّةَ الْبَيْتِ مُوجَعًا * أَكْفِكُفْ مِنِّي أَدْمَعًا يَبِضُّهَا دُرُّ
أَشَارَتْ بِأَطْرَافِ إِلَى وَدَمْعِهَا * كَنْظَمِ جَمَانِ خَانَةِ السَّلْكِ فَانْتَرُ
وَقَدْ كُنْتُ مِمَّا أَحَدَتْ الْبَيْنَ حَازِرًا * فَلَمْ يُغْنِ عَنِّي مِنْهُ حَوْفِي وَالْحَدَّرُ

لما استقام الأمر لبني العباس قام السيد إلى أبي العباس السفاح حين نزل عن المنبر فقال:

دُونِكُوهَا يَا بَنِي هَاشِمٍ * بَخُدُّوْا مِنْ عَهْدِهَا الدَّارِسَا

دُونِكُوهَا لَا عَلَا كَهَبٌ مِنْ * كَانَتْ عَلَيْكُمْ مُلْكُهَا نَافِسَا

دُونِكُوهَا فَالْبَسُوا تَاجَهَا * لَا تَعْدَمُوا مِنْكُمْ لَهُ لَابِسَا

لَوْ خَيْرَ الْمَنْبَرِ فُرْسَانُهُ * مَا آخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسَا

قَدْ سَاسَهَا قَبْلَكُمْ سَاسَةٌ * لَمْ يَتْرَكُوا رَطْبًا وَلَا يَابِسَا

وَلَسْتُ مِنْ أَنْ تَمْلِكُوهَا إِلَى * مَهَبَّطِ عَيْسَى فِيكُمْ آيِسَا

وبعث بهذه الأبيات إلى المهدي يسأله ألا يعطى آل بكر وعمر من مال الدولة:

قُلْ لَأَبْنِ عَبَّاسٍ مَيِّ مُحَمَّدٍ * لَا تُعْطَيْنَ بَنِي عَدِيِّ دَرَهْمَا

إِحْرِمْ بَنِي تَيْمٍ بِنِ مِرَّةٍ إِيَّاهُمْ * شَرَّ السَّبْرِيةِ آخِرًا وَمُقَدِّمًا

إِنْ تَعْطَهُمْ لَنْ يَشْكُرُوا لَكَ نِعْمَةً * وَيَكْفُشُوكَ بَأْنَ تَدَمٍّ وَتُسْتَمَّا

وَإِنْ آمَنْتَهُمْ أَوْ اسْتَعْمَلْتَهُمْ * خَانُوكَ وَأَتَّخَذُوا نَحْرَاجَكَ مَغْنَمًا

وَلَتَنْ مَنَعْتَهُمْ لَقَدْ بَدَّوْكُمْ * بِالْمَنْعِ إِذْ مَلَكُوا وَكَانُوا أَظْلَمًا

مَنَعُوا تُرَاثَ مُحَمَّدٍ أَعْمَامِهِ * وَبَيْنِهِ وَأَبْنَتِهِ عَدِيلَةَ مَرِيَمَا

وَتَأْمُرُوا مَنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَخْلَفُوا * وَكَفَى بِمَا فَعَلُوا هُنَالِكَ مَاثِمًا

لَمْ يَشْكُرُوا مُحَمَّدًا إِنْعَامَهُ * أَفَيَشْكُرُونَ لغيرِهِ إِنْ أَنْعَمَا

وَاللَّهُ مَنْ عَلَيْهِمْ مُحَمَّدٌ * وَهَدَاهُمْ وَكَسَا الْجَنُوبَ وَأَطْعَمَا

ثُمَّ أَنْبَرُوا لَوْصِيهِ وَوَلِيِّهِ * بِالْمَنْكِرَاتِ بَخْرَعُوهُ الْعَلْقَا

أنشد السيد جعفر بن محمد هذه الأبيات يذكر فيها قبر الحسين:

أَمْرٌ عَلَى جَدِّ الْحُسَيْنِ * مِنْ قَبْلِ لِأَعْظَمِهِ الزَّكِيَّةِ

أَعْظَمًا لَا زَيْتٍ مِنْ * وَطَفَاءَ سَاكِبَةٍ رَوِيَّةِ

وَإِذَا مَرَّرْتَ بِقَبْرِهِ * فَاطِّلْ بِهِ وَقْفَ الْمُطِيَّةِ

وَأَبِكِ الْمُطَهَّرَ لُطْ * هَرِّ الْمُطَهَّرَةَ النَّقِيَّةَ
كِبْكَاءَ مُعْوَلَةٍ أَتَتْ * يَوْمًا لَوَاحِدَهَا الْمُنِيَّةَ

فانحدرت دموعُ جعفر على خديه وارتفع الصراخُ والبكاءُ من داره حتى أمره بالإمساك
فأمسك .

ومن قول السيد في إمامة ابن الحنفية :

أَلَا يَا أَيُّهَا الْجَدِيدُ الْمَعْنَى * لَنَا مَا نَحْنُ وَيَحْكُ وَالْعَنَاءُ
أَتَبَصَّرُ مَا تَقُولُ وَأَنْتَ كَهْلٌ * تَرَكَ عَلَيْكَ مِنْ وَرَجِ رِدَاءُ
أَلَا إِنَّ الْأئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ * وَوَلَاةُ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سِوَاءُ
عَلَى وَالثَلَاثَةَ مِنْ بَيْتِهِ ^(١) * هُمْ أَسْبَاطُهُ وَالْأَوْصِيَاءُ
فَأَنَّى فِي وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ * يَكُونُ الشُّكُّ مَنَا وَالْمِرَاءُ
بِهِمْ أَوْصَاهُمْ وَدَعَا إِلَيْهِ * جَمِيعَ الْخَلْقِ لَوْ سَمِعَ الدَّعَاءُ
فَسَبَطَ سَبَطَ إِيْمَانٍ وَحِلْمٍ * وَسَبَطَ غَيْبَتَهُ كَرَبْلَاءُ
سَقَى جَدًّا تَضَمَّنَهُ مِلْثٌ * هَتُوفُ الرِّعْدِ مَرْمِجُ رِوَاءُ
تَطَّلَ مِظْلَةً مِنْهَا عَزَالٍ ^(٢) * عَلَيْهِ وَتَقْتَدِي أُخْرَى مِلاَءُ
وَسَبَطَ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى * يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا الْوَاءُ
مِنَ الْبَيْتِ الْحَجَّابِ فِي سُرَاةٍ * شُرَاةٍ لَفَ بَيْنَهُمُ الْإِخَاءُ
عَصَائِبُ لِيَسْرُدُونَ أَعْرَاجِلِي * بِمَكَّةَ قَائِمٌ لَهُمْ انْتِهَاءُ

وأشدد العتيّ قصيدته اللامية التي أوقها :

هَلْ عِنْدَ مَنْ أَحْبَبْتَ تَوَيْلٌ * أَمْ لَا فَإِنَّ اللَّوْمَ تَضْلِيلٌ
أَمْ فِي الْحَشَى مِنْكَ جَوَى بَاطِلٌ * لَيْسَ تُدَاوِيهِ الْإِبَاطِلُ

(١) هم الحسن والحسين ومحمد . (٢) العزلاء : مصب الماء من الراوية ونحوها ، ويقال : أنزلت

السماء عزالها إشارة إلى شدة وقوع المفار على التشبيه بزوله من أفواه المزدادات .

عَلَقْتَ يَا مَغْرُورُ خَدَاعَةً * بِالْوَعْدِ مِنْهَا لَكَ تَحْيِيلُ
رِيَا رِدَاحِ النَّوْمِ نُحْصَانُهُ * كَأَنَّهَا أَدْمَاءُ عَطْبُولُ
يَسْفِيكَ مِنْهَا حِينَ تَحْلُوبُهَا * صَمٌّ إِلَى النَّحْرِ وَتَقْيِيلُ
وَذَوْقُ رِيْقٍ طَيِّبٍ طَعْمُهُ * كَأَنَّهُ بِالْمَسْكِ مَعْلُولُ
فِي نَسْوَةٍ مِثْلَ الْمَهَا خُرْدٍ * تَضِيْقُ عَنْهُنَّ الْخَلَائِلُ

يقول فيها :

أَقْسِمُ بِاللَّهِ وَالْآئِنَةِ * وَالْمَرْءِ عَمَّا قَالَ مَسْئُولُ

إِنِ عَلِيٌّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ * عَلَى التَّقَى وَالْبَرِّ مَجْبُولُ

فقال : أحسنَ والله ما شاء ، هذا والله الشعرُ الذي يهجمُ على القلبِ بلا حجاب .

قيل للسيد : مالك لا تستعملُ في شعرك من الغريب ما تُسأل عنه كما يفعل الشعراء ؟

قال : لأنَّ أقول شعرا قريبا من القلوب يَلدُه من سمعه ، خيرٌ من أن أقول شيئا معقدا

تضلَّ فيه الأوهام .

تقدم السيد الى سوار القاضى ليشهد عنده ، فلم يرضَ به ، فقام مغضبا من مجلسه ،

وكتب رُقعة يقول فيها :

يَا أَمِينَ اللَّهِ يَا مَنْ صَوَّرُ يَا خَيْرَ الْوَلَاةِ

إِنَّ سَوَّارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ * مِنْ شَرِّ الْقُضَاةِ

تَعَالَى جَمَلِي * لَكُمْ غَيْرُ مَوَاتِ

جَدُّهُ سَارِقُ عَتْرٍ * بَحْرَةٌ مِنْ بَحْرَاتِ

لِرَسُولِ اللَّهِ وَالْقَا * ذِفُّهُ بِالْمُنْكَرَاتِ

وَأَبْنُ مَنْ كَانَ يُنَادِي * مِنْ وَرَاءِ الْحُجْرَاتِ

يَاهِنَاةُ أَخْرَجَ الْبِنَا * إِنَّا أَهْلُ هَنَاتِ

مَدْحُنَا الْمَدْحُ وَمَنْ تَرَّ * مِ يَصْبُ بِالزُّقْرَاتِ

فَاكْفِينِيهِ لَا كِفَاهُ اللَّهُ * شَرُّ الطَّارِقَاتِ

قيل : فلما قرأها سوار وثب من مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور، وهو يومئذ نازل بالحسرة، فسبقه السيد إليه فأنشده :

قل للإمام الذي يُنجي بطاعته * يوم القيامة من مجبوحة النار
لا تستعين وجزاك الله صالحاً * ياخير من دب في حُكْمِ بسوار
لا تستعين بنبيث الرأي ذى صائف * جم العيوب عظيم الكبر جبار
يضحى الخصوم لديه من تجبره * لا يرفعون إليه لحظ أبصار
تيها وكبراً ولولا ما رفعت له * من ضبعه كان عين الجائع العارى

ودخل سوار، فلما رآه المنصور تبسم وقال : أما بلغك خبر إياس بن معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق واستراد في اليهود؟ فما أحوجك للتعرض للسيد ولسانه ! ثم أمر السيد بمصاحته .

دخل السيد على المهدي لما بايع لأبيه موسى وهارون، فأنشأ يقول :

ما بال مجرى دمك الساجم * أم قدى بات بها لازم
أم من هوى أنت له ساهر * صباباً من قلبك المهائم
آليت لا أمدح ذا نائل * من معشر غير بنى هاشم
أوليتهم عندى يد المصطفى * ذى الفضل والمنّ أبى القايم
فإنها بيضاء محمودة * جزاؤها الشكر على العالم
جزاؤها حفظ أبى جعفر * خليفة الرحمن والقائم
وطاعة المهدي ثم أبه * موسى على ذى الإربة الحازم
وللرشيد الرابع المرتضى * مفترض من حقه اللازم
ملكهم خمسون معدودة * برغم أنف الحاسد الراغم
ليس علينا ما بقوا غيرهم * فى هذه الأمة من حاكم
حتى يردوها الى هابط * عليه عيسى منهم ناجم

ومن شعر السيد :

ما جرت خَطْرَةٌ على القلب متى * فيك إلا استترت عن أصحابي
من دموع تجرى فإن كنت وحدي * خاليا أسعدت دموعي اتحابي
إن حبي إليك قد سلَّ جسمي * ورماني بالشيب قبل الشباب
لو مَنَحَتِ اللَّقا شفى بك صبا * هائم القلب قد توى في التراب

ومما قاله في الحبس :

قِفْ بالديار وحيها يا مَرْبِعُ * وأسأل وكيف يُجيب مَنْ لا يسمعُ
إِنَّ الديار خَلَتْ وليس بجوها * إلا الضوايحُ والحمامُ الوُقَعُ
ولقد تكونُ بها أوانسُ كالدمى * بحمْلٍ وعزَّةٍ والرَّبابُ وبرَّوعِ
حورٌ نواعمٌ لا تُرى في مثلها * أمثالهن من الصيانة أُرْبِعِ
فعرينَ بعد تأليفٍ وتجمع * والدهر صاحٍ مُشَتَّتٌ ما يجمعُ
فاسلم فإنك قد نزلتَ بمنزِلِ * عند الأمير تُضَرَّ فيه وتنفعُ
تُوْتِي هوائك إذا نطقتَ بحاجةٍ * فيه وتَسْفَعُ عنده قَشَقَعُ
قلْ للأمير إذا ظفرتَ بحلوةٍ * منه ولم يكُ عنده مَنْ يسمعُ
هَبْ لى الذى أحبته فى أحمدٍ * وبينه إنك حاصد ما تزرعُ
يَخْتَصُّ آلُ محمدٍ بحجةٍ * فى الصدر قد طُوِيَتْ عليها الأضلعُ

وقال يهجو امرأة وارث مؤسير من خلانه، وكانت تعذل زوجها على إسرافه :

أقول ياليت لى فى يدي حريق * من العداوة من أعدى أعاديتها
يعلوها فوق رعين ثم يُحْدِرها ^(١) * فى هوة فتدهدى يومها فيها
أوليتما فى غمار البحر قد عصفت * فيه الرياحُ فهاجت من أواذيتها ^(٢)

(١) الرعين : أنف يتقدم الجبل جمع رعين ورعان . والجبل : الطويل ودهدى الحجر فتدهدى ، أى دحريه

فتسرح . (٢) الأواذي : أمواج البحر مفردتها آذى .

أَوْلَيْتَهَا قَدَدَنْتَ يَوْمًا إِلَى فَرَسِي * قَدْ شُدَّ مِنْهُ إِلَى هَادِيهِ هَادِيهَا
 حَتَّى يُرَى لِحْمِهَا مِنْ حُضْرِهِ زَيْمًا^(١) * وَقَدْ أَتَى الْقَوْمَ بَعْدَ الْمَوْتِ نَاعِيهَا
 فَمَنْ بَكَاهَا فَلَا جَفَّتْ مَدَامِعُهُ * لَا أَسْخَنَ اللَّهُ إِلَّا عَيْنَ بَاكِهَا

وقيل : إن آخر قصيدة له هي قوله :

أَشَاقَتَكَ الْمَنَازِلُ بَعْدَ هِنْدٍ * وَتَرْبِيهَا وَذَاتِ الدَّلِّ دَعْدِ
 مَنَازِلُ أَقْفَرَتْ مِنْهُنَّ مَحَّتْ * مَعَالِمُهُنَّ مِنْ سَيْلٍ وَرَعْدِ
 وَرِيحِ حَرْجِفٍ تَسْتَنُّ فِيهَا * بِسَافِي التَّرْبِ تُلْحِمُ مَا تُسَدِّي
 أَلَمْ يَبْلُغْكَ وَالْأَنْبَاءُ تَتَمِّي * مَقَالُ مُحَمَّدٍ فِيمَا يُؤَدِّي
 إِلَى ذِي عَالِمِهِ الْمَهَادَى عَلِيٌّ * وَخَوْلَةٌ خَادِمٍ فِي الْبَيْتِ تَرْدِي
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ خَوْلَةَ سَوِّفِ تَأْتِي * بَوَارِي الزُّنْدِ صَافِي الْخَلِيمِ تَجْدِي
 يَفُوزُ بِكُنْيَتِي وَأَسْمَى لِأَنِّي * نَحْلُهُمَا هُوَ الْمَهْدَى بَعْدِي
 يُغَيِّبُ عَنْهُمْ حَتَّى يَقُولُوا * تَضَمَّنَهُ بِطَبْنٍ لِحَدِّ
 سَنِينَ وَأَشْهَرًا وَيُرَى بَرَضَوَى * بِشَعْبٍ بَيْنَ أُنْمَارٍ وَأُسْدِ
 مَقِيمٌ بَيْنَ آرَامٍ وَعَيْنِ * وَحَفَاتٍ تَرْوِحُ خِلَالَ رُبْدِ^(٢)
 تُرَاعِيهَا السَّبَاعُ وَلَيْسَ مِنْهَا * مُلَافِيهِمْ مُفْتَرِيًا بِحَدِّ
 أَمِنْ بِهِ الرَّدَى فَرْتَعَنَ طَوْرًا * بَلَا خَوْفٍ لَدَى مَرَعَى وَوَرْدِ
 حَلَفْتُ رَبِّ مَكَّةَ وَالْمُصَلَّى * وَبَيْتِ طَاهِرِ الْأَرْكَانِ قَرْدِ
 يَطُوفُ بِهِ الْحَجِيجُ وَكُلِّ عَامٍ * يَحْسَلُ لَدَيْهِ وَفَدُّ بَعْدَ وَفَدِ
 لَقَدْ كَانَ ابْنُ خَوْلَةَ غَيْرَ شَكٍّ * صَفَاءَ وَوَلَايَتِي وَخُلُوصَ وَدِي
 فَمَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ فِيمَا * أَسِيرٌ وَمَا أَبُوحُ بِهِ وَأُبْدِي
 سَوَّى ذِي الْوَحْيِ أَحْمَدُ أَوْ عَلِيٌّ * وَلَا أَرْكِي وَأَطِيبَ مِنْهُ عِنْدِي

(١) الزيم : المنتزق من اللحم . (٢) الحفان : صغار النعام .

وَمَنْ ذَا يَأْتِنَ خَوْلَةَ إِذْ رَمْتَنِي * بِأَسْهَمِهَا الْمَنِيَّةُ حِينَ وَعَدْتَنِي
 يُدَبِّبُ عَنْكُمْ وَيَسُدُّ مِمَّا * تَسَلَّمُ مِنْ حَصُونِكُمْ كَسَدْتَنِي
 وَمَالِي أَنْ أَمُرَّ بِهِ وَلَكِنْ أَا * أَؤَمِّلُ أَنْ يُؤْتِرَ يَوْمَ فَقَدْتَنِي
 فَأُدْرِكُ دَوْلَةَ لَكَ لَسْتَ فِيهَا * بِجَبَّارٍ فَتُوصَفُ بِالْتَعْبَدْتَنِي
 عَلَى قَوْمٍ بَغَوْا فِيكُمْ عَلَيْنَا * لِتُعْبَدْتَنِي مِنْكُمْ يَا خَيْرَ مُعَدِّ
 لِتَعْلُ بِنَا عَلَيْهِمْ حَيْثُ كَانُوا * بِغَوْرٍ مِنْ تَهَامَةَ أَوْ بَنَجْدِ
 إِذَا مَا سِرْتُمْ مِنْ بَلَدٍ حَرَامٍ * إِلَى مَنْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ مَعَدِّ
 وَمَاذَا عَزُّهُمْ وَالْخَيْرُ مِنْهُمْ * بِأَشْوَسَ أَعْصَلَ الْأَثْيَابِ وَرَدِّ
 وَأَنْتَ لِمَنْ بَغَى وَعَدَا وَأَذْكَى * عَلَيْكَ الْحَرْبَ وَأَسْتَرْدَاكَ مُرَدِّ

٨ - سلم بن عمرو الخاسر^(١)

كان منقطعاً الى البرامكة والى الفضل بن يحيى خصوصاً من بينهم ، وفيه يقول أبو العتاهية :

إنما الفضل لسلم وحده * ليس فيه لسوى سلم درك

وكان هذا أحد الأسباب الى فساد ما بينه وبين أبي العتاهية . ولسلم يقول أبو العتاهية وقد حجَّ مع عتبة :

والله والله ما أبالي متى * ما متُّ يا سلم بعد ذا السفر
أليس قد طُفَّتْ حيث طافت وقب * لت الذي قبلت من الحجر

وله يقول أبو العتاهية وقد حُيس إبراهيم الموصلى :

سلم يا سلم ليس دونك سر * حيس الموصلى فالعيش مر
ما استطاب اللذات ، مذكسكن المط * بيق رأس اللذات والله ، حر
ترك الموصلى من خلق اللد * له جميعاً وعيشهم مقشعير

(١) هو سلم (ويقال سلم) بن عمرو أحد موالى أبي بكر الصديق ، نشأ في البصرة ، وكان شاعراً مطبوعاً منصرفاً في فنون الشعر ، وكان مظاهراً بالخلاعة والفسوق والمجون ، وزاد شاعرية وتمرساً بالشعر على يد بشارة لأنه كان راوياً عنه وتلميذه ، أخذ عنه واعتزف من بحره ونسج على منواله ، وكثيراً ما كان يأخذ أقواله فيسلخها ويمسخها كما مسخ هذا البيت :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

بغسله :

من راقب الناس مات غماً * وفاز باللذة الجسور

فلجق به بشاراً فغضب وأقسم ألا يدخل عليه ولا يفيدته مادام حياً ، فاستشفع اليه بكل صديق حتى رضى ووبخه وقتعه بمخضرة كانت بيده . وكان صديقاً لإبراهيم الموصلى المغني المشهور ولأبي العتاهية . وكان يمدح البرامكة وخصوصاً الفضل بن يحيى . توفي سنة ١٨٦ هـ . وتجد ترجمته في الأغاني ج ٢١ ص ١١٠ وابن خلكان

ج ١ ص ١٩٨

لما قال بشارُ قصيدته الميمية في عمر بن العلاء وهي التي يقول فيها :

إذا نَبَّهتْكَ صِعَابُ الْأُمُورِ * فنبه لها عُمرًا ثم نَمَّ

فَتَى لَا يَبِيتُ عَلَى دِمْنِيَّةٍ ^(١) * وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بَدَمَ

بعث بها مع سلم الى عمر بن العلاء، فوفاه، فأنشده إياها، فأمر لبشار بمائة ألف درهم،

فقال له سلم : ان خادمك - يعني نفسه - قد قال في طريقه فيك قصيدة؛ قال : فإنك

هناك ! قال : تسمع ثم تحكم؛ قال : هات، فأنشده :

قَدْ عَزَّنِي الدَّاءُ فَمَا لِي دَوَاءٌ * مِمَّا آتَى مِنْ حِسَانِ النِّسَاءِ

قَلْبٌ صَحِيحٌ كُنْتُ أَسْطُوبُهُ * أَصْبَحَ مِنْ سَأَمِي بَدَاءِ عِيَاءِ

أَنْفَاسَهَا مِسْكًَ وَفِي طَرْفِهَا * سِحْرٌ وَمَا لِي غَيْرُهَا مِنْ دَوَاءِ

وَعَدْتَنِي وَعَدًّا فَأَوْفِي بِهِ * هَلْ تَصْلُحُ الْخَمْرَةُ إِلَّا بِمَاءِ

ويقول فيها :

كَمْ كُرْبِيَّةٍ قَدْ مَسَّنِي ضَرْهَا * نَادَيْتُ فِيهَا عُمَرَ بْنَ الْعَلَاءِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أول عطية سنية وصلت إليه .

ومن قوله يرثي بأقوته بنت المهدي :

أَوْدَى بِبِاقُوته رَبُّ الزَّمَانِ * مَوْئِسَةٍ الْمَهْدِيِّ وَالْخَيْرِزَانَ ^(١)

لَمْ تَنْطَوِ الْأَرْضُ عَلَى مِثْلِهَا * مَوْلُودَةٍ حَنَّ لَهَا الْوَالِدَانُ

بِأَقْوُونُ يَا بِنْتَ إِمَامِ الْمَدِي * أَصْبَحْتَ مِنْ زِينَةِ أَهْلِ الْحَنَانِ

بَكَتْ لَكَ الْأَرْضُ وَسَكَنُهَا * فِي كُلِّ أَفْقٍ بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانِ

دخل سلم على الفضل بن يحيى في يوم نيروز والهدايا بين يديه، فأنشد :

أَمِنْ رِيحِ تَسَائِلُهُ * وَقَدْ أَقَوْتُ مَنَازِلَهُ

بِقَلْبِي مِنْ هَوَى الْأَطْلَالِ * لِ حَبِّ مَا يُرَايِلُهُ

رَوَيْدُكُمْ عَنِ الْمَشْعُو * فِي إِنْ الْحَبِّ قَاتِلُهُ
 بَلَابِلُ صَدْرِهِ تَسْبِرِي * وَقَدْ نَامَتْ عَوَازِلُهُ
 أَحَقُّ النَّاسِ بِالْتَفْضِي * لِمَنْ مِنْ تُرْجِي فَوَاضِلُهُ
 رَأَيْتُ مَكَارِمَ الْأَخْلَا * قِ مَا ضَمَّتْ حَمَائِلُهُ
 فَلَسْتُ أَرَى قَتِي فِي النَّاسِ * سِ إِلَّا الْفَضْلُ فَاضِلُهُ
 يَقُولُ لِسَانُهُ خَيْرًا * فَتَفْعَلُهُ أَنَامِلُهُ
 وَمَهْمَا يُرْجَ مِنْ خَيْرٍ * فَإِنَّ الْفَضْلَ فَاعِلُهُ

وكان ابراهيم الموصلي وابنه إسحاق حاضرين، فقال لإبراهيم: كيف ترى وتسمع؟ قال: أحسن مرئي ومسموع، وفضل الأمير أكثر منه؛ فقال: خذوا جميع ما أهدى إلي اليوم فاقسموه بينكم أثلاثاً إلا ذلك التمثال، فإني أريد أن أهديه اليوم إلى دنانير؛ ثم قال: لا والله ما هكذا تفعل الأحرار، يقوم ويدفع اليهم ثمته ثم شهديه، فقوم بألفي دينار، فحملها إلى القوم من بيت ماله وأقسموا جميع الهدايا بينهم.

كان المهدي يعطي مروان وساماً الخاسر عطية واحدة، فكان سلم يأتي باب المهدي على البرذون الفار، قيمته عشرة آلاف درهم بسرج ولحام مفضضين، ولباسه انظر والوشى وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان، ورائحة المسك والطيب والغالية تفوح منه، ويحيى مروان بن أبي حفصة عليه فروجك^(١) وقميص كرايس^(٢) وعمامة كرايس^(٣) وخفأكل وكساء غليظ، وهو مئنت الرائحة، وكان لا يأكل اللحم حتى يقرم إليه بخلا، فإذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله، فقال له قائل: أراك لا تأكل إلا الرأس، قال: نعم أعرف سعره فأمن خيانة الغلام ولا اشتري لهما فيطبخه فيأكل منه، والرأس آكل منه ألوانا: آكل من عينيه لوناً ومن غلظته لوناً ومن دماغه لوناً.

(١) قصير . (٢) الكرايس : جمع كرابس وهو القطن . (٣) أى خفأفرو كثير الصوف

غليظه . (٤) الغلظة : أصل اللسان . (٥) كرايس : كرايس . (٦) كرايس : كرايس . (٧)

كان سلم قد بُلي بالكيمياء، فكان يذهب بكل شيء له باطلاً، فلما أراد الله عز وجل أن يصنع له عرف أن بباب الشام صاحب كيمياء عجيبة، وأنه لا يصل إليه أحد إلا ليلاً، فسأل عنه، فدُلَّوه عليه . قال : فدخلت إليه الى موضع معور^(١)، فدفقتُ البابَ فخرج إلى، فقال : من أنت عافاك الله؟ فقلت : رجل معجبٌ بهذا العلم . قال : فلا تشهرني فإني رجل مستورٌ إنما أعمل القوتَ، قلت : إني لا أشهرك إنما أفتبس منك، قال : فآكتم ذلك، وبين يديه كوزٌ شبه صغير^(٢)، فقال لي : اقلع عروته، فقلعتمها، فقال : اسبكها في البوتقة^(٣)، فسبكتمها، فأخرج شيئاً من تحت مصلاه فقال : دُرَّه عليه، ففعلت، فقال : أفرغه، فأفرغته، فقال : دعه معك، فاذا أصبحت فإخرج فيعه وعد إلى؛ فأخرجته الى باب الشام فبعثُ المثقال بأحد وعشرين درهماً ورجعتُ إليه فأخبرته، فقال : اطلب الآن ما شئت؛ قلت : تُفيدني؟ قال : بخمسةائة درهمٍ على ألا تُعلمه أحداً، فأعطيته وكتب لي صفقة فامتحنتها فاذا هي باطلة، فعدتُ إليه، فقيل لي : قد تحوّل وإذا عروة الكوزِ الشبه من ذهبٍ مركبةٌ عليه، والكوز شبه، ولذلك كان يدخلُ إليه من يطلبه ليلاً ليخفي عليه، فانصرفت وعلمت أن الله عز وجل أراد بي خيراً وأن هذا كله باطلٌ .

قال أبو المستهل : دخلت يوماً على سلم واذا بين يديه قراطيس فيها أشعارٌ يرثي بعضها أم جعفر، وبعضها جارية غير مسمّاة، وبعضها أقواماً لم يموتوا، وأم جعفر يومئذ باقية؛ فقلت له : ويحك ما هذا؟ فقال : تحدث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ويستعجلوننا ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد، فنعد لهم هذا قبل كونه، فمتى حدثت حادثة أظهرنا ما قلناه فيه قديماً على أنه قيل في الوقت .

دخل سلم على الرشيد فأنشده : * حَيَّ الأُحِبَّةَ بِالسَّلَامِ * فقال الرشيد : حياهم الله بالسلام؛ فقال سلم : * أَعَلَى وَدَاعِ أُمِّ مَقَامٍ * فقال الرشيد : حياهم الله على أيّ ذلك كان، فأنشده :

لَمْ يَبْقَ مِنْكَ وَمِنْهُمْ * غَيْرُ الْجُلُودِ عَلَى الْعِظَامِ

(١) معور : مخوف . (٢) الشبه : النحاس الأصفر . (٣) البوتقة : الوعاء الذي يذيب فيه الصائغ .

فقال له الرشيد : بَلْ مِنْكَ ، وأمر بإخراجه ، وتطيّر منه ومن قوله ، فلم يسمع منه باقى الشعر ولا أتابه بشيء .

استوهب استحاق الموصلى من الرشيد تركه سلم ، وكان قد مات عن غير وارث ، فوهبها له قبل أن يتسلمها صاحبُ الموارث ، فحصل منها على خمسين ألف دينار ، وروى أنه رُفِعَ الى الرشيد أن سلما قد توفى وخلف مما أخذه منه خاصةً ومن زُبيدة ألف ألف وخمسمائة ألف درهم سوى ما خلفه من عقارٍ وغيره مما اعتقده قديماً ، فقبضه الرشيد وتظلم اليه مواليه من آل أبى بكر الصديق رضوان الله عليه ، فقال : هذا خادمى ونديمى ، والذي خلفه من مالى فأنا أحقُّ به ، فلم يُعْطِهِمْ إلا شيئاً يسيراً من قديم أملاكه .

(١) امتلكه .

٩ - رَبِيعَةُ الرَّقِيِّ^(١)

كان مُنْقَطِعًا عن الحضارة ، بعيدًا عن مجالسة الخلفاء ، فأنجمل ذكره بسبب ذلك ؛ لكنهم كانوا يستقدمونه اليهم . وأول من فعل ذلك المهديُّ ، فدحه ونال جوائزَه ، وكان ابن المعتز يرى ربِيعَةَ أشعرَ غزلاً من أبي نُؤاس ، لأن في غزل أبي نُؤاس بردًا كثيرًا ، وغزل هذا سليمٌ عذب سهل ، ولذلك فإن شهرته بلغت إلى بلاط الخليفة . وكان يمدح غير الخلفاء وينال جوائزهم ويعود إلى بلده ، وإن قصر أحدٌ في إعطائه هجاء ، وله في ذلك حديثٌ مع العباس بن محمد بن علي من أمراء بني العباس .

ومن قوله يمدح يزيد بن حاتم المهلبي ويهجو يزيد بن أسيد السلمى :

حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَشْنُونِيَةِ * يَمِينِ أَمْرِي أَلَى هِهَا غَيْرِ آئِمِ
لَشَتَانِ مَا بَيْنَ الْيَزِيدِيْنَ فِي النَّدَى * يَزِيدِ سُلَيْمٍ وَالْأَعْمَرِ ابْنَ حَاتِمِ
يَزِيدُ سُلَيْمٍ سَالِمُ الْمَالِ ، وَالْفَتَى * أَخُو الْأَزْدِ لِلْأَمْوَالِ غَيْرُ مُسَالِمِ
فَهَمُّ الْفَتَى الْأَزْدِيَّ - إِتْلَافُ مَالِهِ * وَهَمُّ الْفَتَى الْقَيْسِيَّ - جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
فَلَا يَحْسَبُ التَّمَتُّمُ أَتَى هَجْوَتَهُ * وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ

قال رجلٌ لربِيعَةَ : يا أبا أسامة ، ما حملك على أن هجوت رجلاً من قومك وفضلت عليه رجلاً من الأزد؟ فقال : أخبرك ، أملتُ فلم يبق لي إلا داري ، فرهنتها على خمسمائة درهم ، ورحلتُ إليه إلى أرمينية ، فأعلمته بمكاني ومدحتُه ، وأقمتُ عنده حولا ، فوهب لي

(١) هو أبو أسامة ربِيعَةَ بن ثابت من موالى سليم ، ويكنى أبا شباية ، وكان ينزل الرقة ، وبها مولده ومنشؤه ، فأشخصه المهدي إليه ، فدحه بعدة قصائد وأتابه عليها ثوابا كبيرا ، وهو من المكثرين المهجدين ، وكان ضريرا وإنما أنجل ذكره وأسقطه عن طبقته بعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء . ومع ذلك فاعدم مفضلا مقدما له . وتجد أخباره في الأغاني (ج ١٥ ص ٣٨) وخراتة الأدب للبغدادى (ج ٣ ص ٥٥) .

(٢) أى لا استثناء فيها .

(٣) هو يزيد بن أسيد (بضم الهمزة) من بهتة بن سليم ، وأخو الأزدي هو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب .

نعمائة درهم ، فحَمَلْتُ وِصْرْتُ بِهَا إِلَى مَتْرَى ، فَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ كَبِيرُ شَيْءٍ ، فَتَزَلْتُ فِي دَارِ بَيْكْرَاءَ ،
فَقُلْتُ : لَوْ أَتَيْتُ يَزِيدَ بْنَ حَاتِمٍ ، ثُمَّ قُلْتُ : هَذَا ابْنُ عَمِّي فَعَلْ بِي هَذَا الْفَعْلَ فَكَيْفَ بِنَعِيهِ !
ثُمَّ حَمَلْتُ نَفْسِي عَلَى أَنْ آتِيَهُ ، فَأَعْلَمَ بِمَكَانِي ، فَتَرَكَنِي أَشْهَرًا حَتَّى صَحِرْتُ ، فَأَكْرَيْتُ نَفْسِي
مِنَ الْحَمَالِينَ . وَكَتَبْتُ بَيْتًا فِي رُقْعَةٍ فَالْقَيْتُهُ فِي دِهْلِيْزِهِ ، وَالْبَيْتُ :

أَرَانِي وَلَا كُفْرَانَ لِلَّهِ رَاجِعًا * بَخْنِي حُنَيْنٍ مِنْ يَزِيدِ بْنِ حَاتِمٍ

فَوَقَعَتِ الرُّقْعَةُ فِي يَدِ حَاجِبِهِ ، فَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ عِلْمِي وَلَا أَمْرِي ، فَبَعَثَ خَلْفِي ،
فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَالَ : هِيَ أَتَيْتَنِي مَا قُلْتَ ، فَتَمَنَعْتُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَتُنْشِدَنِي ، فَأَنْشِدْتُهُ ،
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا تَرْجِعْ كَذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْزِعُوا خُفِّيهِ ، فَنَزَعَا فَخَشَاهُمَا دَنَايِرَ وَأَمْرًا لِي بِغِلْمَانٍ
وَجَوَارِكُوسِي ، أَلَا تَرَى لِي أَنْ أَمْدَحَ هَذَا وَأَهْجُوَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ ، وَسَارَ شِعْرِي
حَتَّى بَلَغَ الْمَهْدِيَّ ، فَكَانَ سَبَبَ دَخُولِي إِلَيْهِ .

قِيلَ لِأَبِي زَيْدِ النَّحْوِيِّ : إِنْ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : لَا يُقَالُ شَتَانٌ مَا بَيْنَهُمَا ، وَإِنَّمَا يُقَالُ :
شَتَانٌ مَا هُمَا ، وَأَنْشُدْ قَوْلَ الْأَعْمَشِيِّ : * شَتَانٌ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا * فَقَالَ : كَذَبَ الْأَصْمَعِيُّ ،
يُقَالُ : شَتَانٌ مَا هُمَا وَشَتَانٌ مَا بَيْنَهُمَا ، وَأَنْشُدْ لِرَبِيعَةَ الرُّقِيِّ : « لَشَتَانٌ مَا بَيْنَ الْيَزِيدِيِّينَ »
وَفِي آسْتِشْهَادٍ مِثْلَ أَبِي زَيْدٍ عَلَى دَفْعِ قَوْلِ مِثْلِ الْأَصْمَعِيِّ بِشِعْرِ رَبِيعَةَ كِفَايَةً لَهُ فِي تَفْضِيلِهِ .
* أَمْتَدِحَ رَبِيعَةَ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بِقَصِيدَةٍ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا حُسْنًا ، وَهِيَ طَوِيلَةٌ ،
يَقُولُ فِيهَا :

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا بْنَ مُحَمَّدٍ * قُلْ « لَا » وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ مَا قَالَهَا

مَا إِنْ أَعَدُّ مِنَ الْمَكَارِمِ خَصْلَةً * إِلَّا وَجَدْتُكَ عَمَّهَا أَوْ خَالَهَا

وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَايَرُوا فِي بَلَدِهِ * كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكَانَتْ هَالِكًا

إِنْ الْمَكَارِمَ لَمْ تَزَلْ مَعْقُولَةً * حَتَّى حَلَمْتَ بِرَاحَتِكَ عِقَالَهَا

فَبَعَثَ إِلَيْهِ بَدِينَارَيْنِ ، وَكَانَ يَقْتَدِرُ فِيهِ أَلْفَيْنِ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الدِّينَارَيْنِ كَادَ يُزَيِّنُ غَيْظًا
وَقَالَ لِلرُّسُولِ : خُذْ هَذَيْنِ الدِّينَارَيْنِ فَهَمَّا لَكَ عَلَى أَنْ تَرُدَّ الرُّقْعَةَ إِلَيَّ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي
الْعَبَّاسُ ، فَفَعَلَ الرُّسُولُ ذَلِكَ ، فَأَخَذَهَا رَبِيعَةُ وَأَمَرَ مِنْ كَتَبَ فِي ظَهْرِهَا :

مدحتك مدحة سيف المحلى * لتجري في الكرام كما جريت
 فهبها مدحة ذهب ضياعاً * كذبت عليك فيها وأفريت
 فانت المرء ليس له وفاء * كأني إن مدحتك قد زنت

ثم دفعها الى الرسول وقال : ضعتها في الموضع الذي أخذتها منه ، فردها الرسول ؛ فلما كان من الغد أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الأبيات غضب وقام من وقته فركب إلى الرشيد ، وكان أثيراً عنده يبجله ويقدمه ، وكان قد هم أن يحطب اليه ابنته ، فرأى الكراهة في وجهه ، فقال : ما شأنك ؟ فقال : هجاني ربعة الرقي ، فأحضر ، فقال له الرشيد : تهجو عمي وآثر الخلق عندي ؟ لقد هممت أن أضرب عنقك ، فقال : والله يا أمير المؤمنين لقد مدحتك بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت في الثناء وأكثرت في الوصف ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمره بإحضارها ! فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه وأحب أن ينظر الى القصيدة ، فأمر العباس بإحضار الرقعة ، فتلكأ عليه العباس ، فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين إلا أمرت بإحضارها ، فعمل العباس أنه قد أخطأ وغلط ، فأمر بإحضارها ، فأحضرت ، فأخذها الرشيد وإذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها وأستجدها وأعجب بها وقال : والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها ، لقد صدق ربعة وبرا ؛ ثم قال للعباس : بم أثبتت عليها ؟ فسكت العباس وتغير لونه وجرى ريقه ، فقال ربعة : أتابني عليها يا أمير المؤمنين بدينارين ، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة على العباس ، فقال : بجاتي يا رقي بكم أتابك ؟ قال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أتابني عليها إلا بدينارين ، فغضب الرشيد غضباً شديداً ونظر في وجه العباس وقال : سوءة لك ! أي حال قعدت بك عن إتابته ؟ الأموال ؟ فوالله لقد مؤلتك جهدي ، أم أقطع المادّة عنك ؟ فوالله ما أقطعك ، أم أصلك ؟ فهو الأصل لا يداينيه شيء ، أم نفسك فعلت ذلك بك حتى فصحت آباءك وأجدادك وفضحتني

(١) أثيراً : مكرماً . (٢) جرض ريقه : ابتلعه بالجهد على هم وحزن .

وَنَفْسِكَ؟ فَتَكْسَ الْعَبَّاسُ رَأْسَهُ وَلَمْ يَنْطِقْ، فَقَالَ الرَّشِيدُ: يَا غَلَامُ، أُعْطِيَ رِبْعَةَ ثَلَاثِينَ
أَلْفَ دَرَاهِمٍ وَخِزْلَةً وَأَحْمَلَهُ عَلَى بَغْلَةٍ؛ فَلَمَّا حَمَلَ الْمَالَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَلْبَسَ الْخُلَاعَةَ قَالَ: بِحَيَاتِي
يَارِيقُ لَا تَذْكُرْهُ فِي شِعْرِكَ لَا تَعْرِضْهُ وَلَا تَصْرِيحًا، وَقَتَرَ الرَّشِيدُ عَمَّا كَانَ هَمُّهُ بِهِ أَنْ يَتَرَوَّجَ
إِلَيْهِ، وَظَهَرَ لَهُ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ جَفَاءً كَثِيرًا وَأَطْرَاحَ لَهُ .

قال أبو بشر: كنتُ حاضراً ربيعة الرقي يوماً وجاءته امرأة فتالت: تقول لك فلانة
إن بنت مولاى محومة فإن كنت تعرف لها عوذة^(١) فافعل، فقال آكُتُب لها أبا بشر هذه
العوذة:

تُقُوا تَقُوا بِأَسْمِ إلهى الذى * لا يعرض السُّتَمَ لمن قد شفى
أُعِيدُ مَوْلَاتِي وَمَوْلَاتِهَا * وَأَبْتَهَا بِعَوْدَةِ الْمُصْطَفَى
من شراً ما يعرض من علة * فى الصبح والليل إذا أسدفا

فقلتُ له: يا أبا ثابت، لستُ أحسنُ أن آكُتُبَ تَقُوا تَقُوا، فكيف أكتبها؟ قال
أنضح المِدادَ من رأسِ القلمِ فى موضعين حتى يكون كالنُفثِ^(٢)، وأدفع العوذة إليها فإنها
نافعة، ففعلتُ ودفعتها إليها، فلم تلبث أن جاءت الجاريةُ وهى لا تتمالك صحكاً، فقالت له:
يا مجنون ما فعلت بنا! كدنا نفتضح بما صنعت! قال: فما أصنع! أشاعرُ أنا أم صاحب
تعاويد!

وأتفق للزقي أيضاً مثل ذلك مع معن بن زائدة، وقد لقيه فى بعض قداماته إلى العراق،
فدحه، فلم يهش له، فهجاه بقصيدة مطلعها:

معنُ يا معنُ يابنُ زائدة الكَلْبِ الذى فى الذراع لا فى البنانِ
لا تُفأخِرْ إذا نُفخرتَ بأبا * إكْ وَأَنْخَرِ بَعْمَكَ الحَوْفِرَانِ^(٣)

(١) العوذة: الرقية. رقى بها الانسان من فزع أو جنون أو مرض . (٢) النفث البصاق اليسير ينفثه
الراقى فى العقدة عند الرقية .

(٣) الحوفزان هو الحسارت بن شريك الشيباني، سمى بذلك لأن قيس بن عاصم التميمي حفزه بالرح حين خاف
أن يفوته، وقد نخر بذلك سوار بن حبان المنقري فقال:

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * سقته نجيعاً من دم الجوف أشكلا

ومن غزله أبياتٌ يُغنيُّ بها، وهي :
 وترعمُ أتى قد تبدلتُ خُلَّةً^(١) * سيواها وهذا الباطلُ المتَقَوِّلُ
 لآ الله من باع الصديقَ بغيره * فقالت نعم حاشاك إن تكُ تفعلُ
 ستصيرمُ إنسانا إذا ما صرمتني * بحبك فأنظر بعده من تبدل

(١) الخلة : الخلية .

١٠ - الرقاشي^(١)

كان سهّل الشعر مطبوعاً ، وكان مُنْقَطِعاً إلى آل برمك ، مُسْتَعْنِياً بهم عن سواهم ، وكانوا يَصُولون به على الشعراء ، ويُرَوِّون أولادهم أشعاره ، ويُدَوِّنونها القليل والكثير منها ، تَعْصَباً له ، وَحِفْظاً لخدمته ، وتَوْبِيهاً باسمه ، وتَحْرِيكاً لِنشاطه ، فَحَفِظَ ذلك لهم . فلما نُكِبوا صار إليهم في حبسهم ، فأقام معهم مدة أيامهم يُنْشِدُهم ويُسَامِرهم حتى ماتوا ، ثم رثاهم فأكثر من رثائهم ، فمن ذلك قوله في جعفر :

كَمْ هَاتَيْفٍ بكَ مِنْ بَاكِ وَبَاكِئَةٍ * يَا طِيبَ اللَّضِيفِ إِذْ تُدْعَى وَالجَّارِ
إِنْ يُعَدَمَ القَطْرُ كُنْتَ المَزْنَ بَارِقَهُ * لَمَعُ الدَّنَائِرِ لَا مَا خَيْلَ السَّارِ

وقوله :

لَعَمْرُكَ مَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الفَتَى * إِذَا لَمْ تُصِبهْ فِي الحَيَاةِ المَعَارِ^(٢)
وَمَا أَحَدٌ حَىَّ وَإِنْ كَانَ سَالِمًا * بِأَسْلَمَ مِمَّا غَيَّبَتْهُ المَقَابِرُ
وَمَنْ كَانَ مِمَّا يُحَدِّثُ الدَّهْرُ جَازِعًا * فَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ يَرَى وَهُوَ صَابِرُ
وَلَيْسَ لَذَى عَيْشٍ عَنِ المَوْتِ مُقَصَّرٌ * وَلَيْسَ عَلَى الأَيَّامِ وَالدَّهْرِ غَابِرُ
وَكَلُّ شَبَابٍ أَوْ جَدِيدٍ إِلَى البَلَى * وَكَلُّ أَمْرٍ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ صَابِرُ
فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ عَنِّي جَعْفَرًا * بِرُوحِي وَلَوْ دَارَتْ عَلَى الدَّوَابِرُ
فَأَلَيْتُ لَا أَنْفَكُ أَبْيَكُ مَا دَعَتْ * عَلَى فَنَنِ وَرَقَاءٍ أَوْ طَارَ طَائِرُ

ومن ذلك قوله لما صُلب الفضل بن يحيى وأجتاز به الرقاشي وهو مصلوبٌ على

الجُدْع ، فوقف يبكي ثم قال :

(١) هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش ، وهو من أهل البصرة . توفى سنة ٢٠٠ هـ . وتجد ترجمته

في الأغاني (ج ١٥ ص ٣٥) وروفيات الوفيات (ج ٢ ص ١٢٥) والشعر والشعراء (ص ٥١٥) .

(٢) المعابر : المعايير .

أما والله لولا خَوْفُ وَاِشٍ * وَعَيْنٌ لِلخَلِيفَةِ لَا تَتَّامُ
 أَطْفَنًا حَوْلَ جِذَعِكَ وَأَسْتَلَمْنَا * كَمَا لِلنَّاسِ بِالْحَجَرِ أَسْتَلَامُ
 فَمَا أَبْصَرْتُ قَبْلَكَ يَا بَنَ يَحْيَى * حُسَامًا حَفَفَهُ السِّيفُ الحُسَامُ
 عَلَى اللِّدَاتِ وَالدُّنْيَا جَمِيعًا * وَدَوْلَةَ آلِ بَرْمَكٍ السَّلَامُ

فكتب أهل الأخبار بذلك إلى الرشيد، فأحضره فقال: ما حملك على ما قلت؟ فقال:
 يا أمير المؤمنين كان إلى محسناً، فلما رأيته على الحال التي هو عليها حررتني إحسانه فما ملكت
 نفسي حتى قلت الذي قلته؛ قال: ولم كان يُجرى عليك؟ قال: ألف دينار في كل سنة،
 قال: إنا قد أضعفناها لك.

ومن قوله يَصِفُ جَارِيَةً:

صِفَاتٌ وَحُسْنُ أَوْزَانِ القَلْبِ لَوْعَةٌ * تَضَرَّمُ فِي أَحْشَاءِ قَلْبٍ مُتِيمٍ
 تُمَثِّلُهُ نَفْسِي أَمِينِي فَأَنْتَنِي * عَلَيْهَا بَطْرَفُ النَّاطِرِ المَتِيمِ
 يُجْمَلُنِي حُبِّي لَهَا فَوْقَ طَافَتِي * مِنْ الشُّوقِ دَابَّ الخَائِرِ المَتَقِيمِ

١١ - أبو العتاهية^(١)

قال أحمد بن زهير : سمعت مصعب بن عبد الله يقول : أبو العتاهية أشعر الناس ،
فقلت له : بأى شيء استحق ذلك عندك ؟ فقال بقوله :

تعلقتُ بآمالٍ * طِوَالِ أَىِّ آمَالٍ
وأقبلتُ على الدنيا * مُلِحًا أَىِّ إِبْقَالٍ
أيا هذا تَجَهَّزًا * بِفِرَاقِ الأَهْلِ وَالمَالِ
فلا بد من الموت * على حال من الحال

ثم قال مصعب : هذا كلام سهل حق لا حشو فيه ولا نقصان ، يعرفه العاقل ويقتر به
الجاهل . وكان الأصمعي يستحسن قوله :

(١) هو أبو إسحاق اسماعيل بن القاسم بن سويد ، أطبع أهل زمانه شعرا وأكثرهم قولاً وأسهلهم لفظاً ،
وأمرهم بديهة وأرتجالاً ، وأقول من فتح للشعراء باب الوعظ والتزهيد في الدنيا والنهي عن الاعتزاز بها ، وأكثر
من الحكمة .

ولد بعين التمر سنة ١٣٠ هـ ونشأ بالكوفة في عمل أهله . وكانوا باعة جرار ، إلا أنه ربا بنفسه عن عمله وقال
الشعر في صباه وامتزج بلحمه ودمه حتى صار كما قال هو عن نفسه «لوشئت أن أجعل كلامي كله شعرا لفعلت»
فذاع صيته وسلك طريق خلفاء الكوفة . ثم قدم بغداد ومدح المهدي وتعرف ببعض خدام قصر الخلافة
وحواره فتعشق منهن فتاة تدعى عتبة ، ولما نكس منها لها عنها بعض الشيء . ودرس كثيراً من مذاهب المتكلمين
والشيعة والجبرية والزهاد فكان يسلك كل مذهب منها مدة ثم ينتقل عنه إلى الآخر حتى اختار له من كل ذلك
عقيدة مختلطة أفضت به إلى العبادة والزهد في الدنيا قولاً ومعيشة على إفراط منه في حب المال واجمع له
واليلخل به على الأهل والولد والخدم .

ولم يأت عصر الرشيد حتى أصرب عن الغزل وقصر قوله على الزهد في الدنيا والتذكير بالموت وأحواله ، وهو في خلال
ذلك يمدح الخليفة وملوك الدولة يأخذ جوائزهم ، ثم عرضت له حال امتنع فيها عن قول الشعر البتة حتى حبسه الرشيد
لعدم تلبية ما اقترحه عليه من القول فيه ثم أطلقه بعد أن أجاب طلبه ، وعاد إلى قول الشعر على عادته فيه وترك الغزل
والهجاء ، وبقى على ذلك مدة الرشيد والأمين وأكثر أيام المأمون . توفي سنة ٢١١ هـ .

وله ديوان مطبوع في بيروت سنة ١٨٨٧ وتجدد أخباره في الأغاني ج ٣ ص ١٢٦ وج ٦ ص ١٨٦
وج ٨ ص ٢٤ وابن خلكان ج ١ ص ٧١ وطبقات الشعراء ص ٩٧ والفهرست ص ١٦٠ .

أنت ما استغنيت عن صا * حيك الدهر أخوه
فاذا آحتجت إليه * ساعة بجحك فوه

وأنشد له سلم الخائبر :

سكن يبق له سكن * ما بهذا يؤذن الزمن
نحن في دار يخبرنا * بيلاها ناطق ليس
دار سوء لم يدم فرح * لأمرىء فيها ولا حزن
في سبيل الله أنفُسنا * كلنا بالموت مُرتهن
كل نفس عند ميتهها * حظها من مالها الكفن
إن مال المرء ليس له * منه إلا ذكره الحسن

وقال عبد الله بن عبد العزيز العمري : أشعر الناس أبو العتاهية حيث يقول :

ما ضرت من جعل التراب مهاده * ألا ينام على الحرير إذا قنع

وقيل لأبي العتاهية : كيف تقول الشعر؟ قال : ما أردته قط إلا مثل لي ، فأقول
ما أريد وأترك ما لا أريد . وكان يقول : لو شئت أن أجعل كلامي شعرا كله لفعلت .

حم الرشيد فصار أبو العتاهية الى الفضل بن الربيع برقة فيها :

لو علم الناس كيف أنت لهم * ماتوا اذا ما آيت أجمعهم
خليفة الله أنت ترشح بالنا * س اذا ما وزنت أنت وهم
قد علم الناس أن وجهك يغ * نى اذا ما رآه معدمهم

فأنشدها الفضل بن الربيع الرشيد ، فأمر بإحضار أبي العتاهية ، فما زال يسامره ويحدثه
الى أن برى ، ووصل اليه بذلك السبب مأل جليل . وقد حدث ابن الأعرابي بهذا
الحديث ، فقال له رجل بالمجلس : ما هذا الشعر بمستحق لما قلت ؟ قال : ولم ؟ قال :
لأنه ضعيف ؛ فقال ابن الأعرابي ، وكان أحد الناس ، الضعيف والله عقلك لا شعر

أبي العتاهية، الأبي العتاهية تقول إنه ضعيف الشعر! فوالله ما رأيتُ شاعراً قطّ أطبع ولا أقدر على بيت منه، وما أحسب مذهبه إلا ضرباً من السحر؛ ثم أنشد له :

قَطَّعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ * وَحَطَّطْتُ عَنْ ظَهْرِ الْمَطَى رِحَالِي
وَيَسْتُ أَنْ أَبْقَى لَشَيْءٍ نِلْتُ مِمَّ * مَا فِيكَ يَا دُنْيَا وَأَنْ يَبْقَى لِي
فَوَجَدْتُ بَرْدَ الْيَأْسِ بَيْنَ جَوَانِحِي * وَأَرْحْتُ مِنْ حَلٍّ وَمِنْ تَرْحَالِ
يَأْسِيهَا الْبِطْرُ الَّذِي هُوَ مِنْ غَدٍ * فِي قَبْرِهِ مَتَمَزَّقَ الْأَوْصَالِ
حَدَفَ الْمُنَى عَنْهُ الْمُشَمَّرُ فِي الْهَدَى * وَأَرَى مِنْكَ طَوِيلَةَ الْأَذْيَالِ
حَيْلُ ابْنِ آدَمَ فِي الْأُمُورِ كَثِيرَةٌ * وَالْمَوْتُ يَقْطَعُ حَيْلَةَ الْمُحْتَالِ
مَالِي أَرَاكَ لِحَزِّ وَجْهِكَ مُحَلِّقًا * أَخْلَقْتِ يَا دُنْيَا وَجُوهَ رِجَالِ
قَسَيْتُ السُّؤَالَ فَكَانَ أَعْظَمَ قِيَمَةً * مِنْ كُلِّ عَارِفَةٍ جَرَتْ بِسُؤَالِ
فَإِذَا أَبْتَلَيْتَ بِنَدْلِ وَجْهِكَ سَائِلًا * فَابْذُلْهُ لِلتَّكْرَمِ الْمِفْضَالِ
وَإِذَا خَشِيتَ تَعَدُّرًا فِي بَلَدَةٍ * فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرْحَالِ
وَأَصْبِرْ عَلَى غَيْرِ الزَّمَانِ فَإِنَّمَا * فَرَجُ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلِّ عَقَالِ

ثم قال للرجل : هل تعرف أحداً يُحسِنُ أن يقول مثل هذا الشعر؟ فقال له الرجل :
يا أبا عبد الله، جعلني الله فداءك، إني لم أزد عليك ما قلت، ولكن الزهد مذهبُ
أبي العتاهية، وشعره في المديح ليس كشعره في الزهد؛ فقال: أفليس الذي يقول في المديح:

وَهَارُونَ مَاءُ الْمَزْنِ يَشْفِي مِنَ الصَّدَى * إِذَا مَا الصَّيْدِي بِالرِّيقِ غَعَصَتْ حَنَابِرُهُ
وَأَوْسَطُ بَيْتٍ فِي قَرِيشٍ لَبِيئُهُ * وَأَوَّلُ عَمْرٍ فِي قَرِيشٍ وَآخِرُهُ
وَرَحْفٌ لَهُ تَحْكِي الْبُرُوقِ سَيُوفُهُ * وَتَحْكِي الرُّعُودَ الْقَاصِيفَاتِ حَوَافِرُهُ
إِذَا حَمِيَتْ شَمْسُ النَّهَارِ تَضَا حَكَّتْ * إِلَى الشَّمْسِ فِيهِ بَيْضُهُ وَمَعَا فِرُهُ
إِذَا نَكَبَ الْإِسْلَامُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ * فَهَارُونَ مِنْ بَيْنِ الْبَرِيَّةِ نَائِرُهُ
وَمَنْ ذَابِقُوتِ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ مُدْرِكٌ * كَذَا لَمْ يَفْتِ هَارُونَ ضِدُّ يَنَافِرُهُ

فتخلص الرجل من شرّ ابن الأعرابي بأن قال له : القول كما قلت ، وما كنت سمعت له مثل هذين الشعرين ، وكتبهما عنه .

قال مُثَمَّمة بن أُشْرَس أنشدني أبو العتاهية :

إذا المرء لم يُعْتِقْ من المال نفسه * تملكه المأل الذي هو مالكة

ألا إنما مالى الذى أنا مُنْفِقُ * وليس لِى المأل الذى أنا تاركه

إذا كنت ذا مال فبادر به الذى * يَحِقُّ وإلا آستهلكته مهالكه

فقلت له : من أين قضيت بهذا؟ فقال : من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنما لك من مالك ما أكلت فأفريت أو لبست فألبيت أو تصدقت فأمضيت" . فقلت له : أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه الحق؟ قال : نعم ، قلت : فلم تحبس عندك سبعا وعشرين بدرة في دارك ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكى ولا تقدمها ذنرا ليوم فقرك وفاقيتك؟ فقال : يا أبا معن ، والله إن ما قلت لهو الحق ، ولكنى أخاف الفقر والحاجة إلى الناس ، فقلت : ويم تزيد حال من أفقر على حالك وأنت دائم الحرص ، دائم الجمع ، شحيح على نفسك ، لا تسترى اللحم إلا من عيد إلى عيد؟ فترك جواب كلامي كله ، ثم قال لى : والله لقد اشتريت في يوم تأشوراء لحما وتوابعه وما يتبعه بخمسة دراهم ، فلما قال هذا القول أضحكني حتى أذهلني عن جوابه ومعاتبته ، فأمسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للإسلام .

زار مرة عمرو بن مسعدة فحجب عنه ، فلزم منزله ، فاستبطاه عمرو ، فكتب إليه :

كسلى الياأس عنك فما أرى * فع طرقي اليك من كسلى

إني إذا لم يكن أنى ثقة * قطعت منه حبالل الأمل

وكتب إليه مرة أخرى :

مالك قد حلت عن إخائك وآس * تبدأت يا عمرو شيمة كدره

إني إذا الباب تاه حاجبه * لم يك عندى في هجره نظره^(١)

(١) النظرة : التأخير والإمهال .

لستم تُرَجَّوْنَ للحساب ولا * يوم تكون السماء مُنْفَطِرَةً
 لكن لنديا كالظل بهجتها * سريرة الإقضاء مُذْمَرَةٌ
 قد كان وجهي لديك معرفة * فاليسوم أضى حرفاً من النكرة

جاس المهدي للشعراء يوماً فأذن لهم، وفيهم بشار وأشجع، وكان أشجع يأخذ عن بشار
 ويعظمه، وكان في القوم غير هذين أبو العتاهية، قال أشجع: فلما سمع بشار كلام أبي العتاهية
 قال: يا أخا سليم، أهدنا ذلك الكوفي الملقب؟ قلت: نعم، قال: لا جرى الله خيراً من
 جمعنا معه؛ ثم قال له المهدي: أنشد، فقال: ويحك! أو يُستشد أيضاً قبلنا؟ فقلت:
 قد ترى، فأشيد:

ألا ما لسيدتي ما لها * أدلاً فأحيل إدلالها
 وإلا ففيم تجنت وما * جنيت سقى الله أطلالها
 ألا إن جارية للإما * م قد أسكن الحسن سر بالها
 مشت بين حورٍ قصار الخطا * تجاذب في المشي أكفالها
 وقد أتعب الله نفسي بها * وأتعب باليوم عدالها

فقال بشار لأشجع: ويحك يا أخا سليم! ما أدري من أي أمرية أعجب، أمن ضعف شعره
 أم من تشبيهه بجارية الخليفة وهو يسمع ذلك بأذنه؟ حتى أتى على قوله:

أنته الخليفة مُنْقَادَةٌ * إليه تُجَرَّرُ أذيالها
 فلم تك تصلح إلا له * ولم يك يصلح إلا لها
 ولو رامها أحد غيره * لزلزلت الأرض زلزالها
 ولو لم تطعمه بنات القلوب * لما قيل الله أعمالها
 وإن الخليفة من بغض "لأ" * إليه ليُبغض من قالها

فقال بشار لأشجع وقد آهت طرباً: ويحك يا أخا سليم، أترى الخليفة لم يطرح فراشه
 طرباً لما يأتي به هذا الكوفي!

ولما آتته منصور بن عمار بالزندقة، لأنه لا يذكر في شعره الجنة والنار وإنما يذكر الموت، قال فيه :

يا وأعظ الناس قد أصبحت متهما * إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
كالمليس الثوب من عرى وعورته * للناس بادية ما إن يوارىها
فأعظم الإثم بعد الشرك نعامه * في كل نفس عمّاها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها * منهم ولا تبصر العيب الذي فيها

وقيل له : زعم الناس أنك زنديق، فقال : والله ما ديني إلا التوحيد ، ف قيل له قل شيئا يتحدث به عنك ، فقال :

ألا إتنا كلنا بائد * وأى بنى آدم خالد
وبدوهم كان من ربهم * وكل إلى ربه عائد
فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يحجده الجاحد
وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

وسمع الجاحظ مرة من ينشد أرجوزة أبي العاتية التي سماها "ذوات الأمثال" حتى أتى على قوله :

بالشباب المرح التصابي * روائح الجنة في الشباب

فقال للنشد : قف، ثم قال : أنظروا إلى قوله : «روائح الجنة في الشباب» فإن له معنى كعنى الطرب لا يقدر على معرفته إلا القلوب، وتعجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدامة التفكير، وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه . وهذه الأرجوزة من بدائع أبي العاتية، ويقال : إن فيها أربعة آلاف مثل ، منها قوله :

حسبك مما تبغيه القوت * ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا * من أتى الله رجاً وخافا
هي المقادير فلمني أو قدر * إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر

لِكُلِّ مَا يُؤْدِي وَإِنْ قَلَّ أَلَمْ * مَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ عَلَى مَنْ لَمْ يَنْمَ
مَا آتَفَعَ الْمَرْءُ بِمَثَلِ عَقْلِهِ * وَخَيْرُ ذُنُوحِ الْمَرْءِ حُسْنُ فِعْلِهِ
إِنَّ الْفَسَادَ ضِدَّهُ الصَّلَاحُ * وَرَبُّ جَدِّ جَرَهُ الْمُزَاحُ
مَنْ جَعَلَ التَّمَامَ عَيْنًا هَلَكَا * مُبْلِغُكَ الشَّرَّ بَكَائِهِ لَكَ
إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاقَ وَالْجِدَّةَ * مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَى مَفْسَدَهُ
يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ فَيْحٍ تَرْكُهُ * يَبَيِّنُ الرَّأْيَ الْأَصِيلَ شَكُّهُ
مَا عَيْشٌ مَنْ آفَتْهُ بَقَاؤُهُ * نَقَصَ عَيْشًا كَلَّهُ فَنَاؤُهُ
يَارُبُّ مَنْ أَسْخَطْنَا بِجَهْدِهِ * قَدْ سَرَّنَا اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ
مَا تَطَّلَعَ الشَّمْسُ وَلَا تَغَيَّبُ * إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنُهُ عَجِيبُ
لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرُ * وَأَوْسَطُ وَأَصْغَرُ وَأَكْبَرُ
مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَكُلُّ مُتَرَجِّجٍ * وَسَاوِسٌ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَعْتَلِجُ
وَكُلُّ شَيْءٍ لِأَحَقُّ بِجَوْهَرِهِ * أَصْغَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهِ
مَا زَالَتِ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَدَى * مَمْزُوجَةَ الصَّفْوِ بِالْوَانِ الْقَدَى
الْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِهَا أَزْوَاجُ * لِذَا نِتَاجُ وَلِذَا نِتَاجُ
مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَبِلسِ مَحْضٍ * يَجُوبُ بَعْضُ وَيَطِيبُ بَعْضُ
لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَبِيعَتَانِ * خَيْرٌ وَشَرٌّ وَهُمَا ضِدَّانِ
إِنَّكَ لَوْ تَسْتَشِيقُ الشَّحِيحَا * وَجَدْتَهُ أَتَى شَيْءٌ رِيحَا
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُدَا * بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جَدَا
عَجِبْتُ حَتَّى تَعْمَى السُّكُوتُ * صِرْتُ كَأَنِّي حَائِرٌ مَبْهُوتُ
كَذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ * الصَّمْتُ إِنْ صَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

ومن قول أبي العتاهية في الوحدة والتبؤم بالناس :

بَرِمْتُ بالناس وأخلاقهم * فَصِرْتُ أَسْتَأْنِسُ بِالْوَحْدَةِ

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لِعَمْرِي وَمَا * أَقْلَهُمْ فِي حَاصِلِ الْعِدَّةِ

قال الأصمعيّ : شِعْرُ أَبِي الْعِتَاهِيَةِ كَسَاحَةِ الْمَلُوكِ ، يَقَعُ فِيهَا الْجَوْهَرُ وَالذَّهَبُ وَالتَّرَابُ

وَالخَزْفُ وَالتَّوَى .

كان أبو العتاهية لا يفارق الرشيد في سفر ولا حضر إلا في طريق الحج ، وكان يُجْرَى عليه في كلِّ سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعان ، فلما قَدِمَ الرَّشِيدُ الرَّقَّةَ لَيْسَ أَبُو الْعِتَاهِيَةِ الصُّوفَ وَتَزَهَّدَ ، وَتَرَكَ حَضُورَ الْمُنَادِمَةِ وَالْقَوْلَ فِي الْغَزْلِ ، وَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِجَبْسِهِ خُبَيْسَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ وَقْتِهِ :

أَنَا الْيَوْمَ لِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَشْهَرُ * يَرُوحُ عَلَيَّ الْهَمُّ مِنْكُمْ وَيَبْكُ

تَذَكَّرَ أَمِينَ اللَّهِ حَقِّي وَحُرْمَتِي * وَمَا كُنْتُ تُؤَلِّينِي كَذَلِكَ يُدَكِّرُ

لِيَالِي تُدْنِي مِنْكَ بِالْقُرْبِ مَجْلِسِي * وَوَجْهُكَ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَةِ يَقْطُرُ

فَمَنْ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً * إِلَيْهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ

فلما قرأ الرشيد الأبيات قال : قولوا له : لا بأس عليك ؛ فكتب إليه :

أَرِقْتُ وَطَارَ عَنِ الْعَيْنِ النَّعَاسُ * وَنَامَ السَّامِرُونَ وَلَمْ يُؤَاسُوا

أَمِينَ اللَّهِ أَمْنُكَ خَيْرُ أَمْرٍ * عَلَيْكَ مِنَ التَّقَى فِيهِ لِبَاسُ

كُتَّاسُ مِنَ الْعَمَاءِ بِكُلِّ بَرٍّ * وَأَنْتَ بِهِ تَسْوَسُ كَمَا تُسَاسُ

كَأَنَّ الْخَلْقَ رَكِبَ فِيهِ رُوحٌ * لَهُ جَسَدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ رَاسُ

أَمِينَ اللَّهِ إِنْ الْحَبْسُ بَاسٌ * وَقَدْ أُرْسَلْتَ : لَيْسَ عَلَيْكَ بَاسُ

وكتب إليه أيضا في الحبس :

وَكَلَّفْتَنِي مَا حَلَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ * وَقَلْتُ سَابِغِي مَا تُرِيدُ وَمَا تَهْوَى

فَلَوْ كَانَ لِي قَلْبَانُ كَلَّفْتُ وَاحِدًا * هَوَاكَ وَكَلَّفْتُ الْخَلْقَ لِمَا يَهْوَى

فأمر بإطلاقه .

كان الهادي واجدا على أبي العتاهية ملازمته أخاه هارون في خلافة المهدي، فلما ولي موسى الخلافة قال أبو العتاهية بمدحه :

يَضْطَرِبُ الخَوْفُ والرَّجَاءُ إِذَا * حَرَّكَ موسى القَضِيبَ أَوْ فَكَرَّ
 مَا أَيْبِنَ الفَضْلَ فِي مَغِيبٍ وَمَا * أَوْرَدَ مِنْ رَأْيِهِ وَمَا أُصْدَرَ
 فَكَمْ تَرَى عَزَّ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ * مَعَشِيرِ قَوْمٍ وَذَلَّ مِنْ مَعَشِرِ
 يُخْمَرُ مِنْ مَسِّهِ القَضِيبُ وَلَوْ * يَمْسُهُ غَيْرُهُ لَمَا أُمِّرَ
 مِنْ مِثْلِ موسى وَمِثْلِ والدهِ الـ * مَهْدِيِّ أَوْ جَدِّهِ أَبِي جَعْفَرِ

فرضى عنه . فلما دخل عليه أنشده :

لَهْفِي عَلَى الزَّمَنِ القَصِيرِ * بَيْنَ الخَوْرِقِ والسَّيْرِ
 إِذْ نَحْنُ فِي غُرْفِ الحِنَا * أَنْ نَعُومَ فِي بَحْرِ السَّرُورِ
 فِي فِتْيَةٍ مَلَكُوا عِنَا * نَ الدَّهْرِ أَمْثَالِ الصُّقُورِ
 مَا مِنْهُمْ إِلَّا الجَسُورُ * رُ عَلَى الهَوَى غَيْرِ الحُصُورِ
 يَتَعَاورُونَ مُدَامَةً * صَهْبَاءَ مِنْ حَلَبِ العَصِيرِ
 عَذْرَاءَ رَبَّهَا شُوعَا * عِ الشَّمْسِ فِي حَرِّ المَجِيرِ
 لَمْ تَدْنِ مِنْ نَارٍ وَلَمْ * يَتَلَقَّ بِهَا وَضْرُ القَدُورِ
 وَمُقَرَّطِقِي يَمْشِي أَمَا * مِ القَوْمِ كَالرَّشَا الغَرِيرِ
 بِزِجَاجَةٍ تَسْتَخْرِجُ الـ * سِرَّ الدِّينِ مِنَ الضَّمِيرِ
 زَهْرَاءَ مِثْلِ الكَوْكَبِ الـ * دُرِّيِّ فِي كَفِّ المُنِيرِ
 تَدَعُ الكَرِيمَ وَلَيْسَ يَدُ * رِي مَا قَيْسِلُ مِنْ دَبِيرِ
 وَمُحْصَرَاتٍ زُرْنَتَا * بَعْدَ الهَدُوقِ مِنَ الخُدُورِ
 رِيًّا رَوَادِفِهِنَّ يَدُ * بَسْنِ الخَوَاتِمِ فِي الخُصُورِ
 غَمَّرَ الوجوهَ مُحَجَّجَا * تِ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ حُورِ

مُتَّعَمَاتٍ فِي النَّعْمِ * يَمِ مَضْمَعَاتٍ بِالْعَبِيرِ
 يَرْفُلُنَ فِي حُلِّ الْمَحَا * سَنَ وَالْمَجَاسِدِ وَالْحَرِيرِ
 مَا إِنْ يَرَيْنَ الشَّمْسَ إِلَّا * الْقُرْطُ مِنْ خَلِّ السُّتُورِ
 وَالِي أَمِينِ اللَّهِ مَهْمَا * رَبُّنَا مِنَ الدَّهْرِ الْعَثُورِ
 وَإِلَيْهِ أَتَعَبْنَا الْمَطَا * يَا بِالرَّوَّاحِ وَالْبُكُورِ
 صُعْرَ الْخُدُودِ كَأَنَّمَا * جُنْحُنَ أَجْنَحَةَ النُّسُورِ
 مُتَسَرِّبَاتٍ بِالظُّلَا * مِ عَلَى السُّهُولَةِ وَالْوُوعُورِ
 حَتَّى وَصَلْنَا بِنَا إِلَى * رَبِّ الْمَدَائِنِ وَالْقُصُورِ
 مَا زَالَ قَبْلَ فِطَامِهِ * فِي سِنِّ مُكْتَهَلٍ كَبِيرِ

استنشد المأمون أحسن ما قال في الموت فأنشده :

أُنْسَاكَ مَحْيَاكَ أَمَّاتَا * فَطَلَبْتَ فِي الدُّنْيَا الثَّبَاتَا
 أَوْثَقْتَ بِالدُّنْيَا وَأَزْ * تَ تَرَى جَمَاعَتَهَا شَتَاتَا
 وَعَزَمْتَ مِنْكَ عَلَى الْحَيَا * ةَ وَطَوَّلَهَا عَزْمًا بَتَاتَا
 يَا مَنْ رَأَى أَبُوَيْهِ فِيهِ * حَنْ قَدْ رَأَى كَانَا فَمَاتَا
 هَلْ فِيهِمَا لَكَ عِبْرَةٌ * أَمْ خِلْتَ أَنَّ لَكَ أَنْفِلَاتَا
 وَمَنْ الَّذِي طَلَبَ التَّفَقُّدَ * تَ مِنْ مَنِيَّتِهِ فَفَاتَا
 كُلُّ نَصَبٍ مَنِذِرٌ * يُؤْتِي أَوْ تَبِيَّتِهِ بَيَاتَا

دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده :

مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَهَا * إِذَا أَطَاعَ اللَّهُ مَنْ نَالَهَا
 مَنْ لَمْ يُؤَاسِرِ النَّاسَ مِنْ فَضْلِهَا * عَرَّضَ لِلْإِدْبَارِ إِقْبَالَهَا

فقال له المأمون : ما أجود البيت الأول ، فأما الثاني فما صنعت فيه شيئا ، الدنيا تُدْرِعُ عَمَّنْ
 وأسَى منها أوضق بها ، وإنما تُوجِبُ السَّامِحَةَ بِهَا الْأَجْرَ وَالضَّنَّ بِهَا الْوِزْرَ ، فقال : صدقت

يا أمير المؤمنين ، أهل الفضل أولى بالفضل وأهل التقص أولى بالتقص ، فلما كان بعد أيام عاد فأنشده :

كَمْ غَافِلٍ أودى به الموتُ * لم يأخذ الأُهْبَةَ للقوتِ
من لم تزل نعمته قبْلَه * زالَ عن النعمة بالموتِ

فقال له : أحسنت ، طيبت المعنى ، وأمر له بعشرين ألف درهم :

كان أبو العتاهية يُمجج كل سنة ، فاذا قدم أهدى الى المأمون بُرداً ومُطرفاً ونعلاً سوداء ومَسَاويك أَرَاك ، فيبعث اليه بعشرين ألف درهم ، فأهدى مرّة له كما كان يهدى كل سنة إذا قدم ، فلم يُثبّه ولا بعث اليه بالوظيفة ، فكتب اليه أبو العتاهية :

خبروني أن من ضُرب السنّة * جُددًا بيضا وصُفرا حسنه
أُحدِثت لكنني لم أرَهَا * مثل ما كنتُ أرى كل سنه

فأمر المأمون بحمل العشرين الألف وقال : أغفلناه حتى ذكّرنا .

أنشد المأمون بيتَ أبي العتاهية يخاطب سامياً الخاسر :

تعالى الله يا سلم بن عمرو * أدلّ الحِرْصُ أعناق الرجال

فقال المأمون : إن الحرص مُفسد للدين والمروءة ، والله ما عرفت من رجلٍ قطّ حرصاً ولا شرّها فوجدتُ فيه مُصطنعاً ، فبلغ ذلك سلماً فقال : ويلي على الجرار الزنديق جمع الأموال وكترها وعبأ البدور في بيته ثم ترهد مرءاةً ونفاقاً ، فأخذ يهتف بي إذا تصدّيت للطلب .

كان الرشيدُ مما يعجبه غناء الملاحين في الزلازل إذا ركبها ، وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم ، فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء : يعملوا لهؤلاء شعرا يغنون فيه ، فقيل : ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية وهو في الحبس ، فوجه اليه الرشيدُ : قل شعرا حتى أسمعته منهم ، ولم يأمر بإطلاقه ، فغاطه ذلك وقال : والله لأقولن شعرا يُحزنه ولا يُسرّبه ، فعمل شعرا ودفعه الى من حفظه من الملاحين ، فلما ركب الحرقاة سمعه وهو :

خَانَكَ الطَّرْفُ الطُّمُوحُ * أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجُمُوحُ
 لدواعي الخير والشَّرِّ * دُنُوُّ وَنُزُوحُ
 هل لمطلوبٍ بذنبٍ * توبهٌ منه نَصُوحُ
 كيف إصلاحُ قلوبٍ * إنما هنَّ قُروحُ
 أحسن الله بنا * إنَّ الخطايا لا تَفُوحُ
 فإذا المستورُ مِنَّا * بين تَوْبَيْتِه فُضُوحُ
 كم رأينا من عزيزٍ * طُوِيَتْ عنه الكُشُوحُ
 صَاحَ منه برجيلٍ * صَاحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ
 موتُ بعض الناس في الأَرِّ * ض على قوم قُروحُ
 سيصير المرء يوماً * جَسَدا ما فيه رُوحُ
 بين عَيْنِي كُلِّ حَى * عَلمُ الموت يَلُوحُ
 كلُّنا في غفلةٍ والـ * موتٌ يَفْدُو وَيُروحُ
 لِبَنِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْ * يَا غَبُوقُ وَصَبُوحُ
 رُحْنٌ فِي الوَثِي وَأَصْبَحُ * ن عَلَيْهِنَّ المُسُوحُ
 كلُّ نَطَاجٍ مِنَ الدَّهْرِ * ير له يوماً نَطُوحُ
 نُحْ على نَفْسِكَ يَا مَسَّ * كين إن كنتَ تَتُوحُ
 لَتَمُوتَنَّ وَإِن عَمَّ * رت ما عَمَّرُ نُوحُ

فلما سمع ذلك الرشيد جعل يبكي ويتعجب ، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعا
 في وقت الموعظة ، وأشدَّهم عَسْفًا في وقت الغضب والغلظة ؛ فلما رأى الفضل بن الربيع
 كثرة بكائه أومأ الى الملاحين أن يسكتوا .

لما عقد الرشيد العهد لبنيه الثلاثة : الأمين والمأمون والمؤتمن ، قال أبو العتاهية :

رَحَلْتُ عَنْ الرَّبِيعِ المَحِيلِ قَعُودِي * الى ذِي زُحُوفٍ جَمَّةٍ وَجُنُودِ
 وَرَاعٍ يُرَاعِي اللَّيْلَ فِي حَفْظِ أُمَّةٍ * يَدَافِعُ عَنْهَا الشَّرَّ غَيْرَ رُقُودِ

بِالْوَيْةِ جَبْرِيْلُ يَقْدُمُ أَهْلَهَا * وراياتِ نَصْرِ حَوْلِهِ وَبُنُودِ
 تَجَانِي عَنِ الدُّنْيَا وَأَيَقِنُ أَنَّهَا * مُفَارِقَةٌ لَيْسَتْ بِدَارِ خُلُودِ
 وَشَدَّ عُرَى الإِسْلَامِ مِنْهُ بِقَتِيَّةِ * ثَلَاثَةُ أَمْلَاقٍ وَوَلَاةَ عُهُودِ
 هُمْ خَيْرُ أَوْلَادِهِمْ خَيْرُ وَالِدِ * لَهُ خَيْرُ آبَاءٍ مَضَتْ وَجُدُودِ
 بَنُو المِصْطَفَى هَارُونَ حَوْلَ سَرِيرِهِ * نَخِيرُ قِيَامِ حَوْلِهِ وَقُعُودِ
 تَقَلَّبَ أَحْلَاطُ المَهَابَةِ بَيْنَهُمْ * عِيُونَ ظَبَاءٍ فِي قُلُوبِ أُسُودِ
 جُدُودِهِمْ شَمْسٌ أَتَتْ فِي أَهْلَةِ * تَبَدَّتْ لِرَأْيِ فِي نَجُومِ سُعُودِ
 فَوصله الرشيدي بصلته ما وصل مثلها شاعراً قط .

١٢ - مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ^(١)

أحد الشعراء المقلقين والبلغاء المبدعين

قال الشعر في صباه، ولم يتجاوز به الأمراء والرؤساء، مكتفياً بما يناله من قليل العطاء، وينفقه على ملاذّه مع إخوانه من خلّعاء الشعراء، ثم انقطع الى يزيد بن مزيد الشيباني قائد الرشيد، ثم اتصل بالخليفة هارون الرشيد وعُدّ من شعرائه، ومدّحه ومدّح البرامكة وحسن رأيهم فيه . ولما أصبح الخلّ والعقد بيد ذى الرّياستين الفضيل بن سهل وزير المأمون في أول خلافته قرّبه وأدناه : لأنه كان من خاصّته قبل وزارته، وولاه أعمالاً بيجرجان اكتسب منها ألف ألف درهم ثم لزم منزله الى أن أنفقها في اللذات ، وعاد الى الفضل فقلّده الضياع بأصبهان فاكتسب منها ألف ألف أيضاً . ولما قُتِل الفضل لزم منزله ونسك ولم يمدح أحداً الى أن مات بيجرجان .

ومسلمٌ أول من تكلف البديع في شعره وأستكثر منه في قوله ، وسبقه بشار الى ذلك إلا أنه لم يبلغ شأو مسلم فيه . وقد عدّ العلماء هذا التصنع والتكلف إفساداً للشعر، إذ قد تبعه في ذلك الشعراء مثل البحتري وأبي تمام وابن المعتز وغيرهم .

(١) هو مسلم بن الوليد مولى الأنصار يلقب صريع الغواني ، شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية ، منشؤه ومولده الكوفة . وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع ، وهو لقب هذا الجنس البديع واللطيف ، وتبعه فيه جماعة ، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي ، فانه جعل شعره كله مذهبا واحداً فيه ، ومسلم كان متفنا متصرفا في شعره . قال محمد بن يزيد : كان مسلم شاعرا حسن النظم ، جيد القول في الشراب ، وكثير من الرواة يقرنه بأبي نواس في هذا المعنى ، وهو أول من عقد هذه المعاني الطريفة واستخرجها . وقال القاسم بن مهرويه : أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، جاء بهذا الفن الذي سماه الناس البديع ثم جاء الطائي بعده ففتن فيه . توفي بيجرجان سنة ٢٠٨ هـ وله ديوان مطبوع في لندن سنة ١٨٧٥ م . وتجد أخباره في الأغاني (ج ١٣ ص ٩) والشعر والشعراء (ص ٥٢٨) والعقد الفريد (ج ١ ص ١٤٢) .

وقد مزج مسلم كلام البدويين بكلام الحضريين ، فضمّنه المعاني اللطيفة ، وكساه الألفاظ الظريفة ، فله جزالة البدويين ، ورقة الحضريين .

لقى مسلم أبو نواس فقال له : ما أعرف لك بيتا إلا فيه سقط ، قال له : فما تحفظ من ذلك ؟ قال : قل أنت ماشئت حتى أريك سقطك فيه ، فأئسد :

ذَكَرَ الصُّبُوحَ بِسُحْرَةِ فَارَتَا حَا * وَأَمَلَهُ دَيْكُ الصَّبَاحِ صِيَا حَا

فقال له مسلم : فلم أمّله وهو الذي أذكّره وبه أرتاح ؟ فقال أبو نواس : فأئسدني شيئا من شعرك ليس فيه خلل ، فأئسده مسلم :

عَاصَى الشَّابَّ فَرَّاحَ غَيْرِ مُفَنَّدٍ * وَأَقَامَ بَيْنَ عَزِيمَةٍ وَتَجَلَّدٍ

فقال له أبو نواس : قد جعلته رائحا مقيا في حالة واحدة وبيت واحد ، فتشأبعا وتسابا ساعة . وكلا البيتين صحيح المعنى .

اجتمع أصحاب المأمون عنده يوما ، فأفاضوا في ذكر الشعر والشعراء ، فقال له بعضهم : أين أنت يا أمير المؤمنين من مسلم بن الوليد ؟ قال : حيث يقول ماذا ؟ قال : حيث يقول وقد رثى رجلا :

أَرَادُوا لِيُخَفُّوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ * فَطِيبُ تَرَابِ الْقَبْرِ دَلَّ عَلَى الْقَبْرِ

وحيث مدح رجلا بالشجاعة فقال :

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا * وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

وهما رجلا بفتح الوجه والأخلاق فقال :

قَبِّحَتْ مَنَاطِرُهُ فَمِنْ خَبْرَتِهِ * حَسَّنَتْ مَنَاطِرُهُ لِقُبْحِ الْخَبْرِ

وتغازل فقال :

هَوَى يَجِدُّ وَحَبِيبٌ يَلْعَبُ * أَنْتَ لَقِيَ بَيْنَهُمَا مَعْدَبُ

فقال المأمون : هذا أشعر من خضتم اليوم في ذكره .

قال يزيد بن مزيّد : أرسل الى الرشيد يوما في وقت لا يرسل فيه الى مثلى ، فأتيته
لابسًا سلاحى مستعدًا لأمر إن أراده منى ، فلما رآنى ضحك الى ثم قال : يا يزيد ، خبرنى
من الذى يقول فيك :

تراه فى الأمن فى درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على تجل
ضافى العين طموح العين همته * فك العنة وأسر الفاتك الخطل
فقال : لا أعرفه يا أمير المؤمنين ؛ فقال : سوءة لك من سيد قوم يمدح بمثل هذا
الشعر ولا يعرف قائله ، وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله ، وهو مسلم بن الوليد !
فانصرفت فدعوت به ووصلته ووليته .

وروى أنه دخل على الرشيد فقال له : يا يزيد ، من الذى يقول فيك :

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسخ عينه من الكحل
إذا أنتضى سيقه كانت مسالكه * مسالك الموت فى الأبدان والأقل
وإن حلت بحديث النفس فكرته * حتى الرجاء ومات الخوف من وجل
كأليل إن هجته فالموت راحته * لا يستريح الى الأيام والدؤل

فقال : لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين ، فقال له هارون : أيقال فيك مثل هذا الشعر
ولا تعرف قائله ! فخرج من عنده تجملا ، فلما صار الى منزله دعا حاجبه فقال له : من
بالباب من الشعراء ؟ قال : مسلم بن الوليد ؛ قال : وكيف حجبته عنى ، فلم تعلمنى بمكانه !
فقال : أخبرته أنك مضيق ، وأنه ليس فى يدك شىء تعطيه إياه ، وسأته الإمساك والمقام
أياما الى أن تتسع ؛ فأنكر ذلك وقال : أدخله ، فأدخله اليه ، فأنشده قوله فيه :

أجررت^(١) جبل خليع فى الصبا غزير * وشمّرت^(٢) همم العُدال فى عدلى
هاج البكاء على العين الطموح هوى * مفرق^(٢) بين توديع ومحتمل
كيف السؤل لقلب راح محتبلا * يهذى بصاحب قلب غير محتبل

(١) أجررت فلان رسته : تركته وشأنه ، والخليع : الذى خلع عنده فى العبا . (٢) الطموح :

المرتفعة فى النظر الى الأجرة . ومفرق : مقسم .

عَاصِي العِزَاءَ غَدَاةَ البَيْنِ مُنْهَمِلٌ * من الدموع جرى في إثر منْهَمِلِ
لولا مُدَارَاةُ دمع العين لَأَنكشَفْتُ * مني سرائرٌ لم تظْهَر ولم تُخَلِّ^(١)
أما كفى البَيْنَ أن أُرْمَى بأَمْتُمِهِ * حتى رمانى بلحظ الأعين النُّجَلِ
مما جَنَى لى وإن كانت مني صَدَقَتْ * صَبَابَةٌ خُلِسُ التَّسْلِيمِ بِالْمُقَلِّ
ماذا على الدهر لو لانت عَرِيكَتُهُ * وَرَدَتْ في الرَأْسِ مِنِّي سَكْرَةُ الفَزْلِ
جُرْمُ الحِوَادِثِ عِنْدِي أَنهَا اخْتَلَسَتْ * مِنِّي بِنَاتِ غِذَاءِ الكَرَمِ وَالكَلِّ^(٢)
وَرُبَّ يَوْمٍ مِنَ اللَّذَاتِ مُحْتَضِرٌ * فَصَرَّتْهُ بَلْقَاءُ الرَّاحِ وَانْخَلَلِ^(٣)
وِلَاةٌ خُلِسَتْ للعينِ مِنْ سِنَةِ * هَتَكَتْ فِيهَا الصَّبَا عَنْ بَيْضَةِ النُّجَلِ
قد كان دهرى وما بى اليومَ من كَبَرٍ * شُرِبَ المِدامَ وَعَزِفَ القَيْنَةَ العُطْلِ
إذا شَكِوتُ اليها الحَبَّ خَفَرَهَا * شِكْوَايَ فَاحْتَرَّ خَدَاها مِنَ النُّجَلِ^(٤)
كَمْ قد قَطَعْتُ وَعَيْنُ الدَّهْرِ راقِدَةٌ * أَيامَهُ بالصَّبَا واللَّهُوِ وَالجَدَلِ
وَطِيبَ الفِرْعِ أَصْفَانِي مودَتِهِ * كافأته بِمِديحِ فِيهِ مُتَخَلِّ^(٥)
وَبِلَدَةِ لِمَطَايَا الرُّكْبِ مُنْضِيَةٌ * أَنْضِيَتْهَا بوجِيفِ الأَيْتِقِ الدُّلِّ^(٦)
فِيمَ المَقَامِ وَهَذَا النِّجْمِ مُعْتَرِضًا * دَنَا النَّجَاءَ وَحَانَ السَّيرِ فَارْتَمَلَ^(٧)
يا مائلَ الرَأْسِ إن اللَيْثَ مُفْتَرَسٌ * مَيْلَ الجِماجمِ والأَعْنَاقِ فَاعْتَدِلْ
حَذَارِ مِنْ أَسَدِ ضِرْغامَةٍ بَطَلِ * لا يُولِغُ السَّيْفُ إلا مَهْجَةَ البَطَلِ
لولا يَزِيدُ لأَضْحَى المَلِكُ مُطْرَدًا * أو مائِلَ السَّمَكِ أو مُسْتَرخِيَ الطَّوَلِ^(٨)
سَلَّ الخَلِيفَةُ سِيفًا مِنْ بَنِي مَطَرٍ * أَقامَ قائمُهُ مِنْ كانَ ذا مَيْلِ
كَمْ صائِلٌ فِي دَرَا تَمهيدِ مَمْلَكَةٍ * لولا يَزِيدُ بَنِي شَيْبانِ لَمْ يَصُلِّ

(١) أى لم تظن بى . (٢) يريد النحر والجوارى . (٣) محتضر، أى حضرته اللذات . وانخلل : جمع خلة وهى الصديقة . (٤) خفرها ، أى ولد عليها الخفر وهو شدة الحياة . (٥) أى مختار . (٦) منضية : متعبة . والوجيف : ضرب من السير . والدلل : الضاحرات . (٧) يريد بالنجم : الزيا . ومعترضا : متصبا . (٨) مطردا ، أى مختولا . وضرب السمك والطول مثلا .

ناب الإمام الذي يفتّر عنه اذا * ما آفترت الحرب عن أنيابها العُصَل
 من كان يَحْتَمِل قِرْنَا عند موقفه * فإن قِرْنَ يزيد غير مُحْتَمِل
 سَدَّ الثغور يزيد بعد ما انفرجت * بقاءم السيف لا بالختل والحيل
 كم قد أذاق حِمَامَ الموت من بطل * حامى الحقيقة لا يُؤَيِّ من الوهل
 أغرُّ أبيضُ يَغْشَى البيضُ أبيضُ لا * يرضى لمولاه يوم الرّوع بالفشل
 يَغْشَى الوغى وشهابُ الموت في يده * يرمى الفوارس والأبطال بالشعل
 يفتّر عند آفترار الحرب مَبْتَسِمًا * اذا تغير وجه الفارس البطل
 مؤوف على مهج واليوم ذو رَجَح * كأنه أجل يسعى الى أمل
 ينال بالرّفق ما يعيا الرجال به * كالموت مستعجلا يأتي على مهل
 لا يُلْقِحُ الحربَ إلا ريثَ يَنْتَجِها * من هالك وأسير غير مُحْتَمِل
 إن شيم بارقه حالت خلائقه * بين العطيّة والإمساك والعلل
 يَغْشَى المنايا المنايا ثم يفرجها * عن النفوس مُطَلَّات على الهبل^(١)
 لا يرحل الناس إلا نحو حجّرته * كالبيت يضحى اليه ملتقى السبل^(٢)
 يقرى المنية أرواح الكفاة كما * بقرى الضيوف تُحوم الكوم والبزل^(٣)
 يكسو السيوف دماء الناكثين به * ويعمل الهام تيجان القنا الذبيل
 يغدو فتغدو المنايا في أسنته * شوارعا تتعدى الناس بالأجل
 اذا طغت فئة عن غب طاعتها * عبي لها الموت بين البيض والأسل
 قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه في كل مرئتحل
 تراه في الأمن في درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل
 ضافي العنان طموح العين همته * فك العناة وأسر الفاتك الخطل^(٤)
 لا يعقب الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

(١) الهبل : الفقدان . (٢) يعني البيت الحرام . (٣) الكوم : العظام الأسته واحدها كوما .

والبزل : جمع بازل وهو ماله تسعة أعوام . (٤) جمع عان وهو الأسير . والخطل : ذو الخطل وهو الخطأ .

إذا أنتضى سيفه كانت مسالكه * مسالك الموت في الأبدان والقُلل
 وإن خلت بحديث النفس فكزته * حتى الرجاء ومات الخوف من وجل
 كالليث إن هجته فالموت راحته * لا يستريح الى الأيام والدُّول
 إن الحوادث لما رُمن هضبه ^(١) * أزمعن عن جار شيان بمثقل
 فالدهر يغيط أولاه أوأخره * اذ لم يكن كان في أعصاره الأول
 إذا الشريكي لم يفخر على أحد * تكلم الفخر عنه غير متحجل
 لا تكذبن فإن الحلم معدنه * ورأته في بني شيان لم تزل
 سلوا السيوف فأغشوا من يحار بهم * خبطا بها غير ما نكلي ولا وُكل
 الزائديون قوم في رماحهم * خوف الخيف وأمن الخائف الوجيل
 كبيرهم لا تقوم الراسيات له * حانما وطفلهم في هدى مُكتمل
 اسلم يزيد فما في الدين من أود * إذا سلمت وما في الملك من خلل
 أثبت سوق بني الإسلام فاطادت ^(٢) * يوم الخليج وقد قامت على زلل
 لولا دفاعك بأس الروم اذ بكرت * عن عترة الدين لم تأمن من الشكل ^(٤)
 ويوسف البرم قد صبحت عسكره * بعسكر يلفظ الأقدار ذى زجل
 غافسته يوم عبر التهر مهلته * وكان محتجزا في الحرب بالمهل ^(٦)
 والمارق ابن طريف قد دلفت له * بعسكر للنايا مسيل هطل ^(٧)
 لما راك مجدا في منيته * وأن دفعك لا يسطاع بالحيل
 شام التزال فأبرقت اللقاء له * مقدم الخطو فيها غير متكل
 ماتوا وأنت غليل في صدورهم * وكان سيفك يستشفي من الغلل

(١) هذا مثل ، يريد لما زامت الحوادث من استجاره . (٢) نسبة الى شريك ، وهو أحد أجداد يزيد .
 (٣) هكذا في الأصل . وعندنا أن الكلمة محرفة عن (انطلت) أي ثبتت . وهي وزان افعل من وطلد .
 وكانت او تطلد ثم قلبت فاه الانفعال ناه وأدغم المثل في المثل . (٤) عترة الدين : جماعة الاسلام .
 (٥) أحد الخوارج على الرشيد . (٦) غافسه : فاجاه على غرة . (٧) هو الوليد بن طريف الشاري .

لو أن غير شريكٍ أطاف به * فاز الوليدُ يقدح الناضل الخِصْل^(١)
 وقتَ الدين يوم الرِّس فأعدلت * منه قوائمٌ قد أوقت على ميل^(٢)
 ما كان جمعهم لما لقيتهم * إلا كمثل نعام ربيع مُنجفِل
 تابوا ولو لم يتوبوا من ذنوبهم * لآب جيشك بالأسرى والتفَل
 كم آمن لك نأى الدار مُمتنع * أخرجته من حصون الملك والخول
 يابى لك الدّم في يومك إن ذكرا * عَضِبُ حُسامٌ وعرض غير مُبتدل
 وما رقيق غزاةٍ من بيوتهم * لا ينكحون ولا يؤتون من نكَل
 خلقت أجسادهم والطير عاكفة * فيها وأفقتهم هاما مع القفل
 فانقر فما لك في شيان من مثل * كذلك ما لبى شيان من مثل
 كم مشهد لك لا تحصى ماثره * قسّمت فيه كرزق الإنس والخبَل
 لله من هاشم في أرضه جبل * وأنت وأبنك رُكنا ذلك الجبل
 قد أعظموك فما تدعى لهينة * إلا لمعضلة تستن^(٣) بالعصل
 ياربّ مكرومة أصبحت واحدا * أعيّت صناديد رأموها فلم تتل
 تتساغل الناس بالدينا وزحفها * وأنت من بذلك المعروف في شغل
 أقسمت ما ذبّ عن جدّوك طالبها * ولا دفعت أعتام الحد بالهزل
 يابى لسانك منع الجود سائله * فما يلجج بين الجود والبخل
 صدقت ظني وصدقت الظنون به * وحطّ جودك عقده الرّحل عن جملي

فقال له يزيد : قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم فاقبضها وأعذر ، فخرج الحاجب فقال
 لمسلم : قد أمرني أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم : خمسون ألفا منها لك
 وخمسون ألفا لنفقته ، فأعطاه إياها . وكتب صاحب الخبر بذلك الى الرشيد ، فأمر ليزيد
 بمائتي ألف درهم وقال : إقبض الخمسين ألفا التي أخذها الشاعر وزده مثلها ، وحذّ

(١) الناضل : المصيب . والخصل مثله . (٢) الرِس : وادى أذربيجان . (٣) تستن بالعصل :

تتابع بالعسر . والمعضلة : الداهية .

مائة ألف لنفقتك، فافتك صبيته وأعطى مسالما خمسين ألفا أخرى . ولما أنشده :
« لا يعبق الطيب » البيت . قال لخاريته : حرم علينا مسلم الطيب .

كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبي يجلس للشعراء في السنة مجلسا واحدا ، فيقصدهونه لذلك اليوم وينشدونه ، فوجه إليه مسلم راويته بقصيدته التي أولها : « لا تدع بي الشوق » فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء ولحقه بعقب خروجه عنده ، فتقدم الى الحاجب وحسرت لثامه عن وجهه ، ثم قال له : أستاذن لي على الأمير ، قال : ومن أنت ؟ قال : شاعر ، قال : قد آنصرم وقتك وأنصرف الشعراء وهو على القيام ، فقال له : ويحك ! إني قد وفدت على الأمير بشعر ما قالت العرب مثله ، وكان مع الحاجب أدب يفهم به ما يسمع ، فقال : هات حتى أسمع ، فإن كان الأمر كما ذكرت أوصلتك إليه ، فأنشده بعض القصيدة ، فسمع شيئا يقصر عنه الوصف ، فدخل على داود فقال له : قدم على الأمير شاعر بشعر ما قيل فيك مثله ؟ فقال : أدخل قائله ، فلما مثل بين يديه سلم وقال : قدمت على الأمير — أعزّه الله — بمدح يسمعه فيعلم تقدمي على غيري من أمتدحه ، فقال : هات ، فلما أفتتح القصيدة وقال : « لا تدع بي الشوق » استوى جالسا وأطرق حتى أتى الرجل على آخر الشعر ، ثم رفع رأسه إليه فقال : أهذا شعرك ؟ قال : نعم أيها الأمير ، قال : في كم قتلته يا فتى ؟ قال : في أربعة أشهر أبالك الله ، قال : لو قتلته في ثمانية أشهر لكنت محسنا ، وقد أتهمتك ، لجودة شعرك ونحول ذكرك ، فان كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر في مثله ، وأمرت بالإجراء عليك ، فان جئتنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم وإلا حرمتك ، فقال : أو الإقالة أعز الله الأمير ، قال : قد أقتلك ، قال : الشعر لمسلم بن الوليد وأنا راويته والوافد عليك بشعره ، فقال : أنا ابن حاتم ، إنك لما أفتحت شعره فقلت : « لا تدع بي الشوق إني غير معمود » سمعت كلام مسلم يناديني ، فأجبت نداه وأستويت جالسا ، ثم قال : يا غلام ، أعطه عشرة آلاف درهم ، وأحمل الساعة الى مسلم مائة ألف درهم . وهذه هي القصيدة :

لا تَدْعُ بِي الشَّوْقَ إِنِّي غَيْرُ مَعْمُودٍ * نَهَى النَّهْيَ عَنِ هَوَى الْهَيْفِ الرَّعَادِيدِ (١)
 لَوْ شِئْتُ لَأَشِئْتُ رَاجِعْتُ الصَّبَا وَمَشَّتْ * فِي الْعَيُونِ وَفَانْتَنِي يَجْلُودُ (٢)
 سَلْ لَيْلَةَ الْخَيْفِ هَلْ أَمْضَيْتُ آخِرَهَا * بِالزَّاحِ تَحْتَ نَسِيمِ الْخُرْدِ الْغَيْدِ
 تَجَجَّتْهَا بُلْعَابُ الْمُزْنِ فَاغْتَرَلَتْ * نَسْجِينَ مِنْ بَيْنِ مَحْلُولٍ وَمَعْقُودِ (٣)
 كَلَّا الْجَدِيدِينَ قَدْ أُطِيعْتُ حَبْرَتَهُ * لَسْوَآلٍ حَىٰ إِلَىٰ عُمُرٍ وَتَخْلِيدِ (٤)
 أَهْلًا بِوَأْفِدَةِ الشَّيْبِ وَاحِدَةٍ * وَإِنْ تَرَأَتْ بِشَخْصٍ غَيْرِ مَوْدُودِ
 لَا أَجْمَعُ الْحَلْمَ وَالصَّبَاءَ قَدْ سَكَنْتُ * نَفْسِي إِلَى الْمَاءِ عَنِ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ
 لَمْ يَنْهَيْ فَنَدُّ عَنْهَا وَلَا كِبَرُ * لَكِنْ صَحُوتُ وَغَضَنِي غَيْرَ مَحْضُودِ (٥)
 أَوْفَىٰ بِي الْحَلْمُ وَأَقْنَادُ النَّهْيِ طَلَقًا * شَاوَى وَعِغْتُ الصَّبَا مِنْ غَيْرِ تَفْنِيدِ
 إِذَا تَجَافَتْ بِي إِلِهَاتٌ عَنْ بَلَدِ * نَازَعَتْ أَرْضًا وَلَمْ أَحْفِلْ بِتَهْمِيدِ
 لَا تَطَّيْنِي الْمُنَىٰ عَنِ جَهْدِ مُطَلَبِ * وَلَا أَحُولُ لَشَيْءٍ غَيْرِ مَوْجُودِ (٦)
 وَبِجَهْلِي كَأَطْرَادِ السِّيفِ مُحْتَجِزِ * عَنِ الْأِدْلَاءِ مَسْجُورِ الصَّبَاخِيدِ
 تَمْشِي الرِّيَّاحُ بِهِ حَسْرَى مَوْهَةً * حَيْرَى تَلُودُ بِأَطْرَافِ الْجَلَامِيدِ
 مُوقِفِ الْمَتْنِ لَا تَمْضِي السَّبِيلُ بِهِ * إِلَّا التَّخْلِيلَ رَيْثًا بَعْدَ تَجْهِيدِ
 قَرَيْتِهِ الْوَحْدَ مِنْ خَطَّارَةِ سَرِجِ (٧) * تَفْرَى الْفَلَاةَ بِأَرْقَالٍ وَتَوْخِيدِ
 إِلَيْكَ بَادَرْتُ إِسْفَارَ الصَّبَاحِ بِهَا * مِنْ جُنْحِ لَيْلِ رَحِيْبِ الْبَاعِ مَمْدُودِ
 وَبِلَدَةٍ ذَاتِ غَوْلٍ لَا سَبِيلَ بِهَا * إِلَّا الظَّنُونُ وَإِلَّا مَسْرَحَ السَّيْدِ
 كَأَنَّ أَعْلَامَهَا وَالْأَلَّ يَرْكَبُهَا * بَدَنٌ تَوَافَىٰ بِهَا نَدْرٌ إِلَىٰ عَيْدِ

(١) لا تدع بي الشوق، أى لا تدعنى مشتاقاً . وسأله دعبيل عن معنى ذلك فقال : لا تدعنى صريع الغواني فلست كذلك ، وكان لهذا اللقب كارها . ومعمود : عاشق . والهييف : الضامرات الخصور . (٢) أى ذهبت بجلدى . (٣) اغترلت : اختلطت ، ويريد بالنسجين : ماولى الماء من الخمر أسرع فيه الماء لخله ، وما ولى منها القاع بق على حاله لم يخله الماء بعد . (٤) الخبرة : النعيم . (٥) الفند : اللوم . والمحضود : الواهن . (٦) أى لا تدعونى الى نفسها . (٧) الخطارة : النافذة تحرك ذنبها . والسرحة : الخفيفة .

كَلَفْتُ أَهْوَالَهَا عَيْنًا مُؤَرَّقَةً * اليك لولاك لم تُكْحَلْ بِتَسْهِيدِ
 حَتَّى أَتَيْتَ بِي الْأَمَالَ مُطْلِعًا * لليسر عندك في سِرْبَالِ مَحْسُودِ
 مِنْ بَعْدِ مَا أَلْقَيْتَ الْأَيَّامَ لِي عَرَضًا * مُلِقَى رَهِينٍ لِحَدِّ السِّيفِ مَضْفُودِ^(١)
 وَسَاوَرَتْنِي بِنَاتُ الدَّهْرِ فَاثْمَحَنْتُ * رَبْعِي بِمُحْجَلَةٍ شَهْبَاءَ جَارُودِ^(٢)
 إِلَى بَنِي حَاتِمٍ أَدَى رِكَائِبِنَا * خَوْضُ الدَّجَى وَسُرَى الْمَهْرِيَّةِ الْقُودِ
 تَطْوِي النَّهَارَ فَإِنَّ لَيْلًا تَحْمَطُهَا^(٣) * بَاتَتْ تَحْمَطُهَا مَاتِ الْقِرَادِيدِ
 مِثْلَ السَّمَامِ بَعِيدَاتِ الْمَقِيلِ إِذَا * أَلْقَى الْهَجِيرُ يَدًا فِي كَلِّ صَيْخُودِ
 حَلَّتْ بِدَاوُدَ فَاثْمَاحَتْ وَأَعْجَلَهَا^(٤) * حَذَوُ النَّعَالِ عَلَى أَيْنٍ وَتَحْرِيدِ^(٥)
 أَعْطَى فَاغْنَى الْمُنَى أَدْنَى عَطِيَّتِهِ * وَأَرْهَقَ الْوَعْدَ مُجْبَأً غَيْرَ مَنْكُودِ
 وَاللَّهُ أَطْفَأَ نَارَ الْحَرْبِ إِذْ سُعِرَتْ * شَرْقًا بِمُوقِدِهَا فِي الْغَرْبِ دَاوِدِ
 لَمْ يَأْتِ أَمْرًا وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَى حَدَثٍ * إِلَّا أَعِينَ بِتَوْفِيقٍ وَتَسْهِيدِ
 مُوَحَّدِ الرَّأْيِ تَنْشَقُّ الظُّنُونُ لَهُ * عَنْ كُلِّ مُلْتَبَسٍ مِنْهَا وَمَعْقُودِ
 تُمْنَى الْأُمُورِ لَهُ مِنْ نَحْوِ أَوْجُوهِهَا * وَإِنْ سَلَكَنَّ سَبِيلًا غَيْرَ مَوْرُودِ
 إِذَا أَبَاحَتْ حِمَى قَوْمٍ عَقُوبَتُهُ * غَادَى لَهُ الْعَفْوُ قَوْمًا بِالْمِرَاصِيدِ
 كَاللَيْثِ بِلِ مِثْلِهِ اللَّيْثُ الْهَضُورِ إِذَا * غَنَى الْحَدِيدُ غِنَاءً غَيْرَ تَغْرِيدِ
 يَلْقَى الْمَنِيَّةَ فِي أَمْثَالِ عُدَّتِهَا * كَالسَّيْلِ يَقْدِفُ جَاهُودًا بِجَاهُودِ
 إِنْ قَصَرَ الرَّحْمُ لَمْ يَمْسِ الْخُطَا عَدَا * أَوْ عَرَدَ السِّيفُ لَمْ يَهْمَمْ بِتَغْرِيدِ
 إِذَا رَعَى بَلْدًا دَانَى مَنَاهِلَهُ * وَإِنْ بَيْنَ عَلَى تَنْحَطٍ وَتَبْعِيدِ
 جَرَى فَادْرِكْ لَمْ يُعْنَفْ بِمَهْلَتِهِ * وَأَسْتَوْدِعُ الْبَهْرَ أَنْفَاسَ الْمَجَاوِدِ^(٦)

(١) الرهين : الأسير . والمصفود : الموتق بالحديد . (٢) المنحلة : السنة الجديبة . والجارود :

المنجردة من النبات . (٣) تحمطها : سال بها . والقراديد : جمع قردد، وهو المرتفع من الجبال .

(٤) السمام : طائر يشبه القطا . والصيخود : شدة الحر . (٥) التحريد من الخرد، وهو داء يصيب الإبل

في قوائمها . والأين : التعب . (٦) البهر : هو ما يعترى الإنسان عند العدو من اللهث وتتابع النفس .

أَلُ الْمُهَابِ قَوْمٌ لَا يَزَالُ لِحِمِّ * رِقِّ الصَّرِيحِ وَأَسْلَابُ الْمَدَاوِدِ ^(١)
 مُظْفَرُونَ تُصِيبُ الْحَرْبُ أَنْفُسَهُمْ * إِذَا الْفِرَارُ تَمَطَّى بِالْمَحَايِدِ ^(٢)
 تَجَلَّ مُنَاجِبَ لَمْ يَعْدَمَ تِلَادُهُمْ * فَتَى يُرَجَى لِنَقِيضِ أَوْ لِتَوْكِيدِ
 قَوْمٌ إِذَا هِدَاةٌ شَامَتْ سَيُوفَهُمْ ^(٣) * فَإِنهَا عُقْلُ الْكُومِ الْمَقَاحِدِ
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا دَاوُدَ إِذْ عَلِقْتَ * أَيَدِي الرِّدَى بِنَوَاصِي الضَّمْرِ الْقُودِ
 دَاوَيْتَ مِنْ دَائِهَا كُرْمَانَ وَأَنْتَصَفْتَ * بِكَ الْمُنُونِ لِأَقْوَامٍ بِمَجَاهِدِ
 مَلَاتِمَهَا فَرَعًا أَخْلَى مَعَاقِلَهَا * مِنْ كُلِّ أَبْلَغٍ سَامِي الطَّرْفِ صَنْدِيدِ ^(٤)
 لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى أَدْنَى بِلَادِهِمْ * أَلْقَى إِلَيْكَ الْأَقَاصِي بِالْمَقَالِيدِ
 لَمَسْتَهُمْ بِيَدٍ لِلْعَفْوِ مُتَّصِلِ * بِهَا الرِّدَى بَيْنَ تَلْيِينِ وَتَشْدِيدِ
 أَتَيْتَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْأَمْنِ مُطَّلِعًا * بِالنَّحِيلِ تَرْدِي بِأَبْطَالِ مُنَاجِيدِ
 وَطَارَ فِي مِثْرٍ مِنْ طَارِ الْفِرَارِ بِهِ * خَوْفٌ يِعَارِضُهُ فِي كُلِّ أُخْدُودِ
 فَاتُوا الرِّدَى وَظُبَاتُ الْمَوْتِ تَنْشُدُهُمْ * وَأَنْتَ نَصَبَ الْمَنَاسِيَا غَيْرُ مَنْشُودِ
 وَلَوْ تَلَبَّثَ دِيَانَ لَهَا رَوَيْتُ ^(٥) * مِنْهُ وَلَكِنْ شَاهَا عَدُوٌّ مَرَّوُدِ
 أَحْرَزَهُ أَجَلٌ مَا كَادَ يُحْرِزُهُ * فَمَرَّ يَطْوِي عَلَى أَحْشَاءِ مَقُودِ ^(٦)
 وَرَأْسُ مِهْرَانَ قَدْ رَكَّبْتَ قُلْتَهُ * لَدَنَا كَفَاهُ مَكَانَ اللَّيْتِ وَالْحِيدِ
 قَدْ كَانَ فِي مَعَزِلٍ حَتَّى بَعَثَ لَهُ * أُمَّ الْمَنِيَّةِ فِي أَبْنَائِهَا الصَّيْدِ
 أَجْنٌ أُمَّ أَسْمَتَهُ الْفَاضِحَاتِ إِلَى * حَدٍّ مِنَ السَّيْفِ مِنْ يِعْلَقُ بِهِ يُودِ
 أَلْحَقْتَهُ صَاحِبِيهِ فَاسْتَمَرَّ بِهِمْ * ضَرْبٌ يَفْشِقُ ضَبَاتِ الْقَمَاحِدِ ^(٧)

(١) رِق الصريح، أى استعباد الحر . والمداويد : الانجاء واحده مذود . (٢) المحاييد : الجيئة .

جمع محياد . (٣) الهداة : الفترة . (٤) الأبلغ : التكبر .

(٥) شأها : سبقها . ومرعوب : مرعوب . (٦) المنشود : الذى أصيب فزاده . (٧) الضبات :

أوصال الرأس . والقماحيد : جمع قحودة وهى العظم الناقى فى مؤخر الرأس بين الفقا وأعلى الرأس .

أعذر من فز من حرب صبرت لها * يوم الحسين شعار غير مجحود^(١)
 يوم استصبت بحستان طوائفها * عليك من طالب ويرا ومحمود^(٢)
 ناهضتهم ذائد الإسلام تفرعهم * عنه ثلاث ومثني بالمواجيد
 تجود بالنفس إذ أنت الصنين بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود
 تلك الأزارق إذ ضل الدليل بها * لم يُخطها القصد من أسياف داود
 كان الحسين يربحى أن يفوز بها * حتى أخذت عليه بالأخايد
 ما زال يعنف بالنعى ويغيطها * حتى استقل به عود على عود
 وضعته حيث تراب الرياح به * وتحسد الطير فيه أضع اليد^(٣)
 تغدو الضواري فترميه بأعينها * تستشق الحو أنفاساً بتصعيد
 يتبعن أفياءه طورا وموقفه * يلعن في علق منه وتجسيد
 فكان فارط قوم حان مكرهم * بأرض زادان شتى في المواريد
 يوم جراشة إذ شيان موجفة * يجون منك يبلو منه مقود^(٤)
 زاحفته ابن سفيان فكان له * شاء يوم بظهر الغيب مشهود
 نجا قليلا ووافي زجر عائفه * بيومه طير منحوس ومسعود
 ولى وقد جرعت منه القنا جرجا * حتى المخافة ميتا غير مودود
 زالت حشاشته عن صدر معتدل * داني الكعوب بعيد الصدر أملود^(٥)
 إذا السيوف أصابته تقطع في * سرادق بحوامي الخيل ممدود
 يقدي بما تحلته من خلافته * حشاشة الركض من جرداء قيدود^(٦)
 حل اللواء وخال الحدر عائده * فعاذ بالحدرب الكعاب الرود

(١) أعذر : جاء بما يعذر عليه . (٢) أي أغرت طوائفها . (٣) تراب : أي تستنكر .

(٤) الأفياء : جمع في وهو الظل آخر النهار . والجسد : الدم . (٥) موجفة : سريعة .

(٦) أملود : أملس . (٧) الجرداء : قصيرة الشعر . والقبود : الناقة الطويلة الظهر .

(١) وإن يكن شَبَّها حرباً وقد نَحَدت * فَنائِيًا حيث لا هَيْدٍ ولا هَيْدِ
 كُلُّ مَثَلت به في مثل خُطَّتِه * قَتَلًا وأُضجَعَتِه في غير مَلْحود
 عَافُوا رِضاك فَعاقَتَهُم بِعَفْوَتِهِم^(٢) * عَن الحِياة مَناياهُم لِمَوْعود
 وَأنتَ بالسَّندِ اذ هاج الصَّرِيحُ بِها * وَأستَفدَتُ حُرْبُها كَيْدَ المَكايِدِ
 وَأستغزِر القومَ كَأَسا من دِمائِهِم * وَأحدَقَ المِوتَ بالكِزَّارِ والحِيدِ
 رَدَدتْ أَهمالُها القِصوى مِخِيسَةً * وَشِمتْ بِالبيضِ عَوَراتِ المِراصيدِ
 كَنتَ المَهَلَبُ حَتى شَكَ عَالِمُهُم * ثَم انْفردتْ وَلم تُسَبِّقْ بِتَسويدِ
 لَم تَقبِلِ السَّلْمَ إِلا بَعَدَ مَقَدرة * وَلا تَأَلَّفَتْ إِلا بَعَدَ تَبديدِ
 حَتى أَجابوكَ من مِستأَمِنِ حِذرِ * رَاجِ وَمِنتَظِرِ حِفتَا وَمِثْمُودِ
 أَهَدى إِلَيكَ عَلى الشَّحناء أَلْفَتَهُم * مِوتٌ تَفَرَّقَ في شَتى عِبَاديِدِ
 وَفي يَدِيكَ بَقايا من سَراتِهِم * هُم لَدِيكَ عَلى وَعَدِ وَتَوَعِيدِ
 إِنْ تَعَفُ عَنْهُم فَأَهْلُ العَفو أنتَ وَإِنْ * تُمَضُّ العِقابُ فَأَمْرٌ غَيرَ مَردودِ
 إِسْمِعْ فَإِنَّكَ قَد هِيجتَ مَلْحَمَةً * وَقَدتْ مَناها بِأرواحِ الصَّناديدِ
 أَقْدِفْ أبا مالِكِ فِيها يَكُكُ بِها * وَيَسعُ فِيها بِجَدِّ مَنكَ بِمِجدودِ
 يَمضى بِعِزْمِكَ أو يَجْرى بِشَاوِكَ أو * يَفْرى بِجَدِّكَ كَلَّ غَيرَ مِجدودِ
 لا يَعدَمُكَ حِى الإسلامِ من مَلِكِ * أَقَمتْ قُلَّتِه من بَعَدِ تَأويدِ
 كَفِيتَ في المَلِكِ حَتى لَم يَقِفْ أَحَدُ * عَلى ضِياعِ وَلم يَحزَنَ لِمَفقودِ
 أَعطيتَهُم مَنكَ نُصْحًا لا كِفاءَ لَهُ * وَأيدوكَ بِرِكنِ غَيرِ مَهدودِ
 لَم يَبِعثَ الدَّهرُ يَوما بَعَدَ لِيَتِه * إِلا أَنبَعثتْ لَهُ بِالْبأسِ وَالجُودِ
 أَجْرى لَكَ اللهُ أَيامَ الحِياةِ عَلى * فَعَلِ حَميدِ وَجَدَّ غَيرَ مَنكودِ

(١) كتمان يزجر بهما الإيل . (٢) بعفوتهم ، أى بغنائهم . (٣) الأهمال : جمع همل ، وهو

الشيء المسبب ، ويراد به الصعب . ومخيسة : مذلة .

لا يفقد الدين خيالا أنت قائدها * يُعهدن في كل ثغر غير معهود
 محلات إذا آبت غنائمها * ومقدمات على نصر وتأيد
 هناك أنك مغدى كل ملتمس * جودا وأنك ماوى كل مطرود
 تستأنف الحمد في دهر أوائله * موسومة بفعال منك مجود
 إذا عزمت على أمر بطشت به * وإن أثلت فنيلا غير تصريد
 عودت نفسك عادات خلقت لها * صدق الحديث وإنجاز المواعيد

دخل الوليد على الفضل بن سهل لينشده شعرا، فقال له : أيها الكهل ، إني أجلك
 عن الشعر فسل حاجتك ؛ قال : بل تستم اليد عندي بأن تسمع ، فأنشده :

دموعها من حذار البين تنسكب * وقلبها مغرم من حرها يجب
 جد الرحيل به عنها فقارقتها * لينه اللهو واللذات والطرب
 يهوى المسير إلى مرو ويحزنه * فراقها فهو ذو نفسين يرتقب

فقال له الفضل : إني لأجلك عن الشعر ؛ قال : فأغتنى بما أحببت من عملك ، فولاه
 البريد بجرجان^(١) .

• هجا مسلم قريشا ونخر بالأنصار بشعر يمثل لك ناحية من نواحي العصبية بين القبائل
 وهو يعتبر، الى حد ما ، من الشعر السياسي ، فقال :

قل لمن تاه إذ بنا عز جهلا * ليس بالثيه يفخر الأحرار
 فتناهوا وأقصرُوا فلقد جا * رت عن القصد منكم الأبصار
 أيكم حاط ذبا جوار بعز * قبل أن تحتويه منا الدار
 أورجا أن يفوت قوما بوتر * لم تنزل تمتطيهم الأوتار
 لم يكن ذاك فيكم فدعوا الفخ * ربما لا يسوغ فيه آفتخار
 ونزارا ففانحروا تفضلوهم * ودعوا من له عبيد نزار

(١) بلدة عظيمة كانت بالقرب من بحر قزوين الى الجنوب الشرق منه .

فبنا عزّ منكم الذلّ والده. * سرّ عليكم برينه كزار
 حاذروا دولة الزمان عليكم * إنه بين أهله أطوار
 فترّدوا ونحن للحالة الأو * لى وللاؤحد الأذلّ الصغار
 فآخرتنا لما بسطنا لها الفخ * برقريش ونفرها مستعار
 ذكرت عزّها وما كان فيها * قبل أن تستجيرنا مُستجار
 إنما كان عزّها في جبال * ترتقيها كما ترقى السوبار
 أيها الفآخرون بالعز والعد * نزلقوم سواهم والفضار
 أخبرونا من الأعزّ أألمذ * صور حتى آعتلى أم الأنصار
 فلنا العز قبل عزّ قريش * وقريش تلك الدهور تجار

فانبرى له ابن قنبر يبيحه فقال :

ألا أمثل أمير المؤمنين بمسليم * وأقلق به الأحشاء من كل مجرم
 ولا ترجعن عن قتله باستنابة * فما هو عن شتم النبي بمجرم
 ولا عن مساواة له ولقومه * قريشا بأصداء لعاد وجرهم
 ويفخر بالأنصار جهلا على الذى * بنصرته فازوا بحظّ ومغنم
 وسموا به الأنصار لا عزّ قائل * أراد قريشا بالمقام المدمم
 ومنهم رسول الله أذى من أنتى * الى نسب زالك ومجد مقدم
 وما كانت الأنصار قبل اعتصامها * بنصر قريش في المحلّ المعظم
 ولا بالألى يُعلون أقدار قومهم * صداء وخولان ونحم وسيلهم
 ولعنهم بالله عاذوا ونصرهم * قريشا ومن يستعصم الله يعصم
 فعزّوا وقد كانوا ووطيون فيهم * من الذل في باب من العزم بهم
 يسومهم الفطيون مالا يسامه * كريم ومن لا ينكر الظلم يظلم
 وإن قريشا بالمآثر فضلت * على الخلق طوا من فصيح وأعجم

فما بال هذا العليج ضلّ ضلاله * يمد اليهم كف أجدم أعسم
 يسامى قريشا مسلم وهم هم * بمولى يماني وبيت مهدم
 اذا قام فيه غيرهم لم يكن لهم * مقام به من لؤم مبني ومدعم
 جعاسيس^(١) أشباه القروذ لو أنهم * يباعون ما أبتعوا جميعا بدرهم
 وما مسلم من هؤلاء ولا ألى * ولكنه من نسل عليج ملكم
 تولى زمانا غيرهم ثم ادعى * اليهم فلم يكرم ولما يكرم
 فإن يك منهم فالنضير ولقهم * مواليه لا من يدعى بالترعم
 وإن تدعه الأنصار مولى أسمهم * بقافية تستكره الجلد بالدم
 عقابا لهم في إفكهم وأدعائهم * لأقلف منقوش الذراع مؤشم
 فلا تدعوه وأتشفوا منه تساموا * بنقيكوه من مقال ومأثم
 وإلا فغضوا الطرف وانتظروا الردى * اذا اختلفت فيكم صوارد أسهمى
 ولم تجحدوا عنها مجنا يحنكم * اذا أطلعت من كل فيج ومعلم
 وأنتم بنو أذنان من أنتم له * ولستم بأبناء السنام المقدم
 ولا يبني الرأس الرفيع محله * فيسمو بكم مولى مسام ويتسمى
 فكيف رضيتم أن يسامى نبيكم * بيتكم الرث القصير المهدم
 ساحط من سامى النبي تطاولا * عليه وأكوى منتهاه بميسمى
 أعدل بيت يثربى بكعبة * ثوبها قريش في المكان المحترم
 قريش خيار الله والله خصمهم * بذلك فأتعس أيها العليج وأرغم
 ومن تدعى منه الولاء مؤخر * اذا قيل للجاري الى المجد أقدم

وكان مسلم قال قصيدته في قريش وكتبتها، فوَقعت إلى ابن قنبر وأجابها عنها، فاستعلى عليه وهتكه وأغرى به السلطان، فلم يكن عند مسلم في هذا جواب أكثر من الانتفاء منها

(١) الجعاسيس : الثام في الخلق والخلق .

ونسبها الى ابن قنبر والآداء عليه أنه ألصقها به ونسبها اليه ليعرضه للسلطان وخافه، فقال
ينفى من هذه القصيدة :

دعوت أمير المؤمنين ولم تكن * هناك ولكن من يخف يتجشم
وانك اذ دعوا لخليفة ناصرا * لكلمترقى في السماء بسلم
كذلك الصدى تدعوه من حيث لا ترى * وإن تتوهمه تمت في التوهم
هجوت قريشا عامدا وتحتنى * رؤيدك يظهر ما تقول فيعلم
اذا كان مثلى في قبيلي فإنه * على ابن لوى قصرة غير منهم
سيكشفك التعديل عما قذفتى * به فتأخر عارفا أو تقدم
فإن قريشا لا يفادر ودها * ولا يستمال عهدا بالترحم
مضى سلف منهم وصلى بعقبهم * لنا سلف في الأهل المتقدم
جروا بخربنا سابقين بسبقهم * كما أتبت كف نواشر معضم
وإن الذى يسمى ليقطع بيننا * كالمس اليربوع في حجر أرقم
أضلك قرع الآبدات طريقها * فأصبحت من عميائها في تهم
وخانتك عند الجرى لما أتبتها * تميم فحوات العلاء بالتفحم
فأصبحت ترميني بسهمى وتبقى * يدي يدي أصليت نارك فاضرم

ثم هجاه ابن قنبر بقصيدة أولها :

قل لعبد النضير مسلم الوغ * بد الدين اللئيم سنخ النصاب
إحس يا كلب اذ نجت فإني * لست ممن يجب نبح الكلاب
أفأرضى ومنصبى منصب العز * وبيتى فى ذروة الأحساب
أن أخط الرفيع من ستمك بيتى * بمهاجاة أوشب الاوشاب
من اذا سبيل من أبوه بدا منه * به حياه يحميه رجوع الجواب

وإذا قيل حين يُقِيل من أذ * ست ومن تعتريه في الأنساب

قلت هاجي ابن قنبر فتسر بد * ست بذكري نخرًا لدى النسب

وهي قصيدة طويلة فلم يجبه عنها مسلم بشيء، فقال فيه ابن قنبر أيضًا :

لست أنفيك إن سواي نفاكا * عن أبيك الذي له ممتًا كا

ولماذا أنفيك يا ابن الوليد * من أبي إن ذكرته أنزكا

ولو آنى طلبت الأم منه * لم أجده إن لم تكن أنت ذاكا

لو سواه أبوك كان جعلنا * ه إذا الناس طاوعونا أباكا

حاك دهرًا بغير حدق لبُرْد * وتُحسوك الأشعار أنت كذاكا

ثم هجاه بشعر أقدح فيه، فمشى إليه قوم من مشايخ الأنصار وأستعانوا بمشيخة من قُواء تميم وذوى الفضل والعلم، فمشوا معهم إليه، فقالوا: ألا تستحي من أن تهجو من لا يبيحك! أنت بدأت الرجل فأجابك، ثم عدت فكف. وتجاوزت ذلك الى ذكر أعراض الأنصار التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحميها ويذب عنها ويصونها لغير حال أحلت ذلك منهم، فما زالوا به يعظونه ويقولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لمسلم فانقطعت .

ولمسلم بن الوليد :

وإني وإسماعيل يوم وداعه * لكالغمد يوم الروع فارقه النصل

أما والحبالات الممزات بيننا * وسائل أدتها المودة والوصل

لما خنت عهدا من إخاء ولا نأى * بذكرك نأى عن ضميري ولا شغل

وإني في مالى وأهلى كأنى * لنايك لا مالٌ لدى ولا أهل

يذكرنيك الدين والفضل والحجا * وقيل الحنا وألحم وأعلم والجهل

فألفاك عن مذمومها متنزها * وألقالك في محمودها ولك الفضل

وأحمد من أخلاقك البخل إنه * بعرضك لا بالمال حاشا لك البخل

أمتيها مروا باتصال همسة * دغ الثقل وأحمل حاجة ما لها ثقل

ثناء كعرف الطيب يهدي لأهله * وليس له إلا بنى خالد أهل
فإن أغش قوما بعدهم أو أزورهم * فكالوحش يستدنيه للقنص المحل

وله يرثي يزيد بن مزيد :

أحَقُّ إنه أودى يزيد * تأمل أيها الناعي المشيد
أتدرى من نعت فكيف فاهت * به شفتاك كان به الصعيد
أحايي المجيد والإسلام أودى * فما للأرض ويحك لا تميد
تأمل هل ترى الإسلام مالت * دعائمه وهل شاب الوليد
وهل شيمت سيوف بني زرار * وهل وضعت عن الخليل اللبود
وهل تسقى البلاد عشار مزن * يدرتها وهل يخضر عود
أما هدت لمصرعه زرار * بلى وتقوض المجد المشيد
وحل ضريحه إذ حل فيه * طريف المجد والحسب التليد
أما والله ما تنفك عيني * عليك بدمعها أبدا تجود
فإن تجد دموع لثيم قوم * فليس لدمع ذى حسب جمود
أبعد يزيد تخترن البواكي * دموعا أو تُصان لها حدود
تبتك قبلة الإسلام لما * وهت أطابها ووهى العمود
ويبك شاعر لم يبق دهر * له نسبا وقد كسد القصيد
فمن يدعو الإمام لكل خطب * ينوب وكل مفضلة تشود
ومن يحمي الخميس إذا تعايا * بحيلة نفسه البطل التجيد
فإن تهلك يزيد فكل حي * فريس للنينة أو طريد
ألم تعجب له أن المنايا * فتكن به وهن له جنود
لقد عزى ربيعة أن يوما * عليها مثل يومك لا يعود

١٣ - العباس بن الأحنف^(١)

قال إبراهيم بن العباس يصفه : كان والله ممن اذا تكلم لم يحبَّ سامعُه أن يسكت ، وكان فصيحاً جميلاً ظريف اللسان ، لو شئت أن تقول كلامه كله شعر لقلت .

وقال صالح بن عبد الوهاب : كان العباس من عرب نخراسان ومنشؤه ببغداد ، ولم تزل العلماء تقدمه على كثير من المُحدثين ، ولا تزال قد تَرَى له الشيء البارع جداً حتى تلحقه بالمحسنين .

وقال الجاحظ : لولا أن العباس بن الأحنف أخذق الناس وأشعرهم ، وأوسعهم كلاماً وخاطراً ، ما قدر أن يُكثِرَ شعره في مذهب واحد لا يجاوزُه ، لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسب ولا يتصرف ، وما نعلم شاعراً لزم فناً واحداً لزومه فأحسن فيه وأكثر .

أنشد الحرمازي للعباس بن الأحنف :

لا جَرَى اللهُ دمعَ عيني خيراً * وجزى اللهُ كلَّ خيرٍ لساني
نم دمي فليس يكتم شيئاً * ورأيت اللسانَ ذا كتمان
كنتُ مثلَ الكتابِ أخفاه طيًّا * فاستدلوا عليه بالعنوان

ثم قال : هذا والله طرازٌ يطلبُ الشعراءُ مثله فلا يقدرُون عليه .

(١) كان العباس شاعراً غزلاً مطبوعاً من شعراء الدولة العباسية ، وله مذهب حسن ، ولدياجة شعره رقيق ، ولعائيه عذوبة ولفظ ، ولم يكن يجاوز الغزل الى مدح ولا هجاء ، ولا يتصرف في شيء من هذه المعاني . وقدمه أبو العباس المبرد في كتاب الروضة على نظرائه وأطرب في وصفه ، وقال : رأيت جماعة من الزواة للشعر بقدومه ، قال : وكان العباس من الظرفاء ولم يكن من الخلفاء ، وكان غزلاً ولم يكن فاسقاً ، وكان ظاهر النعمة ملوكي المذهب شديد الظفر ، وذلك بين في شعره ، وكان قصده الغزل وشغله النسب ، وكان حلوا مقبولاً غزلاً غزير الفكر واسع الكلام كثير التصرف في الغزل وحده ، ولم يكن هجاء ولا مداحاً . وله ديوان طبع مع ديوان ابن مقارح بالآستانة سنة ١٢٩٨ هـ ويجد أخباره وأشعاره في الأغانى (ج ٨ ص ١٥) وابن خلكان (ج ١ ص ٣٤٦) والشعر والشعراء (ص ٥٣٥) .

وكان أبو الهذيل العلاف يُغضه ويلعنه لقوله :

إذا أردتُ سلواً كان ناصركم * قلبي وما أنا من قلبي بمنتصر
فأكثرُوا أو أقلوا من إساءتكم * فكل ذلك محمولٌ على القدرِ

فكان أبو الهذيل يلعنه ويقول : يعقِد الكفرَ والفجورَ في شعره، فقال العباس — وقال محمد بن يحيى : وأظن أنه يهجو به أبا الهذيل وما سمعتُ للعباس هجاءً غيره — :

يامن يكذب أخبار الرسول لقد * أخطأت في كل ما أتى وما تدرُ
كذبتُ بالقدر الجارى عليك فقد * أذاك مني بما لا تشتهي القدرُ

قيل للأصمعي : ما أحسن ما تحفظ للحديثين؟ قال : قولُ العباس بن الأحنف :

لو كنت عاتبة لسكن روعتي * أملي رضاك وزرت غير مراقب
لكن مللت فلم تكن لي حيلة * صد الملول خلاف صد العاتب

ومما أنشده له إبراهيم بن العباس :

قالت ظلوم تميمية الظلم * مالى رأيتك ناحل الجسم
يامن رمى قلبي فأقصده * أنت العليم بموضع السهم

ولشعره الغزلي وقع في النفس ، فانهم كانوا يغنون كثيرا منه كقوله :

لو كنت عاتبة لسكن روعتي * أملي رضاك وزرت غير مراقب
لكن مللت فلم تكن لي حيلة * صد الملول خلاف صد العاتب

وأنشده الأصمعي :

أتأذنون لصب في زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر
لايضمر السوء إن طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

فقال : ما زال هذا الفتى يدخل يده في رآبه فلا يخرج شيئا حتى أدخلها فأخرج هذاء ،
ومن أدمن طلب شيء ظفر ببعضه .

وقال سعيد بن جندب : ما أعرف أحسن من شعر العباس في إخفاء أمره حيث يقول :

أُرِيدُكَ بِالسَّلَامِ فَأَتَقِيمُهُمْ * فَأَعْمِدُ بِالسَّلَامِ إِلَى سِوَاكَ
وَأَكْثَرُ فِيهِمْ ضَحْكِي لِيَخْفَى * فَسِنِّي ضَاكًا وَالْقَلْبُ بَاكٌ

ومما تمثل به الواثق في شرَّ كان بينه وبين بعض جواريه :

عَدَلٌ مِنَ اللَّهِ أَبْكَانِي وَأَضْحَكُهَا * فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَلٌ كُلُّ مَا صَنَعَا
الْيَوْمَ أَبْكِي عَلَى قَلْبِي وَأَنْدُبُهُ * قَلْبٌ أَلْحَ عَلَيْهِ الْحُبُّ فَانْصَدَعَا

ومما تمثل به أيضا في مثل ذلك :

أَمَا تَحْسَبِنِي أَرَى الْعَاشِقِينَ * بَلَى ثُمَّ لَسْتُ أَرَى لِي نَظِيرًا
لَعَلَّ الَّذِي بِيَدِيهِ الْأُمُورُ * سَيَجْعَلُ فِي الْكُرْهِ خَيْرًا كَثِيرًا

وقال الزبير : ابن الأحنف أشعرُ الناس في قوله :

تَعْتَلُّ بِالشَّغْلِ عَنَا مَا تَكَلَّمْنَا * الشَّغْلُ لِلْقَلْبِ لَيْسَ الشَّغْلُ لِلْبَدَنِ

ويقول : لا أعلم شيئا من أمور الدنيا خيرا وشرها إلا وهو يصلح أن يتمثل فيه بهذا النصف الأخير .

وقال إسحاق : لقد ظُرفَ ابنُ الأحنفِ في قوله — يصف طولَ عهده بالنوم — :

قِفَا خَبْرَانِي أَيُّهَا الرِّجَالُ * عَنِ النَّوْمِ إِنْ الْمَهْجَرُ عَنْهُ نَهَانِي

وَكَيْفَ يَكُونُ النَّوْمُ أَمْ كَيْفَ طَعْمُهُ * صِفَا النَّوْمَ لِي إِنْ كُنْتُمْ تَصِفَانِ

على قلة إعجابه بمثل هذه الأشعار .

قال أحمد بن إبراهيم : رأيت سامة بن عاصم ومعه شعر العباس بن الأحنف ، وقلت

مثلك أعزك الله يحمل هذا ! فقال : ألا أحمل شعر من يقول :

أَسَأْتُ إِذْ أَحْسَنْتُ ظَنِّي بِكُمْ * وَالْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ

يُقَلِّبُنِي الشُّوقُ فَآتَيْتُكُمْ * وَالْقَلْبُ مَمْلُوءٌ مِنَ الْيَاسِ

وقال أحمد بن إبراهيم: أتاني أعرابي فصيحٌ ظريفٌ، فجعلتُ أكتب عنه أشياءً حسناً،
ثم قال: أنشدني لأصحابكم الحَضْرِيَيْنِ، فأنشدته للعباس بن الأحنف:
ذَكَرْتُكَ بِالتُّفَاحِ لِمَا شَمِمْتُهُ * وبالرَّاحِ لِمَا قَابَلْتُ أَوْجَهَ الشَّرْبِ
تَذَكَّرْتُ بِالتُّفَاحِ مِنْكَ سَوَالِفًا * وبالرَّاحِ طَعْمًا مِنْ مَقْبَلِكِ العَدْبِ
فقال: هذا عندك وأنت تكتب عني! لا أنشدك حرفاً بعد هذا.

وقال عبد الله بن العباس بن الفضل: ما أعرف في العراق أحسن من قول ابن الأحنف:
سَبَّحَانَ رَبِّ العِلا مَا كَانَ أَغْفَلَنِي * عَمَّا رَمَتْنِي بِهِ الأيَّامُ والزَّمَنُ
مَنْ لَمْ يَدُقْ فِرْقَةَ الأَحْبَابِ ثُمَّ يَرَى * آثَارَهُمْ بَعْدَهُمْ لَمْ يَدِرْ مَا الحَزَنُ
قال حُسَيْن بن الضَّحَّاك: لوجاء العباس بقول ماقاله في بيتين في أبياتٍ لِعَدْرِ، وهو قوله:
لَعَمْرُكَ مَا يَسْتَرِيحُ المَحَبُّ حَتَّى يَبُوحَ بِأَسْرَارِهِ
فَقَدْ يَكْتُمُ المَرْءُ أَسْرَارَهُ * فَتَظْهَرُ فِي بَعْضِ أَشْعَارِهِ
ثم قال: أما قوله في هذا المعنى الذي لم يتقدمه فيه أحد فهو:

الحبُّ أَمَلُكَ لِلذُّوَادِ بِقَهْرِهِ * مَنْ أَنْ يَرَى لِلسَّتْرِ فِيهِ نَصِيبُ
وَإِذَا بَدَأَ سُرَّ اللَّيْبُ فَإِنَّهُ * لَمْ يَسُدُّ إِلَّا وَالفَتْى مَغْلُوبُ

وقال أبو العتاهية: ما حسدتُ أحداً إلا العباس بن الأحنف في قوله:
إِذَا امْتَنَعَ القَرِيبُ فَلَمْ تَسَلْهُ * عَلَى قَرَبٍ فَذَلِكَ هُوَ البَعِيدُ

وقال الكِنْدِيُّ: العباس بن الأحنف مَبِيعٌ ظَرِيفٌ حَكِيمٌ جَزَلٌ فِي شِعْرِهِ، وَكَانَ قَلِيلًا
مَا يُرِضُنِي الشَّعْرَ، فَكَانَ يُنْشِدُهُ كَثِيرًا:

أَلَا تَعْجَبُونَ كَمَا أُعْجِبُ * حَبِيبٌ يُسِيءُ وَلَا يُعْتَبُ
وَأَبْنَى رِضَايَ عَلَى سُخْطِهِ * فَيَأْتِي عَلَى وَيَسْتَصِيبُ
فِيالِيتِ حَظِّي إِذَا مَا أَسَأَ * تَأْتِ أَنْكَ تَرْضَى وَلَا تَغْضَبُ

وكان ابراهيم الموصلي مشغولاً بشعر العباس فيغني في كثير من شعره، فما غني فيه :
 وقد ملئت ماء الشباب كأنها * قضيب من الریحان ريان أخضر
 هم كتموني سيرهم حين أزمعوا * وقالوا اتعدنا للروح وبكروا
 ومنه :

تمنى رجال ما أحبوا وإنما * تمنيت أن أشكو اليك وتسمعا
 أرى كل معشوقين غيري وغيرها * قد آستعذبا طول الهوى وتمعا

ومنه :

يكت عيني لأنواع * من الحزن وأوجاع
 وإني كل يوم عندكم يحظى بي الساعي
 أعيش الدهر إن عشت * بقلب منك مرتاع
 وإن حل بي البعد * سينعاني لك الناعي

وقال الواثق بلسانه : أريد أن أصنع لحناً في شعر معناه أن الإنسان كأنثاً من كان
 لا يقدر على الاحتراس من عدوه، فهل تعرفون في هذا شيئاً؟ فأنشدوه ضرباً من الأشعار،
 فقال : ما جئتم بشيء مثل قول العباس بن الأحنف :

قلبي الى ما ضرني داعي * يكثر أسقامي وأوجاعي
 كيف احتراسي من عدوي اذا * كان عدوي بين أضلاعي
 أسلمني للحب أشياعي * لما سعى بي عندها الساعي
 لقلما أبقي على كل ذا * يوشك أن ينعاني الناعي
 ومما غني فيه من شعره :

أبي الذين أذاقوني موتهم * حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا
 وقال ابراهيم بن العباس : ما رأيت كلاماً محدثاً أجزل في رقة ، ولا أصعب في سهولة ،
 ولا أبلغ في إيجاز ، من قول العباس بن الأحنف :

تعالى نجدد دارس العهد بيننا * كلانا على طول الحفاء ملوم

وأشدد إبراهيم بن العباس للأحنف :

إن قال لم يفعل وإن سئل لم * يبسئل وإن عوتب لم يعتب
صبب بعضياني ولو قال لي * لا تشرب البارد لم أشرب
إليك أشكو رب ما حل بي * من صد هذا المذنب المغضب

ثم قال : هذا والله الكلام الحسن المعنى ، السهل المورد ، القريب المتناول ، المليح اللفظ ، العذب المستمع .

ومما غنى فيه من شعره :

نام من أهدى لي الأرقا * مستريحاً سامني قلقاً
لو بيت الناس كلهم * بسهادي بيص الحدقا
كان لي قلب أعيش به * فاصطلي بالحب فاحترقا
أنا لم أرزق مودتكم * إنما للعبد مارزقا

وقال ابن المعتز : لو قيل : ما أحسن شيء تعرفه لقلت : شعر العباس بن الأحنف :

قد سبب الناس أذيال الظنون بنا * وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالحب غيركم * وصادق ليس يدري أنه صدقا

ومما تمثل به الفضل بن الربيع في أمر كان بينه وبين إحدى جواريه :

تمثل عظيم الذنب ممن تحبه * وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم
فإنك إلا تغفر الذنب في الهوى * يفارقك من تهوى وأنفك راغم

أشدد محمد الموصلي قصيدته التي يقول فيها :

كل شيء أقوى عليه ولكن * ليس لي بالفراق منك يدان

بفعل يستحسنه ويردده ، فقال له عبد الله بن ربيعة الرقي : أنت الفداء لمن ابتدأ هذا

المعنى فأحسن فيه حيث يقول — وهو العباس بن الأحنف — :

سلبتني من السرور ثياباً * وكسنتني من الهموم ثياباً
كلما أغلقت من الوصل باباً * فتحت لي الى المنية باباً
عدتني بكل شيء سوى الصدق ما ذقت كالأصدود عذاباً

قال الرياشي — وقد ذكر عنده العباس بن الأحنف — : والله لو لم يقل من الشعر
إلا هذين البيتين لكفياً :

أحرم منكم بما أقول وقد * نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأني ذبالة نصبت * نضي للناس وهي تحترق

ألف الرشيد العباس بن الأحنف ، فلما خرج الى خراسان طال مقامه بها ، ثم خرج الى
أرمينية والعباس معه ، فاشتاق الى بغداد ، فعارضه في طريقه ، فأنشده :

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراساناً
ما أقدر الله أن يدني على شحيط * سكان دجلة من سكان جیحاناً
مضى الذي كنت أرجوه وأمله * أما الذي كنت أخشاه فقد كانا
عين الزمان أصابتنا فلا نظرت * وعدت بصنوف الهجر ألوانا

فقال له الرشيد : قد اشتقت يا عباس ، وأذنت لك خاصة ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

وقال مصعب الزبيري : العباس بن الأحنف وعمر بن أبي ربيعة ما ابتدلا شعرهما
في رغبة ولا رهبة ، ولكن فيما أحباه ، فلزما فناً واحداً لو لزمه غيرهما ممن
لكثر إكثارهما
لضعف فيه .

١٤ - ابن مَناذِر^(١)

كان يَحْوِي حَوْ عَدِيَّ بن زَيْدٍ في شِعْرِهِ، وَيَمِيلُ إِلَيْهِ وَيَقْدِمُهُ، وَقَدْ مَدَحَ آلَ بَرْمَكٍ وَغَيْرِهِمْ . وَلَمَّا نَكَبَتِ الْبَرَامِكَةُ وَأَلَّتِ الْوِزَارَةَ إِلَى عُدُوِّهِمُ الْفَضْلِ بنِ الرَّبِيعِ أَصْبَحَ شِعْرَاءُ الْبَرَامِكَةِ فِي حَظْرِهِ، فَارَادَ ابْنُ مَناذِرٍ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى الرَّشِيدِ طَلَبًا لِلرِّزْقِ، فَأَعْنَمَ ذَهَابَهُ إِلَى الْحِجِّ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ بِقَصِيدَةٍ، فَالاحِ الْبِشْرُ فِي وَجْهِ الرَّشِيدِ؛ فَقَالَ الْفَضْلُ بنِ الرَّبِيعِ لِلرِّشِيدِ : هَذَا شَاعِرُ الْبَرَامِكَةِ ! فَعَبَسَ الرَّشِيدُ؛ فَقَالَ الْفَضْلُ : مُرَّهْ أَنْ يُنْشِدُكَ قَوْلَهُ فِيهِمْ : أَنَا بَنُو الْأَمْلَاقِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ؛ فَأَعْتَذَرَ، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ، فَأَنْشَدَهُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ الَّتِي يُطَارَى بِهَا الْبَرَامِكَةُ :

أَنَا بَنُو الْأَمْلَاقِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ * فَيَاطِبُ أَخْبَارٍ وَيَا حُسْنَ مَنظَرٍ
إِذَا وَرَدُوا بِطَحَاءِ مَكَّةَ انْتَرَقَتْ * بِيحْيَى وَبِالْفَضْلِ بنِ يَحْيَى وَجَعْفَرٍ
فَتُظَلِّمُ بَغْدَادٌ وَيَجْلُولُنَا الدُّجَى * بِمَكَّةَ مَا حَجَّجُوا ثَلَاثَةَ أَثْمَرٍ
فَمَا صَلَّحَتْ إِلَّا الْجُودُ أَكْفَهُمْ * وَأَرْجُلُهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادٍ مُنْبَرٍ
إِذَا رَاضَ بِحِي الْأَمْرَ ذَلَّتْ صِعَابُهُ * وَحَسْبُكَ مِنْ رَاجِعٍ لَهُ وَمُدَبَّرٍ
تَرَى النَّاسَ إِجْلَالًا لَهُ وَكَانَهُمْ * غَرَانِيقَ مَاءٍ تَحْتَ بَازٍ مُصْرِصِرٍ^(٢)

ولمَّا فَرَّغَ مِنْهَا أَتْبَعَ ذَلِكَ قَوْلَهُ : « كَانُوا أَوْلِيَاءَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا مَدَحْتَهُمْ » فَأَمَرَ الرَّشِيدُ أَنْ يُلْطَمَ، فَلَطَمُوهُ، وَأَمَرَ أَنْ يُسْحَبَ، فَسَحَبُوهُ وَخَرَجَ لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ؛ فَلَقِيَهُ

(١) هو محمد بن مناذر، مولى ليني يربوع، ويكنى أبا جعفر، شاعر فصيح، مقدّم في العلم باللغة وإمام فيها، حتى أخذ عنه أكابر أهلها. وكان في أول أمره يتعبد ثم عدل عن ذلك، فهجا الناس وتهنك وخلع وقذف أعراض أهل البصرة حتى نفى عنها إلى الحجاز، فمات هناك سنة ١٩٨ هـ. وتجد أخباره في الأغانى، (ج ١٧ ص ٩) والشعر والشعراء (ص ٥٥٣). (٢) الغرائيق: جمع غرنوق، وهو طائر مائي أسود وقيل أبيض يشبه الكركي. (٣) مصرصر: صائح بشدة.

أبو نواس فدفع إليه صرة فيها ثلثمائة دينار ، وقال له : استعن بهذه وأعدرنى . ولم يعد
أبن مناذر يرى خيراً بعد البرامكة .

قال الحسن بن علي كما عند باب سفیان بن عيينة وقد هرب منا وعنده الحسن بن علي
التخناخ ورجل من أصحاب الرشيد ، نفلا بهم وليس يأذن لنا ، بغاء أبن مناذر فقرب من
الباب ثم رفع صوته فقال :

بعمرو وبالزهرى والسلف الألى * بهم ثبتت رجلاك عند المقادم
جعلت طوال الدهر يوماً لصالح * ويوما لصباح ويوما لحاتم
ولحسن التخناخ يوماً ودونهم * خصصت حسناً دون أهل الموامم
نظرت وطال الفكر فيك فلم أجد * رحاك جرت إلا لأخذ الدرهم

نفرج سفیان وفي يده عصا وصاح : خذوا الفاسق ؛ فهرب أبن مناذر منه وأذن لنا فدخلنا .
كان الرشيد قد وصل أبن مناذر مراتٍ صلواتٍ سنيةً ، فلما مات الرشيد رثاه بقوله :

من كان يبكي للعلا * ملكاً وللهم الشريفه
فليك هاروت الخليل * فة للخليفة للخليفة

قال علي بن محمد التوفلي : رأيت أبن مناذر في الحج سنة ثمان وتسعين ومائة وهو قد كُفَّ
بصره تقوده جويرية حرة وهو واقف يشتري ماء قربة ، فرأيتُه وسمع الثوب والبدن ، فلما
صرنا الى البصرة أنتنا وفاته في تلك الأيام .

كان يحيى بن زياد يرمي بالزندقة ، وكان من أظرف الناس وأنظفهم ، فكان يقال :
أظرف من الزنديق ، وكان الحاركي ، واسمه محمد بن زياد ، يُظهر الزندقة تظارفاً ؛ فقال فيه
أبن مناذر :

يا أبن زياد يا أبا جعفر * أظهرت دينا غير ما تُخفي
مُزندق الظاهر باللفظ في * باطن إسلام فتى عَف
لست زنديق وليكنما * أردت أن تؤمم بالظرف

ومن قوله يرى سفيان بن عيينة :

يَجْنِي مِنَ الْحِكْمَةِ نُورَهَا * مَا تَشْتَهَى الْأَنْفُسُ أَلْوَانَا
 يَا وَاحِدَ الْأُمَمِ فِي عَالَمِهِ * لَقِيتَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ غُفْرَانَا
 رَاحُوا بِسُفْيَانَ عَلَى نَعَشِهِ * وَالْعِلْمُ مَكْسُورٌ أَكْفَانَا
 إِنْ الَّذِي غَوْدِرَ بِالْمُنْحَى * هَدَّ مِنَ الْإِسْلَامِ أَرْكَانَا
 لَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ مِنْ مَيِّتٍ * وَرَثَا عِلْمًا وَأَحْزَانَا

خطب أبو أمية امرأة من ثقيف فرد عنها، وتصدى للقاضي أن يضمه مالا من أموال

اليتامى فلم يجبه الى ذلك ولم يثق به ؛ فقال فيه ابن منذر :

أَبَا أُمَيَّةَ لَا تَغْضَبْ عَلَيَّ فَا * بَرَءٌ مَا كَانَ فِيمَا بَيْنَنَا الْغَضَبُ
 إِنْ كَانَ رَدَّكَ قَوْمٌ عَنْ فَتَاهُمْ * فَنِي كَثِيرٍ مِنَ الْخَطَابِ قَدْ رَغِبُوا
 قَالُوا عَلَيْكَ دِيُونٌَ مَا تَقَوْمُ بِهَا * فِي كُلِّ عَامٍ بِهَا تُسْتَحَدُّ الْكُتُبُ
 وَقَدْ تَقَحَّمْ مِنْ نَحْسِينَ غَايَتَهَا * مَعَ أَنَّهُ ذُو عِيَالٍ بَعْدُ مَا أَنْشَعَبُوا
 وَفِي الَّتِي فَعَلَ الْقَاضِي فَلَا تَجِدُنُ * فَلَيْسَ فِي تِلْكَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبُ
 أَرَدْتَ أَمْوَالَ أَيْتَامٍ تُضَمُّهَا * وَمَا يُضَمُّ إِلَّا مَنْ لَهُ نَسَبُ

قال له جعفر بن يحيى قُلْ فِي وَفِي الرِّشِيدِ شِعْرًا تَصِفُ فِيهِ الْأَلْفَةَ بَيْنَنَا، فَقَالَ :

قَدْ تَقَطَّعَ الرَّحْمُ الْقَرِيبُ وَتُكْفَرُ الذُّ * مَعِيَ وَلَا كَتَقَارِبِ الْقَابِلِينَ
 يَدْنِي الْهَوَى هَذَا وَيَدْنِي ذَا الْهَوَى * فَإِذَا هُمَا نَفْسٌ تَرَى نَفْسَيْنِ

١٥ - صالح بن عبد القدوس^(١)

كان متهما بالزندقة، فبلغ الى المهديّ خبرُ زندقته، فبعث اليه يستقدمه من دمشق، وكان قد رحل اليها وهو شيخ طاعن في السن، فلما جاء بغداد ومثّل بين يدي المهديّ قال له المهديّ: ألسنتَ القائل:

والشيخ لا يتركُ أخلاقه * حتى يُورَى في ثرى رّمسه

قال: بلى يا أمير المؤمنين! قال: وأنت لا تترك أخلافك حتى تموت، فأمر به، فقتل وصُلب على جسر بغداد سنة ١٦٧ هـ. وأكثر شعره في الحكيم الفيلسوفية.

ومن أحسن أقواله القصيدة التي منها ذلك البيت، وهو يقول فيها:

لا يبلغُ الأعداءُ من جاهلٍ * ما يبلغُ الجاهلُ من نفسه

والشيخ لا يتركُ أخلاقه * حتى يُورَى في ثرى رّمسه

إذا أرغوى عاد الى جهله * كذى الضّنا عاد الى نكسه

وإن من أدبته في الصّبا * كالعود يُسقى الماء في غرسه

حتى تراه مورقا ناضرا * بعد الذي أبصرت من يُنسه

وقوله:

لا يعجبنيك من يصون ثيابه * حدّر الغبار وعرضه مبدول

ولربما أفتقر الفتي فرأيتَه * دنس الثياب وعرضه مغسول

(١) هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس، من حكاة الشعراء، متهم بالزندقة، قوى اللمجة، له منزلة سامية عند أهل مذهبه. نشأ في البصرة، وكان يقص على الناس ويعظهم. توفي سنة ١٦٧ هـ وتجد أكثر أخباره في فوات الوفيات (ج ١ ص ١٩١) والدميري (ج ١ ص ٢٦).

وكان فيه ميل الى العزلة والأتقطاع عن الناس شأن الفلاسفة؛ ومن ذلك قوله :

أَنِسْتُ بِوَحْدَتِي وَلَزِمْتُ بَيْتِي * فَتَمَّ الْعَزْلَى وَمَا السَّرُورُ
وَأَدْبَتِي الزَّمَانُ فَلَيْتَ أُنِّي * هَجَرْتُ فَلَا أَرَا وَلَا أَرُورُ
وَلَسْتُ بِقَائِلٍ مَا دُمْتُ حَيًّا * أَقَامَ الْجُنْدُ أَمْ نَزَلَ الْأَمِيرُ

وهو القائل :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

وله قصيدة حكيمة أخلاقية بديعة، وهي التي يقول فيها :

الْمَرْءُ يَجْمَعُ وَالزَّمَانُ يُفْتَرِقُ * وَيُظَلُّ يَرْقَعُ وَالخُطُوبُ تُمَزِّقُ
وَلَأَنْ يُعَادِيَ عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ * مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ
فَارْبَابًا بِنَفْسِكَ أَنْ تَصَادِقَ أَحْمَقًا * إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقُ
وَزَيْنَ الْكَلَامِ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا * يُبْدِي عَقُولَ ذَوِي الْعُقُولِ الْمُنْطِقُ
وَمَنْ الرِّجَالُ إِذَا آسَتُوا أَخْلَاقُهُمْ * مِنْ يُسْتَشَارُ إِذَا اسْتُشِيرَ فَيُطْرَقُ
حَتَّى يُحْمَلَ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ * فَيَرَى وَيَعْرِفُ مَا يَقُولُ فَيَنْطِقُ
لَا أَلْفِينَتِكَ ثَاوِيَا فِي غَرْبِهِ * إِنَّ الْغَرِيبَ بِكُلِّ سَهْمٍ يُرْشَقُ

وله منها :

مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ * قَدَمَاتٍ مِنْ عَطَشٍ وَآخِرٌ يَفْرَقُ
وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا * بِالْجَدِّ يُرْزَقُ مِنْهُمْ مَنْ يُرْزَقُ
لَوْ يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسَبَ عَقُولِهِمْ * أَلْفَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى يَتَصَدَّقُ
لَكِنَّهُ فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ * هَذَا عَلَيْهِ مُوسِعٌ وَمُضَيِّقُ
وَإِذَا الْجَنَازَةُ وَالْعَرُوسُ تَلَاقِيَا * وَرَأَيْتَ دَمْعَ نَوَاحٍ يَتَرَقَّرَقُ
سَكَتَ الَّذِي تَبِعَ الْعَرُوسَ مُبَهْتًا * وَرَأَيْتَ مَنْ تَبَعَ الْجَنَازَةَ يَنْطِقُ
بَقِيَ الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبُوا * وَمَضَى الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَصْدُقُوا

وله من قصيدته المعروفة بالزينية :

- وَأَبْدَأُ عَدُوَّكَ بِالتَّحِيَّةِ وَتَتَكُنُّ * منه زمانك خائفا تَتَرَقَّبُ
 وَأَحْدَرَهُ إِن لَأَقِيَّتَهُ مُتَبَسِّمًا * فالليث يَبْدُو نابه إذ يَغْضَبُ
 إِن العَدُوَّ وَإِن تَقَادَمَ عَهْدُهُ * فالحقد باقٍ في الصدور مُغَيَّبُ
 وَإِذَا الصَّادِقُ لَقِيْتَهُ مُتَمَلِّقًا * فهو العَدُوَّ وَحَقُّهُ يُتَجَبَّبُ
 لَا خَيْرَ فِي وُدِّ أَمْرِي مُتَمَلِّقٍ * حُلُوِّ اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
 يَلْقَاكَ يَحْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَائْتِقْ * وإذا تَوَارَى عَنْكَ فهو العَقْرَبُ
 يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةَ * وَيُرْوِغُ مِنْكَ كَمَا يُرْوِغُ الثُّعْلَبُ
 وَصِلِ الكِرَامَ وَإِن رَمَوَكَ بِجَفْوَةٍ * فَالْصَّفْحُ عَنْهُمْ وَالتَّجَاوُزُ أَصْوَبُ
 وَأَخْتَرُ قَرِينَكَ وَاصْطَفِيهِ تَفَانِحًا * إِن القَرِينَ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ
 إِن الغَنَى مِنَ الرِّجَالِ مُكْرَمٌ * وَتَرَاهُ يُرَجِي مَا لَدَيْهِ وَيُرْهَبُ
 وَيَبْشُرُ بِالتَّرْحِيبِ عِنْدَ قُدُومِهِ * وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيُقَرَّبُ
 وَالفَقْرُ شَيْنٌ لِلرِّجَالِ فَإِنَّهُ * حَقًّا يَهُونُ بِهِ الشَّرِيفُ الْأَنْسَبُ
 وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَقَارِبِ كُلِّهِمْ * بِتَذَلُّلٍ وَأَسْمَحْ لَهُمْ إِن أَدْنَبُوا
 وَدَعْ الكَذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا * إِن الكَذُوبَ يَشِينُ حَرًّا يَصْحَبُ
 وَزَيْنُ الكَلَامِ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ * ثَرَاةً فِي كُلِّ نَادٍ تُحْطَبُ
 وَأَحْفَظْ لِسَانَكَ وَأَحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ * فَالْمَرْءُ يَسَلِّمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
 وَالسَّرُّ فَكُنْهُمُ وَلَا تَنْطِقْ بِهِ * إِن الرُّجَاةَ كَمَرَّهَا لَا يُشْعَبُ
 وَكَذَلِكَ سِرُّ المَرْءِ إِن لَمْ يَطْوِهِ * نَشْرَتَهُ أَلْسِنَةُ تَرِيدُ وَتَكْذِبُ
 لَا تُحْرِصَنَّ فَالحِرْصُ لَيْسَ بِزَانِدٍ * فِي الرِّزْقِ بَلْ يُشْقِي الحَرِيصَ وَيُتَعِبُ

وَأَرَعَ الْأَمَانَةَ وَالْحَيَانَةَ فَاجْتَنِبْ * وَأَعْدِلْ وَلَا تَظَلِّمْ يَطْبُ لَكَ مَكْسَبٌ
 وَإِذَا أَصَابَكَ نَكْبَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا * مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسَلِّمًا لَا يُنْكَبُ
 وَإِذَا رُمِيتَ مِنَ الزَّمَانِ بِرِيْبِيَّةٍ * أَوْ نَالَكَ الْأَمْرُ الْأَشَقُّ الْأَضْعَبُ
 فَاضْرَعْ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَدْنَى لِمَنْ * يَدْعُوهُ مِنْ جَبَلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
 وَأَحَدَرُ مَصَاحِبَةَ اللَّئِيمِ فَإِنَّهُ * يُعِدِّي كَمَا يُعِدِّي الصَّحِيحَ الْأَجْرَبُ
 وَأَحَدَرُ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَابِيًا * وَأَعْلَمُ بَأَنْ دُعَاةَ لَا يُحْجَبُ
 وَلَقَدْ نَصَحْتِكَ إِنْ قِيلَتْ نَصِيحَتِي * وَالنُّصْحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

١٦ - سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ (١)

كان شاعراً مطبوعاً ومات في أيام المأمون، وأكثر شعره في الغزل والتشبيب بالمدح، وكان متهوفاً بالغلمان والشراب، ثم تنسك وتاب ورجع راجلاً على قدميه ومات على توبة وإقلاع ومذهبه جميل، ومات وأبو العتاهية حي وكان صديقه فرثاه .

أخبر علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن مزيد قال : حدثت عن بعض أصحاب أبي العتاهية قال : جاء رجل إلى أبي العتاهية ونحن عنده، فسأزه في شيء، فبكى أبو العتاهية، فقلنا له : ما قال لك هذا الرجل يا أبا إسحاق فأبكاك ؟ فقال - وهو يتحدثنا لا يريد أن يقول شعرا - :

قال لي مات سعيد بن وهب * رحم الله سعيد بن وهب
يا أبا عثمان أبكيت عيني * يا أبا عثمان أوجعت قلبي

قال : فعجبنا من طبعه، وإنه يتحدث فكان حديثه شعرا موزونا .

وكان سعيد بن وهب الشاعر البصري مولى بني سامة قد تاب وترهد وترك قول الشعر، وكان له عشرة من البنين وعشر من البنات، فكان إذا وجد شيئاً من شعره نحرقه وأحرقه، وكان أمراً صدق، كثير الصلاة، يزكي في كل سنة عن جميع ما عنده، حتى إنه ليزكي عن فضة كانت على امرأته .

وكان سعيد بن وهب يتعشق غلاماً يتشطر يقال له سعيد، فبلغه أنه توعده أن يجرحه، فقال فيه :

(١) هو سعيد بن وهب أبو عثمان مولى بني سامة بن لؤي بن نصر، مولده ومنشؤه بالبصرة ثم صار إلى بغداد فأقام بها . وكانت الكتابة صناعته، فتصرف مع البرامكة فاصطنعوه وتقدم عندهم . وتجد أخباره في الأغاني (ج ٢١ ص ١٠٤) .

مَنْ عَدِيرِي مِنْ سَمِي * مَنْ عَدِيرِي مِنْ سَعِيدِ
أَنَا بِاللَّحْمِ أَجَاهُ * وَيَحْيَى بِالْحَدِيدِ^(١)

ونظر سعيد بن وهب إلى قوم من كُتَّاب السلطان في أحوال جميلة، فأنشأ يقول :

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ * فَتَحْنُ مِنْ نَظَارَةِ الدُّنْيَا
نَزْمُهَا مِنْ كَتَبِ حَسْرَةٍ * كَأَنَّا لَفْظٌ بِلَا مَعْنَى
يَعْلُو بِهَا النَّاسُ وَأَيَامُنَا * تَذْهَبُ فِي الْأَرْدَلِ وَالْأَدْنَى

وحدث حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان سعيد بن وهب لى صديقا، وكان له ابن يكنى أبا الخطاب من أكيس الصبيان، وأحسنهم وجها وأدبا، فكان لا يكاد يفارقه في كل حال، لشدة شغفه به ورقته عليه، فمات وله عشر سنين، بخزع عليه جزعا شديدا وأنقطع عن لذاته، فدخلت إليه يوما لأعاتبه على ذلك وأستعطفه، فحين رأى ذلك في وجهي فاضت دموعه، ثم أتعب حتى رحمته، وأنشدني :

عَيْنِ جُودِي عَلَى أَبِي الْخَطَّابِ * إِذْ تَوَلَّى غَضًّا بِمَاءِ الشَّبَابِ
لَمْ يُقَارَبْ ذَنْبًا وَلَمْ يَبْلُغِ الْحُدُ * مَثَ مُرَجِّي مُطَهَّرِ الْأَنْوَابِ
فَقَدَّتْهُ عَيْنِي إِذَا مَا سَعَى آتُ * رَابَهُ مِنْ جَمَاعَةِ الْأَتْرَابِ
إِنْ غَدَا مُوَحِّشًا لِدَارِي فَقَدْ أَصَدَّ * سَبْحَ أَنْسِ التَّرَى وَزَيْنِ التَّرَابِ
أَحْمَدُ اللَّهِ يَا حَبِيبِي فَإِنِّي * بِكَ رَاجٍ مِنْهُ عَظِيمِ الثَّوَابِ

ثم ناشدني ألا أذاكره بشيء مما جئتُ إليه، فقمْتُ ولم أخاطبه بحرف .

دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يوم قد جلس فيه للشعراء، فجعلوا ينشدونه ويأمر لهم بالجوائز حتى لم يبق منهم أحد، فالتفت إلى سعيد بن وهب كالمستنطق، فقال له : أيها الوزير، إنى ما كنت آستعددتُ لهذه الحال، ولا تقدمتُ لها عندي مُقدِّمةٌ فأعيرَ فيها،

(١) وجاء بوجاه وبجاء : ضربه باليد أو بالسكين . وخففت الهذرة ها هنا للشعر .

ولكن قد حضرني بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة؛ فقال : هاتهما ، فربّ قليل أبلغ من الكثير؛ فقال سعيد :

مَدَحَ الْفَضْلُ نَفْسَهُ بِالْأَعَالِي * فَعَلَا عَنْ مَدِيحِنَا بِالْمَقَالِ
أَمْرُونِي بِمَدْحِهِ قَلْتُ كَلًّا * كَبَّرَ الْفَضْلُ عَنْ مَدِيحِ الرِّجَالِ

قال : فطرب الفضل وقال له : أحسنت والله وأجذت ، ولئن قلّ القول وزُرر ، لقد أتسع المعنى وكثُر ، ثم أمر له بمثل ما أعطاه كلٌّ من أنشدته مديحا يومئذ ، وقال : لا خير فيما يحيى بعد بيتك ، وقام من المجلس ، وخرج الناس يومئذ بالبيتين لا يتناشدون سواهما .

وحدث الحرّميّ قال : كان الفضل بن يحيى ينافس أخاه جعفرا وينافسه جعفر ، وكان أنس بن أبي شيخ خاصا بجعفر ، ينادمه ويأنس به في خلواته ، وكان سعيد بن وهب بهذه المنزلة للفضل ، فدخلت يوما إلى جعفر ودخل إليه سعيد بن وهب فحدثه وأنشده وتادد له ، وحكى عن المتنادرين وأتى بكل ما يسر ويُطرب ويضحك ، وجعفر ينظر إليه لا يزيد على ذلك ، فلما خرج سعيد من عنده تجاهلت عليه وقالت له : من هذا الرجل الكثير الهديان ؟ قال : أو ما تعرفه ؟ قلت : لا ؛ قال : هذا سعيد بن وهب صديق أخي أبي العباس وخُصّاصه وعشيقه ؛ قلت : وأي شيء رأى فيه ؟ قال : لا شيء والله إلا القدر والبرد والغثاءة ، ثم دخلت بعد ذلك إلى الفضل ، ودخل أنس بن أبي شيخ فحدث ونذر وحكى عن المضحكين وأتى بكل طريقة ، فكانت قصة الفضل معه قصة جعفر مع سعيد ، فقلت له بعد أن خرج من حضرته : من هذا المبرم ؟ قال : أو لا تعرفه ؟ قلت : لا ؛ قال : هذا أنس بن أبي شيخ صديق أخي الفضل وعشيقه وخاصته ، قلت : وأي شيء أعجبه فيه ؟ قال : لا أدري والله إلا القدر والبرد وسوء الاختبار ؛ قال : وأنا والله أعرف بسعيد وأنس من الناس جميعا ، ولكنني تجاهلت عليهما وساعدتهما على هواهما .

وحدث عمرو بن بانه قال : كان في جوارى رجل من البرامكة ، وكانت له جارية شاعرة ظريفة يقال لها حسناء ، يدخل إليها الشعراء ويسألونها عن المعاني ، فتأتي بكل

مُسْتَحْسِنٍ مِنَ الْجَوَابِ ؛ فَدَخَلَ إِلَيْهَا سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ يَوْمًا وَجَلَسَ إِلَيْهَا فَخَادَتْهَا طَوِيلًا
ثُمَّ قَالَ لَهَا بَعْدَ ذَلِكَ :

حَاجِيَّتِكَ يَا حَسَنًا * ءُ فِي جِنْسٍ مِنَ الشَّعْرِ
وَفِيهَا طُولُهُ شِبْرٌ * وَقَدْ يُوفِّي عَلَى الشَّيْبِ
لَهُ فِي رَأْسِهِ شَقٌّ * نَطُوفٌ بِالنَّدَى يَجْرِي
إِذَا مَا جَفَّ لَمْ يَجْرِ * لَدَى بَرٍّ وَلَا بَحْرِ
وَأَنْ بُلَّ أَتَى بِالْعَدِّ * جَبَّ الْعَاجِبِ وَالسَّحْرِ
أَجِيبِي لَمْ أُرِدْ خُشَا * وَرَبَّ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
وَلَكِنْ صُغْتُ أَيْبَاتًا * لَهَا حَظٌّ مِنَ الزَّبْرِ

قال : فغضب مولاهما وتغير لونه وقال : أتفحش علي جاريتي تخاطبها بالحنى؟ فقالت
له : خفّض عليك، فما ذهب إلى ما ظننت وإنما يعني القلم؛ فسرى عنه، وضحك سعيد
وقال : هي أعلم منك بما سمعت .

١٧ - الحسن بن وهب

حدث ميمون بن هارون : قال : كما عند الحسن بن وهب فقال لِينَانَ : غَنَيْتَ :
 مُتَأَذِنُونَ لَصَبِّ فِي زِيَارَتِكُمْ * فعندكم شهواتُ السَّمْعِ والبَصِيرِ
 لَا يُضْمِرُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ * عَفَّ الضَّمِيرَ وَلَكِنْ فَاسَقُ النُّظْرَ
 قال فضحكت ، ثم قالت : فأى خير فيه إن كان كذا أو أى معنى ؟ فنجّل الحسن من
 بادرته عليه ، وعجّبنا من حدة جوابها وفطنتها .

وحدث محمد بن عيسى قال : جاء عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع إلى الحسن
 ابن وهب ، وعنده بنان جارية محمد بن حماد ، وهى نائمة سكرى وهو يبكي عندها ، فقال له :
 مالك ؟ قال : قد كنت نائما فجاءتني فأنبهتني وقالت : اجلس حتى تشرب بخلست ،
 فوالله ما غنت عشرة أصوات حتى نامت ، وما شربت إلا قليلا ، فتذكرت قول أشعر
 الناس وأظرفهم العباس بن الأحنف :

أبكي الذين أذأقوني موتهم * حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا
 فانا أبكى وأنشد هذا البيت .

وحدث محمد بن موسى بن حماد قال : دعا الحسن بن وهب إبراهيم بن العباس فقال
 له : اركب وأجيتك عشيّا فلا تنتظرنى بالغداة ، فأبطأ عليه ، وأسرع الحسن فى شربه فسكّر
 ونام ، وجاء إبراهيم فراه على تلك الحال ، فدعا بدواة وكتب :

رُحْنَا إِلَيْكَ وَقَدْ رَاحَتْ بِكَ الرَّاحُ * وَأَسْرَعَتْ فِيكَ أَوْتَارٌ وَأَفْرَاحُ

وحدث أيضا محمد بن موسى قال : نظر إبراهيم بن العباس الحسن بن وهب وهو

مخمور فقال له :

عيناك قد حكّا مبيد * نك كيف كنت وكيف كانا

ولرب عين قد أرت * لك مبيت صاحبها عيانا

فأجابہ الحسن بن وهب بعشرين بيتا وطالبه بمثلها ، فكتب اليه أربعة أبيات وطالبه بأربعين بيتا . وأبيات إبراهيم :

أبا علي خيرُ قولك ما * حصلت أنجعه ومُحصَّره
 ما عندنا في البيع من غبنٍ * للمستقلِّ بواحد عشره
 أنا أهلُ ذلك غيرُ محتشمٍ * أرضى القديم وأفتنى أثره
 ها نحن وقيناك أربعة * والأربعون لديك منتظره

وقال عبيد الله بن سليمان : لعمري ما في الكتاب أشعرُ من أبي إسحاق وأبي علي (يعني عمه الحسن بن وهب) .

حدث علي بن يحيى قال : قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وقد جرى ذكرُ أحمد بن يحيى المكي ، يا أبا محمد ، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى المكي مملوكاً كم كان يساوي؟ فقال : أخبرك عن ذلك ، انصرفت ليلةً من دار الوائق ، فاجترتُ بدار الحسن بن وهب فدخلت إليه ، فإذا أحمد عنده ، فلما قام لصلاة العشاء الآخرة قال لي الحسن بن وهب : وم يساوي أحمد لو كان مملوكاً؟ قلت : يساوي عشرين ألف دينار . قال : ثم رجعتُ فغني صوتاً ، فقال لي الحسن بن وهب : يا أبا محمد ، أضعفها . قال : ثم تغني صوتاً آخر ، فقلت للحسن : يا أبا علي أضعفها ، ثم أردتُ الانصراف فقلت لأحمد غني :

لولا الحياءُ وأن السير من خلقي * إذا قعدتُ اليك الدهر لم أقم
 أليس عندك سُكْرٌ لتي جعلت * ما أبيض من قدمات الرأس كالحمم

فغناه أحمد بن يحيى المكي فأحسن فيه كل الإحسان ، فلما قمتُ للانصراف قلت للحسن : يا أبا علي ، أضعف الجميع ، فقال له أحمد : ما هذا الذي أسمعك تقولانه ولست أدري ما معناه؟ قال نحن نبيئك ونشتريك منذ الليلة وأنت لا تدري .

وحدث محمد بن موسى قال : كان أبو تمام يعشق غلاماً تحريراً للحسن بن وهب ، وكان الحسن يتعشق غلاماً رومياً لأبي تمام ، فرآه أبو تمام يوماً يعبتُ بغلامه ، فقال له :

والله لئن أعتقت^(١) إلى الروم لتركضن إلى الخزر؛ فقال له الحسن: لو شئت حكمتنا واحتكمت؛ فقال له أبو تمام: أنا أشبهك بداود عليه السلام وأشبهه نفسي بحضمه؛ فقال الحسن: لو كان هذا منظوما خفناه، فأما وهو منشور فلا، لأنه عارض لا حقيقة له؛ فقال أبو تمام:

لُبا على بصرف الدهر والغير * وبالحوادث والأيام فاعتبر^(٢)
أذ كرني أمر داود وكنت فتي * مصرف القلب في الأهواء والفكر
أعندك الشمس لم يحظ المغيب بها * وأنت مضطرب الأحشاء للقمير
إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى * جاذر الروم أعتقنا إلى الخزر
إن القطوب له مني محل هوى * يحل مني محل السمع والبصر
ورب أمنع منه جانباً وجمي * أمسى وتكته مني على خطير
جردت فيه جنود العزم فأنكشفت * عنه غيابه عن بقرية هدير
سبحان من سبحته كل جارحة * ما فيك من طمجان العين بالنظر
أنت المقيم فما تغدر رواجه * وفعله أبداً منه على سفر

. وحدث وهب بن سعيد قال: جاء دُعيل إلى الحسن بن وهب في حاجة بعد موت

• أبي تمام، فقال له رجل في المجلس: يا أبا علي، أنت الذي تطعن علي من يقول:

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدى * ومحت كما تحت وشائع من برد

وأنجدتم من بعد إتهام دارم * فيادع أنجدني على ساكني نجد

فصاح دُعيل: أحسن والله! وجعل يردد:

* فيادع أنجدني على ساكني نجد

. ثم قال: رحمه الله، لو كان ترك لي شيئاً من شعره لقلت: إنه أشعر الناس.

(١) أعتقت: أسرعت. (٢) وردت هذه الأبيات في الأغاني وفيها بعض ألفاظ تحمل بالآداب،

فأثبتناها هنا كما وردت في ديوان أبي تمام.

وحدث أحمد بن عبيد الله بن ناصح قال : قلت لدعبل وقد عرض علي قصيدة له
يمدح بها الحسن بن وهب أوها :

* أعاذلتي ليس الهوى من هوانيا *

فقلت له : ويحك أتقول فيه هذا بعد قولك :

أين محل الحى يا حادى * خبر سقاك الراح الغادى

وبعد قولك :

قالت سلامة أين المأل قلت لها * المال ويحك لاقى الحمد فأصطحبا

وبعد قولك :

فعلى أيماننا يجرى الندى * وعلى أسيافنا تجرى المهج

والله إنى أراك لو أنشدته إياها لأمر لك بصفعم، فقال : صدقت والله، ولقد نهيتنى
وحدرتنى، ثم مزقها .

وحدث محمد بن موسى قال : أنشدنى الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك أبياتا

يرثى بها سكرانه أم ابنه عمر، وجعل الحسن يتعجب من جودتها ويقول :

يقول لى الخلالن لو زرت قبرها * فقلت وهل غير الفؤاد لها قبر

على حين لم أحدث فأجهل قدرها * ولم أبلغ السن التى معها الصبر

وحدث محمد بن يزيد قال : دامت الأمطار بـ«سرم رأى»، فتأخر الحسن بن وهب

عن محمد بن عبد الملك الزيات، وهو يومئذ وزير والحسن يكتب له، فاستبطأه محمد،

فكتب إليه الحسن يقول :

أوجب العذرة فى تراخى اللقاء * ما توالى من هذه الأنواء

لست أدرى ماذا أقول وأشكو * من سماء تعوفنى عن سماء

غير أنى أدعو على تلك بالشكر * لى وأدعو لهذه بالبقاء

فسلام الإله أهديه غضا * لك منى ياسيد الوزراء

وحدث محمد بن موسى قال : اغتسل الحسن بن وهب فتأخر عن محمد بن عبد الملك أياماً كثيرة ، فلم يأته رسوله ، ولا تعرف خبره ، فكتب إليه الحسن قوله :

أيُّ هذا الوزيرُ أيُّدك الله * ه وأبقالك لي بقاء طويلاً
 أجميلاً تراه يا أكرم الناس * س لكما أراه أيضاً جميلاً
 إنني قد أفتت عشرًا عليلاً * ما ترى مُرسلاً إلى رسولاً
 إن يكن موجب التعمد في الصد * حة منّا على منك طويلاً
 فهو أولى ياسيد الناس برأ * وافتقاداً لمن يكون عليلاً
 فلماذا تركتني عرضة الظن * من الحاسدين جيلًا بجيلاً
 الذنوب؟ فاعلمت سوى الشك * ر قرينًا لنتي ودخيلاً
 أم ملالٍ؟ فما علمتُك للصا * حب مثلي على الزمان ملولاً
 قد أتى الله بالشفاء فما أع * ر ف مما أنكرت إلا قليلاً
 وأكلتُ الدَّرَّاج وهو غداء * أفت عتني عليه أفولاً
 بعد ما كنت قد حملتُ من الع * لمة عبأ على الطباع ثقيلاً
 ولعلي قدمتُ قبلك آتياً * لك غدا إن وجدتُ فيه سبيلاً

فأجابه محمد بن عبد الملك :

دفع الله عنك نائبة الده * ر وحاشاك أن تكون عليلاً
 أشهد الله ما علمتُ وما ذا * لك من العذر جائزًا مقبولاً
 ولعمري أن لو علمتُ فلازم * تك حولا لكان عندي قليلاً
 إنني أرتجى وإن لم يكن ما * كان مما تقمت إلا جليلاً
 أن أكون الذي إذا أضمر الإخ * ملاص لم يلمس عليه كفيلاً
 ثم لا يبذل المسودة حتى * يجعل الجهد دونها مبدولاً
 فإذا قال كان ما قال إذ كا * ن بعيداً من طبعه أن يقولاً

فاجعلن لي إلى التعلق بالعد * رسيلا إن لم أجد لي سبيلا

فقد بما ما جاد بالصفح والعف * يو وما سأمح الخليل الخيلا

وكتب محمد بن عبد الملك إلى الحسن بن وهب وقد تأخر عنه :

قالوا جفاك فلا عهد ولا خبر * ما ذا تراه دهاه قلت أيلول

شهر تجد حبال الوصل فيه فما * عقد من الوصل إلا وهو محلول

وكان محمد قد نذبه لأن يخرج في أمر مهم فأجابه الحسن فقال :

إني بجول أمري أعليت رتبته * حفظه منك تعظيم وتيجيل

وأنت عدته في نيل همته * وأنت في كل ما يهواه مأمول

ما غالني عنك أيلول بلذته * وطيبه ولنعم الشهر أيلول

الليل لا قصر فيه ولا طول * والجو صاف وظهر الكأس مرحول

والعود مستنطق عن كل معجبة * يضحى بها كل قلب وهو متبول

لكن توقع وشك البين عن بلد * تحله فوكاء العين محلول

مالي إذا شمرت بي عنك مبتكرا * دهم البغال أو الهوج المراسيل

إلا رعاياتك اللاتي يعود بها * حد الحوادث عني وهو مقول

وكان الحسن بن وهب يسير محمدا على مسنة^(١)، فعدل عن المسنة لئلا يضيق لمحمد

الطريق، فظن محمد أنه أشفق على نفسه من المسنة، فعدل عنها ولم يساعده على طريقه،

وظن بنفسه أن يصيبها ما يصيبه، فقال له محمد :

قد رأيناك إذ تركت المسنة * وحاذيتني يسار الطريق

ولعمري ما ذاك منك وقد جد * بك الحد من فعال الشفيق

فقال له الحسن :

إن يكن خوفي الخنوف أراني * أن تراني مشبها بالعقوق

فلقد جارت الظنون على المشد * فحق والظن مولع بالشفيق

(١) المسنة : ما يبنى في وجه السيل .

عَدَّرَ السَّيِّدَ الْأَجَلَ وَقَدَسَا * رَعَى الْخَوْفَ مِنْ يَمِينِ الطَّرِيقِ
فَأَخَذَتْ الشَّمَالَ بُقِيًّا عَلَى السَّيِّدِ إِذْ هَالَتْ سُلُوكَ الْمِضْبِقِ
إِنْ عِنْدِي مَوَدَّةٌ لَكَ حَازَتْ * مَا حَوَى عَاشِقٌ مِنَ الْمَعشُوقِ
طَوْدٌ عَزَّ خُصِّصَتْ مِنْهُ بَيْرٌ * صَارَ قَدْرِي بِهِ مَعَ الْعَيْشِوقِ
وَبِنَفْسِي وَإِخْوَتِي وَأَبِي السَّبْرِ وَعَمِّي وَأُسْرُقِي وَصَدِيقِي
مَنْ إِذَا مَا رُوِّعَتْ أَمَّنَ رُوِّعِي * وَإِذَا مَا شَرِفَتْ سَوَّغَ رَيْقِي

وحدث المبرد قال : استسقى الحسن بن وهب من محمد بن عبد الملك نبيذا ببلد الروم

وهو مع المعتصم ، فسقاه وكتب إليه :

لَمْ تَلْقُ مِثْلِي صَاحِبًا * أَنْدَى يَدًا وَأَعَمَّ جُودًا
يَسِقُ النَّدِيمَ بِقَفْرَةٍ * لَمْ يَسِقْ فِيهَا الْمَاءُ عُودًا
صَفْرَاءَ صَافِيَةٍ كَأَنَّ * بَكَاسِهَا دُرًّا نَضِيدًا
وَأَجُودٌ حِينَ أَجُودُ لَا * حَصْرًا بِذَلِكَ وَلَا بَلِيدًا
وَإِذَا اسْتَقَلَّ بِشِكْرِهَا * أَوْجِبْتُ بِالشُّكْرِ الْمَزِيدًا
خُذْهَا إِلَيْكَ كَأَنَّ * كُسَيْتَ زُجَاجَتِهَا عُقُودًا
وَأَجْعَلْ عَلَيْكَ بَأْنَ تَقُو * مَ بِشِكْرِهَا أَبَدًا عُهُودًا

ومن جيد شعره قوله :

بَأْبِي كَرِهْتُ النَّارَ لَمَّا أُوقِدْتُ * فَعَرَفْتُ مَا مَعْنَاكَ فِي إِبَاعِدَا
هِيَ ضَرَّةٌ لَكَ بِالتَّمَاعِ ضِيَائِهَا * وَبِحَسَنِ صُورَتِهَا لَدَى إِبْقَادَا
وَأَرَى صَنِيعَكَ بِالْقُلُوبِ صَنِيعَهَا * بِسَيَالِهَا وَأَرَاكِهَا وَعَرَادَا
شَرِيكَكَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ بِحَسَنِهَا * وَضِيَائِهَا وَصَلَاحِهَا وَفَسَادَا

ومات الحسن بن وهب فرثاه أخوه سليمان بن وهب :

مَضَى مِذْمُضِي عَزُّ الْمَعَالَى وَأَصْبَحَتْ * لِأَلِي الْحِجَا وَالْقَوْلِ لَيْسَ لَهَا نَظْمُ
وَأَضْحَى نَجِيُّ الْفِكْرِ بَعْدَ فِرَاقِهِ * إِذَا هَمَّ بِالْإِفْصَاحِ مَنَظْمُهُ كَظْمُ

وكتب الحسن بن وهب يشكر :

مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا ، أَوْ ثَرَوَةٍ أَقْدَرْتَهُ عَلَيْهَا ، فَإِنَّ شُكْرِي لَكَ عَلَى مُهْجَةٍ
أَحْيَيْتَهَا ، وَحُشَّاشَةٍ أَبْقَيْتَهَا ، وَرَمَقٍ أَمْسَكَتَ بِهِ ، وَقَمَتٍ بَيْنَ التَّلْفِ وَبَيْنَهُ ؛ فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ
نِعْمِ الدُّنْيَا حُدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ ، وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ ، وَغَايَةٌ مِنَ الشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ ، خِلا
هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي فَاقَتْ الوَصْفَ ، وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قَدْرَهُ ، وَأَتَتْ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ ؛
رَدَدَتْ عَنَّا كَيْدَ العَدُوِّ ، وَأَرْغَمَتْ أَنْفَ الحَسُودِ ، فَنَحْنُ نَلْجَأُ مِنْكَ إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ ، وَكَنْفِ
كَرِيمٍ ، فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ ، وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدَهُ المَجْتَهِدُ ؛ - .

١٨ - أشجع السلمي^(١)

كان متصلا بالبرامكة وله فيهم أشعار كثيرة، منها قوله في يحيى بن خالد وكان قد غاب :

قد غاب يحيى فما أرى أحدا * يأتس إلا بذكره الحسين
أوحشت الأرض حين فارقها * من الأيادي العظام والمنين
لولا رجاء الإياب لأصدعت * قلوبنا بعده من الحزن

وقال أيضا :

رأيت بغاة الخير في كل وجهة * لغيبة يحيى مستكين خضعا
فإن يمس من في الرقتين مؤملا * لأوبة يحيى نحوها متطلعا
فما وجه يحيى وحده غاب عنهم * ولكن يحيى غاب بالخير أجمعا

وقال فيه أيضا :

إذا غاب يحيى عن بلاد تغيرت * وتشرق إن يحتلها فتطيب
وإن فعال الخير في كل بلدة * إذا لم يكن يحيى بها لغريب

وقال فيه حين أعتل :

لقد قرعت شكاة أبي علي * قلوب معاشر كانت صحاحا
فإن يدفع لنا الرحمن عنه * صروف الدهر والأجل المتاحا

(١) هو أشجع بن عمرو بن ولد الشريد بن مطرود السلمي، وكان يكنى أبا الوليد، شاعر إسلامي عابث، نشأ بالبصرة، وقال الشعر وأجاد فيه حتى عتد من الفحول؛ وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن، ولم يكن لقيس شاعر، فلها نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس. وأقطع إلى البرامكة ومدحهم وأختص بجمعهم فأصفاه مدحه، فأعجب به جعفر ووصله إلى الرشيد ومدحه فأعجب به أيضا وأمدّه بالمال فأثرى وحسنت حاله في أيامه، وتقدم عنده، وله فيه المدائح المختارة، والقصائد السائرة. وتجد أشعاره وأخباره في الأغاني (ج ١٧ ص ٣٠) والشعر والشعراء.

فقد أمسى صلاح أبي علي * لأهل الأرض كلهم صلاحاً
إذا ما الموت أخطاه فلَسْنَا * نبأ الموت حيث غدا وراحاً

وهو القائل ،

ليس للحاجات إلا * من له وجهٌ وقَاحُ
ولسانٌ طَرِمْدَارٌ * وغدوٌ ورواحُ
إن أكنُ أبطأ بالحال * جهُ عَنِّي فاللَّحاحُ
فعلَى الجهدُ فيها * وعلى الله النجاحُ

ويستجاد له في مدح الرشيد :

وصلت يدك السيف يوم تقطعت * أيدى الرجالِ وزَلَّتِ الأقدامُ
وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رَعَدَانِ ضوءُ الصبحِ والإظلامُ
فإذا تنبه رُعته وإذا غفا * سلَّتْ عليه سيوفك الأحلامُ

ويُستجاد له أيضاً قوله :

غداً يتفرق أهلُ الهوى * ويكثرُ بالكِ ومسترجعُ
وتختلف الأرضُ بالظاعنين * وجوهاً تُسَدُّ ولا تُجمَعُ
وتغنى الطلولُ ويبقى الهوى * ويصنعُ ذو الشوقِ ما يصنعُ
وأنت تُبكي وهم جيرةٌ * فكيف يكون إذا ودَّعوا
أتطمع في العيش بعد الفراق * فبئسَ لعمرك ما تطمعُ

وفيها يقول في جعفر بن يحيى :

بديهته مثلُ تديره * متى هجته فهو مستجمعُ
إذا همَّ بالأمر لم يئنسه * هجوعٌ ولا شادنٌ أفرعُ
ففي كفه للغنى مطبٌ * وللسرِّ في صدره موضعُ

وكم قائل إذ رأى بهجتي * وما في فُضُوبِ الغنى أصنعُ
غدا في ظلالِ ندى جعفر * يُحسبُ ثيابَ الغنى أشجعُ
وما خلفه لأمرئٍ مطمع * ولا دونه لأمرئٍ مقنعُ

وهو القائل في محمد بن منصور بن زياد يرثيه :

أنعى فتى الجودِ الى الجودِ * ما مثلُ من أنعى بوجودِ
أنعى فتى أصبح معروفه * منتشراً في البيض والسودِ
أنعى فتى مصّ الثرى بعده * بقية الماء من العودِ
قد تلم الدهرُ به ثلثة * جانها ليس بمسدودِ
أنعى فتى كان ومعرفه * يملأ ما بين ذرى اليدِ
فأصبحا بعد تساميهما * قد جمعا في بطن ملحودِ
الآن نخشى عثراتِ الندى * وعدوة البخل على الجودِ

ويستجاد له قوله في إبراهيم بن عثمان بن نهبك وكان صاحب شرط الرشيد وكان

جباراً عبوساً :

في سيف إبراهيم خوف واقع * بدوى النفاق وفيه أمن المسلم
وببيت يكلأ والعيون هواجع * مال المضيع ومهجة المستسلم
جعل الخطام بأنف كل مخالف * حتى آستقام له الذى لم يُحطَم
لا يصلح السلطان إلا شدة * تقشى البرى بفضل ذنب المجرم
ومن الولاة مقحم لا يتقى * والسيف تقطر شفراته من الدم
منعت مهابتك النفوس حديثها * بالأمر تكفه وإن لم تعلم

وقال لأخيه :

أبت غفلات قلبك أن تزوحا * وكأس لا تزالها صبوحا
كأنك لا ترى حسناً جميلاً * بعينك يا أحنى إلا قبيحا

ويُستجاد له قوله في الرشيد :

لا زلت تنشر أعياداً وتطويها * تمضي بها لك أيامٌ وتثنيها
مستقبلاً جدّة الدنيا وبهجتها * أيامها لك نظمٌ في لياليها
العيدُ والعيد والأيام بينهما * موصولةً لك لا تفتني وتُفنيها
وليهنك النصرُ والأيامُ مقبلةً * إليك بالفتح معقوداً نواصيها

ويستجاد له قوله يمدح اسماعيل بن صبيح :

له نظراً لا يعمض الأمرُ دونه * تكادُ ستورُ الغيب عنه تمزقُ

وهو القائل :

وما ترك المدّاحُ فيك مقالةً * ولا قال إلا دون ما فيك قائلُ

وقال أيضاً :

مضى ابنُ سعيدٍ حين لم يبق مشرق * ولا مغربٌ إلا له فيه مادحٌ
وما كنتُ أدري ما فواضلُ كفه * على الناسِ حتى غيبتَه الصفايحُ^(١)
فأصبح في لحدٍ من الأرض ميتاً * وكانت به حياً تضيقُ الصّحايحُ^(٢)
سأبكيك ما فاضتْ دموعي فإن تغض * فحسبُك مني ما تُجيبُ الجوايحُ^(٣)
فما أنا من رزءٍ وإن جل جازعٌ * ولا بسرورٍ بغد موتك فارحُ
كأن لم يمت حتى يسواك ولم يقم * على أحدٍ إلا عليك النوايحُ
لئن حسنتُ فيك المرأى وذكّرها * لقد حسنتُ من قبلُ فيك المدائحُ

(١) الصفايح : أجماع عراض تغطي بها القبور . (٢) الصّحايح : جمع صحصح : وهي الأرض

الجرداء المستوية الواسعة ذات حصى صغار . (٣) الجوايح : الضلوع .

١٩ - علي بن الجهم^(١)

كان علي بن الجهم قد هجا بختيشوع، فسبه عند المتوكل فحبسه المتوكل. فقال علي بن الجهم في حبسه عدة قصائد كتب بها الى المتوكل، فأطلقه بعد سنة ثم نفاه بعد ذلك الى نخراسان. فقال أول ما حبس قصيدة كتب بها الى أخيه، أولها قوله:

توكلنا على رب السماء * وسأمننا لأسباب القضاء
 ووطننا على غير الليالي * نفوسنا ساحت بعد الإباء
 وأفنية الملوك عجبات * وباب الله مبدول الفناء
 هي الأيام تكلمنا ونأسو * وتأتي بالسعادة والشقاء
 وما يُجدي التراء على غني * إذا ما كان محظور العطاء
 حلبنا الدهر أشطره ومرت * بنا عقب الشدائد والرخاء
 وجرينا وجرّب أولونا * فلا شيء أعز من آلفاء
 ولم ندع الحياء لمس ضر * وبعض الضر يذهب بالحياء
 ولم نحزن على دنيا تولت * ولم نسبق الى حسن العزاء
 توق الناس يابن أبي وأمي * فهم تبع الخفاة والرجاء

(١) هو عربي قرشي شاعر فصيح مطبوع، وقد خص بالمتوكل حتى صار من جلسائه ثم أبغضه لأنه كان كثير السعاية إليه بدمائه فكان إذا خلا به عرفه أنهم يعيونه ويلبونه، فيكشف الخليفة عن ذلك فلا يجد له حقيقة، فنفاه الى نخراسان بعد أن حبسه مدة. وكان مذهبه في الشعر مذهب مروان بن أبي حفصة في هجا آل أبي طالب وذمهم والإغراء بهم وهجاء الشيعة كقوله:

ورافضة تقول بشعب رضوى * إمام، خاب ذلك من إمام

إمام من له عشرون ألفا * من الأتراك مشرعة السهام

وله أقوال في الغزل والعتاب وفي الوصف، توفي سنة ٢٤٩ هـ. وتجد أخباره في الأغاني (ج ٩ ص ١٠٤)

وابن خلكان (ج ١ ص ٤٩٧).

ولا يغررك من وغد إخاء * لأمرٍ ما غدا حسن الإخاء
 ألم تر مظهرين على عتبا * وهم بالأمس إخوان الصفاء
 فلما أن بليت غدوا وراحوا * على أشد أسباب البلاء
 أبت أخطارهم أن ينصروني * بمال أو بجاه أو ثراء
 وخافوا أن يقال لهم خذتم * صديقا فادعوا قدم الخفاء
 تطافرت الروافض والنصاري * وأهل الاعتزال على هجائي
 وعابوني وما ذنب إليهم * سوى علمي بأولاد الزناء
 فبختيشوع يشهد لابن عمرو * وعزرون لهارون المراني
 وما أجدماء بنت أبي سمير * يجذماء اللسان على الخناء
 إذا ما عد متلكم رجالا * فما فضل الرجال على النساء
 عليكم لعنة الله ابتداء * وعودا في الصباح وفي المساء
 إذا سئمت للناس قالوا * أولئك شر من تحت السماء
 أنا المتوكلي هوى ورأيا * وما بالواقية من خفاء
 وما حبس الخليفة لي بعار * وليس بمؤيسى منه التناهي

كان سبب حبس المتوكل علي بن الجهم أن جماعة من الجلساء سَعَوْا به إليه وقالوا له :
 إنه يمحش الخدم ويغمزهم ، وإنه كثير الطعن عليك والعيب لك والإزراء على أخلاقك ،
 ولم يزالوا به يُوعرون صدره عليه حتى حبسه ، ثم أبلغوه عنه أنه هجاء ، فنفاه إلى خراسان
 وكتب بأن يُصلب إذا وردها يوماً إلى الليل ، فلما وصل إلى الشاذيخ حبسه ظاهر بن
 عبد الله بن طاهر بها ، ثم أخرج فُصلب يوماً إلى الليل مجزداً ثم أنزل ، فقال في ذلك :

لم ينصبوا بالشاذيخ عشيّة الإثنين مسبوقةً ولا مجهولا
 نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم * شرفاً وملء صدورهم تجيلا
 ما أزداد إلا رفعةً بنكوله * وأزدادت الأعداء عنه نُكولا

هل كان إلا الليثَ فارقَ غِيْلَه * فرأيتَه في مجملٍ محمولاً
 لا يأمنُ الأعداءُ من شدَّاته * شدًّا يفصلُ هامهم تفصيلاً
 ما عابه أنْ بُزَّعنه لبأسه * فالسيفُ أهولُ ما يرى مسلولاً
 إن يُبتدَلُ فالبدرُ لا يُزرى به * إن كان ليلته تمه مبذولاً
 أو يسلبوه المالَ يُحزنُ فقدُه * ضيفاً ألم - وطارقاً ونزيباً
 أو يحبسوه فليس يُحبسُ سائرُ * من شعره يدعُ العزيرَ ذليلاً
 إن المصائبُ ما تعدتُ دينه * نعم وإن صعبتُ عليه قليلاً
 والله ليس بغافلٍ عن أمره * وكفى بربك ناصرًا ووكيلاً
 ولتعامنَ إذا القلوبُ تكشفت * عنها الأكنةُ من أضلِّ سبيلاً

وكتب المتوكل إلى طاهر بن عبد الله بإطلاق علي بن الجهم، فلما أطلقه قال :

أطاهرُ إني عن خراسانٍ راحلُ * ومستخبرٌ عنها فما أنا قائلُ
 أصدقُ أم أكني عن الصدقِ أيما * تحيرتُ أدته اليك المحافلُ
 وسارت به الركبانُ وأصطفقتُ به * أكفُ قيانٍ وأجبتته القبائلُ
 وإني بعالي الحمد والذمِّ عالمُ * بما فيهما نامى الرمية ناضلُ
 وحقاً أقولُ الصدقَ إني لمائلُ * اليك وإن لم يحظَ بالودِّ مائلُ
 ألا حرمةٌ تُرعى إلا عقدُ ذمية * لجارٍ إلا فعلٌ لقولٍ مُشاكلُ
 ألا منصفٌ إن لم تجدْ متفضلاً * علينا إلا قايضٌ من الناسِ عادلُ
 فلا تقطعنَ غيظاً علي - أنا ملاً * فقبلك ما عُضتُ علي - الأناملُ
 أطاهر إن تُحسِنَ فإني محسنُ * إليك وإن تجحَلْ فإني باخلُ

فقال له طاهر : لا تقل إلا خيراً، فإني لا أفعل بك إلا ما تحب، فوصله وحمله

وقال علي بن الجهم للموكل :

عفا الله عنك ! ألا حرمة * تجود بعفوك أن أبعدا
لئن جلّ ذنبٌ ولم أعتد * لأنت أجلُّ وأعلى يدا
ألم تر عبداً عدداً طوره * ومولى عفا ورشيداً هدى
ومفسداً أمراً تلافيته * فعاد فأصلح ما أفسدا
أقلنى أقالك من لم يزل * يقيك ويصرف عنك الردى

وأحسن شعر قاله في الحبس فصيدته التي أولها :

قالوا حبست فقلت ليس بضائري * حبسى وأى مهنيد لا يغمد
أو ما رأيت الليث يألف غياله * كبراً وأوباش السباع تردد
والشمس لولا أنها محجوبة * عن ناظر بك لما أضاء الفرقد
والبدر يدريكه السرار فتنجلي * أيامه وكأنه متجدد
والغيث يحضره الغمام فما يرى * إلا وريقه يراع ويرعد
والزاعية لا يقيم كعوبها * إلا الثفاف وجدوة تنقذ
والنار في أحجارها نخبوءة * لا تصطلى إن لم تثرها الأزد
والحبس ما لم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتودد
بيت يحدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
لو لم يكن في الحبس إلا أنه * لا يستذلك بالحباب الأعبد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجاً ومات طبيبه والعود
يا أحمد بن أبي دؤاد إنما * تدعى لكل عظمة يا أحمد
أبلغ أمير المؤمنين ودونه * خوض الردى ومخاوف لا تنفد
أتم بنو عم النبي محمد * أولى بما شرع النبي محمد
ما كان من كريم فاتم أهله * كرمت مفارسم وطاب الخيد

أَمِنَ السَّوِيَّةَ يَابْنَ عَمَّ مُحَمَّدٍ * خَصَمٌ تُقَرَّبُهُ وَآخِرُ تَبِعِهِ
 إِنَّ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَيْكَ بِبَاطِلٍ * حَسَادُ نِعْمَتِكَ الَّتِي لَا تُجْحَدُ
 شَاهِدُوا وَغَيَّبْنَا عَنْهُمْ فَتَحَكَّمُوا * فِينَا، وَلَيْسَ كِفَائِيٍّ مِنْ يَشْهَدُ
 لَوْ يَجْمَعُ الْخُصَمَاءَ عِنْدَكَ بِمَجْلَسٍ * يَوْمًا لَبَانَ لَكَ الطَّرِيقُ الْأَقْصَدُ
 فَبَأَى جُرْمٌ أَصْبَحَتْ أَعْرَاضُنَا * نَهَا تَقَسَّمَهَا اللَّثِيمُ الْأَوْغَدُ

خرج علي بن الجهم إلى الشام في قافلة فخرجت عليهم الأعراب في خُساف، فهرب من
 كان في القافلة من المُقاتلة وَبَتَّ علي بن الجهم، فقاتلهم قتالا شديدا وثاب الناس إليه
 فدفعهم ولم يَحْطُوا بشيء. فقال في ذلك :

صَبْرْتُ وَمِثْلِي صَبْرُهُ لَيْسَ يُنْكَرُ * وَلَيْسَ عَلَيَّ تَرَكَ التَّقَحُّمُ يُعْذَرُ
 غَرِيضَةٌ حَرًّا لَا أَخْتَلِقُ تَكْلُفُ * إِذَا خَامَ فِي يَوْمِ الْوَعْيِ الْمُتَصَبِّرُ^(٢)
 وَلَمَّا رَأَيْتَ الْمَوْتَ تَهْفُو بِنُودِهِ * وَبَانَتْ عِلَامَاتُ لَهُ لَيْسَ تَنْكُرُ
 وَأَقْبَلْتَ الْأَعْرَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * وَنَارُ عَجَّاجٍ أَسْوَدُ اللَّوْنِ أَكْذَرُ
 بِكُلِّ مُشِيحٍ مُسْتَمِيَةٍ مُشْمَرٍ * يَحْوِلُ بِهِ طَرْفُ أَقْبُ مُشْمَرُ^(٣)
 بَارِضٌ خُسَافٍ حِينَ لَمْ يَكْ دَافِعٌ * وَلَا مَانِعٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمَذْكَرُ
 فَقَالَ فِي عَيْنِي عَظِيمَ جَمُوعِهِمْ * عَزِيمَةٌ قَلْبٍ فِيهِ مَا جَلَّ يَصْفَرُ
 بَعَثَرَكُ فِيهِ الْمَنَابِيا حِوَاسِرُ * وَنَارُ الْوَعْيِ بِالْمَشْرِيفَةِ تُسْعَرُ
 فَمَا صُنْتُ وَجْهِي عَنْ طُبَاتِ سِيوفِهِمْ * وَلَا آنَحَرْتُ عَنْهُمْ وَالْقَنَا تُنْكَسَرُ
 وَلَمْ أَكُ فِي حَزِّ الْكَرِيمَةِ مُحْجَا * إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَرْبِ لِلْوَرْدِ مَصْدَرُ
 إِذَا سَاعَدَ الطَّرْفُ الْفَتَى وَجَنَانَهُ * وَأَسْمَرُ خَطِيٌّ وَأَبْيَضُ مِبْتَرُ
 فَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ الْكَرِيمُ بِنَفْسِهِ * إِذَا أَصْطَلَتْ الْأَبْطَالُ فِي النَّعَقِ عَسْكَرُ

(١) برية بين بالس وحلب . (٢) خام : نكص وجبن .

(٣) المشيح : المانع لما وراء ظهره . والأقرب من الخليل : الدقيق الخصر الضامر البطن .

منعُهم من أن ينالوا قُلامَةً * وكنتُ شجَاهم والأسِنَّةُ تقطُرُ
وتلك سبجايانا قديماً وحادثاً * بها عُرفَ الماضي وعزَّ المؤخَّرُ
أبت لي قرومٌ أنجبتني أن أرى * وإن جَلَّ حَطْبٌ خاشعاً أتضجرُ
أولئك آل الله فهربُ بن مالكٍ * بهم يُجبرُ العظمُ الكسيرُ ويُكسرُ
هم المَنكبُ العالی على كل منكبٍ * سيوفُهم تُفني وتُفني وتُفقرُ

كان علي بن الجهم يعاشر جماعة من فتيان بغداد لما أُطلق من حبسه وردَّ من النفي،
وكانوا يتقانون ببغداد ويلزمون منزل مغن بالكرخ يقال له المفضل، فقال فيه علي بن الجهم:

نزلنا بباب الكرخ أطيَّب منزلٍ * على مُحسِناتٍ من قِيانِ المفضَّل
فلا بِن سُرَّيخٍ والغريضِ ومعبَدٍ * بدائعُ في أسمعنا لم تبدل
أوانس ما للضيف منهنَّ حشمةٌ * ولا ربهنَّ بالجليمل المبجل
بُسِّرَ إذا ما الضيفُ قَلَّ حياؤه * ويغفل عنه وهو غير مُغفل
ويُكثر من ذمِّ الوقارِ وأهله * إذا الضيفُ لم يأتس ولم يتبدل
ولا يدفع الأيدي المريبةَ غيرةً * إذا نال حظاً من لبوسٍ وما كل
ويطرقُ إطراقَ الشجاعِ مهابةً * ليُطلقَ طرفَ الناظرِ المتأمل
أشربيدٍ وأعجزُ بطرفٍ ولا تتخفُ * رقيقاً إذا ما كنتَ غير مُبخل
وأعرض عن المصباحِ وألحجَّ بمثله * فإن نحمد المصباحِ فادنُّ وقبَّل
وسلَّ غير ممنوعٍ وقُلَّ غير مسكتٍ * وتمَّ غير مذعورٍ وقمَّ غير معجل
لك البيتُ ما دامت هداياك جحمةً * وكنتَ ملياً بالنبيدِ المعسل
فبادِرْ بأيام الشبابِ فإنها * تقضى وتُفني والغوايةُ تجلي
ودع عنك قولَ الناسِ أتلَّفَ ماله * فلانٌ فأضحى مُدبراً غير مُقبِل
هل الدهرُ إلا ليلةٌ طرحتُ بنا * أو انحرها في يومٍ لهوٍ معجل
سقى الله بابَ الكرخِ من مُنزِهِ * إلى قصرٍ وضحاحٍ فبركةُ زلزلِ

مَسَاحِبِ أَذْيَالِ الْقِيَانِ وَمَسْرَحِ الْ * حَسَانٍ وَمَثْوَى كُلِّ خَرِقٍ مُعَدَّلٍ
 لَوْ أَنَّ أَمْرًا الْقَيْسِ بْنِ مُجَرِّ يَحْلَمُهَا * لِأَقْصَرَ عَنْ ذِكْرِ الدَّخُولِ وَحَوْمَلٍ
 إِذَا لَرَأَى أَنْ يَمْنَحَ الْوَدَّ شَادَنَا * مُقْصَرِ أَذْيَالِ الْقِنَا غَيْرِ مُسْبِلٍ
 إِذَا اللَّيْلُ أَدْنَى مَضْجَعِي مِنْهُ لَمْ أَقُلْ * ”عَقَّرَتْ بَعِيرِي يَا أَمْرًا الْقَيْسِ فَأَنْزِلِ“

دخل على بن الجهم يوما على عبد الله بن طاهر في غداة من غدوات الربيع وفي السماء
 غيم رقيق، والمطر يحيى قليلا ويسكن قليلا، وقد كان عبد الله عزم على الصبوح فغاضبته
 حَظِيَّةٌ لَهُ، فَتَنَعَّصَ عَلَيْهِ عَزْمَهُ وَقَتَّرَ، فَخَبَّرَ عَلِيَّ بْنَ الْجَهْمِ بِالْخَبْرِ وَقِيلَ لَهُ : قُلْ فِي هَذَا الْمَعْنَى
 لَعَلَّهُ يَنْشِطُ لِلصَّبُوحِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَنَسَدَهُ :

أَمَّا تَرَى الْيَوْمَ مَا أَحْلَى شِمَائِلَهُ * صَخْوٌ وَغَيْمٌ وَإِبْرَاقٌ وَإِرْعَادُ
 كَأَنَّهُ أَنْتَ يَا مَهْنُ لَا شَبِيهَ لَهُ * وَصَلُّ وَهَجْرٌ وَتَغْرِيْبٌ وَإِبْعَادُ
 فَبَاصِرِ الرَّاحِ وَأَشْرِبَهَا مُعْتَقَّةً * لَمْ يَدْنُرْ مِثْلَهَا كِسْرَى وَلَا عَادُ
 وَأَشْرَبَ عَلَى الرُّوضِ إِذْ لَاحَتْ زَخَارِفُهُ * زَهْرٌ وَنُورٌ وَأُورَاقٌ وَأُورَادُ
 كَأَنَّمَا يَوْمُنَا فَعَلُّ الْحَيْبِ بِنَا * بَدَلٌ وَبُخْلٌ وَإِبْعَادُ وَمِيعَادُ
 وَلَيْسَ يَذْهَبُ عَنِّي كُلُّ فِعَالِكُمْ * عَنِّي وَرُشْدٌ وَإِصْلَاحٌ وَإِفْسَادُ

فاستحسن الأبيات وأمر له بثلاثمائة دينار وحمله وخلع عليه .

لما أطلق عبد الله بن طاهر على بن الجهم من الحبس أقام معه بالشاذياخ مدة، فخرجوا
 يوما الى الصيد . وانفق لهم مَرَجٌ كَشِيرِ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَكَانَتْ أَيَّامُ الزَّعْفَرَانِ، فَاصْطَادُوا
 صَيْدًا كَثِيرًا حَسَنًا، وَأَقَامُوا يَشْرَبُونَ عَلَى الزَّعْفَرَانِ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ يَصِفُ ذَلِكَ :

وَطَيْنَارِ رِيَاضِ الزَّعْفَرَانِ وَأَمْسَكْتُ * عَلَيْنَا الْبُرَاةُ الْبَيْضُ حَمْرَ الدَّرَارِجِ ^(١)
 وَلَمْ تَحْمِهَا الْأَدْعَالُ مِنَّا وَإِنَّمَا * أَبْجَنَّا حِمَاهَا بِالْكَلابِ الْبَسْوَارِجِ
 بِمَسْتَرَوِحَاتِ سَابِحَاتِ بَطُونِهَا * عَلَى الْأَرْضِ أَمْثَالِ السَّهَامِ الْزَّوَالِجِ ^(٢)

(١) واحده دراج (بضم الدال وتشديد الراء) وهو طائر على خلقة القفط إلا أنه أظلف .

(٢) الزالج من السهام : الذي يمشى على وجه الأرض ثم يمضي .

ومستشرفات بالهوادي كأنها * وما عَقِفْتُ منها رؤوس الصَّوَاجِ
ومن دالعاتِ السُّنَا فكأنها * لِحَى من رجال خاضعين كَوَاصِحِ
فَلَيْنَا بها الغِيْطَانُ قَلِيَا كأنها * أَنَامِلُ إحدى الغَانِيَاتِ الحَوَاجِ
فقل لبُغَاةِ الصَّيْدِ هل من مُفَاحِرٍ * بصيْدٍ وهل من وَاصِفٍ أو مَخَارِجِ
قَرْنَا بُرَاةً بالصَّقُورِ وَحَوَمَتْ * شَوَاهِينَا من بعد صيْدِ الرَوَاجِ

لما فُلِحَ ابنُ أبي دُوَادٍ شِمِتَ به علي بن الجهم وأظهر ذلك له وقال فيه :

لم يبقَ منك سوى خيَالِكِ لَامِعَا * فوق الفِرَاشِ مَهْدَاً بِيَسَادِ
فِرِحَتْ بِمَصْرَعِكِ البريئةُ كُلُّهَا * مَنْ كَانَ منهم مُوقِنَا بِمَعَادِ
كم مجلسُ الله قد عَطَاتَه * كى لا يُحَدِّثُ فيه بالإِسْنَادِ
ولكم مصَابِيحُ لَنَا أَطْفَائِهَا * حتى نَزُولَ عن الطَّبِيقِ آلِهَادِ
ولكم كَرِيْمَةٌ مَعَشِرِ أَرْمَلَتِهَا * ومَحَدَّثِ أَوْتَمَتِ في الأَقْيَادِ
إن الأَسَارَى في السَّجُونِ تَفْرَجُوا * لما أَنْتِكَ مَوَاصِبُ العَوَادِ
وَعَدَا لمَصْرَعِكَ الطَّبِيبُ فلم يَحْدِ * شَيْئَا لِدَائِكِ حَيْلَةَ آلْمُرَادِ
فَدُقِ الهَوَانَ مَعْجَلًا وَمَوْجَلًا * والله رَبُّ العَرْشِ بِالْمَرْصَادِ
لا زَالِ فَالْحُكِّ الذِي بِكَ دَائِبًا * وَجِئْتِ قَبْلَ أَلْمُوتِ بِالأَوْلَادِ

ومن جيد شعره قوله :

نطقِ الهوىِّ بجوى هو الحق * وملكتني فليهنك الرُّقُ
رِفْقًا بقلبي يا معدَّ به * رِفْقًا وليس لظالم رِفْقُ
وإذا رأيتك لا تُكَلِّمْنِي * ضاقت علي الأرض والأُفُقُ

وله أيضا :

يا رحمةً للغريب بالبلد النَّا * زِحَ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا
فَارَقَّ أَحِبَّاهُ فَمَا آتَفَعُوا * بالعِيشِ من بعده وما آتَفَعُوا

(١) الراج : الملواح الذي يصاد به الصقور ونحوها من جوارح الطير .

٢٠ - علي بن جبلة^(١)

قال المأمون يوماً لبعض جلسائه : أقسم علي من حضر ممن يحفظ قصيدة علي بن جبلة الأعمى في القاسم بن عيسى إلا أنشدنيها ؛ فقال له بعض الجلساء : قد أقسم أمير المؤمنين ولا بد من إبرار قسمه ، وما أحفظها ولكنها مكتوبة عندي ؛ قال : قم ففني بها ، فمضى وأتاه بها وأنشده إياها ، وهي :

ذادِ رَدَّ الغَى عن صَدْرِهِ * وأرَعَوَى واللَّهُو من وَطْرِهِ
وَأَبَتْ إِلا البِكَاءَ لَهُ * ضَحِكَاتُ الشَّيْبِ في شَعْرِهِ
ندِمِي أن الشَّبَابَ مَضَى * لم أبلِّغْهُ مَدَى أَشْرِهِ
وَأَنْقَضَتْ أَيامُهُ سَالِمًا * لم أَجِدْ حَوْلًا على غَيْرِهِ
حَسْرَتٌ عَنِّي بِشَاشَتِهِ * وذَوَى المَحْمُودُ من ثَمَرِهِ
ودِمٍ أَهْدَرْتُ من رَشَا * لم يُردْ عَقْلًا على هَدْرِهِ
فَأَتَتْ دُونَ الصَّبَا هَنَّةٌ * قَلْبْتُ فُوقَ على وَتَرِهِ
جَارَتَا لَيْسَ الشَّبَابُ لِمَنْ * رَاحَ مَحْنِيًّا على كِبَرِهِ
ذَهَبَتْ أَشْيَاءُ كُنْتُ لَهَا * صَارَهَا حَلْمِي إلى صُورِهِ^(٢)

(١) هو علي بن جبلة الأتباري والعكوك لقبه ، وهو من الموالى أبناء الشيعة الخراسانية من أهل بغداد ، ولد في الحربية منها ونشأ فيها ، وكان ضريرا منذ ولادته مثل بشار بن برد ، وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ جزله ، لطيف المعاني ، مداح حسن التصرف ، وقد استغند شعره في مدح أبي دلف العجلي وأبي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي ، وزاد في تفضيلهما وتفضل أبي دلف خاصة حتى فضل ربيعة على مضر ، فاستاء المأمون من ذلك وبلغه أبيات قالها العكوك في أبي دلف منها :

كل من في الأرض من عرب * بين يديه إلى حضره
مستعير منك مكرمة * يكتسبها يوم مفتخره

توفى سنة ٢١٣ هـ . وتجد أكثر أخباره في الأغاني (ج ١٨ ص ١٠٠) وابن خلكان طبع بولاق (ج ١ ص ٤٩٥) والشعر والشعراء (ص ٥٥٠) (٢) صارها : أمالها .

دَعَّ جَدَا حَقَطَانَ أَوْ مُضِيرَ * فِي يَمَانِيهِ وَفِي مُضِيرِهِ
 وَامْتَدَّحَ مِنْ وَائِلٍ رَجُلًا * عَصُرُ الْآفَاقِ فِي عَصِيرِهِ
 الْمَنَايَا فِي مَنَاقِبِهِ * وَالْعَطَايَا فِي ذَرَا حُجْرِهِ
 مَلِكٌ تَتَدَى أَنَامِلُهُ * كَانِبِلَاجِ النَّوَى عَنْ مَطَرِهِ
 مُسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ * كَابْتِسَامِ الرُّوْضِ عَنْ زَهْرِهِ
 جَبَلٌ عَزَّتْ مَنَاصِبُهُ * أَمِنَتْ عَدَنَانُ فِي ثَغْرِهِ
 إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ * بَيْنَ مَبْدَاهِ وَحُحْتَضِرِهِ
 فَإِذَا وَتَى أَبُو دُلْفٍ * وَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
 لَسْتُ أَدْرِي مَا أَقُولُ لَهُ * غَيْرَ أَنَّ الأَرْضَ فِي حَقَرِهِ
 يَادُوَاءُ الأَرْضِ إِنْ فَسَدَتْ * وَمِدْيَلُ اليُسْرِ مِنْ عُسْرِهِ
 كُلُّ مَنْ فِي الأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ * بَيْنَ بَادِيهِ إِلَى حَضَرِهِ
 مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرَمَةٌ * يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَحِرِهِ

وفيها يقول :

وَزُحُوفٍ فِي صَوَاهِلِهِ * كَصِيَاحِ الحَشْرِ فِي أَثَرِهِ
 قُدَّتْهُ وَالمَوْتُ مَكْتَمُنٌ * فِي مَذَاكِبِهِ وَمُشْتَجِرِهِ
 فَرَمَتْ حَقَّوِيهِ مِنْهُ يَدٌ * طَوَّتِ المَنْشُورَ مِنْ نَظَرِهِ
 زَرْتَهُ وَانخِيلَ عَابِسَةٌ * تَحْمِلُ البُؤْسَى عَلَى عُنُقَرِهِ
 خَارِجَاتٍ تَحْتَ رَايَتِهَا * تَخْرُوجُ الطَيْرُ مِنْ وَكْرِهِ
 وَعَلَى النِّعَانِ نُجَّتْ بِهِ * عَوْجَةً ذَادَتْهُ عَنْ صَدْرِهِ
 غَمَطَ النِّعَانُ صَفْوَتَهَا * فَسَرَدَتِ الصَّفْوَى فِي كَدْرِهِ
 وَلَقَرَقُورٌ أَدْرَتْ رَحًا * لَمْ تَكُنْ تَرْتَدُّ فِي فِكْرِهِ

قد تأتت البقاء له * فأبى المحتوم من قدره
 وطنى حتى رفعت له * خُطَّةً شنعاء من ذكِّره
 فغضب المأمون وأعتاظ، وقال : لست لأبى إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه .

مكأن يمدح حميد بن عبد الحميد، فلما سمع حميد هذا في أبي دلف قال : أى شىء
 بقيت لنا بعد هذا من مدحك؟ فقال :

إنما الدنيا حميدٌ * وأياديه الجسامُ

فاذا ولَّى حميدٌ * فعلى الدنيا السلامُ

وهو القائل في حميد :

دجلةٌ تسقى وأبو غانم * يطعم من تسقى من الناس

والناسُ جسمٌ وإمامُ الهدى * رأس وأنت العينُ فى الراس

وقال للحسن بن سهل :

أعطيتنى يا ولى الحق مبتدئاً * عطيةً كافات مدحى ولم ترينى

ما شئتُ برقك حتى نلت ريقه * كأنما كنت بالحدوى تبادرنى

وهو القائل في حميد :

إلى أكرم حيطانٍ * وصلنا السهبَّ بالسهبِّ

إلى مجتمع النبل * ومُلِقَ أرحلِ الركب

حميدٌ مفزع الأعداء * فى الشرق وفى الغرب

كأن الناسَ جسمٌ وهـ * وممنه موضع القلب

إذا سالمَ أرضاً غـ * نيتُ أمانة السرب

وإن حاربها حلت * بها راغية السقب

إذا لاقى رعيلاً المو * ت بالشطبة والشطب

وبالمأذية الخضر * وبالهنديَّة القُضب

غداً مجتمع القلب * له جندٌ من الرعب

فيافوز الذي وإلى * ويابؤسى أخى الذنب

أيا ذا الجود فاسلم ما * جرت حُقُبُ إلى حُقُبِ

فأنت الغيثُ في السليم * وأنت الموتُ في الحرب

وأنت الجامعُ الفار * قُ بين البعد والقرب

بك الله تلافى لنا * من بعد العثر والنكب

وردة البيض والبيض * إلى الأغماد والحجب

بإقدامك في الحرب * وإطعامك في اللزب

فكم أمنتَ من خوفٍ * وكم أشغبتَ من شغب

وكم أصلحتَ من خطبٍ * وكم أيمتَ من خطب

وما تمهَّـرها إلا * دراك الطعن والضرب

تاهت بك فخطابٌ * إلى الغاية والحسب

ففاتت شرف الأحياء * ففوت الرأس للعجب^(١)

ومما أسرف فيه فكفر أو قارب الكفر قوله في أبي دلف :

أنت الذي تُنزل الأيامَ منزلها * وتثقل الدهرَ من حالٍ إلى حال

وما مددت مدي طرفٍ إلى أحدٍ * إلا قضيت بأرزاق وآجال

تزوَّرتُ سخطاً فتمسى البيضُ راضيةً * وتستهيلُ فتبكي أوجهُ المال

وقال فيها :

كأن خيلك في أثناء غمرتها * أرسل قطيرتها من فوق إرسال

يخرجن من غمرات الموت ساميةً * نشر الأنامل من ذى القرة الصالى

(١) العجب : أصل الذنب .

وقال أيضا :

جلاء مشيب نزل * وأئس شباب رحل
 طوى صاحب صاحبًا * كذاك اختلاف الدول
 أعادلتى أقصرى * كفالك المشيب العذل
 بدا بدلًا بالشبا * ب ليت الشباب البدل
 جلال ولكنه * تحاماه حور المقل

وقد كان حميد ركب يوم عيد في جيش عظيم لم ير مثله ، فقال على بن جبلة يصف ذلك :

غدا بأمر المؤمنين ويمنه * أبو غانم غدو الندى والسحاب
 وضافت فجاج الأرض عن كل موكب * أحاط به مستعليا للوأكب
 كأن سموا النقع والبيض فوقهم * سماوة ليل قرنت بالكواكب
 فكان لأهل العيد عيد بنسكهم * وكان حميد عيدهم بالمواهب
 ولو لا حميد لم تبلى عن الندى * يمين ولم يدرك غني كسب كاسب
 ولو ملك الدنيا لما كان سائل * ولا أعتام فيها صاحب فضل صاحب
 له ضحكة تستغرق المال بالندى * على عبسة تشجي القنا بالترائب
 ذهبت بأيام العلاء فarda بها * وصرمت عن مسعاك شأو المطالب
 وعدلت ميل الأرض حتى تعدلت * فلم ينأ منها جانب فوق جانب
 بلغت بأدنى الحزم أبعده قورها * كأنك منها شاهد كل غائب

شخص على بن جبلة إلى عبد الله بن طاهر إلى خراسان ، وقد مدحه فأجرل صلته ، واستأذنه في الرجوع فسأله أن يقيم ، وكان بره يتصل عنده ، فلما طال مقامه أشتاق إلى أهله فدخل إليه فأنسده :

زاعه الشيب إذ نزل * وكفاه من العذل
 وأنقضت مدة الصبا * وانقضى اللهو والغزل

قد لعمرى دَمَلْتُهُ * بِخِضَابٍ فَمَا أَدْمَلُ
 فَايِكَ لِلشَّيْبِ إِذْ بَدَأَ * لَا عَلَى الرَّبْعِ وَالطَّلَلُ
 وَصَلَّ اللَّهُ لِلْأَمِيَّةِ * بِرِغْمِي الْمَلِكُ فَاتَّصَلُ
 مَلِكٌ عَزَمُهُ الزَّمَانُ * نُبْتُ وَأَفْعَالُهُ الدُّوَلُ
 كَسْرُوِيٌّ، يَجِدُهُ * يَضْرِبُ الضَّارِبُ الْمَثَلُ
 وَإِلَى ظَلِّ عَزَاهُ * يَلْجَأُ الْخَائِفُ الْوَجَلُ
 كُلُّ خَلْقٍ سِوَى الْإِمَامِ * مِمَّ لِإِنْعَامِهِ خَوَلُ
 لَيْتَهُ حِينَ جَادَلِي * بِالْغِنَى جَادَ بِالْقَفَلُ

فضحك وقال : أَيَبْتَ إِلَّا أَنْ تُوحِشَنَا، وَأَجْزَلَ صَلَاتِهِ وَأَذْنَ لَهُ .

دخل على بن جبلة العكوك على حميد الطوسي في أول يوم من شهر رمضان، فأنشده:

جَعَلَ اللَّهُ مَدْخَلَ الصَّوْمِ فَوْزًا * حُمَيْدٍ وَمُتَمَعَةً فِي الْبَقَاءِ
 فَهُوَ شَهْرُ الرَّبِيعِ لِلْقُرَاءِ * وَفِرَاقُ النَّدْمَانِ وَالصَّهْبَاءِ
 وَأَنَا الضَّامِنُ الْمَلِيٌّ لِمَنْ عَا * قَرَّهَا مُفْطِرًا بِطُولِ الظَّهْرِ
 وَكَأَنِّي أَرَى النَّدَامَى عَلَى الْخَسْرِ * نَفِ يَرْجُونَ صَبْحَهُمْ بِالْمَسَاءِ
 قَدْ طَوَى بَعْضُهُمْ زِيَارَةَ بَعْضٍ * وَاسْتَعَاثُوا مَصَاحِفًا بِالْغِنَاءِ

وفيها يقول :

بِحُمَيْدٍ - وَأَيْنَ مِثْلُ حُمَيْدٍ - * نَفَرَتْ طَيْبٌ عَلَى الْأَحْيَاءِ
 جَوْدُهُ أَظْهَرَ السَّاحَةَ فِي الْأَرْضِ * ضِ وَأَغْنَى الْمُقْوَى عَنِ الْإِقْوَاءِ
 مَلِكٌ يَأْمُرُ الْعِبَادَ تَدَاهُ * مِثْلَ مَا يَأْمُرُونَ قَطْرَ السَّمَاءِ
 صَاغَهُ اللَّهُ مُطْعِمَ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ * ضِ وَصَاغَ السَّحَابَ لِلِاسْتِغَاءِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم، وقال : استعن بهذه على نفقة صومك، ثم دخل إليه ثانياً

شوال فأنشده :

عللاني بصفو ما في الدنان * وأتركا ما يقوله العاذلان
 وأسبقا فاجع المنية بالعيد * يش فكل على الحديد فاني
 عللاني بشربة تذهب اله * م وتنفى طوارق الأخران
 والقيأ في مسمع سدها الصو * م رقى الموصلى أودحمان
 قد أانا شوال فاقبل العيد * ش وأعدى قسراً على رمضان
 نعم عون الفتى على نوب الدهر * ير سماع القيان والعيضان
 وكؤوس تجرى بماء كروم * ومطى الكؤوس أيدى القيان
 من عنار تميم كل احتشام * وتسر الندمان بالندمان
 وكان المزاج يقدح منها * شرراً في سبائك العقيان
 فاشرب الراح وأعص من لام فيها * إنها نعم عدة الفتيان
 وأصحب الدهر بارتحال وحل * لا تحف ما يحتره الحدان
 حسب مستظهر على الدهر ركنا * بجيد ردها من الحدان
 ملك يقتنى المكارم كترأ * وتراه من أكرم الفتيان
 خلقت راحتاه للجود والبأ * س وأمواله لشكر اللسان
 ملكته على العباد معد * وأقرت له بنو حيطان
 أريحي النداء جميل الحيا * يده والسماح معتقدان
 وجهه مشرق الى معتفيه * ويداه بالغيث تنفجران
 جعل الدهر بين يومية قسيم * بن بعرف جزل وحر طعان
 فاذا سار بالخمس لحرب * كل عن نص جيه الخافقان
 واذا ما هزنته لنوال * ضاق عن ربح صدره الأفقان
 غيث جدب إذا أقام ربيع * يتغشى بالسسيب كل مكان
 يا أبا غانم بقيت على الدهر * ير وحللت ما جرى العصران

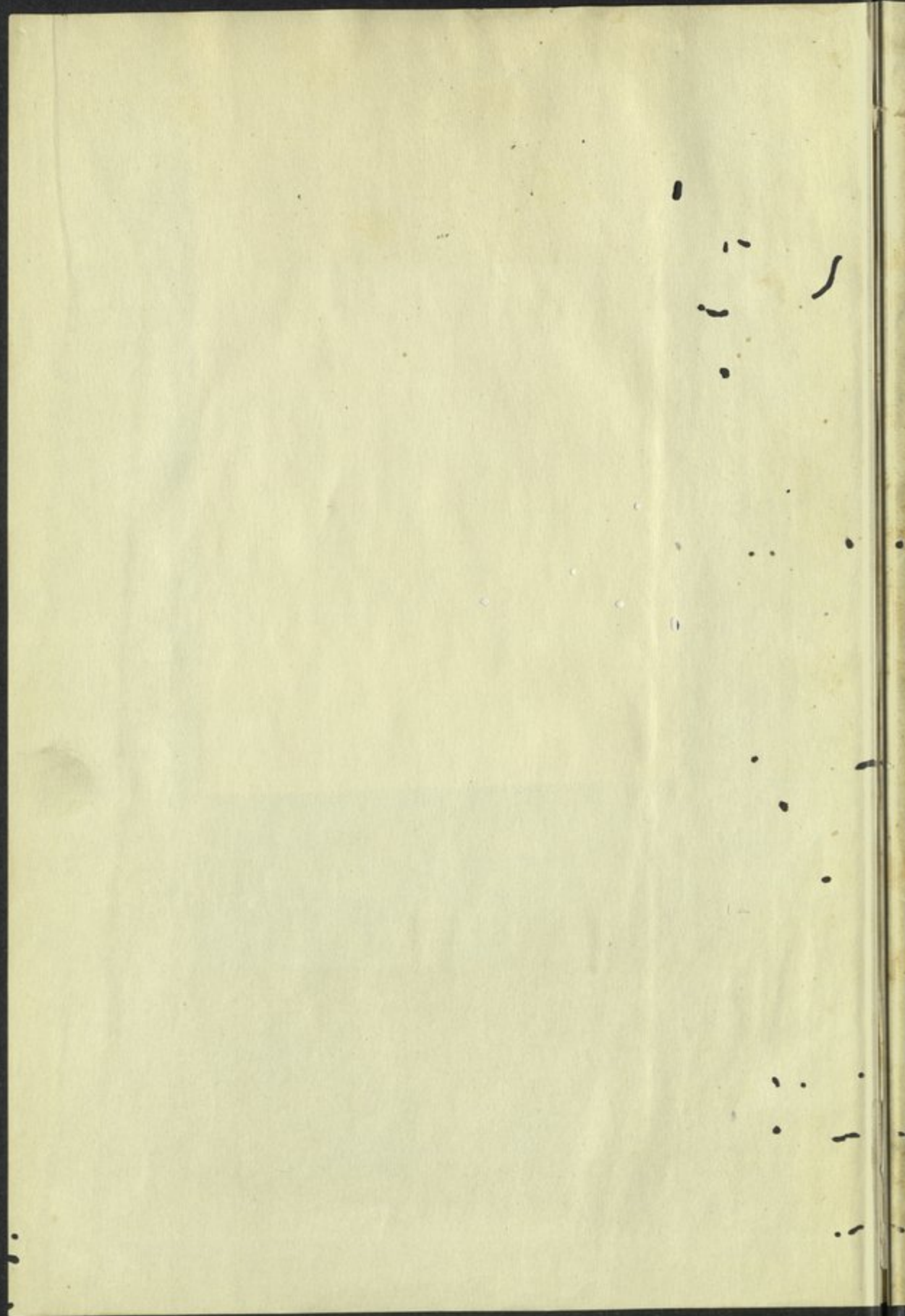
ما نُبَالِي إِذَا عَدَّتْكَ الْمَنِيَا * مَن أَصَابَتْ بِكَ كَلِّ وَجِرَانِ
 قَدْ جَعَلْنَا لِيكَ بَعِثَ الْمَطَايَا * هَرَبًا مِنْ زِمَانِ الْخَوَانِ
 وَحَمَلْنَا الْحَاجَاتِ فَوْقَ عِتَاقِي * ضَامِنَاتِ حَوَائِجِ الرِّجَالِ
 لَيْسَ جُودٌ وَوَلَاءٌ حَا دُكَ يُنْتَا * بٌ وَلَا يَعْتَنِي لَغَيْرِكَ عَانِي
 فأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: تلك كانت للصوم نخفت وخففنا، وهذه للفطر
 فقد زدتنا وزدناك .

ولما مات حميد الطوسي رثاه بقصيدته العينية المشهورة التي تُعد من نادر الشعر
 وبديعه، وهي :



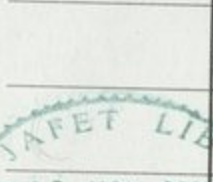

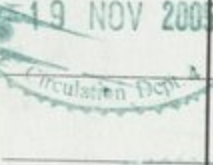
أَلَدَّهِرٍ تَبْكِي أُمَ عَلَى الدَّهْرِ تَجَزَعُ * وَمَا صَاحِبُ الْإِيَّامِ إِلَّا مُفَجَّعُ
 وَلَوْ سَهَّلْتَ عَنكَ الْأَمَى كَانَ فِي الْأَمَى * عِزًّا مَعَزًا لِلْيَبِّ وَمَقْنَعُ
 تَعَزَّ بِمَا عَزَّيْتَ غَيْرَكَ إِنهَا * سِهَامُ الْمَنِيَا حَامِتَاتٌ وَوَقَعُ
 أُهِنَّا بِيَوْمٍ فِي حُمَيْدٍ لَوْ أَنَّهُ * أَصَابَ عُرُوشَ الدَّهْرِ ظَلَّتْ تَضَعَعُ
 وَأَذْبَنَّا مَا أَذَبَ النَّبَاسَ قَبْلَنَا * وَلَيْكُنْهُ لَمْ يَبِيقُ لِلصَّبْرِ مَوْضِعُ
 أَلَمْ تَرِ لِلْإِيَّامِ كَيْفَ تَصْرَمَتْ * بِهِ ، وَبِهِ كَانَتْ تُذَادُ وَتُدْفَعُ
 وَكَيْفَ اتَّقَى مَثْوَى مِنَ الْأَرْضِ ضَيْقُ * عَلَى جِبَلٍ كَانَتْ بِهِ الْأَرْضُ تُمْنَعُ
 وَلَمَا أَنْقَضَتْ أَيَّامَهُ أَنْقَضَتْ الْعَلَا * وَأَضْحَى بِهِ أَنْفُ النَّدَى وَهُوَ أَجْدَعُ
 وَرَاحَ عِدْوَالِدَيْنِ جَذَلَانٍ يَتَّحِي * أَمَانِي كَانَتْ فِي حَشَاةٍ تَقَطَّعُ
 وَكَانَ حُمَيْدٌ مَعْقِلًا رَكَعَتْ بِهِ * قَوَاعِدُ مَا كَانَتْ عَلَى الضَّمِيمِ تَرَكُّعُ
 وَكَانَتْ أَرَادَ كَالرِّزَايَا رُزِيَّتْهَا * وَلَمْ أَدْرَأَنَّ الْخَلْقَ تَبْكِيهِ أَجْمَعُ
 حِمَامٌ رَمَاهُ مِنْ مَوَاضِعِ أَمْنِهِ * حِمَامٌ ، كَذَلِكَ الْخَطْبُ بِالْخَطْبِ يُقْدَعُ
 وَلَيْسَ بَغْرُؤُ أَنْ تُصِيبَ مَنِيَّةً * حِمَى أَخْتَهَا أَوْ أَنْ يَذَلَّ الْمُنْمَعُ
 لَقَدْ أَدْرَكْتُ فِينَا الْمَنِيَا بِثَارِهَا * وَحَلَّتْ بِخَطْبٍ وَهَيْبِهِ لَيْسَ يُرْفَعُ

نَعَاءٌ حَمِيدًا لِلسَّرَايَا إِذَا غَدَتْ * تَذَادُ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَتُوزَعُ
 وَتُلْرَهَقُ الْمَكْرُوبِ ضَاقَتْ بِأَمْرِهِ * فَلَمْ يَدْرِ فِي حَوَمَاتِهَا كَيْفَ يَصْنَعُ
 وَالْبَيْضُ خَلَّتْهَا الْبَعُولُ وَلَمْ يَدْعُ * لَهَا غَيْرَهُ دَاعِيَ الصَّبَاحِ الْمَفْرَعُ
 كَانَتْ حَمِيدًا لَمْ يُقَدْ جَيْشَ عَسْكَرٍ * إِلَى عَسْكَرِ أَشْبَاطِهِ لَا تَرْوَعُ
 وَلَمْ يَبْعَثْ الْخَيْلَ الْمَغِيرَةَ بِالضَحَى * مِرَاحًا وَلَمْ يَرْجِعْ بِهَا وَهِيَ ظَلَعُ
 رَوَاجِعَ يَحْمِلُنَ النَّهَابَ وَلَمْ تَكُنْ * كِتَابُهُ إِلَّا عَلَى النَّهْبِ تَرْجِعُ
 هَوَى جِبِلِّ الدُّنْيَا الْمَنِيْعُ وَغَيْثُهَا أَلْ * مَرِيْعُ وَحَامِيهَا الْكَمِيُّ الْمَشِيْعُ
 وَسَيْفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرُمُوحُهُ * وَمِفْتَاحُ بَابِ الْخَطْبِ وَالْخَطْبُ أَفْطَعُ
 فَأَقْنَعُهُ مِنْ مُلْكِهِ وَرِبَاعُهُ * وَنَائِلُهُ قَفَرٌ مِنَ الْأَرْضِ بَلْقَعُ
 عَلَى أَى شَجْوٍ تَشْتَكِي النَّفْسُ بَعْدَهُ * إِلَى شَجْوِهِ أَوْ يَذْخُرُ الدَّمْعُ مَدْمَعُ
 أَلَمْ تَرَ أَلَّ الشَّمْسِ حَالَ ضِيَاؤِهَا * عَلَيْهِ وَأَضْحَى لَوْنُهَا وَهُوَ أَسْفَعُ
 وَأَوْحَشَتِ الدُّنْيَا وَأَوْدَى بِهَاؤُهَا * وَأَجْدَبَ مَرْعَاهَا الَّذِي كَانَ يَمْرَعُ
 وَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِهِ مَطْمَئِنَّةً * فَقَدْ جَعَلَتْ أَوْتَادُهَا نُتْقَعُ
 بَكَى فَقَدَهُ رُوحَ الْحَيَاةِ كَمَا بَكَى * نَدَاهُ النَّدَى وَأَبْنُ السَّبِيلِ الْمُدْفَعُ
 وَفَارَقَتِ الْبَيْضُ الْخُدُورَ وَأَبْرَزَتْ * عَوَاطِلَ حَسْرَتِي بَعْدَهُ لَا تَقْنَعُ
 وَأَيْقُظُ أَجْفَانًا وَكَانَ لَهَا الْكِرَى * وَنَامَتْ عَيُونٌ لَمْ تَكُنْ قَبْلَ تَهَجُّعِ
 وَلَكِنَّهُ مَقْبَدَارُ يَوْمٍ تَوَى بِهِ * لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُ نِهَالٌ وَمَشْرَعُ
 وَقَدْ رَأَى اللَّهُ الْمَلَا بِمُحَمَّدٍ * وَبِالْأَصْلِ يَتَمَّى فَرَعُهُ الْمَتْفَرَعُ
 أَعْرَمَ، عَلَى أَسْيَافِهِ وَرِمَاحِهِ * تُقَسِّمُ أَنْفَالُ الْخَلِيْسِ وَتُجْمَعُ
 حَوَى عَنْ أَبِيهِ بَدَلٌ رَاحَتِهِ النَّدَى * وَطَعَنَ الْكُلِّيَّ وَالزَّاعِيَّةَ شُرْعُ

(مطبعة دار الكتب المصرية ٥٤٩/١٩٢٧/٣١٥٠)

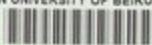


DATE DUE

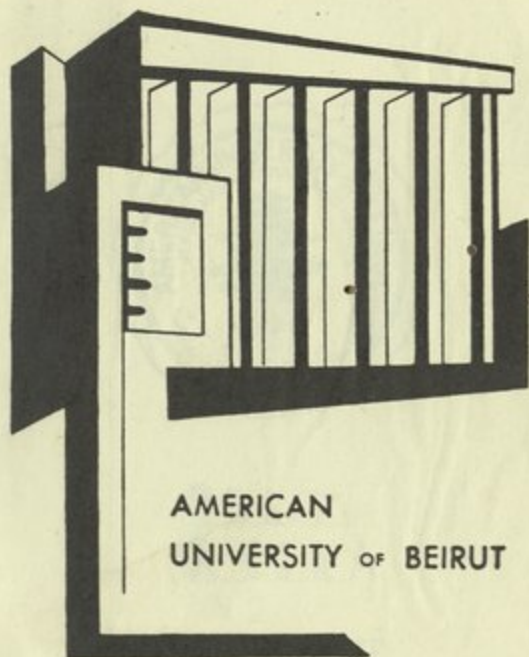
	
	
	

رقاعه احمد فرید
عصر المأمون

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



010:1074



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

297.09
R56a2A
v.2